

# نقد الحضارة الفريرية

( تاريخ الإغريق بين القرنين الثامن والخامس ق.م )



الجزء الرابع

مجموعة باحثين

## نقد الحضارة الغربيّة (٤)

(تاريخ الإغريق بين القرنين الثامن والخامس ق.م)

نقد الحضارة الغربية. الجزء الرابع : تاريخ الاغريق بين القرنين الثامن والخامس ق.م /  
تأليف مجموعة باحثين. الطبعة الأولى. -النجف، العراق : العتبة العباسية المقدسة، المركز  
الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ١٤٤٣ هـ. = ٢٠٢١.  
مجلد : ايضاحيات ؛ ٢٤ سم.-(المشروع التأسيسي لعلم الاستغراب)  
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.  
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٢٥٥٦٠  
١ . الاغريق-تاريخ-القرن ٨-٥ قبل الميلاد. أ. العنوان.

**LCC : DF221.2 .N37 2021**

**DDC : 938**

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة  
فهرسة أثناء النشر

## الإخراج الفني

سيد علي مير حسين

الناشر

العتبة العباسية المقدسة / المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

الطبعة: الأولى ٢٠٢١م / ١٤٤٣هـ

(إنّ جميع الأبحاث الواردة في هذا الكتاب محكّمة من قبل لجنة علميّة)

# نقد الحضارة الغربيّة (٤)

( تاريخ الإغريق بين القرنين الثامن والخامس ق.م )

مجموعة باحثين



## هوية الكتاب

### نقد الحضارة الغربية (٤)

(تاريخ الإغريق بين القرنين الثامن والخامس ق.م)

إشراف

السيد هاشم الميلاني

رئيس التحرير

الشيخ حسن الهادي

مدير التحرير العلمي

د. محمد مرتضى

### الهيئة العلمية

\* أ.د. فوزي العلوي (تونس)

\* أ.د. هنا الجزر (سوريا)

\* أ.د. بوزيد بومدين (الجزائر)

\* أ.د. كنزة القاسمي (المغرب)

\* أ.م. د. هادي بيكي (إيران)

\* أ.د. ستار الأعرجي (العراق)

\* د. محمود حيدر (لبنان)

### المشاركون في هذا الجزء

\* عبد الله السليمان

\* محمد جمال الكيلاني

\* خليل سارة

\* محمود السيد مراد

\* خالد نواف كيوان

٩ ..... مقدمة

١٣ ..... الحياة السياسية عند اليونان

٣٧ ..... محمد جمال الكيلاني

٨٣ ..... أثينا في العصر الكلاسيكي

١١٩ ..... د. خليل سارة

١٤٧ ..... الإرهاب الديني والفكري لمدينة أثينا في القرن الخامس (ق.م)

١٧٥ ..... محمود السيد مراد

٢٢١ ..... تاريخ سيراكوزة السياسي والعسكري

٢٥٩ ..... عبد الله السليمان

..... الاستعمار والمستعمرات الإغريقيّة

..... د. خليل سارة

..... الرقيق عند الإغريق

..... عبد الله السليمان

..... مصادر التاريخ الإغريقيّ

..... خليل سارة

..... الحياة الاقتصاديّة والنقديّة عند الإغريق

..... خالد نواف كيوان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





يرى الغرب الحديث أنّ تاريخه قد بدأ مع ما أطلق عليه هو نفسه بالمعجزة الإغريقية، ولهذا فقد ارتأينا أن ينطلق مشروعنا النقديّ من تلك الحقبة التأسيسية، وتحديدًا قبل القرن التاسع قبل الميلاد؛ ذلك أنّ تلك الفترة تُعدّ اللبنة الأساسية التي اعتمد عليها الغرب في تكوين نفسه. وقد ذكرنا سابقاً بأنّ هدفنا المركزيّ والرئيس من دراسة الفكر الغربيّ وتاريخه، ليس هو كتابة تاريخ الغرب مرة ثانية أو توصيفه بلغة جديدة، بل المطلوب هو إعادة تظهير هذا التاريخ من خلال إجراء قراءة تحليليّة نقدية معمّقة للفكر الغربيّ من خلال دراسة تاريخه بجميع حقوله؛ وفي جميع أزمائه؛ بدءاً من الإغريق؛ وصولاً إلى عصرنا الراهن.

وانسجماً مع الواقع التاريخي لتاريخ الغرب ولاعتبارات منهجية، فقد قسّمنا عملنا العلميّ والبحثيّ في هذا المشروع إلى مراحل، وارتأينا أن تكون البداية بما قبل القرن التاسع قبل الميلاد. وهذه هي الفترة التي عالجناها وسلطنا الضوء عليها في المرحلة الأولى من المشروع، وقد طُبعت بجزئين (الأول والثاني) من هذه السلسلة في العام ٢٠٢٠م.

واستكمالاً لمراحل المشروع، نتابع في هذه الأجزاء الثلاثة (الثالث والرابع والخامس) ما كنّا بدأناه في الجزأين السّابقين من مشروعنا في سلسلة «نقد الحضارة الغربيّة». وبعون الله تعالى فإنّنا تمكّنا من إنجاز البحوث التخصّصية للمرحلة الثانية، بحسب مخطّط المشروع، والتي تغطّي تاريخ الإغريق بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد، وإصدارها في ثلاثة أجزاء هي (الثالث والرابع والخامس) من هذه السلسلة؛ وقد تضمّن الجزء الثالث منها فصلين يتحدّثان عن الحياة

الدينيّة والاجتماعيّة، وتضمّن الجزء الرابع منها فصلاً واحداً يتعلّق بالحياة السياسيّة والاقتصاديّة، بينما تضمّن الجزء الخامس منها فصلين أحدهما في الفلسفة والآخر في الحياة العلميّة والفنيّة.

وصحيح بأن الملامح العامّة لهذه المرحلة، لا تختلف كثيراً عن المرحلة السابقة من النواحي الدينيّة والسياسيّة والأخلاقيّة والاقتصاديّة، إلّا أنّها شهدت بعض الإصلاحات في السياسة والاقتصاد، مع استمرار الحالة الدينيّة على ما هي عليه في جوهرها، لكنّها شهدت تحوّلاً هاماً في الفكر، بعد ظهور مجموعة من المفكرين الذين حاولوا مقارنة موضوعات هامة ترتبط بالرؤية الكونيّة مقارنة جديدة، أُطلق عليها اسم «فلسفة»، ونعني هنا ما أُصطلح على تسميته بالفلسفة الما قبل سقراطيّة.

ختاماً، إنّنا في المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، نقدّم خالص الشكر لجميع الباحثين الذين شاركوا معنا في هذه المرحلة، وإلى فريق العمل في المركز على جهودهم العلميّة والبحثيّة، ونخصّ بالذكر منهم الدكتور محمد مرتضى، حيث تحمّل عناء إدارة وتحرير المشروع، والمتابعة مع الباحثين؛ وكذلك الشيخ حسين الجمري، حيث ساعدنا في بدايات انطلاق المشروع.

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

# الفصل الثالث

## الحياة السياسية والاقتصادية

\* الحياة السياسية عند اليونان

\* أثينا في العصر الكلاسيكي

\* الإرهاب الديني والفكري لمدينة أثينا في القرن الخامس (ق.م)

\* تاريخ سيراكوزة السياسي والعسكري

\* الاستعمار والمستعمرات الإغريقية

\* الرقيق عند الإغريق

\* مصادر التاريخ الإغريقي

\* الحياة الاقتصادية والنقدية عند الإغريق



# الحياة السياسيّة عند اليونان

## بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد

### . رؤية نقدية .

محمد جمال الكيلاني<sup>[١]</sup>

#### مقدّمة

لاشكّ في حالة العظمة والفخر المحيطين بالفكر اليونانيّ القديم؛ والذي يُعدُّ المهد الأول للحضارة الغربيّة الحديثة والمعاصرة؛ لكنّ تلك الحضارة لم تتَّسم بالوحدة الجغرافيّة ولا الوحدة الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة؛ لأنّ حقيقتها تدلُّ على أنّها عبارة عن مقاطعات صغيرة شكّلت عبر الأزمنة المتعدّدة ما سمّي بتاريخ الغرب؛ أو الحضارة الغربيّة. علماً أنّنا نحن العرب تغافلنا عن فقدان تلك الحضارة المقوّمات الأساسيّة لما يمكننا أن نسمّيه مفهوم الحضارة؛ وخصوصاً الوحدة الجغرافيّة والاجتماعيّة وما يترتّب عليها من بنية ثقافيّة وسياسيّة واضحة المعالم.

نحن نعلم أنّ اليونانيين ليسوا أمةً واحدة، ولكنهم عبارة عن أربع قبائل جاءت من آسيا الصغرى وهي: الأيوليون والدوريون في الشمال، والآخيون والأيونيون في الجنوب.

كذلك افتقد اليونانيون القدماء وحدة البنية الدينيّة أو العقائديّة والتي تجلّت في عدم وحدتهم الاجتماعيّة أو السياسيّة؛ ونجد على سبيل المثال لا الحصر:

قول ه.ح. روز التي أكّدت أنّه ليس من الميسور تتبّع أصل أيّ عقيدة يونانيّة إلى منشأها، لأنّه لم يكن ثمة مفرّ من أن تطرأ تغييرات كثيرة تتضمّن إدخال معبودات أجنبيّة مع ما صاحبها من طقوس؛ أدّت إلى تنافر وعداء اليونانيين لبعضهم البعض ما أفقدهم الوحدة الاجتماعيّة والسياسيّة<sup>[٢]</sup>.

[١]- أستاذ مساعد الفلسفة اليونانيّة والرومانيّة- كليّة الآداب بالإسماعييّة- جامعة قناة السويس - مصر.

[٢]- ه.ج. روز. الديانة اليونانيّة القديمة. ترجمة رمزي عبده جرجس و مراجعة د/ محمد سليم سالم. سلسلة الألف كتاب (٥٦٩) دار نهضة مصر. القاهرة. ١٩٦٥ ص ٦٠-٦١

ورغم النظرة المترسّخة لدى بعض من المفكرين والمؤرخين، سواء كانوا من العرب أم لدى أحفاد اليونانيين من الغرب، بأنّهم أصحاب المعجزة اليونانية؛ بل إنّهم المنبع الأول للعلم والفلسفة؛ فإنّ المطالع المحايد لهذا الفكر تتنابه الدهشة من اكتشاف أنّه لم يكن فكراً مبهرّاً في بعض جوانبه على الأقل، ما يحتمّ علينا وعلى الباحثين الجادّين إعادة قراءة الفكر السياسيّ عند قدماء اليونان، لتمحيص آرائهم حول الحرية والعدالة والمساواة بين الطبقات. هذا الأمر يجعلنا نتساءل: هل تخلّت السياسة اليونانية القديمة عن الميثولوجيا وقدمت لنا مفاهيم واعية عن الدولة والحرية والعدالة؟ أم تغلّبت الميثولوجيا على كلّ حياة اليونانيين القدماء وكانت ادّعاءاتهم الليبرالية فارغة؟

نسأل أيضاً: هل عرف اليونانيون القدماء فكرة القانون كمنظّم للعلاقات بين البشر؟ أم كان القانون الإلهي الميثولوجي هو المحدّد للعلاقات بين الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، أو بالأحرى بين أبناء الآلهة من البشر الذين سُمّوا في أساطيرهم بأنصاف الآلهة، وبين عامّة الناس؟ وهل ساووا بين القانون والعدالة أم كان كلّ منهم بعيداً عن الآخر؟

ما يُثير دهشتنا أنّ وعيهم الميثولوجي بعدما سيطرت عليهم فكرة الأصل المقدّس؛ بات هو المحدّد لكلّ نظمهم الاجتماعية والأخلاقية ولا سيّما السياسية. ومن الجليّ أنّنا نرى انعكاس مرحلة هذا الوعي الدينيّ على كلّ نشاطاتهم، وارتبطت بها أفكار أخرى مثل تأثيرها على الحياة السياسية؛ حيث كانت نظرتهم إلى الحكّام والملوك على أنّهم ممثّلو الآلهة على الأرض؛ وكانوا يفهمون النظام التشريعيّ كجزء من النظام الكونيّ، وكانت جميع الأفكار التي تخرق القواعد التقليدية للحكم السياسيّ؛ تمثّل تهديداً خطيراً للانسجام السماويّ والأرضيّ؛ مما ينجّم عنها الخوف من الكوارث الكونية.<sup>[١]</sup>

ونظراً لغياب مفهوم الدولة عندهم ككيان معنويّ يحدّد العلاقات بين البشر؛ ويعيشون تحت مظلتها في أمن وسلام داخليّ وخارجيٍّ؛ سادت بينهم فكرة السيطرة الطبقيّة للسلطة على العبيد، وللأغنياء على الفقراء؛ ولم يعرف المجتمع القانون بمعنى تشريع الدولة، وإنّما عرفه كعادة وعدالة؛ ورغم أنّ القانون والعدالة قد ارتبطا ارتباطاً وثيقاً بوعي المجتمع الهوميريّ في القرن الثامن قبل الميلاد، فلم يكونا متوحّدين؛ بل كان أحدهما يختلف عن الآخر.

[١]- ف.س. نرسيسيان: الفكر السياسي في اليونان القديمة. ترجمة حنا عبود. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. ١٩٩٩. ص ١١

في هذا السياق، يرى المؤرّخ اليونانيّ ثيوكاريس كيسديس Θουκυδίδης<sup>[١]</sup> Thoukydídēs ٤٦٠ ق.م - ٣٩٥ ق.م: «أنّ أهل السياسة اليونانيين كانوا أكثر حرصاً على أن يوصفوا بالحق والمراوغة من أن يوصفوا بالأمانة، حيث كانوا يظنون أنّ الأمانة هي السداجة. وكان من أيسر الأمور عليهم أن يخونوا وطنهم»<sup>[٢]</sup>.

ويقول المؤرّخ والقائد العسكريّ الإسبرطيّ باوسانياس Πausanías<sup>467</sup> ق.م: «لم يكن ينقص بلاد اليونان في أيّ وقت من الأوقات رجال مصابون بهذا الداء ألا وهو «داء الخيانة»؛ فقد كانت الرشوة هي السبيل المألوف لتقلّد المناصب السياسيّة، ولفرار المجرمين من العقاب، ولنيل المطالب الدبلوماسيّة. وفي هذا الإطار، حصل بركليس على مبالغ طائلة من المال للخدمات السريّة، وأكبر الظنّ أنّه استخدمها لتيسير أسباب المفاوضات الدوليّة. كذلك كانت المبادئ الأخلاقيّة قبليّة الطابع إلى أقصى حدّ، وينصح إكسينوفون (عاش ما بين نهاية القرن الخامس وبداية الرابع قبل الميلاد) في رسالة له في التربية بالالتجاء الصريح إلى الكذب والسرقة والخداع في معاملة أعداء البلاد»<sup>[٣]</sup>.

تلك هي الرسالة الواضحة التي أريد أن أبرزها بموضوعيّة تامّة من خلال هذه الورقة البحثيّة؛ وهي أنّ السياسة اليونانيّة القديمة هي ضرب من الخداع والكذب والنفاق سواء على مستوى سياساتهم الداخليّة؛ أم سياساتهم الخارجيّة ونظرتهم العنصريّة إلى كلّ من يختلف عنهم، ما يؤكّد اشفاقنا على تلك الحضارة الغربيّة التي لم تكن سياساتها أخلاقيّة.

[١]- ثيوكاريس كيسديس: قائد عسكريّ يوناني ومؤلف تاريخ الحرب البلوپونزيّة التي دارت في القرن الخامس قبل الميلاد بين إسبرطة وأثينا إلى سنة ٤١١ ق.م، وهو قال عن صدق كتاباته في مقابل تاريخ هيرودوت المؤرّخ اليوناني: «إنّي أعتقد أنّ النتائج التي وصلت إليها من الأدلّة التي ذكرتها هنا يمكن أن يؤثّق بها ويعتمد عليها. وما من شكّ في أنّها لن تؤثر فيها قصص شاعر يعرض ما في صناعته من مبالغات، ولا تأليف الإخباريين التي يضحّى فيها بالحقائق في سبيل الطرافة والجادبيّة، لأنّ الموضوعات التي يعالجونها خارجة عن نطاق الأدلّة والبراهين، ولأنّ قدّم عهدها قد سلبها قيمتها التاريخيّة ورفّعها إلى مقام الخرافات. أمّا نحن فلم نلجأ إلى هذه الطريقة أو تلك، ولا ريب عندنا في أنّنا قد اعتمدنا على أصحّ المعلومات وأكثرها وضوحاً، وأننا قد وصلنا إلى نتائج تبلغ من الدقّة أقصى ما ينتظره الإنسان في أمثال هذه المسائل الموعلة في القدم... وإنّي لأخشى أن يفقد كتابي بعض ما يجب أن يحتويه من طرافة ومتعة بسبب خلوه من القصص الخياليّة المثيرة للعواطف، ولكن إذا رأى الباحثون الذين يرغبون في الوصول إلى حقائق الماضي الصحيحة ليستعينوا بها على تفسير حوادث المستقبل - وهي التي تشبه بلا ريب حوادث الماضي، إن لم تكن صورة مطابقة لها - إذا رأى هؤلاء الباحثون أنّ فيه فائدة لهم، فأنيّ أرضى بهذا وأقنع به. وملاك القول أنّي لم أكتب كتابي هذا ليكون مقالة يكتسب بها تصنيفيّ الناس وثناؤهم لحظة قصيرة، بل كتبه ليكون ملكاً لجميع العصور».

..Thucydides, the Peloponnesian War. Translated by J. M. Dent; London, 1910. p.10

[2]-Thucydides, The Peloponnesian War. Translated by J. M. Dent; London, 1910. p.326.

[3]-Pausanias, Description of Greece, Books I-II, (Loeb Classical Library) translated by W. H. S. Jones; Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press; London, William Heinemann Ltd. 1919. p36. .



عرضنا لشهادات عدد من مؤرخي اليونان، ونضيف إليها شهادات بعض فلاسفتهم؛ فمثلاً نجد أفلاطون يندد باستعباد اليوناني لليوناني، ولكنه في ما عدا هذا يقرُّ الاسترقاق بحجة أن لبعض الناس عقولاً غير ممتازة. وينظر أرسطو إلى العبد على أنه آلة بشرية، ويظنُّ أن الاسترقاق سيبقى في صورة ما حتَّى يحلَّ اليوم الذي تؤدِّي فيه الآلات التي تدور بنفسها جميع الأعمال الحقيرة. ولم يخجل أرسطو من تأكيده على أن العمل العقلي هو سمة من سمات السادة، أمّا العمل اليدوي فهو سمة من سمات العبيد.

والسؤال المطروح هنا: لماذا لم ينظر الغرب إلى تاريخه العنصري، فيعيد النظر في تشدُّقه بالدعوة إلى الحريّات وحقوق الإنسان؟!

إلى ذلك، لم نجد لدى اليونانيِّ العاديِّ فكرة ما عن الطريقة التي يمكن بها أن تسير أعمال المجتمع المثقَّف من غير الرقِّ، وإن كان رحيماً بعبده؛ فهو يشعر أنه إذا أُريد إلغاء الرقِّ وجب إلغاء أثينا من الوجود. أما غيره فأكثر تطرُّفاً في آرائهم، ونجد الفلاسفة الكليبيين يحكمون على الرقِّ أسوأ حكم<sup>(١)</sup>.

على أيِّ حال، لقد مرَّت الحياة السياسيَّة عند اليوناني القديم بعصور عدَّة تشهد على إيمانهم بالعنصريَّة والتمايز العرقي والطبقي؛ متغافلين عن الحرية الإنسانية التي يزعمونها. ونعلم أن النظام القبليَّ قد ساد جلَّ المدن اليونانيَّة قبل نشأة نظام الدويلات، وكان زعيم القبيلة الأوسع في امتلاك الأراضي الزراعيَّة والرعيَّة يمارس دور الحاكم.

### أولاً: عصر دولة المدينة

ظهر في بلاد اليونان نظام عُرف باسم نظام دولة المدينة (٨٠٠-٥٠٠ ق.م). فقد تميَّز المجتمع بأنَّه كان عبارة عن وحدات سياسيَّة مستقلَّة بعضها عن بعض نتيجة لطبيعتها الجغرافيَّة، فأصبحت لكلِّ مدينة مقوِّمات الدولة (دولة المدينة City State) أو دويلة صغيرة، ولكلِّ دولة سلاتها الحاكمة وجيشها وحدودها، وأبرز هذه الدويلات كانت أثينا /إسبرطة/ طيبة / أرجوس. ونتيجة حركة الهجرة والانتشار، تطوَّر النظام السياسي لهذه الدويلات، من النظام القبليَّ إلى الحكم الشعبي (الديمقراطي)، ومرَّ هذا التطوُّر بالأنظمة التالية:

[١]- ول ديورانت: قصَّة الحضارة. م٢. اليونان وروما. صص ١٦-١٧

Herodotus, Histories, translated by, A. D. Godley, Cambridge: Harvard University Press, 1920. p213.

## ١. النظام الملكيُّ

تذكر الأساطير اليونانيّة القديمة أنّ الملك ككروبس Kekrops وكان نصفه رجلاً ونصفه الآخر ثعباناً - أنشأ مدينة أثينا ووضع أوائل قوانينها الاجتماعيّة والسياسيّة، وكان أول ملوكها إذ قام بدور الحاكم في النزاع الذي دار بين الإلهين بوسيدون Poseidon وأثينا Athena حول الوصاية الدينيّة، وأفتى بأنّه سيهب اسم المدينة والوصاية عليها للإله الذي يقدّم للبشر أعظم فائدة، وقد حكم لمصلحة الإلهة أثينا فأطلق اسمها على المدينة لأنّها أوجدت شجرة الزيتون التي عُدت أكثر نفعاً لبني البشر من الحصان الذي أوجده الإله بوسيدون.

وقد حكم من ذريّة الملك Kekrops عدد من الملوك أشهرهم إيجيوس Aegeos الذي أطلق اسمه على بحر إيجه، وابنه تيسوس Theseos.

وكان أول منصب استحدث وانتزع بعضاً من صلاحيّات الملك هو منصب قائد الجيش، أو ما سمّي "بوليمارخوس Polemarchos الذي تبعه إحداث منصب الحاكم أو "الأرخون Archon" الذي اختص بالشؤون الإدارية. وكان شغل هاتين الوظيفتين مدى الحياة أسوة بالملك، وفي منتصف القرن الثامن ق.م عُدلت المدّة إلى عشر سنوات ثم إلى سنة واحدة في بداية القرن السابع ق.م.

إلى جانب هذا الثلاث (الملك - بوليمارخوس - الأرخون)، وُجد مجلس يضمّ ستّة من المشرّعين مهمّتهم الإشراف على تسجيل القوانين وتطبيقها، وكذلك الاجتهاد في القضايا التي لم تتعرّض لها موادّ القانون المطبّق. وبمرور الزمن، اتّحد مجلس الملك والبوليمارخوس والأرخون مع هذا المجلس مكونين مجلساً أطلق عليه اسم "مجلس التسعة"، وأُنيط به إدارة شؤون الحكومة الأثينيّة. وكان كبار الموظفين يتحوّلون فور انتهاء ولاياتهم إلى أعضاء مدى الحياة في مجلس أو محكمة يُطلق عليها اسم «محكمة الأريوباجوس» Areopa-gos، وهو اسم التلّ الذي كانت تجتمع عليه وتكلّف بمهمّة انتخاب كبار الموظفين وفيهم الملك، وكذلك الفصل في القضايا الجنائيّة.

ويُعدّ النظام الملكيُّ أول نظام عرفته دولة المدينة اليونانيّة، ويقوم على أساس سلطة الملك يساعده مجلس من الأعيان، واستمر حتى حلّ محلّه النظام الأرستقراطيّ.

## ٢. النظام الأرستقراطي

يمثل هذا النظام انتقال السلطة الى ملاكي الأراضي، فتحول نظام الحكم الفردي الذي يمثلّه شخص الملك إلى نظام حكم الجماعة وهم الطبقة الأرستقراطية.

وظلت الأرستقراطية هي النظام السائد في كل دويلات المدن اليونانية مع استمرار الفوارق بين الطبقات، غير أنّ هذا النظام لم يوفر الهدوء والراحة؛ فالمطامع والحسد والأحقاد أدت إلى انقسام هؤلاء المحظيين، ولعلّ فقدان الثقة في ما بينهم كان سبباً من أسباب رغبتهم في توسيع سلطات الدولة. وكان التحيز في القضاء مدعاة للشكاوى وللاتهام بالرشوة. ووصف هزيود الأرستقراطيين والقضاء بمتلقّي الرشاوى والهدايا؛ حيث نزح الفقراء من ظلمهم هذا عن أوطانهم ساعين وراء الأراضي، أو مخاطرين بحياتهم كمرتزقة في خدمة السلاطين الشرقية<sup>(١)</sup>.

## ٣. النظام الأوليجاركي (وهو حكم الأقلية)

عندما ازدهرت حركة التجارة بين بلاد اليونان والدول المجاورة لها ظهرت طبقة التجار واستطاعت بثروتها الكبيرة أن تنافس الطبقة الارستقراطية في ملكية الأراضي؛ وبالكاد نجحت هذه الطبقة في الوصول إلى السلطة والحكم، وعرف نظامها بحكم الأقلية (الأوليجاركي).

## ٤. حكم الطغاة

لم يستمر حكم الأقلية (طبقة التجار) فترة طويلة، وبدأت طبقة عامة الناس تبحث عن دور سياسي في الحكم، فظهرت ثورات شعبية في المدن اليونانية كان يقودها أبناء الأثرياء، ونجحوا في الوصول إلى السلطة وانتهى حكم الأقلية، وعندما حكموا سُمي نظامهم بحكم الطغاة لأنهم وصلوا على أكتاف عامة الناس.

وقد ساد نظام الاستبداد معظم الدويلات منذ منتصف القرن السابع تقريباً حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد، وواجه واقعاً داخلياً لم يستطع الإغريق إنكاره.

## ٥. النظام الديمقراطي

عندما انفجرت الثورات الشعبية ضدّ حكم الطغاة بدء من منتصف القرن السابع قبل

[١]- أندريه إيمار- جانيه أوبوايه. تاريخ الحضارات العام. ١م. الشرق واليونان القديمة. نقله إلى العربية فريد.م. داغر، فؤاد.ج. أبوريحان. منشورات عويدات. باريس. ١٩٨٦. صص ٢٨٣-٢٨٤.

الميلاد؛ قُتل العديد منهم وهرب الآخرون، فكانت نهاية حكمهم وبدء نظام الحكم الشعبي؛ أو ما سُمِّي بالحكم الديمقراطي ليحلَّ محلَّ الحكم المطلق، فأصبح نظام الحكم عبارة عن مجالس نيابية يشترك فيها المواطنون ويمارسون فعلياً السلطات كافة، ونجح نظام الحكم الشعبي الذي مارس مهامه بكل كفاءة وحرية.

ورغم ابتكار اليونانيين نظام دولة المدينة، بهدف تجميع القرى الصغيرة في دويلة واحدة لها نظامها السياسي والاجتماعي، أو كما قال أرسطو: «لقد جاءت دولة المدينة إلى الوجود لكي تجعل الحياة ممكنة؛ إلا أنَّ معظم المدن اليونانية كانت تزرع تحت عبء انقسام شعبها إلى جماعتين إحداهما تمثل المرتبة الأولى من المواطنين وتعيش في المدينة على دخل الأراضي الزراعية المجاورة؛ والأخرى لا تحتلُّ في البناء الاجتماعي والسياسي غير النزر القليل، ويكون مواطنوها مواطنين من الدرجة الثانية وهم سلالة الجبل المقهورون»<sup>[١]</sup>.

وأدَّى هذا الانقسام الطبقي إلى نشوب الحرب المستمرة بين سكان السهل وسكان الجبل، بل كانت مقولة هرقليطس في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد «الحرب هي أصل كل شيء» معبرة عن حياة الدويلات اليونانية الصغيرة بصفة خاصة، ولا سيَّما في حياة أثينا بصفة عامة من القرن الثامن وحتى القرن الخامس قبل الميلاد<sup>[٢]</sup>.

وصوِّر لنا هزبود صورتين متناقضتين لحقبة الاضطراب الاجتماعي والسياسي في بلاد اليونان وخصوصاً في حوض بحر إيجه، ففي إحدى هاتين الصورتين صوِّر البرابرة وكأنَّهم في الواقع جنس شرير ينتسب إلى عصر العنف والاضطراب، ثم مجَّدهم في الصورة الأخرى، كما مجَّدهم من قبل الملاحم الهومييريَّة، باعتبارهم جنس الأبطال النبيل العريق<sup>[٣]</sup>.

كما جسَّدت الحرب التي شنها الإسبرطيون على مسينا Messene، وانتهت باحتلالها، أن جميع المواطنين الذكور قد احتجزوا في الميدان مدَّة طويلة من الزمن، حتى أنَّ الجيل الناشئ من الفتيات الإسبرطيَّات عمدن بعدما نفذ صبرهنَّ إلى حمل الأطفال سفاحاً، ولم تشأ الحكومة الاعتراف بهؤلاء الأطفال الذين ولدوا بما لا يتفق

[١]- أرنولد توينبي: تاريخ الحضارة الهلنستية. ترجمة رمزي جرجس مراجعة د محمد صقر خفاجة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ٢٠٠٣. صص ٧٦-٧٧.

[٢]- أرسطو: نظام الأثينيين. ترجمة طه حسين. مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر والثقافة. القاهرة. ٢٠١٢. ص ٣١.

[٣]- جورج سباين: تطوُّر الفكر السياسي. ١. ترجمة حسن جلال العروسي مراجعة وتقديم د/ عثمان خليل عثمان. تصدر د/ عبد الرزاق أحمد السهنوري. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ٢٠١٠. ص ٦٥.

وسُنَّ الزواج المشروع باعتبارهم مواطنين، وعندما سخط هؤلاء وقرَّروا الهجرة بكامل هيئتهم، وافقت الحكومة على هجرتهم خوفاً من زيادة عدد السكَّان.

وتكرَّر ذلك الأمر عند احتلال الإسرطيين لمستعمرة تاراس (Tarentum - تارنتوم) حيث واجهت زيادة عدد السكان بها بتقسيم السكان الأصليين إلى سادة وعبيد معتمدة في ذلك على ملكية الأراضي، فجعلت بعض سكانها الذين لا يملكون أراضي عبيداً وذلك لأنَّ امتلاك الأراضي كان هو عنوان الثروة الوحيد عند اليونانيين. واتَّسم حلُّ الإسرطيين لمشكلة الزيادة السكانية في تاراس بأنَّه أكثر مجافاة للقوانين الخُلقية والإنسانية<sup>[١]</sup>.

## ثانياً: بداية القوانين في أثينا

### ١. قانون دراكو

بداية من القرن السابع ق.م، وجد الأثينيون وغيرهم من سكان المدن اليونانية حلاً لمشكلة الانفجار السكاني، التي أدَّت إليها حالة السلم بعد استقرار الدوريين، وذلك بإقامة المستعمرات الإستيطانية في معظم أرجاء حوض البحر المتوسط، ولاسيَّما في جنوبي إيطاليا وصقلية، إضافة إلى ممارسة التجارة التي أغنت عدداً منهم بسرعة قياسية.

وكان من الطبيعي أن تقلَّب الظروف الإقتصادية الجديدة مفهوم نظام الطبقات في المجتمع الأثيني، وأن تؤدِّي المعايير الجديدة للثروة إلى تنظيم جديد للطبقات، وبسبب مطالبة الأثرياء الجدد بامتيازات سياسية لم تكن لهم في السابق، وبسبب تمنُّع الأرستقراطيين عن الاعتراف لهم بهذه الحقوق، فقد توترت الأوضاع السياسية وأدَّت بأحد النبلاء إلى القيام بمحاولة انقلاب ما دعا الجميع بعدها إلى القول بأنَّ الوضع أضحى في حاجة إلى الإصلاح.

حريُّ القول أنَّه لم يكن يستمتع بالحقوق السياسية في القرن السابع قبل الميلاد إلاَّ القادرون على أن يشتروا أسلحتهم، وهؤلاء كانوا ينتخبون التسعة الذين يشغلون مناصب الأرخون والحفظة الذين يقومون على حفظ خزائن الدولة، وكان يُشترط لانتخابهم أن تكون لهم ثروة تعادل عشرة أمناء خالية من كلِّ دين، وكانوا ينتخبون من دونهم من الرؤساء على أن يكونوا قادرين على أن يشتروا أسلحتهم<sup>[٢]</sup>.

[١]- آرنولد توينبي: تاريخ الحضارة الهلنستية. صص ٨١-٨٢.

[٢]- أرسطو: نظام الأثينيين. ص ٤٢.

وفي سنة ٦٢١ ق.م وضع "دراكو" Draco أول مجموعة قوانين مكتوبة في أثينا، كان الهدف منها التقليل من الاستياء الذي سببه النظام القضائي آنذاك، والذي كان يستند إلى قوانين غير مكتوبة لا يعرفها سوى قلة من القضاة الأرستقراطيين الذين عُرِفوا بمحابتهم للنبلاء، وبدوينه للقوانين أتاح "دراكو" لكل الناس إمكانية التعرف على هذه القوانين، ولقد قيل إنها كتبت بالدم كونها نصّت على عقوبة الإعدام لمعظم الجرائم<sup>[١]</sup>.

ويرى أرسطو أنّ مجلس الأريوباجوس الذي يُعدُّ حارس القوانين يسهر على أن يقوم كلُّ عامل بعمله غير مخالف للقوانين ولا مناقض لها، وكان لكلِّ عضو من أعضاء الدولة أصابه جور من بعض عمالها أن يتهمه أمام مجلس الأريوباجوس، على أن يبين القانون الذي خالفه هذا العامل والمظلّمة التي أصابته، ولكن الفقراء كما قدّمنا كانوا خاضعين للقهر البدنيّ إذا عجزوا عن أداء الدّين، وكانت الأرض في يد طبقة قليلة من الناس<sup>[٢]</sup>.

## ٢. الفكر السياسي عند صولون ٦٣٩ ق.م-٥٥٩ ق.م

عُرف صولون بأنّه أحد الرجال السبعة الحكماء في اليونان القديمة، عُيّن أرخونا Ar-chon أي حاكماً أول، وأُوكلت إليه سلطة تغيير قوانين دراكو، وذلك في وقت كانت فيه أثينا بحاجة إلى تغيير سياسيٍّ واقتصاديٍّ. ولقد كان القدر الأكبر من الثروة متمركزاً في يد قلة من المواطنين ذوي النفوذ، وكان المزارعون قد أُجبروا على رهن أراضيهم مقابل استدانة المال، مقدّمين أنفسهم وأسرهم ضمانات للدّين.

كان صولون بمولده وصيته يُعدُّ من أوائل أعضاء الدولة، وبشروته ومكانته الاجتماعية كان من الطبقة الوسطى، غير أنّه في هذه الأبيات يدعو الأغنياء إلى التلطّف، حيث يقول: «تعلّموا أن تهدّثوا في قلوبكم سورة هذا الغضب، أنتم الذين أخذوا يعافون ثروتهم الطائلة، تعلّموا أن تأخذوا أنفسكم بالقصد فلن نتخلّى لكم عن شيء، ولن يستقيم لكم كلُّ شيء». كذلك كان يلقي دائماً على الأغنياء تبعه الخلاف والانقسام. ويقول في أول قصيدته: «إنّه يخشى البخل والكبرياء اللّذين ينشأ عنهما البغض»<sup>[٣]</sup>.

[١]- أرسطو: نظام الأثينيين. ص ٤٣.

[٢]- المرجع نفسه. ص ٤٤.

[٣]- المرجع نفسه: ص ٥٢.

وأصدر صولون قانوناً يلغي كلَّ الرهونات، ويسقط جميع الديون العامة والخاصة، وهذا هو الإصلاح الذي سُمِّي «ساي سكيتيا» أي وضع الثقل، وكأنَّه قد وضع على أعناق الأرستقراطيين حملاً ثقيلاً.

وحاول بعض الأرستقراطيين أن ينكر على صولون هذا الأمر، فحين كان يفكر في إسقاط الديون أفضى برأيه إلى بعض أصحابه من الطبقة الأرستقراطية، وهؤلاء كما يقول الديمقراطيون حاولوا إحباط مسعاه، ويقول الذين يريدون أن يسيئوا إلى صوته إنَّه استفاد من سعي هذه الطبقة من الأرستقراطية.

وذهب أرسطو إلى أنَّ الديمقراطيين قد اتَّفَقوا على أن يقترضوا مالاً، وأن يشتروا كثيراً من الأرض، فلما أسقط صولون الديون بعد قليل أصبحت لهؤلاء الناس ثروة ضخمة، ويقال إنَّ هذا منشأ كثير من الغنى الذي يزعم أهله أنهم به قديمو عهد. وهو حرٌّ من صاروا أرقاء، كما قام بتعديل النُّظم الماليَّة لتسهيل التجارة الخارجيّة، غير أنَّه أصدر قانوناً يمنع تصدير الجبوب<sup>(١)</sup>.

وأعادت إصلاحات صولون الدستوريَّة تقسيم المواطنين إلى أربع طبقات وفقاً للدخل، وسمح للمواطنين من كلِّ الطبقات بأن يصبحوا أعضاء في الجمعية التشريعيَّة، وفي المحاكم المدنيَّة، وقد أسَّس مجلساً من ٤٠٠ شخص للاضطلاع بالسلطات السياسيَّة في المجلس القضائيَّ «الأريوباجوس» Areopagus، وأقام المحاكم الشعبيَّة التي يستطيع المواطنون أن يحتكموا إليها، ويستأنفوا ضد قرارات موظفي الدولة.

وقد أضاف إلى كلِّ هذه الحقوق حقاً جديداً هو القضاء في ما يقوم به خصوم الديمقراطية من مؤامرة لإسقاطها، ولما رأى أنَّ طائفة من أعضاء المدينة يستسلمون للمصادفة أثناء الثورة والاضطراب، وضع لهم هذا القانون الغريب الذي يقضي بأنَّ من لم يأخذ سلاحه، ولم ينضم إلى أحد الحزبين (الأرستقراطي والديمقراطي) وقت الثورة كان معرّضاً لأن يُقضى عليه بالآتميا، التي تنصُّ على حرمان المواطن الأثني من حقوقه المدنيَّة والسياسيَّة<sup>(٢)</sup>. ورغم أنَّ إصلاحاته أبقت على حكم الأقلية الغنيَّة، إلَّا أنَّها كانت خطوة مؤكَّدة في مسار الديمقراطية الأثينيَّة.

[١]- أرسطو: نظام الأثينيين. ص ٥٣.

[٢]- أرسطو: نظام الأثينيين. ص ٥٤.

### ٣. الفكر السياسي عند بيزيستراتوس والتلاعب بالديمقراطية

دائماً وأبداً ما نجد تلاعب الغرب بمصطلحاته التي تُخمد وتُشعل غضب الطبقات الكادحة؛ ولكنهم أرسوا المبدأ العام لكل الثورات ألا وهو التلاعب بورقة الديمقراطية لتحقيق أهدافهم غير المعلنة.

فأثناء عصر صولون ظلّ الأثينيون يألمون لهذه الاضطرابات الداخلية، وكان بعضهم يعلّل سخطه قبل كل شيء بإسقاط الديون التي أدّت بهم إلى الفقر مرّة ثانية، وآخرون كانوا يعلنون سخطهم لما أصاب نظام صولون من تغييرٍ شديد بعد الثورة الداخلية ذات الخطر، وقوم آخرون كان يبعثهم على السخط ما يملأ قلوبهم من غيرة وحسد.

وكان في أثينا حينئذٍ أحزاب ثلاثة:

١. حزب البارالين: الذي كان يديره ميچاكليس بن الكميون، والذي كان يُظهر الميل إلى أن يكون السلطان في يد الطبقة الوسطى.

٢. حزب البيدين: الذي كان يميل إلى حكومة الأقلية من الأرستوقراطية، والذي كان رئيسه ليكيرجوس.

٣. حزب الدياكربين: وعلى رأسه بيزيستراتوس الذي كان يظهر أنّه أشدّ الناس ميلاً إلى نصر الديموقراطية<sup>(١)</sup>.

كان بيزيستراتوس قد اشتهر بأنّه شديد النصر للديموقراطية، وأنّه قد أحسن البلاء في حرب ميچارا، فأقبل ذات يوم وقد جرح نفسه بيده، وأقنع الشعب بأنّ خصومه السياسيين هم الذين أساءوا إليه، وأنّه ينبغي أن يمنحه الشعب حرساً يحميه، وكان الذي طلب ذلك إلى الشعب أرستيون، فأعطاه الشعب حرساً سُمّوا حَمَلَة الدبابيس، واستعان بهم على قهر الشعب، فاستولى على الأكربوليس ١ لاثنتين وثلاثين سنة مضت على تشريع سولون.<sup>(٢)</sup>

ثم جاء ابنا بيزيستراتوس من زوجته الأثينية، وهما هيبياس وهيباركوس؛ وباسم الديمقراطية انتقم هيبياس لموت أخيه هيباركوس من أخوته غير الشرعيين، ومنذ ذلك

[١]- جان جاك شوفالبييه، تاريخ الفكر السياسي «من المدينة الدولة إلى الدولة القومية»، ترجمة: محمد عرب صاصيلا (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص ٣٢.

[٢]- أرسطو: نظام الأثينيين. ص ٥٦.



الوقت اشتد طغيانه وقسوته شيئاً فشيئاً، فقتل عدداً غير قليل من أهل المدينة، ونفى آخرين. تلك هي الموازين المختلة التي أرساها الغرب تحت ستار الديمقراطية.

#### ٤. الفكر السياسي عند كليستينيس Cleisthenes

يُعدُّ كليستينيس رجل دولة في أثينا القديمة في القرن السادس قبل الميلاد، وقد أرسى نظاماً ديمقراطياً وحصل من خلال ذلك على مساندة الشعب الأثيني، وقام حينئذٍ بإصلاح التنظيمات القبليّة، ووضع نهايةً للتحكُّم السياسيّ لقبائل النبلاء، وكان للحكومة مجلس من ٥٠٠ عضو، يتمُّ اختيارهم كلّ عام بالانتخابات، وكانت العضويّة مفتوحة أمام أيّ مواطن، وفي سبيل حماية الديمقراطية الناشئة، سنّ كليستينيس قانون النفي والإقصاء للسياسيين الذين يعتقد أنّهم يشكلّون خطورة على نظامه السياسيّ<sup>(١)</sup>.

وفي عهد كليستينيس شكّل تحالف دويلات المدن اليونانيّة إمبراطوريّة أثينيّة عندما تخلّت أثينا عن ادّعاء التكافؤ بين حلفائها، وانتقلت الخزانة العامّة من ديلوس إليها، حيث مُوّل بناء الأكروبول ووضِع نصف سكانه على الرواتب العامّة، وتمتّ المحافظة على القوة البحريّة المهيمنة في العالم اليوناني. وبفضل أموال الإمبراطوريّة والهيمنة العسكريّة وثرواتها السياسيّة التي يسترشد بها رجل الدولة والخطيب بريكلّيس، أنتجت أثينا بعض القطع الأثريّة الثقافيّة الأكثر نفوذاً في التقليد الغربيّ.

خلال العصر الذهبيّ، عُهد بالشؤون العسكريّة والخارجيّة إلى الجنرالات العشرة الذين يتمُّ انتخابهم كلّ عام من قبل القبائل العشر للمواطنين، الذين يمكن الاعتماد عليهم بدلاً من القضاة المتغيّرين الذين تمّ اختيارهم بالقرعة في ظلّ الديمقراطية.

كان الشعب ذو السيادة يحكم نفسه بنفسه، من دون وسطاء، ويحدّد مسائل الدولة في الجمعيّة. فالمواطنون الأثينيون كانوا أحراراً ولا يدينون بالطاعة إلّا لقوانينهم واحترام ألّهتهم. لقد حقّقوا المساواة في الكلام في الجمعيّة: كانت كلمة شخص فقير لها قيمة كلمة شخص ثريّ. لم تختفِ فصول الرقابة، لكن قوّتها كانت محدودة. لقد تقاسموا

[١]- جورج. هـ. سباين. تطوّر الفكر السياسي. ك١. ترجمة حسن جلال العمروسي، مراجعة وتقديم د/ عثمان خليل عثمان. دار المعارف. القاهرة. ط. ٤، ١٩٧١، ص ٣٠ - ٣١.

المكاتب المالية والعسكرية لكنهم لم يتمتعوا بسلطة توزيع الامتيازات<sup>[١]</sup>.

والأهم من ذلك، ومن أجل التأكيد على مفهوم المساواة وتثبيط الفساد والمحسوبية، تمّ تعيين جميع المناصب العامة التي لم تتطلب خبرة معينة بالقرعة وليس عن طريق الانتخاب. من بين من تمّ اختيارهم بالقرعة إلى هيئة سياسية، كان يجري دائماً التناوب على مكتب معين بحيث يعمل كل عضو بمفرده. الهدف من ذلك هو ضمان إنشاء الوظائف السياسية بطريقة تعمل بسلاسة، بغض النظر عن القدرات الفردية لكل مسؤول.

ومع كلّ ما نشهده من دعوات لإرساء الديمقراطية الأثينية بدءاً من صولون وحتى بركليس، تُعدّ الديمقراطية من منظور أفلاطون كفيلسوف يوناني أسوأ الحكومات والديساتير، بل هي سوق للديساتير؛ وهي من وجهة نظره تُعدّ ضدّاً للحكومة الأوليجاركية. فهو يقول: تظهر الديمقراطية إذا انتصر الفقراء على أعدائهم، فيعتقلون البعض وينفون البعض الآخر، ويتقسمون مع الباقين أمور الحكومة والرئاسة بالتساوي، بل إنّ الحكّام في هذا النوع من الدولة غالباً ما يُختارون بالقرعة، وتظهر الديمقراطية إمّا بحدّ السيف، وإمّا لأنّ الخوف يدفع الفريق الآخر إلى الانسحاب. ويكون المرء في هذه الدولة حرّاً، وتسود الحرية الجميع، ويكون في وسع كلّ شخص أن ينظم طريقته في الحياة كيفما شاء.

ويوجد في هذا النوع من الحكومة تباين بين الأفراد يفوق ما نجده في أيّ حكومة أخرى. وتشتمل هذه الحكومة (الديمقراطية) بفضل الحرية التي تسودها على كلّ أنواع الديساتير، فالديمقراطية هي سوق للديساتير يتسنى للمرء فيه أن ينتقي النموذج الذي يفضل.

وفي الديمقراطية لا يكون المرء مرغماً على تولي أمور الحكم في الدولة حتى لو كان قادراً على الاضطلاع بها، إن لم يكن راغباً في ذلك، ولا يكون مضطراً إلى الحرب إذا حارب الآخرون ولا إلى المحافظة على السلام إذا حافظ عليه الآخرون، ما لم يكن يريد السلام بالفعل ومن جهة أخرى ففي وسعه أن يرأس ويحكم إذا شاء هوام ذلك، حتى لو كان القانون يأبى عليه كلّ رئاسة أو حكم<sup>[٢]</sup>.

[١]- جورج. هـ. سباين. تطوّر الفكر السياسي. ك١. ترجمة حسن جلال العمروسى، مراجعة وتقديم د/ عثمان خليل عثمان. دار المعارف. القاهرة. ط. ١٩٧٤، ص ٣٣.  
جون باول. الفكر السياسي الغربي. ترجمة محمد رشاد خميس، مراجعة د/ راشد البراوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٨.

[٢]- أفلاطون، محاوراة الجمهورية - ترجمة ودراسة د/ فؤاد زكريا. دار الوفاء للطباعة والنشر. الإسكندرية. ٢٠٠٥ ف ٥٥٧ - ص ٤٩١: ٤٩٣.

ويقول أفلاطون عن الرجل الديمقراطي الذي شعاره الحرية والمساواة: «يقضي كل يوم من أيامه في الخضوع للرغبة التي تعرض له: فهو في يوم يشمل على أنغام الموسيقى، وفي يوم آخر يقتصر على شرب الماء، ويحاول في غذائه أن يفقد شيئاً من وزنه، وهو تارة يدرّب نفسه تدريباً رياضياً عنيفاً، وتارة أخرى يركن إلى الخمول ولا يفعل شيئاً، وربما انصرف أحياناً إلى التفكير الفلسفي، ولكن في معظم الأحيان يشارك في سياسة الدولة، فيقول ويفعل كل ما يطرأ بذهنه، وهو في وقت ما قد يعجب برجال الحرب فيفعل ما يفعلون، وفي يوم آخر قد يزين له خياله أن يحاكي رجال الأعمال، فيحذو بالفعل حذوهم، وعلى الإجمال فهو لا يعرف في سلوكه نظاماً ولا قانوناً، وإنما يعد هذه الحياة مرحلة، حرة سعيدة، فلا يفكر يوماً في تغييرها.. هذا هو من كان شعاره الحرية والمساواة!»<sup>[١]</sup>.

ويذهب أفلاطون في نقده للديمقراطية الأثينية إلى أن الطغيان tyranny ينشأ في أصله من الديمقراطية، لأن الإفراط في الحرية يؤدي إلى تغيير النظام الديمقراطي والمطالبة بالطغيان ويعرف الطغيان بقوله: «أن يكون في قدرتك أن تعمل ما تشاء في المدينة من قتل وتجريد وكل ما يطرأ على الذهن»<sup>[٢]</sup>. وهو شبه الطغيان بالصّيد بالعنف مثله كمثل لصوصية قطع الطريق وصيد العبيد والحروب في كل أشكالها<sup>[٣]</sup>.

إلى ذلك، يرى أفلاطون أن الشعب هو الذي يصنع طاغيته حيث يقول: «من عادة الشعب دائماً أن يختار شخصاً يفضلّه ويجعل منه نصيراً وقائداً له، ويضفي عليه قوة متزايدة وسلطاناً هائلاً، ويبدأ نصير الشعب في التحول إلى طاغية عندما يجد نفسه سيّداً مطاعاً، لا يجد غضاضة في سفك دماء أهله، فهو يسوقهم إلى المحاكمة بتهم باطلة، ويقتلهم ظلماً وعدواناً، ويذوق بلسان وفم دنسين دماء أهله، ويشردّهم ويقتلهم وينتهي الأمر بمثل هذا الرجل إمّا إلى الهلاك على أيدي أعدائه، أو يصبح ذنباً»<sup>[٤]</sup>.

ويطلب الطاغية إنشاء حرس ضخم، وهو المطلب الذي يلجأ إليه كل من وصلوا إلى

[١]- أفلاطون، محاورة الجمهورية. ف ٥٦١، ص ٤٩٨

[٢]- أفلاطون، محاورة جورجياس، ترجمة محمد حسن ظا، مراجعة د. على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٧٠م فقرة ٤٦٩ ج، ص ٦٥

[٣]- أفلاطون، محاورة السوفسطائي، ترجمها عن النص اليوناني مع مقدمات وشروح. عزت قرني، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠١م ف ٢٢٢ ج، ص ٣٨

[٤]- أفلاطون، محاورة الجمهورية، ف ٥٦٥، ص ٥٠٤، ٥٠٥

هذا الحدّ من الاستبداد، ويتذرّعون في تقديمه بحجّة المحافظة على نصير الشعب مراعاة لمصلحة الشعب ذاته.

ويبدأ الطاغية حكمه بالإتسام والتحيّة لكلّ من يصادفه، ويستنكر كلّ طغيان، ويجزّل الوعود للخاصّة والعامة، ويُعفى من الديون ويوزّع الأرض على الشعب وعلى مؤيديه، ويصنع الطيبة والودّ مع الجميع<sup>[١]</sup>.

كما ذهب أفلاطون إلى أنّ الطاغية إذا ما شكّ في أنّ لبعض الناس قدراً من حرية التفكير ما يجعلهم يأبون الخضوع لسيطرته، فإنّه يجد في الحرب ذريعة للقضاء عليهم، بأن يضعهم تحت رحمة الأعداء، ولا بدّ من أن يقضي الطاغية على كلّ هؤلاء، إن شاء أن يظلّ صاحب السلطان، بحيث لا يترك في النهاية شخصاً ذا قيمة سواء بين أصدقائه أم بين أعدائه<sup>[٢]</sup>. الطاغية يجمع بين صفات السكّير والعاشق والمجنون<sup>[٣]</sup>.

وأيضاً مزج أرسطو بين الديماغوجيّة والديمقراطيّة؛ مؤكّداً على أن الأولى تقبل الشروط العامّة للثانية وهي الحرية والمساواة؛ ولكن فيها تنتقل سيادة القانون إلى الكثرة التي تقوم مقامه.

ومن وجهة نظر أرسطو فإن الديماغوجيين لا يظهرون إلّا حيث أن يفقد القانون سيادته، ويكون الشعب ملكاً حقّاً، ويعتمد إلى أن يفعل فعل الملك، لأنّه يلقي عن عاتقه نير القانون ويصير مستبدّاً. وكلّما كان الشخص ديماغوجيّاً انقلبت الحكومة فوراً إلى طغيان، ويكاد يكون الطغاة الأقدمون كلّهم قد ابتدأوا أن يكونوا ديماغوجيين<sup>[٤]</sup>.

## ٥. عصر بركليس Περικλῆς: ٤٩٠-٤٢٩ ق.م

بركليس رجل دولة يوناني، أطلق اسمه على أكثر عهود أثينا قوّة، وقد ترأس الحكومة الأثينية لفترة تجاوزت الثلاثين عاماً. كان مصمّماً على مواصلة إصلاحات خاله كليستينس، لذا فقد أدخل نظام الرواتب التي صارت تُمنح لموظّفي الخدمة العامّة في الدولة، ولم

[١]- أفلاطون، محاورة الجمهوريّة، ف٥٦٥، ف٥٦٦، ص٥٠٧.

[٢]- المرجع نفسه: ف٥٦٧، ص٥٠٧.

[٣]- المرجع نفسه: ف٥٧٣، ص٥١٧.

[٤]- أرسطو: السياسة. ترجمه إلى الفرنسيّة بارتلمى سانتيلير. ونقله إلى العربيّة أ/ أحمد لطفى السيد. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب. القاهرة ٢٠٠٨ك٦. ب. ٤. ف. ٥. ١٢٧٢-٥.

يكونوا حتى ذلك الوقت يتقاضون أجوراً على أعمالهم، ولتنفيذ ذلك بدأ بتطبيق هذا القانون على الموظفين المنتخبين الذين يسمّون الأرخون، ثم عمّم الإجراء على بقية الموظفين.

وأورد أرسطو في كتابه نظام الأثينيين، أنه كان هناك ما لا يقلّ عن ٢٠٠٠٠ مواطنًا دُوّنت أسماءهم في السجلات الخاصة برواتب الخدمات العامة من دون أن يعملوا<sup>[١]</sup>.

ويرى روجيه جارودي أنّ ديمقراطية بركليس تُعدُّ فاسدة؛ وذلك لأنّ أكثر إصلاحاته شعبيةً هو السماح بالسرقة لكلّ أثينيٍّ لا يمتلك ثروة؛ وأن يشغل أحد المناصب العامة ويربح منها كيفما شاء؛ كما كان لإصلاحاته نجاح آخر يتمثّل في الوظائف مدفوعة الأجر<sup>[٢]</sup>.

ويرى ألكسندر روبنسن أنّ: «فترة حكم بركليس كانت بمثابة إفساد للديمقراطية الأثينية؛ وبدا مستقبلها وكأنّه ضباباً قاتماً يُخيّم فوقها، فكانت الديمقراطية تسير سيراً يكتنفه كثير من الغموض»<sup>[٣]</sup>.

أمّا ثمستوكليس أحد القوّاد العشرة في عهد بركليس والذي شغل العديد من المناصب العامة، فقد دخل السياسة فقيراً جدّاً ومن أسرة معدومة مادياً؛ حتى أصبح من أغنياء أثينا؛ وكانت أولى خطواته الإصلاحية تهدف إلى إلغاء منصب الحاكم أو الحدّ من سلطته، وقد استغلّ حماسة الناس آنذاك للحكم الديمقراطيّ فراح يقنع الأثينيين أنّه خير لهم أن يتركوا أمر انتقاء الحكام للألهة نفسها، وأن يتركوا المركز مفتوحاً لمن تُصيبه القرعة. وكانت النتيجة المحتمّة أنّ الحكّام التسعة أصبحوا منذ ذلك الحين أشخاصاً لا قيمة لهم، ولذا تحتم أيضاً أن تنتقل السلطة في أثينا إلى هيئة تنفيذية أخرى وهي مجلس القوّاد العشرة حيث يمكن إعادة انتخاب أعضائه. وبهذه التدابير استطاع ثمستوكليس أن يُهيمن على السياسة الأثينية في السنوات التي تلت معركة مرثون<sup>[٤]</sup>.

ونجد من ضمن خطب بركليس الجنائزية أو رثائه للأبطال اليونانيين الذين ماتوا في حرب إسبرطة التي انتصرت فيها على بركليس يقول فيها: «لقد جرت العادة أن يمتدح الخطباء من

[١]- أرسطو: نظام الأثينيين. ص ٩١.

[٢]- روجيه جارودي: حوار الحضارات. ترجمة عادل العوا. منشورات عويدات. بيروت. ١٩٧٨. ص ٣٠.

[٣]- تشارلز ألكسندر روبنسن: أثينا في عهد بركليس. ترجمة دأنيس فريحة. مؤسّسة فرنكلين للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٦٦. ص ٦٧.

[٤]- تشارلز ألكسندر روبنسن: أثينا في عهد بركليس. ص ٦٨.

قرّر، وأن نضيف إلى تشييع موتى الوطن رثاء لهم كقربان نضعه فوق قبورهم. وأمّا أنا فكنت أفضل أن لا نمجّد الأفعال إلاّ بالأفعال، وأن نرى في تشييع الدولة لهؤلاء الأبطال أوفى تمجيد لأفعالهم، وذلك لأنّي أخشى أن تعجز مواهب فرد مهما جلّت عن تمجيد ذكرى هذا العدد الجمّ من الأبطال. وإنّه لمن أشقّ الأمور أن نوفّق في أمر تتفاوت فيه النفوس، فقد يجد السامع الخبير من محيّنا في اللفظ قصوراً عمّا يعلم ويرغب، بينما يدّعي السامع الجاهل أن هناك إسرافاً في كلّ ما يجاوز طوق القائل. والمرء لا يستسيغ من مدح للغير إلاّ قدر ما يعتقد أنّه قادر على مثله، فإذا تخطّى المادح هذا المدى ولد الحسد الإنكار. ولكنه لا مَحيد لي اليوم ما دام هذا من تقاليد آبائنا- عن النزول على حكم القانون لأشبع رغباتكم ولأرضي أمل كلّ منكم...

وبالجملة، أستطيع أن أوكد أن أثينا هي مدرسة اليونان جميعاً. ولو أنكم نظرتُم إلى رجالنا لوجدتموهم من المرونة بحيث يتقبّل الواحد منهم راضياً ما يصير إليه من مركز. ولكي تستوثقوا من أنّ ما أقوله ليس شقشقة باطلة، بل العبارة الصادقة عن الحقيقة الراهنة- أسألكم أن تدبّروا القوى المختلفة التي يمنحها ما ذكرت من مثال، فأثينا من بين شعوب الأرض يصدق خبرها خبرها ما جدّ جدّ.

دستورنا لا يضاهيه في المقارنة أيّ دستور، الكلّ ينقل عنّا بينما نحن لا ننقل عن أحد، لقد سمّيناه ديمقراطياً لأنّه يضمن الخير لأكبر عدد لا لأقلّه. نحن جميعاً سواسية أمام القانون لا يتميّز أحد منا بمجد إلاّ بمواهبه. والمواهب الشخصية لا الفوارق الاجتماعية هي التي تفتح عندنا أبواب المجد، وما للفقير أو تواضع الأصل أن ينحّي مواطناً عن خدمة وطنه. نحن نعرف كيف نفهم مصالح الدولة ونكشف عنها بأنفسنا، وعندنا أنّ القول لا يضر بالعمل، بل الضرر هو ألاّ نستنير»<sup>[1]</sup>.

نلمح هنا إحساس بركليّس بالتباهي والتفاخر بنظامه وحكمه الديمقراطيّ رغم هزيمته المنكرة أمام الإسبرطيين؛ وتجلّى ذلك في قوله إنّ دستورنا لا يضاهيه أيّ دستور؛ وكذلك في قوله بأن جميع الأمم تقلّدنا في دستورنا؛ أيّ فخر هذا يا بركليّس الذي منحك الحقّ ومنح أحفادك من الغربيين بمدح دساتيرهم؛ ولا سيّما رغبتهم في تطبيقها على كلّ شعوب العالم. على أيّ حال: نحن نعرض الآن لما رآه بركليّس في ديمقراطيّته أنّها أعظم ديمقراطيّة:

[1]- Brockhaus and Efron Encyclopedic Dictionary of philosophy. Volume II, 1890.p452.

قرّر بركليس مكافأة كبيرة لمن ينخرط في سلك الخدمة العسكرية.

توّج بركليس كرمه بأن خصّص من مال الدولة أبولتين في العام لكل مواطن من مواطنيها يتابع مشاهدة ما يُعرض من المسرحيّات والألعاب في الأعياد العامّة، وحبّته في هذا أنّ هذه المسرحيّات والألعاب يجب ألا تكون ترفاً تختصّ به الطبقات العليا والوسطى، بل يجب أن تهدف إلى رفع مستوى الناخبين العقليّ. وقد انتقده كلٌّ من أفلاطون، وأرسطو، وبلوتارخ - معتبرين أنّ هذه الأجور أضرتّ بأخلاق الأثينيين.

اقتصر حقّ الانتخاب على الأبناء الشرعيين الذين يولدون من آباء أثينيين وأمّهات أثينيات. (مع أنّي أرى أنّ قانون الانتخاب عند بركليس غير دقيق، وذلك لأنّ الديمقراطية الأثينية لم تكن بهذه النموذجيّة، فقد اقتصر حقّ التصويت على المقاتلين من الرجال فقط وليس لجموع الناس).

تحريم الزواج الشرعيّ بين المواطن الأثينيّ وغيره من مواطني الدول الأخرى بهدف عدم تشجيع الزواج بين الأثينيين والأجانب والإقلال من عدد الأبناء غير الشرعيين.<sup>[1]</sup>

وأرى أنّ بركليس لم يقتض بما سنّه من قوانين فقد اختلفت آراء المؤرّخين حول علاقته بأسبازيا هل كانت مشروعة أم غير مشروعة؛ ولو فرضنا أنّها كانت مشروعة وأنجب منها ابنه بركليس الأصغر؛ فكانت أسبازيا أجنبيّة وليست أثينية، لأنّها من ميليتوس.

يحدّثنا بلوتارخ عن الطريقة الماكرة التي حوّل بها بركليس التيار المعارض له إلى

مصلحته، فيقول: «وقال بركليس: حسن جداً، فلتذهب نفقات هذه المنشآت إلى جيبي أنا لا إلى جيوبكم، وليُنقش عليها اسمي لا أسماءكم، فلمّا سمعوا قوله هذا نادوه بأعلى أصواتهم أن ينفق المال... وأن لا يتوقّف عن الإنفاق حتى ينفد عن آخره، ولسنا نعرف أكان هذا لأنهم دهشوا من عظمتة النفسيّة أم لأنهم أرادوا أن يكون لهم فضل القيام بهذه الأعمال»<sup>[2]</sup>.

[1]- Jarratt, Susan, Onq, Rory. "Aspasia: Rhetoric, Gender, and Colonial Ideology". Reclaiming Rhetorica edited by Andrea A. Lunsford. Berkeley: Pittsburgh: University of Pittsburgh Press. 1995. p126.

[2]- Plutarchs, Lives, translated from the original Greek with notes critical and Historical and Alife of Plutarch, JoHn langhorne, D.D and William lang Horne, A.M. in six volumes, printed by. W. fliat, old Bailey. London, 1809. vol.5. p.465.

And See Also. Philip Stadter A. A Commentary on Plutarch's Pericles. University of North Carolina Press. 1989. p86.

بسط بركليس معونته وحمايته إلى فدياس، وإكتنوس Ictinus، ومنسكليز Mnesicles وغيرهم من الفنانين الذين كانوا يكدحون لتحقيق أحلامه، وتخليد اسمه عبر التاريخ.

كانت علاقة بركليس بأسبازيا تحولاً كبيراً في حياته الخاصة وحياة اليونان العامة، وكذلك انقطاعه عن الحياة الاجتماعية وانشغاله عن شئون الحكم، مما جعل المحافظين من الأثينيين ينددون بمساوئ وعيوب ببركليس لأنه دفع اليونانيين إلى حرب الطبقات كما حدث في إيجينا وساموس.

كذلك اتهم بركليس بأنه يبدد الأموال العامة، ثم سلطوا عليه الممثلين الهزليين، فاتهمه هؤلاء بأنه جعل داره بيتاً من بيوت الفساد السيئة السمعة، وبأن بينه وبين زوجة ابنه علاقة جنسية.

اتهم الأثينيون بركليس وعشيقته أسبازيا Ασπασία (ولدت في عام ٤٧٠ قبل الميلاد، توفيت في عام ٤٠٠ قبل الميلاد) بأنهم يُديرون بيوتاً للبقاء مقابل زيادة الأموال التي يُنفقها على تخليد ذكراه.

كما وُجّهت تهمة دينية أخرى إلى أسبازيا مضمونها أنها لا تخضع لأوامر الدين، وأنها جهرت بعدم تعظيمها آلهة اليونان. وهجاها الشعراء الهزليون هجاءً قاسياً، ووصفوها بأنها ديانيرا Deianeira التي أهلكت بركليس وأطلقوا عليها بلغة يونانية صريحة اسم العاهر، واتهمها واحد منهم يدعى هرميپوس Hermippus بأنها تعمل لكسب المال من طريق غير شريف، وأنها قوادة لبركليس، تأتي إليه بالحرائر ليستمتع بهن، وقُدّمت للمحاكمة ونُظرت قضيتها أمام ألف وخمسمائة من القضاة، ودافع عنها بركليس دفاعاً مجيداً استخدم فيه كل ما وهب من بلاغة، بل إنه استخدم فيه دموعه نفسها، ورفضت الدعوة. وبدأ بركليس من ذلك الوقت يفقد سيطرته على الشعب الأثيني، ولماً وافته منيته بعد ثلاث سنين من ذلك الوقت، كان قد أصبح رجلاً مهتماً كسير القلب والجسم<sup>(١)</sup>.

[1]- Michael McConville, A Critical Analysis of Athenian Democracy During the Golden Age, 480 B.C. to 431 B.C. Honors Ancient History. April 20, 2004. p39.



## خاتمة

يمكننا ممّا سبق عرضه من خلال رؤيتنا النقدية للحياة السياسية عند اليونان في ما بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد، إلى توضيح النتائج الآتية:

ظَلَّت العنصرية الطبقيّة هي السّمة المعبرّة عن الحالة السياسيّة عند اليونان عبر عصورهم السياسيّة والثقافيّة.

لم تكن الشهادات التي عرضنا لها عن طبيعة الحالة السياسيّة عند اليونانيين؛ ولا سيّما صفات وخصائص الحاكم اليونانيّ لدى مؤرّخي اليونان أنفسهم وخصوصاً ثيوكاريس كيسديس مثل صفة الأنانيّة والخيانة والتآمر على شعبه أو على الشعوب الأخرى أو من لم يخضع لسيطرته هي السّمة المعبرّة عن الحالة السياسيّة لتلك الفترة من حضارة الغرب ولاسيّما المرحلة اليونانيّة في ما بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد.

افتقاد بلاد اليونان للأصالة الاجتماعيّة وما ترتّب عليها من فرقة سياسيّة؛ خصوصاً أنّ علماء الأنثربولوجيا لم يستطيعوا الجزم بأنّ ما نطلق عليهم اليونانيين هم من سلالة واحدة؛ ولكن معظمهم عبارة عن شعوب متباينة ونازحة من آسيا الصغرى؛ هذا بالإضافة إلى جزيرة كريت التي لعبت دوراً جوهريّاً من خلال حركات التجارة الخارجيّة في نقل التراث الشرقيّ إلى المقاطعات أو الدويلات اليونانيّة.

رغم تشدّق المؤرّخين الغربيين بأنّ اليونانيين هم أصحاب ابتكار ما سُمّي بدويلة المدينة والتي كانت من تجلّياتها الإبداع الحقيقيّ للديمقراطيّة الأثينيّة؛ فعليّنا هنا أن نوضح أنّ تلك الوحدة لم تكن بالمفهوم الصحيح للوحدة السياسيّة؛ حيث كان لكلّ دويلة حاكم مستقلّ يطمح للوصول إلى سدّة الحكم وخصوصاً وصول حكمه إلى أثينا.

كذلك لم تكن الديمقراطيّة الأثينيّة إلّا خدعة سياسيّة؛ تكاد تصل من خلال مدح المؤرّخين اليونانيين لها إلى حدّ الأسطورة؛ لاسيّما أنها لم تكن مقبولة لدى الفلاسفة والشعراء اليونانيين؛ فقد رأينا الحاكم بيزيستراتوس الذي اتّسم بالدهاء والكذب؛ وخصوصاً خداعه للعامة من اليونانيين؛ عندما جرح نفسه بيده وأقنع الشعب بأنّ خصومه السياسيين هم الذين أساءوا إليه، وأنّه ينبغي أن يمنحه الشعب حرساً يحميه.

يُعدّ خير وصف للطغاة اليونانيين خصوصاً؛ ولأحفادهم من الغرب عموماً قوله: ويبدأ

الطاغية حكمه بالابتسام والتحية لكل من يصادفه، ويستنكر كل طغيان، ويجزل الوعود للخاصة والعامة، ويعفى من الديون ويوزع الأرض على الشعب وعلى مؤيديه، ويصنع الطيبة والود مع الجميع؛ إلى أن يظهر لحلفائه قبل أعدائه الحقد والكراهية.

لم يكن بركليس خير ممثل للديمقراطية الخرافية المسماة بالديمقراطية الأثينية؛ وذلك لأنه لم يكن حاكماً أخلاقياً؛ لأنه سعى بصفة عامة إلى زيادة أموال الدولة من خلال التصريح ببيوت الدعارة وإباحة السرقة لكي لا يوجد فقير في عهده؛ بخلاف ذلك فنجد أن ديمقراطيته تجلّت في حفاظه على القوة العسكرية فحسب؛ تلك القوة التي هزمت هزيمة ساحقة على يد الإسبرطيين.

## قائمة المصادر والمراجع

١. أرسطو: السياسة، ترجمه إلى الفرنسية بارتلمي سانتيلير، ونقله إلى العربية أ/ أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨.
٢. .... نظام الأثينيين، ترجمة طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
٣. أفلاطون، محاوره الجمهورية - ترجمة ودراسة د/ فؤاد زكريا، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٥.
٤. .... محاوره جورجياس، ترجمة محمد حسن ظاظا، مراجعة د. على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٧٠ م.
٥. .... محاوره السوفسطائي، ترجمها عن النص اليوناني مع مقدمات وشروح، عزت قرني، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠١ م.
٦. آرنولد توينبي: تاريخ الحضارة الهلنستية، ترجمة رمزي جرجس مراجعة د محمد صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.
٧. برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ك١. الفلسفة القديمة، ترجمة د/ زكي نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.
٨. جورج سباين: تطوّر الفكر السياسي، ك١. ترجمة حسن جلال العروسي مراجعة وتقديم د/ عثمان خليل عثمان، تصدير د/ عبد الرزاق أحمد السنهاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١.
٩. أ.ه.م. جونز: الديمقراطية الأثينية، ترجمة د. عبد المحسن الخشاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.
١٠. جان جاك شوفالييه، تاريخ الفكر السياسي "من المدينة الدولة إلى الدولة القومية"، ترجمة: محمد عرب صاصيلا (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٥).

١١. أرنست باركر، النظرية السياسيّة عند اليونان "الجزء الثاني"، ترجمة: لويس إسكندر (القاهرة: مؤسّسة سجل العرب، ١٩٦٥).
١٢. ف.س. نريسيان: الفكر السياسي في اليونان القديمة، ترجمة حنا عبود، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٩.
١٣. جون باول، الفكر السياسي الغربي، ترجمة محمد رشاد خميس، مراجعة د/ راشد البراوي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.
١٤. س.م.بورا. التجربة اليونانيّة، ترجمة د/ أحمد سلامة محمد السيد، سلسلة الألف كتاب (٦٧) الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.
١٥. د/ علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم ودلالته علي عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩.
١٦. د/محمد فتحي الشنيطي نماذج من فلسفة السياسة، مكتبة القاهرة الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١.
١٧. د/فؤاد محمد شبل، الفكر السياسي، ج ١، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.
١٨. روجيه جارودي: حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٨.
١٩. هوميروس: الإلياذة، ترجمة سليمان البستاني، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
20. Plutarch, Lives, Bernadotte Perrin (translator), Cambridge, MA. Harvard University Press. London. William Heinemann Ltd., 1914
21. Herodotus, Histories, translated by , A. D. Godley, Cambridge: Harvard University Press, 1920

22. Thucydides, the Peloponnesian War. Translated by J. M. Dent; London, 1910
23. Pausanias, Description of Greece, Books I-II, (Loeb Classical Library) translated by W. H. S. Jones; Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press; London, William Heinemann Ltd... 1919.
24. Jarratt, Susan, Onq, Rory. "Aspasia: Rhetoric, Gender, and Colonial Ideology". Reclaiming Rhetorica edited by Andrea A. Lunsford. Berkeley: Pittsburgh: University of Pittsburgh Press.1995.
25. Plutarchs, Lives, translated from the original Greek with notes critical and Historical and Alife of Plutarch, JoHn langhorne, D.D and William Lang Horne, A.M. In six volumes, printed by. W. fliat, old Bailey. London. vol.5, 1809.
26. And See Also. Philip Stadter A. A Commentary on Plutarch's Pericles. University of North Carolina Press.1989..
27. Michael McConville ,A Critical Analysis of Athenian Democracy During the Golden Age, 480 B.C. to 431 B.C.Honors Ancient History. April 20, 2004.

# أثينا في العصر الكلاسيكي بين القرنين السابع والسادس ق.م

خليل سارة<sup>[١]</sup>

مقدمة

## أولاً: الموقع الجغرافي

قبل حديثنا عن تاريخ وحضارة أثينا، وتطورها السياسي، ودورها القيادي لبلاد الإغريق، يجب علينا أن نبين بوضوح الرقعة التي قامت عليها<sup>[٢]</sup> حيث تُعتبر الدويلة الوحيدة بين كلِّ الدويلات الإغريقية التي طابقت مقاطعة أتيكا (ATTIKA) جميعاً، رغم تمزُّق سطحها بالجبال والتلال.

لقد تركّزت في هذه المقاطعة أجمل وأفضل الصفات الطبيعية التي امتازت بها البلاد، فهي تقع في وسط شبه جزيرة الإغريق، وترتبط بآسيا الصغرى بمجموعة من الجزر، كما أنّها بريّة وبحريّة في آن واحد، إذ تمتدُّ ضمن بحر إيجه وتشغل سواحلها مكاناً واسعاً في حوض هذا البحر الذي كان دوماً مركزاً لتلاقي الحضارات وتفاعلها، والذي هيأ كلَّ الظروف المناسبة لمقاطعة (أتيكا) كي تحقّق السيادة الاقتصادية والسياسية والفكرية، لأنّ هذه المنطقة (أي منطقة بحر إيجه)، تُعتبر من أصلح بقاع الأرض للحياة البشرية وتمازج الأفكار والشعوب. وتفيد كلمة (أتيكا) نفسها معنى (بلاد ساحليّة)، ولا تزيد مساحتها الإجمالية عن ٢٦٠٠ كم<sup>٢</sup>، أي ربع مساحة لبنان، وتساوي ٢٠٪ تقريباً من مساحة بلاد الإغريق كلّها المقدّرة بـ ١٣١,٩٤٤ كم<sup>٢</sup>.

[١]- أستاذ مادّة التاريخ اليوناني القديم في جامعة دمشق.

[٢]- اسم أثينا في الإغريقية أثيناي (Atenae)، وهو اسم الرّبة (Atene) في حالة الجمع أو في حالة ظرف المكان. ويقال إنّ صخرة الأكروبول نفسها كانت تسمّى أثينا. ومن الواضح أنه اسم قديم سابق على مجيء الإغريق إلى البلقان لأنّ نهايته تشير إلى أنه اسم غير هنديّ - أوروبي. أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، جزأين، القاهرة ١٩٧٧، ص ١٥٩.

تنقسم مقاطعة (أتيكا)، من الوجهة الجغرافية، إلى ثلاثة أقاليم طبيعية، هي: الإقليم الجبلي، والإقليم السهلي، والإقليم الساحلي. وتفسر تضاريسها بناءً على هذه الأقاليم، أصل الأحزاب الأثينية واتجاهاتها - كما سنرى لاحقاً - فحزب الجبل (DIAKRIOI) الذي يضم من يسكنون في سفوح جبلي بنتيليكوس وهيميتيوس، والمنطقة المتاخمة لهما، كان قوامه من الرعاة الفقراء الذين لم يكن لديهم ما يكفي أود عيشهم، فانحصر همهم في تغيير الأوضاع السياسية لتحسين أحوالهم. أمّا حزب السهل (PEDIAKOI) فكان قوامه سكان السهول، وهم كبار ملاك الأراضي الذين انحصر هدفهم في الاحتفاظ بالسلطة الرئيسية. وأمّا حزب الساحل (PARALIOI) فكان أنصاره من سكان البلاد المتاخمة للبحر، والذين يمثلون المصالح التجارية، ويشكلون موقفاً وسطاً أو متوازناً بين الحزبين الآخرين.

ومن المزايا الجغرافية والطبيعية التي تمتعت بها المقاطعة وجعلتها تختلف عن غيرها من المقاطعات الإغريقية الأخرى، أن موقعها الجغرافي المهم أهلها لإحراز السيادة أو الزعامة في البحر، ولأن تكون السبّاقة إلى زعامة بلاد الإغريق، بفضل ما أتيح لسكانها من التجارب والخبرات الطويلة في فن الملاحة والسياسة، ولم يكن في وسع غيرها من المدن أن تنافسها في هذا المركز لضيق أراضيها، وقلة مواردها، وانقسامها على نفسها، وتفشي القرصنة فيها، وهي عوامل لا تساعد على إحراز الزعامة.

ميزة أخرى تمتعت بها المقاطعة هي أن عاصمتها أثينا (ATHENAE) تقع في داخل أوسع منطقة صالحة للزراعة، وتلتقي عندها طرق المواصلات. وساهم ميناء (فاليريون وبيرييه) القريبان منها في ترجيح كفتها على أي بلدة أخرى إذا ما اتجه سكانها إلى البحر والتجارة. ولذلك استطاعت أثينا في مرحلة مبكرة من تاريخها أن تفرض نفسها مقررًا لحكومة مركزية تهيمن على المقاطعة. وقد ساعدها على ذلك أن موارد أتيكا لم تتبدد بالخصومات والنزاعات، وإن كانت موجودة بطبيعة الحال، لأنها لم تكن دموية كما كانت في المدن الأخرى، ولم تكن بتلك الحدة بحيث لم تترك مجالاً لقيام أنواع أخرى من الصراع والتنافس. وهكذا توافرت لها من حيث كانت عاصمة لإقليم متحد من القوى البشرية والثروة الاقتصادية ما يؤهلها لأن تتقدم على غيرها من المدن في زعامة بلاد الإغريق، ولا سيما أن مقاطعة أتيكا

كانت في مأمن من الغزوة الدورية، إماً بسبب جذب أراضيها كما يقول توكوديدس<sup>[١]</sup>، أو بفعل انتصارها على الدوريين الذين رُدُّوا على أعقابهم وانحرفوا جنوباً إلى سلسلة جبال البلوبونيز، في تلك الغزوة التي قلبت أوضاع المقاطعات الأخرى وجعلتها تتأخر عن الحضارة أجيالاً طويلة بفعل الخراب والدمار الذي لحق بها، وهذا ما لم يحصل في أتيكا.

### ثانياً: أهمية تاريخ أثينا

يمثل المجتمع الأثيني الاتجاه الرئيسي لتطور النظام السياسي في دولة المدينة الإغريقية بمراحله الخمس المتعاقبة، بدءاً من الحكم الملكي، مروراً بالحكم الأرستقراطي، وحكم الأقلية، وحكم الطغاة، وانتهاءً بالحكم الديمقراطي. وقد توفّر لأثينا هذا التطور المستمر بحكم الظروف المحيطة بشبه جزيرة أتيكا، وهي المنطقة التي تضمّها والأراضي والضواحي والقرى والموانئ الصغيرة التي تحيط بها وتتخذها مركزاً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً لها.

ولو تناولنا الأسباب التي أدّت بأثينا لأن تبلغ التطور السريع في حياتها الروحية والفكرية، وأن تكون صاحبة التاج الملكي في كلّ بلاد الإغريق، لما أمكنت الإجابة عنها إلاّ من خلال التعمّق في دراسة تاريخها الحضاري الذي يبيّن لنا من خلال النتائج التي توصلنا إليها، أن الفضل في ذلك يرجع إلى عوامل رئيسية عدّة:

١- أنّ المجتمع الأثيني لم يعرف عموماً الاستقرار الاقتصاديّ الكامل الذي تسيطر فيه طبقة واحدة على مورد الإنتاج الرئيسيّ سيطرة مستمرة، أو على الأقل لفترات طويلة، وإنما توزّعت فيه موارد الإنتاج بين أكثر من طبقة على نحو متتابع.

٢- لم تكن ثمة فرصة كاملة لتضخّم سلطة الدولة ممثلة في طبقة واحدة على حساب الطبقات الأخرى، وإنما كان المجال مفتوحاً للحوار والمساومة الاجتماعية بين الطبقات الحاكمة والمحكومة، ولإعادة التوازن بينها كلّما ظهرت متغيّرات جديدة، ومن ثمّ للأفكار التي تحدّد العلاقة بين الفرد والدولة، لذلك فتحت الظروف التي مرّ بها المجتمع الأثيني في تطوره، الباب على مصراعيه أمام هذا (الحوار)، الذي أدّى إلى ظهور الفكر السياسيّ وتطوره باطراد.

[١]- توكوديدس، تاريخ الحرب البلوبونيزية، ترجمة دينا الملاح وعمرو الملاح، أبو ظبي، المجمع الثقافي ٢٠٠٣، الكتاب الأول، ص ٢٠.



٣- أدت ظروف المدن الإغريقية إلى تعاقب نظم الحكم فيها بكثير من السرعة، فقد توالى على أغلب هذه المدن، ومن بينها (أثينا)، خمسة نظم في ثلاثة قرون (من الخامس إلى الثاني ق.م)، وكانت سرعة التغيير في بعض الأحيان بالدرجة التي يعاصر فيها المواطن أكثر من نظام حكم واحد. وأدى الاتصال التجاري النشط إلى أن يحتك الإغريقيُّ بأكثر من جهة، ويرى شعوباً متباينة وأنظمة حكم مختلفة.

وقد كان لهذه العوامل أثرها الكبير في تفكير الأثينيِّ، إذ كان من الطبيعيِّ في هذه الظروف أن يقارن بين هذه النظم وأن يناقشها في ضوء غيرها، ولا سيَّما أن وضع هذه المدن الصغيرة كان يسمح بسهولة الاحتكاك المباشر والمستمرِّ بين المواطنين. وهكذا تهيأت الظروف التي أباحت للوعي الإغريقيِّ أن ينمو، ثم للفكر السياسيِّ أن ينضج، وهو الذي يدور أساساً حول التوازن بين الفرد والدولة<sup>[١]</sup>.

نستنتج من كلِّ ما سبق، أن أثينا أدت أهم دور في تاريخ الإغريق، وكانت مركز الحضارة التي تركت أعمق الأثر في تطوُّر حياتهم، وصارت رمزاً لمبادئ الحرية والمساواة، ومظهراً حضارياً من مظاهر المرح واللطف والفنِّ، بخلاف إسبرطة التي كانت قدوة للدولة الفاشستية في الحكم الصارم الإرهابيِّ الذي يُخضع الأفراد في كلِّ الأمور لمراقبة الدولة وتوجيهها. وقد سارت أثينا أشواطاً بعيدة في هذا الطريق مقارنة بما كان سائداً في تلك المناطق، وأصبحت بذلك مثلاً أعلى لسائر المدن. ولهذا السبب كانت دراسة تاريخ الإغريق من أكثر الموضوعات فائدة لفهم تطوُّر حياتهم، وإدراك عوامل تقدُّمهم أو تأخُّرهم<sup>[٢]</sup>. لكن علينا ألاَّ ننسى أن أحد أسباب تطوُّرها أيضاً هي تلك الاحتكاكات التي حصلت لها مع الحضارات الأخرى، والتي استطاعت أن تنهل منها.

رغم كلِّ ما تقدَّم، فإنَّ هذا لا يجعل من أثينا معجزة إغريقية، ولا رائدة للحضارات الأخرى، لا سيَّما إذا ما قيسَت بما حقَّقته الحضارات الأخرى في بابل ومصر والفينيقيين، من تطوُّر هائل في التجارة والاقتصاد والعمارة.

[١]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، بيروت ١٩٧٩، ص ١٢٧.

[٢]- محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، دمشق، دار الفكر ١٩٦٠، ص ٣٧.

### ثالثاً: النظام السياسي الأرستقراطي

كان يقتسم إقليم أتيكا في العصر البدائي عدد معين من الأسر المستقلة التي لا رابط بينها، وكانت كل واحدة منها تُعدُّ مجتمعاً مستقلاً صغيراً يحكمه رئيس أو ملك وراثي، ثم تجمعت هذه الأسر فنشأت المدينة الأثينية. ونُسب هذا «الإنجاز» إلى صاحب التوحيد (ثيسوس) الذي صادف مقاومة عنيفة في سبيل الوحدة من قبل الذين ألهمهم هذا التغيير، وعلى رأس هؤلاء رؤساء الأسر الآباء (PATERFAMILIAS)، ورؤساء العشائر (PHRATRIES)، والقبائل (TRIBUS). هؤلاء النسباء كانت لهم السلطة العليا في أسرهم وعشائهم وقبائلهم بمقتضى الحقِّ الوراثي، وقد دافعوا دفاعاً مستميتاً عن استقلالهم، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، ولمّا ضاع منهم هذا الاستقلال تحسّروا عليه ولم يُرقِّهم هذا التغيير. ولكن رغم ذلك، حافظوا قدر استطاعتهم على ما تبقى لهم من السلطة، لأنَّ (ثيسوس) لم يستطع أن يدمر سلطاتهم المحليّة تدميراً كاملاً، كون الديانة هي التي أقامتها وجعلتها مصونة ومقدّسة لا تُمسُّ. ويؤكد ذلك بلوتارخوس بقوله: «إنَّ ثيسوس حاول أن يدمر بيوت النار المحليّة لدى كلّ أسرة، فلا عجب أن يكون الشعور الدينيُّ قد ثار عليه، وليس من المستطاع أن نقول كم من نضال عاناه، وكم من ثورة أحمدها بالحصافة أو القوة، أمّا الموثوق منه فهو أنّه غلب على أمره في النهاية، وطُرد من أثينا ومات في المنفى»<sup>[١]</sup>.

لم يلبث أن ثار النزاع بين هؤلاء النسباء -الذين كانوا يرجعون بأنسابهم إلى الآلهة والأبطال والأمراء، ويفاخرون بالمجد الذي انتقل إليهم جيلاً بعد جيل، وهم الذين يملكون الأراضي الواسعة الغنيّة، ويملكون الخيل والأسلحة اللاّزمة وكوّنوا طبقة أرستقراطيّة قويّة- وبين الملكيّة، وكانت نتيجة هذا النزاع بين طبقة النسباء (الأرستقراطيّة) وطبقة الملوك، أن تغلبت الطبقة الأرستقراطيّة على الملكيّة التي غلب على أمرها، ولا سيّما بعد توحيد أتيكا، وتأسيس مدينة أثينا، إذ إنّ معظم هؤلاء النسباء من الطبقة الأرستقراطيّة انتقلوا إلى العاصمة الجديدة وكوّنوا (مجلس الشيوخ) الذي يستشير الملك. ويظهر أنّه بعد انتهاء غارة الدوريين وتوقّف حركة الهجرة واستقرار السكان، ازداد نفوذ هذه الطبقة، وأصبح أفرادها يتولّون الوظائف الكبيرة.

[١]- بلوتارخوس، ثيسوس ٢٥، ٣٢، ديودوروس ٤، ٦٢.

والحقيقة هي أنّ الحكم الملكيّ قد تلاشى تدريجيّاً، تحت ضغط الطبقة الأرستقراطيّة التي كانت في بادئ الأمر تشارك الملوك في الحكم، ثم عندما ازدادت قوّتها أرادت أن تستأثر بالسلطة. ولكن يجب علينا الإشارة إلى ملاحظة هامّة، وهي أنّ الملكيّة البدائيّة كانت مقدّسة ومصونة من قبل الديانة؛ فكان الملك هو الذي يتلو الدعاء ويقدم القرбан، وهو القادر بمقتضى الحقّ الموروث على أن يجلب للمدينة حماية الآلهة. فلم يكن إذن في استطاعة النسباء التفكير في الاستغناء عنه، كان لا بدّ من ملك للديانة من أجل سلامة المدينة، فلذلك لم يمسّوا سلطته الكهنوتيّة، أي الدينيّة (SAGERDOGES)، وإنّما اكتفوا بأن انتزعوا منه السلطة السياسيّة. وفي هذه الحالة أصبح الملك كاهناً فحسب، بعدما كان قبل ذلك هو الكاهن، والقاضي، والقائد العسكري، يمثل السلطتين الكهنوتيّة والسياسيّة.

حافظ إذن على الملكيّة، ولكن بعدما جرّدت من سلطاتها السياسيّة، ولم تعد إلّا كهنوتاً. وفي هذا يقول أرسطو: «كان للملوك في الأزمنة الغابرة سلطة مطلقة في السلم والحرب، لكن بعضهم تنحّى في ما بعد عن هذه السلطة من تلقاء نفسه، وانتزعت عنوة من الآخرين، ولم يُترك لهؤلاء الملوك غير العناية بالقرابين»<sup>[١]</sup>. ويقول بلوتارخوس أيضاً: «لأن الملوك بدؤوا متغطرسين وقساة في أمرتهم، انتزع معظم الإغريق السلطة منهم، ولم يتركوا لهم غير العناية بالدين»<sup>[٢]</sup>. وفي إسبرطة انتزعت السلطة التنفيذية من الملوك، وكلّفوا بها حكاماً سنويين أطلقوا عليهم لقب إيفورات (EPHORES) (المراقبون الخمسة) الذين كانوا يقضون في المسائل المدنيّة، في حين كان مجلس الشيوخ يقضي في المسائل الجنائيّة<sup>[٣]</sup>. وكان المراقبون الخمسة يعلنون الحرب بناءً على إشارة مجلس الشيوخ، أو يقرّرون نصوص معاهدات السلم، وفي زمن الحرب كان اثنان منهم يرافقان الملك ويراقبانه، وهما اللذان كانا يحدّدان خطط الحملة ويديران جميع العمليات<sup>[٤]</sup>. وبذلك انتزعت جميع السلطات التنفيذية والسياسيّة والقضائيّة من أيدي الملوك، ولم يبق لهم سوى السلطة الكهنوتيّة. كذلك الأمر في أثينا، لم يُفصّل على الملكيّة قضاءً كاملاً، إذ إنّ ديانتهم كانت تحرّم عليهم ذلك،

[١]- أرسطو، السياسة ٣، ٩، ٨، ١٢٨٥ ب.

[٢]- بلوتارخوس، مسائل رومانيّة ٦٣.

[٣]- أرسطو، السياسة ٣، ١، ٧، ١٢٧٥ ب.

[٤]- كسنوفون، دستور اللاكيدايمونيين ٨، ١١، ١٥، الهليلينيّات ٢، ٤، ٣٦.

لكنهم جرّدوها من سلطتها السياسيّة. يقول باوسانياس في هذا الخصوص: «إنّ الملكيّة قد فقدت عندئذ جزءاً كبيراً من اختصاصاتها وأصبحت تابعة»<sup>[١]</sup>. ومعنى ذلك أنّها أصبحت منذ ذلك الوقت خاضعة لمجلس الشيوخ المكوّن من الطبقة الأرستقراطيّة. ويطلق المؤرّخون المحدثون على هذه الفترة من تاريخ أثينا اسم عهد الأراخنة<sup>[٢]</sup> (ARCHONTAT). وفي منتصف القرن الثامن ق.م، وجدت الطبقة الأرستقراطيّة أنّ هذه الملكيّة الدينيّة لا تزال أقوى مما كانوا يريدون، فأضعفوها وقرّروا ألاّ يشغل الملك هذا المنصب الكهنوتيّ إلّا مدّة عشرة أعوام بعدما كان لمدى الحياة. ولكن منذ أوائل القرن السابع ق.م وفي عام ٦٨٢ ق.م خصوصاً، نتيجة لهذه التغيرات السياسيّة في السلطة الملكيّة، أحدثت في أثينا ثلاث وظائف رئيسيّة كوّنّت السلطة التنفيذيّة للحكومة التي انتقلت إليها بعض السلطات التي كان يقوم بها الملوك قبلاً، وهذه الوظائف من حيث ترتيب الأهميّة:

١- الحاكم (ARCHON): هو رئيس الجهاز التنفيذيّ، ويتولّى القضايا المدنيّة، فينظر في أمور الزواج والإرث والأيتام، ويترأس الحفلات في الأعياد، ويجب ألاّ ننسى أن هذه المسائل كان لها شأن عظيم في ذلك العهد.

٢- القائد العسكريّ (POLIMARCHOS): يتولّى إدارة الجيش، والنظر في قضايا الأجانب الفاطنين في أثينا.

٣- الملك (BASILEUS): تقتصر وظيفته على الشؤون الدينيّة، فهو الذي يمثّل المدينة تجاه الآلهة، ويشرف على القصور والمعابد، ورغم أهميّة هذه الرئاسة الدينيّة، فقدّ لقب ملك بذلك معناه الأصليّ، وصار يُطلق على إحدى الوظائف الحكوميّة التي يُنتخب صاحبها لمدة عام واحد مثل غيره من بقيّة الموظّفين.

بكلّ الأحوال أصبح رؤساء هذه الوظائف الثلاث يُنتخبون لمدة عام واحد. ونرى السجلاّت الرسميّة بعد هذا التاريخ تحمل اسم الحاكم، وبذلك يمكن معرفة تاريخها بالرجوع إلى الجداول التي تبينّ تعاقب الحكام سنة بعد أخرى.

[١]- باوسانياس ١، ٣، ٢ و ٤، ٥، ١٠ و ٢، ٧، ١.

[٢]- فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، ترجمة عباس بيومي، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة ١٩٥٠، ص ٣٤٧.

ثم أضيف إلى الرؤساء الثلاثة ستة مشرّعين آخرين (SMOTHETAI) عهد إليهم كما يقول أرسطو «بتسجيل الأحكام والمقرّرات التي لها صفة ثانويّة وحفظها حتى يرجع إليها في فصل الاختلافات»<sup>[١]</sup>. ولم تمض فترة طويلة حتى تألّف من هؤلاء جميعاً مجلس الحكام التسعة (الأراخنة) الذي كان يدير شؤون الحكومة في العهد الأرستقراطي<sup>[٢]</sup>، بعد أن يكونوا قد أدّوا قسم اليمين وتعهدوا بالالتزام بالشرف والأمانة.

كان هؤلاء الحكّام بعد انقضاء مدّة عملهم يصبحون بالاختضاء أعضاء في مجلس الشيوخ مدى الحياة، وقد كان له مكانة كبيرة في زمن الملك، ولكنه ازداد أهميّة في عهد الحكم الأرستقراطي، وأصبح الدعامة الحقيقيّة لسلطة البلاد، فهو الذي يقوم، كما يقول أرسطو في كتابه (الدستور الأثيني)، (بالمحافظة على القوانين وإدارة شؤون الدولة)<sup>[٣]</sup>، وهو الذي يتولّى انتخاب الرؤساء الثلاثة وبقية الموظفين<sup>[٤]</sup>. وقد أطلق عليه في أثينا اسم الأريوباجوس (AEROPAGOS) لتمييزه عن المجالس الأخرى التي تأسّست في ما بعد. ولعلّ هذا الاسم مشتقّ من هضبة (ARES) حيث كان يعقد اجتماعاته للنظر في القضايا الجنائيّة التي تُعدّ من أهمّ وظائفه.

حتى هذه المرحلة، لم يكن إلغاء النظام الملكيّ انتصاراً للفكرة الديمقراطيّة، وبقي من دون الطموح الذي كانت ترغب فيه الطبقات الدنيا، بل كان هذا الانتصار وسيلة لتسلّط الأرستقراطيّة الإقطاعيّة على الدولة، فالنبلاء كانوا يؤلّفون طبقة ممتازة ويستخدمون المؤسّسات الحكوميّة لتوطيد سيادتهم وتأمين مصالحهم. وفي ظلّ هذا النظام الأرستقراطيّ انقسم السكّن الاجتماعيّ في أثينا إلى أربع طبقات أساسيّة، بغضّ النظر عن الأسرة والعشيرة والقبيلة. وهذه الطبقات هي:

### ١. طبقة النبلاء (EUPATRIDAS)

تمتّع هذه الطبقة بحقوق المواطنة الكاملة السياسيّة والمدنيّة، والترشّح في المجالس

[١]- أرسطو، الدستور الأثيني ٤/٣ - ٥.

[٢]- فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، ترجمة عباس بيومي، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة ١٩٥، ١/٣ - ٥.

[٣]- المصدر السابق ٦/٣.

[٤]- المصدر السابق ٢/٨.

التشريعية، والانتخاب، وتولي المناصب والوظائف العليا في الدولة وقيادة الجيش، والملكية والعمل. وبقيت هذه الطبقة مستأثرة بالحكم عصوراً طويلة، وتتمركز في سلطتها كل قواعد العرف والعادة، وتفسر القانون كما تريد، وتخضع كل أمور الدولة لمصلحتها، لأنه لم تكن حتى هذه الفترة قوانين مكتوبة ثابتة. وفي هذه الحالة، وجب على جميع أفراد الطبقة الدنيا الذين هم ليسوا من الأسر النبيلة أن يكونوا مضطرين دوماً إلى الخضوع للأحكام المرتجلة المتقلبة التي كانت في الغالب بعيدة عن الإنصاف والرحمة.

## ٢. طبقة الحرفيين والصنّاع (DEMIOURGOI)

تتمتع هذه الطبقة بالحقوق المدنية، وتُحرم نسبياً من مجمل الحقوق السياسية باستثناء حق الانتخاب الذي كان يُسحب منها في بعض فترات من تاريخ أثينا وتطورها السياسي. وكانت هذه الطبقة من أصحاب المهن الذين يعملون في الصناعة والتجارة والملاحة على حسابهم الخاص.

## ٣. طبقة المزارعين (GEORGOI)

تتمتع هذه الطبقة بمعظم الحقوق المدنية، وبعض الحقوق السياسية مثل حق الانتخاب، من دون الترشيح للمناصب العليا، وتتألف من الذين يملكون قطعة صغيرة من الأرض يكدحون في فلاحتها لكسب قوتهم، وكان يجدون صعوبة كبيرة في التخلص من طمع المرابين ومن اعتداء السادة النبلاء. وقد كان الكثيرون منهم يملكون قبلاً أراضي واسعة، ولكنهم اضطروا إلى تقسيمها بين أولادهم حتى أصبحت لا تكفي لإعاشة أصحابها الذين كان بعضهم يبيعها وينتقل إلى المدن للعمل بالصناعة أو التجارة، وصار الآخرون يعملون عند النبلاء الأغنياء، ويفلحون الأرض مُسادسين (HEKTEMOROI)، أي يأخذون سدس المحصول مقابل عملهم، أما الذين يحاولون الاحتفاظ بأرضهم رغم كل الصعوبات، ويستدينون المال لشراء البذار والماشية، فإنهم يُضطرون إلى رهن هذه الأرض، وكانت تنتصب في كل حقول أتيكا الزراعية مسلات حجرية رهنية (أحجار الرهن العقاري) سُجِّل عليها أنَّ القطعة المعينة مرهونة لفلان لقاء مبلغ كذا من النقود. أمّا الحقول التي لم تكن معلّمة بهذه العلامات، فكانت قد بيعت في معظمها بسبب العجز عن تسديد قيمة الرهن

العقاري، أو عن دفع الفوائد المئوية في الموعد المحدد، وانتقلت إلى ملكية الأرستقراطي إذا كان المبلغ الذي تُباع به قطعة الأرض المرهونة لا يكفي الدين، أما إذا كان الدين لم يتحقق برهن فكان يتعين على المدين أن يبيع أولاده عبيداً في بلدان أخرى لكي يسدّد للدائن دينه، وكان باستطاعة الدائن الأرستقراطي أن يبيع المدين نفسه عبداً<sup>[١]</sup>. وهكذا انتقلت الأراضي كما يقول أرسطو: «إلى عدد قليل من الملاكين الكبار، أي ظهر ما يسمى باصطلاح (تكثيف الأراضي)، في حين كان الفلاحون يباعون هم ونساؤهم وأولادهم أرقاء وأقناناً»<sup>[٢]</sup>.

إنّ أفراد هذه الطبقات الثلاث كانوا يُعدّون من المواطنين رغم الاختلاف الكبير في حالتهم الاقتصادية، ورغم استئثار طبقة النبلاء وحدها بالوظائف الحكومية. وقد كان يحقّ للمواطنين جميعاً أن يشتركوا في مجلس الشعب (ECCLESIA)، ولكن هذا المجلس لم يكن له شأن كبير في عهد الحكم الأرستقراطي، وقلّما كان يجتمع ليصدّق على القوانين التي تُعرض عليه.

#### ٤. طبقة الوضعاء أو الموالى (THETES)

هذه الطبقة التي تأتي في نهاية السلم الطبقي الاجتماعي لأثينا، وهي محرومة من مجمل الحقوق السياسية والمدنية، وتتألف من الخدم الذين يعيشون ضمن نطاق الأسرة في المنزل ويلازمونها بالوراثة، وللأب (PATER)؛ أي ربّ الأسرة أو الولي (PATRON)، حقّ السلطة الثلاثية عليهم: سلطة السيّد، والقاضي، والكاهن. وكانوا يسمّون هؤلاء الخدم بأسماء تختلف باختلاف الأماكن، وأكثرها معرفة لنا اسم الموالى (CLIETS) أو الوضعاء (THETES). ولكن هذه الأوضاع للطبقات الاجتماعية المختلفة والعلاقات في ما بينها تغيّرت كثيراً في القرنين السابع والسادس ق.م بسبب التطوّرات السياسية والاقتصادية.

في هذه المرحلة انتهى النظام الملكي، وتغيّر الشكل الخارجي للحكومة أكثر مما تغيّر كيان المجتمع. وهذا التغير لم يكن من عمل الطبقات الدنيا التي كان من مصلحتها أن

[١]- أنجلس، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة الياس شاهين، دار التقدّم، موسكو ١٩٨٦، ص ١٤٥. وحول أحجار الرهن العقاري ورهن العقارات الزراعية وفوائد الديون الفاحشة، أنظر: خليل سارة، دراسات في الاقتصاد اليوناني القديم، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٨، ص ١٦٦ - ١٧٠.

[٢]- أرسطو، الدستور الأثيني ٢ / ١ - ٢، وبلوتارخوس، صولون ١٢١.



تهدم الأنظمة القديمة، بل من عمل الطبقة الأرستقراطية التي كانت تريد المحافظة عليها. فهي لم تعمل إذن، لتغيير نظام الأسرة العتيق، بل للمحافظة عليه. ولهذا السبب أزاحت الملكية. هذه الطبقة لم تقم بثورة سياسية إلا لتحول دون ثورة اجتماعية، ولم تقبض على السلطة من أجل الوصول الى مجتمع عادل،/ بقدر ما حاولت الإطاحة بطبقة أعلى منها لتترع هي على رأس الهرم. وأخيراً، التخلي عن جميع القوانين الخاصة التي أقامت الديانة الأولى، لأن حكم هذه الطبقة كان لا يزال قائماً على المولد والديانة التي كانت سنداً لها في حق الملكية المطلقة وتمنحهم حقوقاً مقدسة، لأنه، طبقاً للعقائد القديمة، لم يكن يستطيع أن يكون مالكا للأرض إلا من كانت له عبادة منزلية، ولا أن يكون عضواً في المدينة إلا من كان حائزاً في ذاته الصفة الدينية التي تخلق المواطن، ولا أن يكون كاهناً إلا من كان سليلاً لأسرة لها عبادة، ولا أن يكون حاكماً إلا من كان له الحق في القيام بالقرابين، والرجل الذي لم تكن له عبادة وراثية يجب أن يكون (مولي) أي خاضعاً لرجل آخر، أو يبقى خارج كل مجتمع<sup>[١]</sup>.

بقيت هذه الأوضاع الاجتماعية على حالها حتى فترة وصولون في أوائل القرن السادس ق.م، حيث كانت جميع السلطات في أيدي الطبقة الأرستقراطية، فكانوا هم وحدهم الكهنة، والأراخنة، والقضاة، ووحدهم الذين يعرفون القوانين التي لم تكن مكتوبة ويفسرونها كما يريدون، ويتناقلون صيغتها المقدسة من أب إلى ابن.

ورغم أن هذه الطبقة استماتت من أجل البقاء على هذه الصورة القديمة للنظام العشائري الأرستقراطي، إلا أن الخطر ظل جاثماً حولها، يهدد أركانها وأنظمتها القديمة التي بدأت تنهار، وأوشكت تغييرات خطيرة على الدخول إلى كيان المجتمع الإغريقي، وبدأت تمهد لثورة أعظم مسّت جوهر المجتمع وهزّت أركانه الأساسية القائمة على المعتقدات القديمة. فمن وجهة النظر الاجتماعية، ارتبط تطور الطبقة الدنيا ارتباطاً كلياً بالناحية الاقتصادية، ونشوء المدن، والتطور الاقتصادي، وسياسة الانفتاح، وتبدل الأفكار، وإنشاء المستعمرات، أدت بالضرورة إلى إضعاف سيطرة السادة النبلاء أمام أسرهم، نظراً للتنازل عن بعض حقوقهم التي كانت تقرها المعتقدات القديمة للمصلحة العامة وفقاً للقوانين والتطورات الجديدة،

[١]- فوستيل دي كولانج، ص ٣٤٧.



وبذلك نقصت مكانتهم في نظرهم ونظر مرؤوسيهـم، وبدأ رؤساء الأسر يحسبون حساباً للطبقات الدنيا نظراً لكثرة عددها، وبالتالي لم تلبث هذه الطبقات أن شعرت بأهميتها وقوتها، وتولّد فيها شعور بالشـم والتطلّع إلى مصير خير من مصيرها. إضافة إلى ذلك، فإنّ رؤساء الأسر وهم يتحاربون على النفوذ كانوا يسعون إلى نيل ثقة الشعب بهـم، فأخذوا يهملون سيادتهم المحليّة الصغيرة أو ينسونها، وأخذت هذه الأسباب تحدث نوعاً من التراخي في تكوين الأسرة، وكانت النتيجة أنّ من لهم مصلحة في المحافظة على هذا التكوين القديم للأسرة أصبحوا أقلّ تمسكاً به، ومن لهم مصلحة في تغييره أصبحوا أكثر جرأة وأشدّ قوّة<sup>[١]</sup>.

وأخيراً، نجحت الطبقة الدنيا، بعدما تحرّرت جزئياً من سلطة النبلاء، في أن يكون لها ديانتها، فصارت الأسر تصنع لنفسها موقداً، إمّا لأنّها تجاسرت على إيقاده من ذاتها، وإمّا لأنّها حصلت على النار المقدّسة من جهة أخرى، فأصبحت لها عبادتها وكهنتها على نمط الأسرة الأرستقراطية المقدّسة. إضافة إلى ذلك، يجب أن نشير إلى ما كان للشرق من فضل كبير في تصدير العبادات الشرقيّة إلى بلاد الإغريق بدءاً من القرن السادس ق.م، وهذا ما أكسب الطبقة الدنيا قوّة جديدة مكّنتها من صنع أشياء مقدّسة لنفسها شبيهة بآلهة الأسر الأرستقراطية، واستطاعت أن تعبد وتصلّي، وكان لذلك أهميّة كبيرة في مجتمع كانت الديانة تخلق فيه كرامة المواطن<sup>[٢]</sup>. وجاءت القوانين الجديدة لكي تعزّز هذه التغيرات، حيث أخذت على عاتقها تحديد الواجبات والالتزامات الإنسانيّة والعادلة التي تكفل حقوق كلّ الطبقات بصورة تختلف كلياً عن قوانين الحقّ الإلهيّ التي كانت سائدة في عهد النظام الأرستقراطيّ.

## رابعاً: القوانين الثوريّة ونظام الحكم الديمقراطيّ

### ١. قوانين دراكون (DRAKON)

إنّ احتدام النزاع بين جميع الطبقات، وتوتّر الأزمة الاجتماعيّة، وعدم وجود قوانين مدوّنة تكفل الحقوق القانونيّة لكلّ طبقة، والاكتماس السريع الذي بدأت بموجبه الطبقة الدنيا

[١]- فوستيل دي كولانج، ص ٣٥٣.

[٢]- المرجع نفسه، ص ٣٦٢.

تبرز إلى السطح وتأخذ مواقعها في مقاومة النظام الأرستقراطي، ونيل حقوقها السياسيّة والقانونيّة، ولا سيّما أنّ التسلّط الذي اتّسم به حكم الطبقة الأرستقراطيّة في أثينا انحرف انحرافاً متزايداً في مجال القضاء إلى خدمة أهوائها ومصالح أفرادها. كلّ ذلك أدّى إلى سخط متزايد بين صفوف الطبقات الأخرى، اضطرتّ معه الطبقة الحاكمة، تحت ضربات الطبقة الدنيا، إلى العمل على تدوين القوانين. وقد عُهد بهذه المهمّة إلى المشرّع (دراكون) في عام ٦٢١ ق.م، في وقت كان فيه النضال بين الطبقتين على أشدّه، ولم تكن الطبقة الأرستقراطيّة قد غلبت على أمرها حتى هذه الفترة التي كان هو فيها أحد المشرّعين الستّة، وأعطيت له سلطات واسعة في وضع القوانين التي يراها مناسبة.

اشتهر دراكون بمعرفته الواسعة بالشرائع الدينيّة السائدة، ولا سيّما في المسائل المتعلّقة بالتقاليد والحقوق العائليّة. وقد اقتصر عمله في الأساس على تنظيم وجمع وتدوين القوانين والأعراف التي لم تكن مدوّنة من قبل، وهي لم تعالج إلاّ جوانب محدّدة من مشاكل المجتمع الأثينيّ، إلاّ أنّها كانت في الواقع تطوّراً مهماً في حياة هذا المجتمع؛ فمن جهة أصبحت الجرائم تُعالج على أساس أنها اعتداء على المجتمع نفسه، لا إغضاب للآلهة فقط. وهنا يبرز دور القانون لأول مرة كأداة للتعامل داخل المجتمع الأثينيّ. من جهة أخرى، كان إصدار هذه القوانين في صالح الطبقات الدنيا، لأنّها بدأت تعرف مواقع أقدامها، وأنّ العلاقة بينها وبين الدولة من حيث هي طبقة معترف بها، من الآن فصاعداً، لا بدّ من أن تضبطها وتحكمها قوانين تبيّن الحقوق والواجبات وتوضح الحدود. وهكذا أصبحت الظروف مهيّأة لأن يخطو المجتمع الأثينيّ خطواته الأولى نحو الحكم الديمقراطيّ الشعبيّ.

إنّ الأفكار الجديدة التي جاء بها دراكون وابتعد فيها عن التشريعات القديمة، هي مكافحة الثأر، واستبدال الانتقام الشخصيّ بمبدأ العقوبة الاجتماعيّة، وإضعاف العصبيّة القبليّة؛ لأنّه حدّد درجات القرابة للأشخاص الذين يحقّ لهم دم القتل، ولم يسمح بالمصالحة على الدية بين أسرتيّ القاتل والمقتول إلاّ إذا اتّفقت كلمة جميع الأقارب، وكفي أن يخالف شخص واحد (كحقّ الفيتو) حتى يصبح من الضروريّ الرجوع إلى المحاكم.

ورغم أنّ قوانين دراكون كانت خطوة أوليّة أو تمهيدية نحو الإصلاح، فقد كانت متّفقة مع التشريعات القديمة في ثلاثة مبادئ رئيسية:

أ- إنّ هذه القوانين لم تمنح حقّ المقاضاة عن جريمة، إلّا لأقرباء القتل وأعضاء فصيلته<sup>[١]</sup>. من هنا، نستنتج أنّ الفصيلة أو الأسرة كانت لا تزال قويّة حتى تلك الفترة. ولم تكن تسمح للدولة بالتدخل في الاقتصاص من القاتل، فالإنسان كان لا يزال ينتمي إلى الأسرة أكثر من انتمائه إلى الجماعة أو الدولة.

ب- إنّ (حقّ الفيتو) ساعد على تقوية الروح الفردية، إذ صار كلّ عضو في الأسرة يشعر بقيمته الشخصية وحقّه في الاستقلال والرأي.

ج- إنّ هذه القوانين كانت ترى في كلّ هفوة إساءة للآلهة، وفي إساءة الآلهة جريمة لا تُغتفر، وكان قانون دراكون الأول هو (تمجيد آلهة البلاد وأبطالها وتقديم القرابين إليها كلّ عام من دون الخروج على الشعائر التي اتّبعتها الأسلاف)<sup>[٢]</sup>. كذلك كانت تنصّ على إقصاء المذنب عن المعابد، وتحرمّ عليه الاحتفالات الدينية، وكانت السرقة معاقباً عليها بالموت، لأنّها اعتداء على الآلهة.

هكذا كانت القوانين قاسية وصارمة جدّاً للأجيال التالية، حتى يقال إنّها كُتبت بالدم لا بالحبر، وصار يُضرب المثل بقسوتها، وانتقل اسمه دراكون إلى اللّغات الأوروبية الحديثة التي تعتبر فيها كلمة (DRAKONIAUE) مرادفة لصفة الشدّة. ويمكن الاعتقاد أنّه كان يقيم فاصلاً كبيراً بين الطبقات، لذلك كانت الطبقة الدنيا تُمقت مثل هذا القانون القائم على التشريع القديم، وطالبت بعد ثلاثين عاماً بتشريع جديد<sup>[٣]</sup>.

على أيّ حال، لم يكن من المستغرب أن تكلف الطبقة الارستقراطية شخصية من أفرادها لإجراء تلك التعديلات في القوانين، فدراكون لم يكن ليميل كثيراً نحو سلب امتيازات أبناء طبقته وسلطتهم.

[١]- ديموسينيس، ضد أورغوس ٦٨ - ٧١، ضد ماكاتاتوس ٣٧.

[٢]- ديموسينيس، ضدّ لبيتينس ١٥٨.

[٣]- خليل سارة، تاريخ الإغريق، إصدار جامعة دمشق ٢٠٠٦، ص ٤١٦.

## ٢. قوانين صولون (SOLON)

إذا كانت قوانين دراكون خطوة أولية في طريق الإصلاح ووضع القانون المكتوب، فإنها لم تكن كافية لإزالة مظاهر الاضطراب وحالة الفوضى، لأنها لم تبدل شيئاً من أساس النظام الاقتصادي والاجتماعي، ولم تتناول -كما ذكرنا سابقاً- إلا جانباً محدوداً من مشاكل المجتمع الأثيني؛ لأن الطبقة الأرستقراطية ما زالت قوية رغم الضربات المتكررة لها من قبل الطبقات الدنيا الآخذة في التقدم باتجاه التحرر والاستقلال. فالأسر الأرستقراطية الكبيرة لا تزال تتمتع بنفوذ عظيم في الاستيلاء على الأراضي الزراعية وتكثيفها في أيدي قليلة، بفعل انتزاع الأراضي الزراعية من أيدي المزارعين الصغار بسبب عجزهم عن دفع الضريبة السنوية لسادتهم والمقررة بخمسة أسداس المحصول، أو العجز عن دفع ديونهم المتراكمة وفوائدها الفاحشة لهؤلاء السادة. وفي حال لم تكن الأرض تفي بإيفاء الدين، كان هؤلاء المزارعين الصغار يسقطون في العبودية، أو يصبحون أقتاناً مرتبطين بالأرض يزرعونها لمصلحة النبلاء. ومن جهة أخرى، فإن ازدياد الأرقاء، سواء من طبقة المزارعين أم بالاستيراد من المستعمرات، ساعد أصحاب الورش الصناعية الكبيرة على الاستغناء عن العمال الأحرار الذين كانوا يفقدون مورد رزقهم الضئيل، فيسقطون في العبودية، ويصبحون أقتاناً أرقاء.

وإزاء هذه الأوضاع الاجتماعية السيئة للطبقات الدنيا في نهاية القرن السابع ق.م، رفعت هذه الطبقات شعارات تنادي بضرورة قيام ثورة دموية عنيفة، وإعادة تقسيم الأراضي، وإلغاء الديون، وتحرير المستعبدين، وأصبح النزاع بين الطرفين أمراً محتتماً وينذر بثورة اجتماعية خطيرة. ويقول بلوتارخوس في وصف هذه الحالة: «إن الفوارق في الثروة بين الأغنياء والفقراء كانت قد بلغت متنهاها، وأن وضع البلاد أصبح في خطر داهم، وأنه لم يكن في الإمكان إنقاذها من مثل هذه الحالة إلا بفرض سلطة استبدادية»<sup>[١]</sup>.

ويصف أرسطو أيضاً تلك الفترة بقوله: «كانت الديون تُقترض بضمان شخص المدين، والأرض في أيدي قليلة، والأكثرية رقيق للأقلية، فنار عامة الشعب ضد الطبقة العليا، واقترب الصراع الطبقي بالعنف، واستمرت المواجهة بين كلا الحزبين المتناحرين زمناً طويلاً، إلى أن توصلوا إلى اتفاق بينهما على اختيار صولون حكماً وحاكماً (Archon)، وعهدوا إليه

[١]- بلوتارخوس، صولون ٢٩ - ٣٠.

بأمر الدولة في بداية القرن السادس ق.م، وتحديدًا (عام ٥٩٤ ق.م)»<sup>[١]</sup>.

كان القرن السادس ق.م عصر تدشين القوانين الثورية، ومنه بدأت الانطلاقة الأولى بالاتجاه المباشر نحو الحكم الديمقراطي الشعبي. وكان ذلك على يد الحكيم الإغريقي (صولون) الذي كُلف بمواجهة هذه الأوضاع الصعبة بين الطبقتين المتناحرتين (الدنيا والأرستقراطية)، ومُنح صلاحيات استثنائية لإحداث ما يرى من تشريعات. ويبدو أنه كان مؤهلاً لمثل هذه المسؤولية من حيث الخبرة ووضع في المجتمع. ويصفه أرسطو في عبارة مشهورة قائلاً: «بأن صولون كان من حيث النسب والمكانة أرقى رجال المجتمع، ولكن من حيث الثروة ومجال العمل هو من الطبقة الوسطى»<sup>[٢]</sup>. وهنا لا ينبغي أن نفهم من تعبير الطبقة الوسطى ما هو مفهوم الآن، بل ما يقصده أرسطو هو أن صولون لم يكن من كبار ملائكة الأرض، وإنما ينتمي إلى فئة التجار الجدد الذين حققوا ثروتهم بواسطة التجارة الخارجية.

من جهته يقول بلوتارخوس: «إن صولون بدد ثروة الأسرة في أعمال الخير ومساعدة الآخرين مما دفع به إلى إعادة بناء الثروة بواسطة التجارة الخارجية، ولا سيما مع مصر»<sup>[٣]</sup>. ولما عاد إلى أثينا واستقر فيها لفت إليه الأنظار بأشعاره (لكونه شاعراً) التي استخدمها للدعاية وشرح آرائه في أوضاع البلاد السياسية والاجتماعية، وكان يبين لمواطنيه أنه يجب أن تتماشى الأنظمة السياسية في المستقبل مع حاجات كل عصر وأخلاقهم ومنافعهم، إذ لم يعد الأمر حقيقة مطلقة، وأصبح من الواجب أن تكون قواعد الحكومة من الآن مرنة ومتغيرة.

كان صولون أحد حكماء الإغريق السبعة، وأحد الرجال الذين يجمعون بين الفكر والعمل معاً. وكان يستطيع أن يصبح دكتاتوراً مطلق السلطة، ولكنه فضل أن يقوم بدور الحكم بين الطبقات والأحزاب، وجعل همُّه الوحيد التوفيق بين مصلحة المواطنين ومصلحة الدولة وتعزيز الثقة الكاملة بين الطرفين، وصمم على أن يسير في هذه الطريق التي رسمها لسياسته رغم كل العراقيل التي واجهها، بما أصدره من قوانين تكفل العدالة بين مختلف الطبقات والأحزاب.

[١]- أرسطو، الدستور الأثيني ١/ ٥ - ٢، بلوتارخوس، صولون ١٣ - ١٤.

[٢]- المصدر السابق ٣/ ٥.

[٣]- بلوتارخوس، صولون ١/ ١، ١/ ٢، ١٦/ ٢، ٢٢/ ٣، ١/ ٢٦، أرسطو، الدستور الأثيني ١/ ١، وأشار هيرودوت ٢/ ١٧٧ إلى صلة صولون بمصر، وأنه اقتبس قانوناً للملك أمازيس يلزم كل مواطن بأن يتقدم كل سنة ببيان مصدر رزقه، وأنه يحيا حياة شريفة، ومن لا يفعل ذلك جزاؤه الموت.

ويجب الإشارة، قبل أن نتحدث عن قوانينه وتفصيلاتها، إلى ملاحظة جديرة بالاهتمام جداً، وهي أن تلك القوانين تختلف كلياً عن القوانين والشرائع القديمة السائدة التي كانت تعتمد عليها الطبقة الأرستقراطية، ونرى أنها تطابق ثورة اجتماعية كبيرة، وأنها كانت واحدة للجميع ولم تقرر تفريقاً بين النسيب والوضع، بل إن هذه الألفاظ لا وجود لها في أي مادة من مواد قوانينه، وهو يفاخر في أشعاره بأنه كتب القوانين لمختلف الطبقات والأحزاب على حدٍّ سواء.

وثمة ملاحظة أخرى، هي أن صولون قلب الأوضاع الاجتماعية رأساً على عقب، منطلقاً من أن القوانين ليست مطلقة وغير قابلة للتحوير أو التغيير، بل تتغير وتشكل ككل عمل إنساني، فلكل مجتمع قانونه الذي يتكوّن ويتطور معه ويتغير مثله، يتبع دائماً حركة أنظمتها وعباداته وعقائده. من هنا، يظهر لنا لأول وهلة أن القانون أصبح علنياً ومعروفاً للجميع، لم يعد ذلك النشيد المقدس الخفي الذي يتناقلونه من عصر إلى عصر بذلك الاحترام الورع، والذي كان يكتبه الكهنة من دون سواهم، ولا يستطيع أن يعرفه غير رجال الأسر المقدسة.

مع صولون خرج القانون من كتب الشعائر وأسفار الكهنة، وأصبح لغة يستطيع كل فرد أن يقرأها ويتكلمها، لأنه أصبح يتلقّى سلطانه من الشعب، والشعب هو الذي خلع على صولون عمل القوانين. لم يعد القانون يمثل الآلهة، بل الإرادة الشعبية، وأصبح مبدؤه منذ ذلك الوقت مصلحة الشعب، وأساسه موافقة العدد الأكبر منهم<sup>[١]</sup>.

ومن أجل تبسيط دراستنا لإصلاحات صولون، يجدر بنا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية، هي: الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وسنعرّض إلى كل قسم من هذه الأقسام على حدة.

### أ. الإصلاحات الاجتماعية:

بدأ صولون عمله بإعلان العفو العام لتصفية الماضي، فسمح للمنفين بالعودة إلى وطنهم، وأعاد إليهم حقوقهم المدنية -عدا الذين حُكم عليهم بجرم القتل- ثم ألغى جميع الديون سواء أكانت للأفراد أم للدولة، وأعاد الأملاك المرهونة إلى أصحابها، وحرّر الأفراد

[١]- فوستيل دي كولانج، ص ٤١٨.

الذين كانوا قد أصبحوا أقناناً مرتبطين بالأرض بسبب عجزهم عن تسديد ديونهم، وأعاد الحرية إلى الذين كانوا قد يبعوا إلى البلاد الخارجية، ثم أصدر قانوناً يحرم فيه استعباد أي شخص في المستقبل مقابل دين يعجز عن تسديده، وبذلك وضع مبدأ الحرية الشخصية الذي أصبح أحد دعائم الديمقراطية في أثينا.

لقد سعى صولون في قوانينه للحيلولة دون (تكثيف الأراضي الزراعية) في أيدي أفراد قلائل، وكان ذلك بفعل عمليتين اثنتين:

١- انتزاع الأراضي الزراعية من أيدي المزارعين الصغار الذين يعجزون عن دفع ديونهم، وانتقالها إلى قلة قليلة من السادة النبلاء مقابل استرداد دينهم.

٢- حقّ البكورة وحصر الإرث والأموال المنقولة وغير المنقولة بالابن الأكبر وحده من دون سواه من الأخوة الصغار.

في العامل الأول: لم يندفع بفعل سياسة الاعتدال التي انتهجها في سياسته العامة، مع دعاة الثورة المتطرفين الذين كانوا يطالبون بإعادة تقسيم الأراضي، فكان يعتبر مثل هذا العمل مخالفاً للعدالة، وأنّ الإقدام عليه قد يؤدي إلى حرب أهلية طاحنة تعيد البلاد إلى سابق عهدها من الاضطراب والفوضى وحالة عدم المساواة. ولكنّه وضع حداً لسيطرة أثرياء الطبقة الأرستقراطية، وحال دون استئثارهم بخيرات البلاد. ويؤكد ذلك أرسطو بقوله: «لقد انطوى شرع صولون، وانطوى شرع غيره على منع أفراد الأمة من اقتناء ما شاؤوا من الأراضي»<sup>[١]</sup>.

وأما العامل الثاني: وهو حق البكورة، فكان لا يزال نافذاً حتى زمن صولون، فالقوانين القديمة كانت تقيم فارقاً بين الابن الأكبر والابن الأصغر. وفي ذلك يقول أحد القدماء: «إنّ الابن الأكبر ولد للقيام بالواجب نحو الأسلاف، وولد الآخرون من الحب»<sup>[٢]</sup>. فكان الابن الأكبر هو الوارث للعبادة، والوارث الوحيد للأموال، ويستحوذ على الميراث كلّ، أمّا الأخوة الآخرون فكانوا تحت سلطته كما كانوا يعيشون تحت سلطة والدهم. ومن

[١]- أرسطو، السياسة ٢، ٤، ٤، ١٢٦٦ ب.

[٢]- فوستيل دي كولانج، ص ٤١٨.

خلال الأنظمة السياسيّة التي درسها أرسطو، بينَ بصورة قاطعة أنَّ عدد الأنصبة من الأرض كان ثابتاً، أي كان يقضي بعدم القسمة بين الأخوة<sup>[١]</sup>. ولما جاءت قوانين صولون خالفت هذه القوانين القديمة، وكانت تقول في عبارات صريحة: «يقتسم الأخوة الميراث». ولكن يجب ألا نفهم من ذلك تلك القسمة المتساوية بين الأخوة؛ لأنَّ قانونه كان لا يزال يظهر فيه بعض التفضيل للابن الأكبر، وبعض اللاّعدالة في تقسيم الميراث؛ لأنَّ القسمة المتساوية بين الأخوة لم تحدث طفرة واحدة، وإنما كانت تدريجيّاً على مرّ الزمن. وفي هذه النقطة خصوصاً لم يتعد قانونه عن التشريع القديم إلى الحدّ الذي يعطي فيه الأخت نصيباً من الميراث، إذ يقول: «تحدث القسمة بين الأبناء»<sup>[٢]</sup>، أي من الذكور فقط.

وكانت القوانين القديمة قد منحت الوالد سلطة أبويّة مطلقة، وأعطته حقوقاً وواجبات عدّة كالسماح له ببيع ابنه أو قتله<sup>[٣]</sup>. لكن صولون وضع حدوداً لهذه السلطة تمثلياً مع الأخلاق الجديدة<sup>[٤]</sup>، وإن لم تصل تعديلاته إلى حدّ القضاء على مظاهر الزدراء للإبنة، فحرّم على الأب أن يبيع ابنته إلا إذا ارتكبت خطيئة فاحشة، وكان التحريم نفسه يحمي الابن، وسمحت للابن عند بلوغه سنّاً معيّنة أن يتخلّص من السلطة الأبويّة المطلقة. وفي ما يختصُّ بالمرأة لم تحصل تعديلات هامّة من قبل صولون؛ إذ ظلّ متفقاً مع القوانين القديمة عندما حرّم عليها أن توصي بثروتها، وأن ترث والدها، وهي متزوجة أو غير متزوجة، وإن كانت ترث، فإن إرثها هو مجرد الانتفاع بالثمار<sup>[٥]</sup>؛ على أن صولون ابتعد عن القوانين القديمة، عندما سمح لها باسترداد بائنتها<sup>[٦]</sup>.

وكانت هناك تجديدات أخرى في القوانين، فإذا كان دراكون قد منح أسرة المجني عليه حق المقاضاة من أجل الجريمة، فإن صولون منح كلّ مواطن ذلك الحق<sup>[٧]</sup>.

[١]- أرسطو، السياسة ٢، ٩، ٧، ١٢٧٤ ب.

[٢]- إيسايوس، ميراث أبولودوروس ٢٠، ميراث بيرهوس ٥٤، ديموسينيس ضد ماكاتارتوس ٥١، البائنة.

[٣]- فوستيل دي كولانج حول السلطة الأبويّة المطلقة ١١٦ - ١١٩، بلوتارخوس، صولون ١٣.

[٤]- بلوتارخوس، صولون ٢٣.

[٥]- فوستيل دي كولانج، ص ٩٨.

[٦]- إيسايوس، ميراث بيرهوس ٨ - ٩، ٣٧ - ٣٨.

[٧]- بلوتارخوس، صولون ١٨.



## ب. الإصلاحات الاقتصادية

لقد أدرك صولون، بفضل تجاربه الشخصية وخبرته العملية، أنَّ جميع الإصلاحات القضائية والاجتماعية والسياسية لا فائدة منها إذا لم يرافقها إصلاح اقتصادي. وفي الحقيقة ليس في الاستطاعة المحافظة على التوازن والسلام بين الطبقات إذا لم تكثر الثروة العامة وتوزَّع بأكثر ما يمكن من العدل بين مختلف الطبقات، ويطمئنَّ الجميع إلى ضمانة مصالحهم المادية. نستدلُّ على ذلك من خلال أشعار صولون التي تشير إلى اهتمام بالغ بأحوال المجتمع الأثيني في عصره، وهو ما أكسبه شهرة وشعبية بين معاصريه على اختلاف انتماءاتهم الطبقيَّة. ويتَّضح من بعض أشعاره أنَّه كان له موقف محدَّد من الأزمة القائمة وأسبابها، فكان عادة يوجِّه اللوم إلى الأثرياء، لأنَّهم السبب في الصراع، مثل قوله:

«وأما أنتم فهدئوا في حشاكم قلباً جائشاً

يا من بلغتكم وفرة الخيرات حدَّ الكظة والبشم

ميلوا بذهنكم العاتي صوب الاعتدال

فنحن لن ندعن لكم

وصروف الدهر لن تستقيم كلُّها لكم»<sup>[١]</sup>

بمثل هذه الخلفية، تصدَّى صولون لأعباء مهمَّته الصعبة. ويتَّضح منذ البداية أنَّه أدرك أنَّ الأزمة اقتصادية في أسبابها، فبدأ بمهاجمة أصل الداء، وهي مشكلة الديون، وأصدر في ذلك قانونين ثوريين هما:

أ- منع أن تكون الديون بضمان شخص المدين فوراً وفي المستقبل.

ب- ألغى وأسقط جميع الديون القائمة العامة والخاصة.

وكان لهذين القانونين ردُّ فعل قويٌّ في المجتمع الأثيني، فالأول حرَّر الكثرة الفقيرة من الأثينيين من الخوف الذي كان يتهدَّدهم بالتحوُّل إلى العبودية، وهو ما كانوا قد تعرَّضوا له فعلاً قبل صدور قانون صولون، وهكذا لم يعد ممكناً أن يتحوَّل الأثينيُّ الحرُّ إلى العبودية في وطنه.

[١]- أرسطو، الدستور الأثيني ٢/ ٥، ٦، ٨، ٥/ ٣ - ٥.

ثم جاء القانون الثاني مكملاً للأول، لأنّه أدى إلى تحرير المواطنين والأرض معاً، وذلك عن طريق إلغاء جميع الديون القائمة وإبطال كلّ ما ترتّب عليها. والمقصود بالديون العامّة: الضرائب المتأخّرة المستحقّة للدولة من الأفراد على ما لهم من أرض وممتلكات. فبسبب عجز أصحابها عن دفع ضرائبها، كانت أراضي كثيرة مهدّدة بالمصادرة، ثم البيع عادة للأثرياء. أما الديون الخاصّة فهي التي بين الأفراد، وكثير منها كان بضمان ما يمتلكه المدين من أرض أو بضمان شخصه. ويُعدّ هذا القانون من أخطر ما صدر من قوانين في التاريخ القديم، وقاومه أصحاب الأموال مقاومة عنيدة، ولكن يُعتقد أنّه كان الحلّ الوحيد للمشكلة القائمة، وأُطلق عليه وصف (رفع العبء) عن كاهل المجتمع (SEITHACHEIA). وقد افتخر به صولون في إحدى قصائده قائلاً:

«أرضنا الغبراء، تلك

الأرض التي انتزعت من حدودها الأوتاد

المغروسة، والمستعبّدة من قبل، والحرّة الآن

وأعدت إلى أثينا، إلى الوطن الذي أسّسته الآلهة

أناساً كثيرين، بيع بعضهم ظلماً وبعضهم بحق

واضطرتهم الفاقة إلى الهجرة

فلم يعودوا يتقنون لغة الأتيكي»<sup>[١]</sup>

في ظلّ هذا التفكير والتقليد السائد كان العمل السياسيّ أيضاً منظّماً حسب القبائل، ولا يتقاضى من يقوم به أجراً، إلّا أنّ صولون رأى أنّه يجب أن يكون لكلّ من يتصدّى للعمل السياسيّ ثروة مناسبة تمكّنه من التفرّغ للسياسة ومناصبها ومجالسها، وهكذا أصبح لكلّ منصب نصاب ماليّ يشترط توافره في من يتقدّم للترشيح لتوليّ المنصب. وفي ظلّ الوضع الذي أقرّته قوانين دراكون، قسّم صولون الأثينيين بشكل قانونيّ إلى أربع طبقات أو فئات ماليّة، ذلك عندما لم يكن قانوناً، بل مشروع قانون، على النحو التالي:

[١]- أرسطو، الدستور الأثيني ١٢/ ٤، ٥ - ١١.

١- الطبقة الأولى: فئة خمسمئة مديمنوس، وهم من يملكون أرضاً أو عملاً يحقّق لهم عائداً سنوياً بهذا القدر أو ما يعادله على الأقل.

٢- الطبقة الثانية: فئة الفرسان، وهم من يملكون أرضاً أو عملاً يحقّق دخلاً سنوياً بين ٥٠٠ - ٣٠٠ مديمنوس.

٣- الطبقة الثالثة: أطلق عليها اسم (زيوجيتاي)، وهم أصحاب دخل سنويّ بين ٣٠٠ - ٢٠٠ مديمنوس. وقد سمّى الأثينيون هذه الطبقة طبقة (أصحاب النير) على أساس أنّ الأرض التي تنتج هذا القدر من الدخل يلزم لفلاحتها على الأقلّ زوج من الماشية وشدهما إلى المحراث بالنير الخشبيّ (ZEUGOS) الذي يوضع معترضاً على رقبتيهما لتوثقاً فيه.

٤- الطبقة الرابعة: فئة أطلق عليها اسم (تيتس)، وهم من لهم دخل سنويّ أقلّ من ٢٠٠ مديمنوس<sup>[١]</sup>.

وبفضل هذا التشريع الذي لم يربط بين الدخل السنويّ وبين الأرض، تركه صولون مفتوحاً لأيّ مصدر من مصادر الدخل، بصرف النظر عن مصدر هذا الدخل، سواء أكان من الأرض أم من التجارة.. وأصبح بإمكان الطبقة التجاريّة الصاعدة أن تشترك -كلّ حسب ثروته- في المناصب التنفيذيّة للدولة، وفي الجهاز الإداريّ بها، إلى جانب أفراد الطبقة الأرستقراطيّة القديمة.

إنّ مثل هذا التقسيم الجديد، كان ثورة كبيرة للطبقات الدنيا، وفتح الطريق أمامها للوصول إلى المناصب العليا وقيادة الدولة؛ لأنّه أصبح معروفاً بجلاء واضح، أنّ قانون صولون الجديد لم يعد يحسب حساباً ما لحقوق المولد، وبموجبه اختفت سيادة النساب، فلم يعد النسب شيئاً ما من وجهة نظر القانون إلّا إذا كان ثرياً. وتكمن ذروة هذا الانقلاب الاجتماعيّ في أنّ قيمة النسب أصبحت في ثرائه لا في مولده. ومن هنا أصبح باستطاعة طبقة التجار الأثرياء الصاعدة من قلب الطبقة الدنيا، أن تتبوأ مكانتها القياديّة والسياسيّة، وأنّ تتهيأ لأن تكون النواة الرئيسيّة لنظام سياسيّ مستقبليّ أوسع وأشمل.

إزاء هذا التقسيم، كانت مناصب الحكم والقضاء قاصرة على الفئتين الأولى والثانية

[١]- لطفني عبد الوهاب يحيى، ص ١٢٧.

فحسب، وفق النصاب المحدد لكل فئة، أما الفئة الثالثة (زيوجيتاي) فهي أقل الطبقات التي سُمح لها بالجندية وعضوية الجمعية العامة (الإكليزيا)، وأما الفئة الأخيرة (تيتس) فكانت محرومة من الخدمة العسكرية ومن المشاركة في الحياة السياسية.

وكانت امتيازات الأفراد وواجباتهم والضرائب المفروضة عليهم متناسبة ومقدار دخلهم. فكان أفراد الطبقة الأولى يدفعون ضريبة تبلغ (١٢) في المئة، وأفراد الطبقة الثانية (١٠) في المئة، وأفراد الطبقة الثالثة (٥) في المئة، وأفراد الطبقة الرابعة لا يدفعون أيّ ضريبة مباشرة.

ومن هذا المبدأ، اتخذ صولون مبدأ الإنصاف والعدل وإقامة التكافؤ بين مختلف الطبقات، بأن فرض الضرائب على كل طبقة بما يتناسب ودخلها السنوي أو ملكيتها العقارية. والأهم إلغاء الضريبة على الطبقة الرابعة ذوي الدخل المحدود بكل أشكالها.

وفي سبيل تنشيط الحركة الاقتصادية قام صولون بتنظيم المكايل والموازين، وسك عملة جديدة خاصة بأثينا. ويقول بلوتارخوس: «إنه قد خفّض قيمة العملة النقدية فعَدَّ كلَّ (٧٣) دراخمة قديمة مساوية لمئة دراخمة جديدة، وقد نقصت بذلك الديون (٣٠) في المئة من دون أن يخسر الدائنون شيئاً»<sup>[١]</sup>. وتجدر ملاحظة أن تغيير نظام النقد قد ساعد على انتقال مواطنين كثير من طبقة أدنى إلى طبقة أعلى، لأن تعيين طبقة الأفراد قد أصبح حسب دستور صولون تابعاً لمقدار الدخل السنوي. وإذا لاحظنا أنه قد بدّل نظام المكايل والموازين وخفّض بذلك مقدار المحصول المقرّر لأفراد الطبقة الأولى من (٣٦٣ إلى ٢٥٨) هكتوليتراً، وللطبقة الثانية من (٢١٨ إلى ١٥٥) هكتوليتراً، وللطبقة الثالثة من (١٤٥ إلى ١٠٣) هكتوليتراً<sup>[٢]</sup>؛ يتبين لنا مدى ازدياد عدد الأفراد الذين يحقّ لهم الاشتراك في الحكم.

ولم تمض مدة طويلة حتى استغني عن تقدير الثروة حسب المحصول الزراعي، فصار يُعدُّ من الطبقة الأولى كلُّ من بلغ دخله السنوي خمسمئة دراخمة بدلاً من خمسمئة مكيال، ومن الطبقة الثانية إذا بلغ ثلاثمئة دراخمة إلخ.

ومع هذا التمييز بين المواطنين حسب الثروة، قضى تصنيف صولون على النظام القديم

[١]- بلوتارخوس، صولون ٢٦ / ١.

[٢]- محمد كامل عياد، ص ٢٣٣.

الذي استند إلى العصبية القبليّة، وحصر السلطة في الأسر النبيلة. وإلى تشريعه يرجع الفضل في تحرير الفلاحين من العبوديّة، وبذلك نشأت في أتيكا طبقة من المزارعين يملك كلُّ منهم الأرض التي يفلحها، وشجّعهم ذلك على زراعة أشجار الزيتون وتصدير زيتها.

ومن هؤلاء المزارعين كانت تتألف جيوش أثينا التي صدّت الغارات الفارسيّة، واستطاعت أن تحافظ على استقلالها وحرّيّتها لمدة طويلة قبل أن تنهار أمام المدّ الرومانيّ، ويمكننا أن نعرف مدى توزّع الأراضي بين السكان من الإحصاء الذي أُجري بعد الحروب البلوبونيزيّة، عندما اقترح بعضهم اقتصار حقّ الانتخاب على الذين يملكون أرضاً، فقد تبين أنّه لم يكن في أتيكا كلّها سوى خمسة آلاف مواطن لا يتوافر فيهم هذا الشرط<sup>[١]</sup>.

لقد بذل صولون ما في وسعه ليجعل من أثينا مركزاً صناعياً، فالثروة في رأيه هي أول احتياجاتها، وأفضل طريقة لجمع هذه الثروة هي خارجيّة، أي بوساطة البضائع وجذب نشاط التجار والصنّاع الأجانب. فلذلك لم يستطع صولون مقايضة هذه الثروة بما تنتجه أثينا من منتجات زراعيّة؛ لفقر تربتها وعدم كفايتها للسكان بل بالمصنوعات. وهنا تكمن الصعوبة، فإذا كان فيها الكثير من الخامات: الرخام من جبل (بنتليكوس)، والفضّة من جبل (لاوريوم)، وأنواع من أجود صلصال الإغريق اللازم لصنع الأواني، فإنّه لم يكن فيها من الأيدي ما يكفي لصنعها، فهي كانت بحاجة إلى المزيد من الصنّاع المَهرة، لذا عمل صولون على تشجيع هجرة الصنّاع الأجانب وكان أحد أركان الزاوية في سياسته الاقتصاديّة<sup>[٢]</sup>.

لقد أراد مستوطنين أجانب يمكنهم في أثينا ليزيدوا ثروتها، لا جامعي ثروة، يجمعون الأموال ثم يعودون إلى أوطانهم، وأصدر القوانين الخاصّة التي تسهّل هجرة الصنّاع الأجانب، ومن أهمّها إعطاء حقّ المواطنة الأثينيّة لكلّ أجنبيّ مقيم في أثينا يمارس الصناعة.. وهكذا كما يقول بلوتارخوس «غصّت المدينة بأشخاص تجمّعوا من كلّ الجهات، ومردّد ذلك إلى الاطمئنان العظيم الذي أظّل أثينا»<sup>[٣]</sup>. وبدأ صولون بتوجيه الناس إلى الفنون والصناعات، ولهذا

[١]- ليسياس، المدخل، ٣٢.

[٢]- بلوتارخوس، صولون، ٢٤.

[٣]- المصدر نفسه، ٢٢.

الغرض سنَ قانوناً ينصُّ على أنَّ «الابن ليس مضطراً لأن يعول أباه ما لم يكن علَّمه حرفة»<sup>[١]</sup>. وبفضل إصلاحات صولون الاقتصادية استطاعت أثينا أن تتقدَّم في الصناعة والتجارة، وتحتلَّ المقام الأول بين جميع الدول في البحر المتوسط. فنظام الحكم الجديد الذي قضى على الامتيازات القديمة، قد شجَّع على تقدُّم العلوم والفنون وانتشار الثقافة وازدهار الحضارة، ومهَّد السبيل للعصر الذهبيِّ في تاريخ الإغريق.

بالمجمل، فإنَّ إصلاحات صولون، بشكل أو بآخر، كانت تنظر إلى «المواطن» الأثينيِّ بالدرجة الأولى، فكان تعطيه الامتيازات على سائر الأجانب، وكان «انصاف» الأجنبيِّ بمقدار ما يقدم من خدمات للمجتمع الأثيني، فالمطلوب إغناء أثينا، لا تحصيل الأجنبيِّ للثروة.

### ج. الإصلاحات السياسيَّة:

تقبَّل صولون الأساس القبليَّ والتقسيم الماليَّ للمواطنين كما كانا من قبل، لكنَّه تدخلَ بالتغيير والإصلاح في اتِّجاه ديمقراطيٍّ واضح للوضع السياسيِّ للطبقة الدنيا أولاً، ثم بالنسبة إلى طريقة التعيين للمناصب المختلفة على نحو يضعف من قيود حكم الأقلية السائدة ثانياً.

أما الطبقة الدنيا (التيثس) فبعدما حرَّرها اجتماعياً بقوانينه في مشكلة الديون، خطا خطوة نحو تحريرها سياسياً أيضاً، بإدخال أبناء هذه الطبقة جميعاً أعضاء في الجمعية الشعبية (الإكليزيا) من دون أيِّ قيد ماليٍّ. وهكذا أصبحت هذه الجمعية الشعبية تضمُّ لأول مرةً مجموع المواطنين الأثينيين على قدم المساواة بغير استثناء، لا فرق بين غني وفقير. وقد عهد صولون إلى هذا المجلس بمهمَّة انتقاء الحكَّام الذين كان ينتخبهم في السابق مجلس الشيوخ. وكان جميع الموظَّفين مسؤولين أمام هذا المجلس الذي يستطيع معاقبة أيِّ موظف، والذي يحقُّ له أن يحاسب الحكَّام والقوَّاد عند انتهاء مدَّة عملهم، وأن يحرمهم من أن يصبحوا أعضاء في مجلس الشيوخ.

ثم ألحق بهذا القانون تشريعاً آخر أنشأ بمقتضاه محاكم شعبية جديدة (HELIAEA) تتكوَّن من محلِّفين يبلغ عددهم ستة آلاف عضو، يُختارون من مجموع المواطنين في

[١]- بلوتارخوس، صولون، ٢٢.

الإكليزيا بالقرعة، حسب تنظيم القبائل الأربع. ويُعدُّ إنشاء المحاكم الشعبية خصوصاً خطوة ثورية؛ لأنَّ القضاء من قبل كان شديد الارتباط بالأرستقراطية. وقد لاحظ أرسطو ذلك فقال: «إنَّ تكوين المحاكم الشعبية بهذا الأسلوب، زاد من ثقة العامة بأنفسهم، وإنَّه أكثر إصلاحات صولون ديمقراطية، رغم أنَّه لم يسمح لهم بتولي أيِّ من مناصب الحكم والإدارة التي جعلها وقفاً على الطبقات الثلاث العليا»<sup>[١]</sup>.

والمناصب العليا مثل الأراخنة وأمناء الخزنة التي كانت تنتخبهم الإكليزيا قبل صولون من بين أفراد الطبقة الأولى، أبقى لها وضعها الاجتماعي في الطبقة نفسها - فئة الخمسمئة مديمونس - مع تعديل في طريقة الاختيار. فقد أدخل مبدأ القرعة في التعيين لمعظم المناصب من بين مرشحين سبق انتخابهم في القبائل الأربع. وفي ما تعلَّق بالأراخنة التسعة كانت كلُّ قبيلة تنتخب عشرة مرشحين، ثم يختار بالقرعة تسعة من بين الأربعين مرشحاً من مجموع القبائل الأربع<sup>[٢]</sup>.

قد يبدو لنا استخدام مبدأ القرعة في التعيين لمنصب الحكم غريباً، وقد يقول قائل: إنَّه قد يأتي لمنصب الحاكم بشخص غير مناسب، وبطبيعة الحال كان الأثينيون مدركين هذه الحقيقة. ولذلك احتاط صولون لمثل هذا الاحتمال، بأن جعل مرحلة القرعة تأتي بعد مرحلة الانتخاب المباشر في كلِّ قبيلة. ومن الغريب أن نجد الحركة الديمقراطية في أثينا تتحمَّس في المستقبل لتعميم مبدأ القرعة بوصفه مبدأ ديمقراطياً، ويفضِّلونه على مبدأ الانتخاب الذي نظروا إليه على أنَّه مبدأ أرستقراطي. ولعلَّ السبب في ذلك أن عملية التصويت والانتخاب تتأثَّر عادة بعوامل النسب والمكانة الاجتماعية، في حين يخفي أثرها في نظام القرعة. وهكذا يمكن أن يُقال: إن صولون رغم إبقائه الأرخونية في الطبقة العليا، أضعف بإدخال نظام القرعة في المرحلة الثانية من سيطرة الأسر القويَّة<sup>[٣]</sup>.

وفي مجلس الشورى (BOULE) يقول أرسطو: «إنَّ صولون أسسه من ٤٠٠ مئة عضو من كلِّ قبيلة، ومن المحتمل أن هذا المجلس قديم، حافظ صولون عليه كما هو من دون تغيير

[١]- بلوتارخوس، صولون، ١٨ / ٢.

[٢]- أرسطو، الدستور الأثيني، ١ / ٨.

[٣]- مصطفى العبادي، ديمقراطية الأثينيين، مجلَّة عالم الفكر، العدد الثاني، ديسمبر، ١٩٩٣، ص ٩٧.

يُذكر، فالاختيار استمرَّ بالقرعة من الطبقات الثلاث العليا، ومهمته هي إعداد الموضوعات التي تُعرض على الإكليزيا»<sup>[١]</sup>.

وكذلك كان صولون محافظاً في أمر أهم هيئة سياسية في أثينا، نقصد بذلك مجلس الشيوخ (AREOPAGOS) معقل الطبقة الأرستقراطية، فظلَّ تكوينه من أفراد الأسر الكبرى العريقة، إضافة إلى من سبق لهم توليَّ منصب الأرخونية، وكانت العضوية فيه مدى الحياة، فأبقى له وضعه المتميز بوصفه المسؤول عن الدستور وسلامة تطبيقه، وظلَّ الهيئة المسؤولة عن مناقشة وإقرار أهمِّ شؤون الدولة، وظلَّت له صلاحيات مطلقة في محاكمة المخالفين للنظام العام وإصدار الأحكام النهائية عليهم. وأصدر صولون قانوناً خاصاً بمحاكمة وإدانة كلِّ من يحاول من أصحاب المناصب حرمان الشعب من حقوقه السياسية. ويبدو أنَّ الهدف من هذا القانون هو جعل مجلس الشيوخ مسؤولاً عن مقاومة ومنع الزعماء الطموحين من قيام حكم الطغاة في أثينا<sup>[٢]</sup>.

يتَّضح من التشريع الأخير مقدار القلق الذي شعر به صولون من احتمال قيام طاغية في أثينا، ولذلك احتاط بدعم مجلس الشيوخ في هذا الشأن. ويبدو أنَّ شبح قيام طاغية كان ماثلاً بشدَّة في تفكير صولون، فلم يقنع بتكليف مجلس الشيوخ بمسؤولية مقاومته، وأصدر تشريعين آخرين يهدفان إلى الغاية نفسها، ولكي يجعل الشعب نفسه مسؤولاً مسؤولية جماعية عن حماية الحياة الدستورية.

١- نصَّ التشريع الأول، أنَّه يحقُّ لأيِّ مواطن أن يرفع دعوى قانونية دفاعاً عن أيِّ شخص آخر لحقه ظلم، لاحتمال خوف المظلوم نفسه من شدَّة بطش ظالمه. ويذكر بلوتارخوس أنَّه حين سُئل صولون: «ما أفضل مدينة يعيش فيها الإنسان؟» أجاب: «تلك المدينة التي يبادر فيها من لم يلحقه ظلم -مثل من أصابه الظلم- إلى عقاب الظالم»<sup>[٣]</sup>.

٢- يتعلَّق التشريع الثاني بفترات الصراع الطبقي المتكرِّر في أثينا، الذي يمكن أن يستغل في إقامة طاغية، وتخوفاً من هذا الموقف أصدر صولون قانوناً، ينصُّ على أن كلَّ من لا

[١]- أرسطو، الدستور الأثيني ٨ / ٤، بلوتارخوس، صولون ١٩.

[٢]- المصدر السابق ٨ م ٤ - ٥.

[٣]- المصدر السابق، ٩ / ١، بلوتارخوس، صولون، ٢٠ / ١.



ينضم صراحة إلى أي من الجانبين المتصارعين، يُحرم من حقوقه المدنية والسياسية<sup>[١]</sup>.

هذه هي مجمل تشريعات صولون السياسية التي عُدَّت أساساً لكل تشريع أثيني بعد ذلك، وكثر الرجوع إليها والاستشهاد بها، ولا سيما في ظروف الأزمات. ومن وجهة نظر سياسية عُدَّت نقطة تحوُّل في تاريخ أثينا السياسي من حكم الأقلية إلى الديمقراطية. وكان صولون نفسه شديد الاعتداد بما حقَّقه بأسلوب دستوري، لا بالثورة واستخدام العنف، وقد أكَّد هذه الأفكار في أكثر قصائده الشعرية.

وخلال السنة الأولى التي تولَّى فيها صولون الأرخونية (٥٩٤ - ٥٩٣ ق.م) تعرَّضت تشريعاته لنقد مستمر من الحزبين. فالأثرياء ضاقوا بإلغاء الديون، والعامة لم يقنعوا بما نالوا، وطالبوا بإعادة توزيع الأرض الزراعية بين جميع المواطنين، ولكن صولون لم يستمع إلى أيٍّ منهما، لأنَّه كان يعترف بأنَّ قوانينه ليست مثلاً أعلى في الكمال.. وعندما سأله أحدهم هل كان يعتقد أنَّه منح وطنه أحسن الدساتير أجاب: «كلا، بل أوفقها». والمقصود بذلك أنه سعى إلى وضع دستور يصلح للأثينيين، ويمكن للأحزاب المتنازعة إذ ذاك أن تقبل به جميعاً.

ونراه يكرِّر القول أنَّه قد اختار الطريق الوسط وتمسَّك بالاعتدال ليحفظ كيان الدولة. وبعدها انتهت مدَّة حكمه في عام ٥٧٢ ق.م التي دامت اثنين وعشرين عاماً، استمرُّوا يلاحقونه ويطلبون منه أن يقدِّم تفسيرات لبعض قوانينه تجعلها أكثر مناسبة لمصالح كلٍّ منهم. وضاق صولون بهذا كلَّه وطالبهم بأن يقسِّموا على احترام التشريعات والتعهد بالالتزام بها من دون تعديل لمدَّة عشر سنوات، وهناك من يقول: لمدة مئة سنة. ولأجل أن يطلَّع الجميع على هذه القوانين كتبها على ألواح متحرِّكة وعُلِّقت في مقرِّ الحاكم. بعد ذلك غادر المدينة وسافر إلى مصر للتجارة والدراسة في بعض معابدها التي اشتهر كهنتها بالتفوق في بعض مجالات العلم<sup>[٢]</sup>. وعندما عاد إلى أثينا كان مقدِّراً له أن يشاهد انقلاباً جديداً أدَّى إلى قيام حكم الطغاة والتخلف في الظاهر على الأقل عن مبادئ دستوره.

ولعلَّ اندثار إصلاحات صولون بهذا الشكل السريع، يعود إلى أنَّ إصلاحاته اعتمدت،

[١]- المصدر نفسه، ٨/ ٥، بلوتارخوس، صولون، ١/ ٢٠.

[٢]- هيروdot ١/ ٢٩، أرسطو، الدستور الأثيني ١/ ١١، بلوتارخوس، صولون، ١٦/ ٢٥، ٢/ ٢٦، ١/ ٢٦.

إلى حد كبير، على شخصيته ووجوده في أثينا، فلم يلحظ أنَّ أيَّة إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية تحتاج إلى حكومة مقتدرة وعادلة في الشقِّ التنفيذيِّ منها؛ إذ لا يكفي سنُّ القوانين ونشرها ما لم يرافقها بناء قوةٍ عادلة وقادرة على حمايتها. وقد يضاف إلى ذلك، من خلال أقوال صولون وتعاطيه مع المعارضين، أنَّه كان يميل نحو تجاهل المنتقدين من دون أن يدرك أنَّ هؤلاء سوف يتحَّينون الفرصة للانقضاض على هذه التشريعات. وربما يعود الخلل في ذلك إلى عدم مقدرة صولون على إقناع المعارضين بأهمية إصلاحاته، وبذلك يكون قد حضّر الأرضية لانقلابات محتملة؛ من الطبقة الدنيا التي تريد توزيع الأراضي بشكل عادل، ومن الطبقة الأرستقراطية التي تعتبر أنَّ الإصلاحات جاءت على حسابها.

### ٣. حكم الطغاة وإصلاحات بسستراتوس (PEISISTRATOS)

أنجز صولون المهمة التي ألقيت على عاتقه، وأعلن قوانينه المختلفة ثم رحل، وسواء أحدد فترة سريانها بمئة أم بعشر سنوات، اتخذ مسار الحياة السياسية الأثينية اتجاهاً مخالفاً تماماً لكلِّ ما أراده، وتأجل التطوُّر نحو الديمقراطية نحو قرن من الزمان، فما كاد يرحل عن المدينة حتى عاد الصراع من جديد. ويروي أرسطو أن دوافع النزاع في هذه المرحلة اختلفت باختلاف الناس، «فبعضهم شعر بالسخط بسبب إلغاء الديون، وآخرون ضاقوا بالوضع السياسي بسبب ما طرأ عليه من تغييرات جذرية، وآخرون أيضاً شاركوا في الصراع بدافع من طموحاتهم الشخصية»<sup>[١]</sup>. ويضيف بعد ذلك: أنَّه وجد ثلاثة أحزاب، وهي: حزب الساحل المؤلَّف من التجار وأصحاب السفن الذي اتخذ طريقاً وسطاً بزعامة ميغاكليس من أسرة الكميون (وقد عادت هذه الأسرة زمن صولون من المنفى). وحزب السهل المؤلَّف من أصحاب الأراضي خصوم صولون، وهو يدعو إلى حكم الأقلية بزعامة ليكورجوس، وحزب الجبل المؤلَّف من عامة الشعب والفقراء، ومن لم يكونوا من نسب أثيني صريح بزعامة بسستراتوس (الذي ربما كان في الحقيقة من خارج طبقة العامة)، وكان أكثر الزعماء الثلاثة شهرة وشعبية بسبب قوة شخصيته ودوره المتميز في الحرب ضد ميغارة.

ويبدو أنَّ بسستراتوس كان شديد الطموح في السلطة. ورغم أنَّه من إحدى الأسر الكبيرة،

[١]- أرسطو، الدستور الأثيني، ١٣ / ١.

وكانت له -من طريق والدته- صلة نسب بصولون، حاول أن يستغلَّ حالة السخط السائد، وأن يستولي على الحكم بالقوة ويقيم نفسه طاغية (TYRANNOS)، فاجتمع له حشد من الأنصار، وأعلن نفسه منذ تلك اللحظة حامياً لأهالي الجبال. يقول عنه هيرودوت: «فلماً امتلك القوة أعلن الثورة واستولى على القلعة (قلعة الأكروبول) فدانت له المدينة واستمر سلطانه عليها من دون أن يبدل شيئاً في أحوالها أو نفوذ أهلها أو قوانينها السائدة، وقام على إدارة الشؤون حسب الأصول والعرف، فعرف بالحكمة والعدل»<sup>[١]</sup>.

وكان ذلك في عام ٥٦١ - ٥٦٠ ق.م، ولكن مركز بسستراتوس على رأس الدولة، ظلَّ مزعزجاً باتفاق الأحزاب الأخرى ضده، فقد اتفق أنصار (ميجاكليس) و(ليكورجوس) على طيِّ خلافاتهم وتوحيد صفوفهم لطرده من كرسيِّ السلطة. وهكذا فقد بسستراتوس سطوته قبل أن يرسخ سلطانه، ولكن الفريقين اللذين تأمرا على طرده عادا إلى سابق عهدهما، واحتدم الخلاف بينهما من جديد. وفي النهاية بعث ميجاكليس برسول عارضاً على بسستراتوس إعادته إلى العرش شرط أن يتزوج بابنته، وقد قبل بسستراتوس العرض وشرط الزواج، ثم مضى الرجلان لتدبير أمر استعادة بسستراتوس إلى السلطة في أثينا، ولكن هذه المرة بالحيلة، ويصف هيرودوت لنا تلك الحيلة بطريقة ممتعة جداً فيقول:

«وكان ما تفتق عنه فكرهما من أسخف ما بلغني من أخبار الماضي، ويزيد من سخف الحيلة ما يُعرف عن الإغريق منذ القدم من تفوقهم على سواهم من الأقوام في الحكمة، وبرئهم من السخف والسذاجة، والأدهى أن أولئك لم يكونوا إغريقين وحسب، وإنما أثينيون أيضاً، وهم الذين يبرزون كلَّ الإغريق ذكاءً وحصافةً. فاتفق الجميع على أن تقوم امرأة من أهالي بانيا تُعرف بفايا، وكانت طويلة القامة عريضة المنكبين، ذات شكل حسن، بالدعوة له، بأن ألبسوها درعاً وخوذة، وقاموا بتدريبها على السير على نحو خاص يلائم دورها الذي شأوا لها، ثم أركبوها عربية تجرُّها الجياد، وأخذت تدور في أرجاء المدينة، وهي تعلق بصوتها: يا أبناء أثينا عليكم ببستراتوس، استدعوه بعقول عامرة من الود، فالإلهة أثينا التي تجلُّه أشدَّ الإجلال قد عادت به وأدخلته قلعتها. وسرت صيحتها بين الناس، وانتشرت للتو في كلِّ أرجاء المنطقة أنَّ الإلهة أثينا جاءت مصطحبة بسستراتوس، وصدق أهل المدينة أنَّ

[١]- هيرودوت، الكتاب الأول، ص ٤١.

تلك هي ربّة حقيقية لا ريب فيها، وانحنوا أمامها، وعملوا بما أمرت، وأعادوا بسستراتوس إلى العرش»<sup>[١]</sup>.

سلك بسستراتوس في حكمه سلوكاً معتدلاً، واهتمّ بشؤون الفقراء، وقَدّم لهم مساعدات ماليّة، ليتمكّنوا من الاستقرار في الحياة الزراعيّة ويتعدوا عن حياة المدينة وحياة السياسة. واشتهر بالعطف على الفقراء، والاعتدال مع الخصوم حتى وصفه أرسطو: «بأنّه أقرب إلى الحكم الدستوريّ من حكم الطغاة»<sup>[٢]</sup>. ولكن ما من شكّ في أنّ الجميع كانوا يخشون بأسه، فقليل: إنّه استدعي ذات يوم للمثول أمام مجلس الشيوخ في جريمة قتل اتُّهم بشأنها، ولم يترقّع عن الحضور للدفاع عن نفسه، ولكن الشخص الذي وجه ضده الاتِّهام امتلاً رعباً ولم يحضر<sup>[٣]</sup>.

ولم يبدّل بسستراتوس سوى بعض المسائل الجزئيّة في دستور صولون، ويمكن وصف حكمه بأنّه (ديكتاتوريّة دستوريّة)، فقد حافظ على النُظم والأساليب الديمقراطيّة وأبقى المجالس والوظائف التي أنشأها صولون على حالتها، ولكنه عرف كيف يستخدمها حسب مشيئته، ولجأ إلى بعض التدابير السياسية في سبيل توطيد سلطته دون مخالفة الدستور<sup>[٤]</sup>. ومن ذلك أنه كان يستثمر نفوذه الشخصي لمساعدة أنصاره وأقاربه على النجاح في الانتخابات وتولي المناصب الرئيسيّة في الحكومة.

امتاز بسستراتوس بعطفه على الطبقات الفقيرة، ولا سيّما الفلاحين الذين عمل كلّ ما في وسعه لتحسين حالتهم، ثم وزّع بين المسادين أراضي النبلاء المحكوم عليهم بالنفي، وكان يمنح كلّ عاطل عن العمل يرغب في الانتقال من المدينة إلى الريف والعمل بالزراعة قطعة أرض من أملاك الدولة، ويقرضه مبلغاً من المال من خزينة الدولة ويستوفي منه مقابل ذلك خمسة في المئة من المحصول، وكان يشجّع في الدرجة الأولى زراعة العنب والزيتون لما يترتّب على ذلك من فوائد اقتصاديّة لأثينا<sup>[٥]</sup>، وإذا رأيناها ينجح في هذا التوجيه أكثر من

[١]- هيرودوت، الكتاب الأول، ص ٤٢.

[٢]- أرسطو، الدستور الأثيني ١٦ / ٢.

[٣]- المصدر السابق ١٦ / ٨، بلوتارخوس، صولون ٣١ / ٢.

[٤]- أرسطو، الدستور الأثيني، ١٦ / ٦.

[٥]- المصدر السابق، ١٦ / ٢.

صولون، فذلك لأنّه استطاع بفضل المستعمرات التي استولى عليها في المضائق والبحر الأسود تأمين الحبوب اللازمة لإعاشة السكان<sup>[١]</sup>.

إنّ أهمّ صفة امتازت بها سياسة بسستراتوس الاقتصادية هي الحيلولة دون تمركز الثروة في أيدي أفراد قلائل، إذ أدرك أنّ التفاوت الكبير في الثروة هو الذي كاد يؤدي إلى حرب أهلية في أثينا. ولذلك أخذ يعمل كلّ ما يستطيعه لإشراك أكبر عدد ممكن من المواطنين في الأعمال الاقتصادية. ويجب الاعتراف بأنّه قد نجح أكثر من صولون في التوفيق بين مختلف الطبقات والأحزاب سواء أكان ذلك بفضل سياسته الاقتصادية، أم باستخدام سلطته الديكتاتورية.

ولكن ينبغي أن نوضح هنا، بناء على ما سبق، أنّ الصفة الأساسية التي تجعل من الحاكم طاغية في نظر الإغريق، هي الوصول إلى الحكم بغير الطريق القانوني وهو الانتخاب، وبقاؤه في الحكم عادة مدى الحياة. هذا بصرف النظر عن أسلوبه في الحكم سواء أكان عادلاً أم رحيماً أم خلاف ذلك.

لقد تقدّمت أثينا تقدّماً كبيراً في عهد بسستراتوس من الوجهة الاقتصادية والعمرائية والثقافية، وأخذت تحتلّ المقام الأول بين المدن الإغريقية، وبسستراتوس هو الذي نظّم حفلات الأعياد الدينية التي يشترك فيها جميع الإغريق مثل عيد الآلهة (أثينايا) والإله (ديونيسوس)، وأسّس أقدم مكتبة عامّة عُرفت في البلاد الإغريقية.. ويذكر بعض المؤرخين أنّه ألّف لجنة من أبرز الشعراء والعلماء تتولّى جمع أشعار هوميروس وتدوين الإلياذة والأوديسيه في الشكل النهائي الذي انتهى إليها.

لقد كان الطاغية الإغريقي يقيم نفسه وصياً على الفقراء والمعوزين، لكي يكسبهم إلى جواره، وكثيراً ما كان الطغاة عقلاء ومستنيرين، رغم أنّ بعضهم كان دموياً وغنيماً، وارتكب أفعالاً تقشعرّ لها الأبدان، حتى أصبحت الكلمة تعني (طاغية) بمفهومنا النفسي الحديث.

انتقل الحكم بعد موت بسستراتوس في سنة ٥٢٧ ق.م إلى ابنه الأكبر هيبياس (-HIPPIAS) وكان يساعده في إدارة الحكومة شقيقه هيبارخوس (HIPPARCHUS). وقد

[١]- لطفني عبد الوهاب يحيى، ص ١٣١.

ظلَّ هيبياس مدَّة ثلاث عشرة سنة يتَّبَع بكثير من المهارة خطة والده في السياسة الداخليَّة والخارجيَّة، واستمرَّ في هذا العهد نشاط الحركة الأدبيَّة والفكريَّة، ولكن يبدو أنَّ هيبارخوس قد انهزم في الملذَّات وبالع في تبذير الأموال، وقد أدَّت مغامراته الغرامِيَّة إلى إقدام خصومه الشخصيين على اغتياله، في حين ساعدت الحظوظ هيبياس على النجاة، فقبض على زعيمَي المؤامرة أرسطوجيتون (ARISTOGEITON) وهارموديوس (HARMODI-US) وأمر بإعدامهما<sup>[١]</sup>. وكان هذا الحادث سبباً في تغيير سياسة الديكتاتور الذي خاف على نفسه، فأخذ يكثر من الجواسيس ويستخدم وسائل العنف والإرهاب. يقول توكوديدس: «ونتيجة لهذه المؤامرة ازداد حكم الطغاة عسفاً وقهراً تجاه الأثينيين، فقد غدا هيبياس أشدَّ خوفاً على نفسه، وأعدم الكثيرين بعدها، ثم راح يبحث لنفسه عن ملجأ في الخارج يهرع إليه إذا ما اندلعت ثورة ضده»<sup>[٢]</sup>. حينئذٍ شعر الأثينيون بوطأة الحكم الفرديِّ، وقويت حركة المعارضة، وصار الجميع يمجِّدون ذكرى القتل كائنهم من أبطال الحرية.

رأت أسرة آل الكميون التي كان أفرادها يعيشون في المنفى منذ مدَّة طويلة أنَّ الفرصة مواتية للخلاص من الحكم الفرديِّ الديكتاتوريِّ، فقامت تجمع جيشاً وتأهَّب للهجوم على أثينا. وكان (كليستينس) رئيس الأسرة، من دهاة رجال السياسة، عرف كيف يستميل إليه بالرشوة العرَّافين حتى صاروا كلِّما جاء الإسبرطيون يطلبون المشورة لا يجيبونهم بأكثر من جملة واحدة، وهي (أنفذوا أثينة قبل كل شيء)<sup>[٣]</sup>. وفي الحقيقة لم يكن من الصعب على كليستينس أن يتغلَّب في سنة ٥١٠ ق.م بمساعدة الجيش الإسبرطيِّ في عهد مليكه (كليومنيس) على هيبياس الذي اضطرَّ بعد حصار قصير إلى الفرار باتِّجاه الفرس مستعظفاً إياهم في إرجاعه إلى الحكم في أثينا مرَّة ثانية<sup>[٤]</sup>.

[١]- يقول هيرودوت (إن أرسطوجيتون وهارموديوس يعودان بأصلهما إلى أسرة (الجيفراي) الفينيقيَّة، وتعود أسرة جيفراي التي ينتمي إليها قاتلا هيبارخوس بأصولها -حسب روايتهم- إلى أرتيرية. لكنني بحثت واستقصيت في هذه المسألة، ووجدت أنهم كانوا من الفينيقيين حقاً، ويتحدَّرون من أولئك الذين قدموا مع قدموس إلى ما يُعرف باسم (بيوتية) حيث خُصوا بمنطقة (تانجارا) ليستقرُّوا فيها). أنظر: هيرودوت، الكتاب الخامس، ص ٣٩٦.

[٢]- توكوديدس، تاريخ الحرب البلبونيزيَّة، ص ٥٢٥.

[٣]- المصدر السابق، ص ٣٩٨.

[٤]- أرسطو، الدستور الأثيني، ١٩/ ٦-١٠.

#### ٤. كليستينيس (Kleisthenes) وتوطيد الديمقراطية

إنَّ النبلاء قد تعهّدوا تجاه الإسبرطيين بإدخال أثينا في الحلف البلوبونيزي، وقد وافق الشعب على هذا التغيير الأساسي في السياسة الخارجية اعترافاً بالمساعدة التي قدّمها إسبرطة. ولكن عندما جرى البحث في تعزيز نظام الحكم الجديد اختلفت الآراء، فقام إيساغوراس (-ISAGO RAS) يدعو إلى إعادة الحكم الأرستقراطي القديم، في حين أخذ كليستينيس يدافع عن دستور صولون والنظام الديمقراطي. وفي الانتخابات لمنصب الحاكم انتصر إيساغوراس، فأُسرع وحذف من جداول المواطنين أسماء جميع الأشخاص الذين كانوا قد نالوا حقَّ الانتخاب في عهد بسستراتوس، وبذلك سهّل على كليستينيس أن يجمع حوله عدداً من الأنصار بين طبقات الشعب التي كانت تكره الحكم الأرستقراطي أكثر مما تحب الدكتاتورية. ويدّعي أرسطو بأنَّ كليستينيس، رغم كونه هو نفسه من أكبر الأسر النبيلة، انضمَّ إلى حزب الشعب في سبيل تحقيق مطامعه الشخصية. ومهما كان السبب فإنّه قد امتاز بدفاعه عن حقوق الشعب، وتغلّب على الحزب الأرستقراطي. وقد طلب إيساغوراس مساعدة الإسبرطيين الذين أرسلوا جيشاً بقيادة الملك كليومنيس، فاضطرَّ عندئذ كليستينيس الذي كان قد نصّب نفسه ديكتاتوراً شعبياً إلى الفرار مدّة قصيرة، ولكنه عاد وانتصر على الحزب الأرستقراطي وأخرج الإسبرطيين من أثينا، واستولى نهائياً على مقاليد الحكم في سنة ٥٠٧ ق. م<sup>[١]</sup>.

كان كليستينيس يتّصف بإرادة قويّة، ويجمع بين التفكير المنطقي والاندفاع إلى العمل الحازم السريع، نراه من جهة يسعى مثل صولون إلى المحافظة على كلّ ما يعتقد بصلاحه من المؤسسات والأنظمة السائدة، ولا يحجم من جهة ثانية عن أيّ تغيير تتطلبه الأوضاع المتجدّدة. فإذا كان صولون «أباً» للديمقراطية، فإنَّ كليستينيس هو حاميها وهو الذي جهّزها بالأسلحة اللازمة للانتصار أولاً: على الأرستقراطية التي كانت تكافحها منذ مدّة طويلة. وثانياً: على الدكتاتورية التي أخذت مؤخراً تنتهز كلّ فرصة للقضاء على حرية الشعب.

وكان سكان أتيكا قبل كليستينيس ينقسمون إلى أربع قبائل، وكان في كلّ قبيلة بضع أسر كبيرة تتوارث الزعامة منذ عصور طويلة، ومن هذه الأسر الكبيرة كانت تتألّف طبقة النبلاء

[١]- هيرودوت، الكتاب الخامس، ص ٣٩٨ - ٤٠٠ حيث يعطينا فكرة جليّة جداً عن نضال كليستينيس ضدّ إيساغوراس وتحالفه مع الطبقات الدنيا.



التي تسيطر، بالاستناد إلى ثروتها وكثرة أتباعها، على سائر أفراد القبائل، وتفرض إرادتها عند انتخاب الأعضاء (مجلس الأربعمئة).

وبهدف تجريد النبلاء من أهمّ وسيلة كانوا يستثمرونها لفرض سيطرتهم، وهي العصبية القبلية والعائلية، اتخذ إصلاحات عدّة مهمّة للحيلولة دون الحكم الفرديّ، وإشهار النظام الشعبيّ الديمقراطيّ. ومن أهمّ هذه الإصلاحات:

أولاً: تقسيم القبائل الأثينية إلى عشر قبائل عوضاً عن الأربع القديمة كما يقول أرسطو<sup>[١]</sup>؛ بهدف مزج بعضهم ببعض، حتى يمكن أن يشترك عدد أكبر في مباشرة شؤون الدولة، وذلك بقبولهم ضمن هيئة المواطنين، إذ وزّع الناس في القبائل والأحياء لا بحسب مولدهم كما كانوا في الماضي، بل بحسب وحداتهم الإدارية. وفي ظلّ هذا النظام السياسيّ الجديد، لم يكن هناك أيّ وزن للمولد، وفقدت القبيلة معناها الأصليّ، فهي لم تعد تدلّ على جماعة ترجع بأصولها إلى جدّ واحد، وتربط بينها صلة النسب والحسب، أو تسكن في بقعة واحدة، وإنما أصبحت تطلق على وحدة إداريّة مختلفة الروابط الاجتماعية.

ثانياً: قسّم كليسنيس هذه القبائل إلى مئة جماعة (DEMOS)، لكلّ منها مجلس ورئيس<sup>[٢]</sup>. وهذا الرئيس (DEMARCHOS) هو الذي يحفظ جداول المواطنين المنتسبين إلى الجماعة، ويسجّل أسماء الناشئين عندما يبلغون السابعة عشرة من العمر.

ثالثاً: أدخل كليسنيس في كلّ قبيلة عدداً مساوياً من الجماعات التي تعيش في مناطق مختلفة؛ ليحول بذلك دون تكتّلها ضمن أحزاب محلية كما في السابق، وأصبحت القبيلة الآن تتألّف من أفراد يختلفون في النسب والحسب، ويسكنون في أمكنة مختلفة. فليس هناك من روابط أو مصالح مشتركة تدفعهم إلى التضامن وتكوين حزب واحد. وبهذه الحالة يكون كليسنيس وزّع جميع الناس في أثينا، حتى أولئك الذين لم يكونوا في عداد القبائل والفصائل القديمة، إذ منح ديانة لمن ليس له ديانة، وأدخل في الجماعات الدينية من كانوا مقصيين عن جماعة دينيّة، وألغيت العبادة الوراثيّة وديانة الموقد باعتبارها السلف الإلهيّ، وأصبح للقبائل الجديدة أبطال وآلهة جدد.

[١]- أرسطو، الدستور الأثيني، ٢١ / ٢ - ٢.

[٢]- المصدر السابق، ١٦ / ٥.



رابعاً: حدّد كليستينيس المواطنة لكلّ مواطن بحسب تسجيله في (الديموس) الذي كان يسكنه عام ٥٠٧ ق.م وهي سنة صدور القانون. ونشأ عن هذا الإجراء، أن توزّعت الأسر الكبيرة على (ديمات) عدّة حسب ظروف سكنى أفرادها في ذلك العام. وهكذا انكسرت رابطة النسب القديم، وضعف تأثير الأسر الكبيرة في عمليّة التصويت والانتخاب. وأصبح لزماً على كلّ مواطن أن ينتسب إلى الديموس المسجّل فيه، لا لعشيرته من النسب. وكان هذا الانتخاب للديموس وراثياً، من دون التزام باستمرار السكن فيه، فمهما تغيّرت إقامة الأسرة، ظلّت منتمية إلى الديموس الذي سجّلت فيه أول مرة سنة ٥٠٧ ق.م<sup>[١]</sup>.

كان مثل هذا الإصلاح هو الخاتمة التي أدت إلى قلب الحكم الأرستقراطي، الذي تبدل معه المجتمع الأثيني بدلاً كاملاً. ولم ير أرسطو من بين جميع الوسائل الخاصة لإضعاف الحكم الأرستقراطي وإشهار النظام الشعبيّ الديمقراطيّ، وسيلة أنجع من هذه الوسائل التي اتّبعها كليستينيس فيقول:

«إذا ما أريد تأسيس حكم العامّة (الديمقراطيّة) وجب أن يُعمل ما عمله كليستينيس عند الأثينيين، تقام قبائل جديدة وأخويّات جديدة (عشائر)، ويُستبدل بقرايين الأسر الوراثيّة، قرايين مباحة لجميع الناس، وتُمزج بقدر الاستطاعة علاقات الناس في ما بينهم مع العناية بتحطيم كلّ الجماعات السابقة»<sup>[٢]</sup>.

وقد أدرك أرسطو أيضاً الأبعاد الاجتماعيّة والسياسيّة لهذا التنظيم، فقال في عبارة ذات دلالة:

«إنّ كليستينيس جعل انتماء الأهالي إلى الديموس بمثابة رابط أخوة بينهم، بحيث أنّ أبناء الديمات المختلفة -تجنّباً لإحراج المواطنين الجدد- لا يخاطب بعضهم بعضاً بأسماء آبائهم، ولكن باسم الديموس المنتمي إليه الشخص، وقد استمرّ الأثينيون يتخاطبون في ما بينهم باسم الديموس.. ولكنه سمح للجميع بالمحافظة على صلاتهم الأسريّة الخاصّة»<sup>[٣]</sup>. وتشير عبارة أرسطو إلى أيّ مدى ذهب كليستينيس في تحقيق أعلى درجة ممكنة من الشعور

[١]- خليل سارة، ص ٤٤٥

[٢]- أرسطو، السياسة ٦، ٢، ١١، ١٣١٩ ب.

[٣]- هيرودوت، الكتاب الخامس، ص ٤٠١، أرسطو، الدستور الأثيني ٢١ / ١ - ٦.

بالمساواة بين المواطنين، فلا تمييز بين المواطنين الجدد والقدامى، بل منعهم من التفتيش في أصول القبائل (PHYLOKRINEIN)، فالكل في المواطنة سواء.

أما إصلاحاته في مجال هيئات السلطة التشريعية فكانت على النحو التالي:

أولاً: احتفظ كليستينيس بمجلس الشيوخ (AREOPAGOS) كما هو، ولم يطرأ أيُّ تغيير عليه بوصفه الهيئة المسؤولة عن تطبيق القوانين والمحافظة على الدستور، واستمرَّ الوضع كما كان من قبل، بحيث يصبح الأراخنة السابقون أعضاء فيه مدى الحياة. وهكذا بقي مجلس الشيوخ ممثلاً للطبقة العليا في المجتمع.

ثانياً: أمّا مجلس الشورى (BOULE) فكان التغيير فيه أكثر وضوحاً وأشدُّ تأثيراً في دفع الدولة في اتجاه أكثر ديمقراطية في ظلِّ نظام القبائل العشر الجديدة، بحيث أصبح عدد أعضائه خمسمئة وعُرف بهذا الرقم بدلاً من تسميته (بمجلس الأربعمئة) من قبل. وأصبح لكلِّ قبيلة جديدة خمسون عضواً. أما طريقة اختيارهم فكانت تمرُّ بمرحلتين: الانتخاب ثم القرعة. ويُعتقد أنَّ هذا الأسلوب أضعف كثيراً تأثير أصحاب النفوذ. وبعد الانتهاء من عملية الانتخاب بالقرعة، يخضع الأعضاء الخمسمئة لاختبار يتضمَّن التثبت من صلاحية كلِّ مندوب وصحة تسجيله في ديموس. وثمة اختيار بديل عن كلِّ من رُفِضت عضويته من بين من لم تصبه القرعة السابقة. وبعد إتمام هذه الإجراءات يتولَّى المجلس الجديد مهماته لمدة سنة، وقد بقيت مهماته من دون تغيير كما حددها صولون، ولا سيما إعداد وإقرار الموضوعات والقرارات التي تُعرض على الجمعية العامة (الإكليزيا)، ليصدر فيها قراراً نهائياً. ولكن كليستينيس زاد من اختصاصاته كثيراً في مجال الإشراف على كثير من مرافق الدولة وشؤون الأسطول، ومساءلة كثير من المسؤولين الإداريين عن سلامة ما يقومون به من أعمال.

ثالثاً: قسَّم كليستينيس (مجلس الخمسمئة) إلى لجان بعدد القبائل العشر، كلُّ لجنة تتكوَّن من خمسين عضواً من قبيلة واحدة تتولَّى تصريف الأمور لمدة عشر السنة (سته وثلاثين يوماً)، وتتعاقب لجان القبائل على هذا النحو على مدار السنة وعُرفت اللجنة باسم (PRYTANEIS)، وعليها رئيس (EPISTATES) يُختار بالقرعة لمدة يوم واحد فقط. وهذه

اللجان هي التي تقرّر عقد اجتماع خاصّ ومجلس (الخمسمئة) وهي التي تدعو الجمعية الشعبية للانعقاد. وتجلّت شدة العنصر الديمقراطيّ في هذا المجلس، في أنّ القانون حدّد أنّ أي مواطن لا يكون عضواً بالمجلس أكثر من مرتين، ولا يكون رئيس لجنة أكثر من مرة واحدة بين سن الثلاثين والستين. وهذا العنصر الديمقراطيّ أدّى إلى أن يدخل أكبر عدد من المواطنين أعضاء في هذا المجلس الذي أصبح مركزاً لتدريب المواطنين على تحمّل أعباء الإدارة في الدولة، وهو ما سيؤهلهم لتحمل مسؤوليات أكبر في ما بعد<sup>[١]</sup>.

رابعاً: وأما الجمعية الشعبية (EKKLESIA)، فقد تغيّر وضعها لسببين أساسيين:

زيادة عدد أعضائها بعدما دخل في هيئة المواطنين كثيرون كانوا محرومين من المواطنة. أنّ النظام الانتخابيّ الشديد بوساطة الديموس جعل (الإكليزيا) التي تضمّ جميع المواطنين أساس كلّ عملية انتخابية في الدولة في ظلّ إحساس عامّ بالحرية والمساواة، ولأنّ أعضاء المحاكم الشعبية كانوا يُختارون بالقرعة من (الإكليزيا) شعر الشعب أنّ أعضاء منه يمثلون الهيئة القضائية العليا في الدولة.

خامساً: أصدر كليستينس قانون (النفي السياسي) (OSTRAKISMOS) الذي يفرض بموجبه على (الإكليزيا) النفي السياسيّ على السياسيين الطموحين، أي من يخشى خطره على سلامة الدستور. فكان يحقّ لأيّ مواطن أن يتقدّم باقتراح ضد السياسيّ الذي يعدّه خطراً على الدستور، فإذا أقرّت (لجنة الخمسمئة) أي مجلس الشورى الاقتراح، لزم عرضه على الإكليزيا في اجتماع خاص، وإذا وافق عليه ستة آلاف مواطن، نُفي الشخص المتهّم لمدة عشر سنوات، من دون أن تسقط عنه حقّ المواطنة، ومن دون أن يفقد ممتلكاته في الدولة. وكان التصويت على حقّ النفي يجري على شقفة أو كسرة من الفخار (OSTRAKON)، ليكتب عليها من يراد نفيه، بدلاً من بطاقة ورق البرديّ الذي كان غالي الثمن نسبياً<sup>[٢]</sup>.

هذه أهمّ معالم النظم والتشريعات التي استخدمها كليستينس، التي يرى أرسطو أنّها جعلت نظام أثينا السياسيّ أكثر ديمقراطية مما كان في ظلّ دستور صولون<sup>[٣]</sup>؛ لأنّها زادت

[١]- أرسطو، الدستور الأثيني، ٢١/ ٣، ٢٢/ ٢.

[٢]- المصدر السابق، ٢٢/ ٣ - ٦.

[٣]- المصدر نفسه، ١/ ٢٢.

كثيراً من نصيب الشعب ودوره في مباشرة شؤون الدولة، وجعلته يشعر أنه صاحب رأي فعال، ومسؤول مسؤولية كاملة في توجيه سياسة الدولة. ويمكن القول أنه إلى كليستينس يعود الفضل في إتمام عمل صولون، فإن إصلاحاته قد جعلت الشعب يتولى السلطة العليا الحقيقية في الدولة.

ولكن يبقى السؤال الجدير بالإجابة: هل ما قام به كليستينس انطلق من قناعة في أن هذه الطريقة هي الأمثل للتخلص من الثغرات التي تركتها تشريعات صولون؟ أم أنه اعتبر أن هذه التعديلات تؤمن له الديمومة في حكمه، والتي افتقدتها تشريعات صولون؟

### خامساً: نقد النظام الديمقراطي

جدير بالذكر أن الامتيازات الديمقراطية التي اكتسبها سكان أتيكا في ولاية كليستينس لم يتمتع بها كل السكان، بل كانت مقصورة على من اكتسبوا لقب مواطنين (POLITAI). ولم يعترف الدستور الأثيني بمواطنة النساء والعبيد والصناع والحرفيين ذوي الأصول غير الأتيكية، ولو كانوا من أصل إغريقي، وأطلق على كل واحد من هؤلاء لقب <sup>[١]</sup>ASTAIOS بمعنى قاطن أو ساكن لا يتمتع بحقوق المواطن العادي (ATHENIAN POLITAI) الحر الذي كان يتمتع بحرية الكلمة (ISEGORIA)، من خلال المجالس التشريعية، والمساواة التامة بين المواطنين في ظل القانون (ISONOMIA)، وهي إحدى صور الحكم.

تلك هي الديمقراطية الأثينية، أضيق الديمقراطيات، لقد كانت أضيقها لقلّة عدد من يشتركون في امتيازاتها؛ لأن نظرة خاطفة على أصول دستور صولون وإصلاحات كليستينس تدفعنا إلى القول: أنه رغم الدعاية السياسية الواسعة لهذا النظام، ورغم أن بعض المؤرخين يبالغون في القول إلى حدّ ادّعاء بعضهم أن الديمقراطية الأثينية كانت أكمل نظام استطاع البشر وضعه حتى ذلك العهد، فإنه لم يختلف النظام الأثيني للحكم كثيراً في جوهره عن النظام الإسبرطي، فكلتا النظامين أعطى أقلية السكان حقوق المواطنة ومنعها عن الأكثرية. وقد تعامت الدعاية الأثينية عندما اتّهمت النظام الإسبرطي بالرجعية والقسوة، وادّعت أن النظام الأثيني كان رمز العدالة الاجتماعية، فقد حرم النظام نفسه -كما رأينا- النساء والعبيد والصناع والحرفيين وهم غالبية

[١]- أرسطو، الدستور الأثيني، ٢٢ / ١

السكان، من حقوقهم المشروعة، وخصّ بالامتيازات أقلية سيطرت على الجمعية الشعبية (الإكليزيا) ومجلس الشورى (البولي)؛ وتناسى النظام أنَّ جمهرة العامة التي لم تتمتع بحقوقها كانت هي جسد الدولة الحقيقي ودرعها في النواذب، وأنهم هم الذين استعذبوا الموت في سبيل دويلتهم، وأنهم هم الذين دفعوا الثمن غالباً في جميع المناسبات.

وقد انتقد بعض المؤرخين الديموقراطية الأثينية، وهذا صحيح، بأنّها تقوم على جمهرة غوغائية، تجعل من الصعب السيطرة عليها، وتمير القرارات الصالحة على أعضائها، ما جعل السياسيّ الصالح يئس منها، حيث أشار أفلاطون إلى الديموقراطية الأثينية في نهاية قائمته عن نظم الحكم إلى خطورة الانحراف فيها، خصوصاً إذا أسيء استخدامها؛ لأنّه من السهل جداً إثارة الغوغاء بالخطب النارية الرنانة، والحماسية المليئة بالدراما الوطنية والعاطفية، كالتى نشاهدها في التراجيديات المسرحية. ورغم وجود مجلس الشورى، الذى كان يناقش الأمور قبل عرضها على الجمعية العامة، إلّا أنَّ القوّة الفعلية ظلّت متمركزة في المجلس الشعبيّ (الإكليزيا)، لكثرة أعضائه إذ اعتبر هو الشعب يحكم الشعب، ويقرّر مصيره<sup>[١]</sup>.

خلاصة القول إنّ جوهر التفسير الأثينيّ للديمقراطية كان يقوم على التجمهر، وفي التجمهر منطلق للعواطف المجنونة، مما أدّى إلى ظهور الغوغائية، أو الديماغوجية، ومن ثمّ دفعت أثينا ثمن هذا الجنون الجماهيريّ، الذى كان يتمثّل في قرارات عمياء، اتّخذت في لحظة انفعال هستيريّ، وطنيّ، ثم دفعت الأمة ثمنها غالباً، فضلاً عن الضغائن، والأحقاد الشخصية بين السياسيين حيث أدّى نظام (النفي بعد الاقتراع) إلى تدمير كفاءات كانت أثينا في أشدّ الحاجة إليها. وفي نهاية المطاف يجدر بنا أن نذكر أنَّ المؤرّخ الإغريقيّ بوليبيوس (٢٠٠ - ١١٨ ق.م) كان يسخر من دستور أثينا الديموقراطيّ سخرية لاذعة قائلاً: «ما أشبه الأثينيين بسفينة بلا ربّان يقودها»<sup>[٢]</sup>.

[١]- سيد أحمد علي الناصري، ص ٢٢٧.

[٢]- بوليبيوس، التاريخ العالمي، ٤٤/٦.

## سادساً: النتائج العامة

لم يعد القانون صيغة غير قابلة للتغيير أو النقاش، بل أصبح عملاً إنسانياً، يعترف بأنه عرضة للتغيير والتبدل. تقول اللوحات الاثنتا عشرة: «إِنَّ ما تأمر به أصوات الشعب في النهاية لهو القانون»<sup>[١]</sup>. وبما أَنَّ إرادة الناس هي التي سنَّتْه، تستطيع هذه الإرادة نفسها أن تغيره أو تبدله.

بقدر ما كانت الطبقة الأرستقراطية متمسكة بالعقائد والقوانين القديمة التي وفّرت لها الحماية والضمان لأمنها ومصالحها، كانت الطبقة الدنيا حاقدة على مثل هذه العقائد والقوانين، التي كانت سبب ضعتها وإرهاقها؛ فلذلك لم تؤمن ولم تفهم بمثل هذه العقائد البالية لأنّها ضد مصالحها، فحاربتها حرباً لا هوادة فيها، وكان النصر يحالفها مرة تلو الأخرى، وفي نهاية المطاف كانت الغلبة والنصر النهائي حليفاً لها.

إن مثل هذا التغيير والتبديل في العقائد والأفكار والقوانين القديمة، لم يتمّ دفعة واحدة. وإذا كانت الأنظمة السياسية تتغير فجأة، فإنّ العقائد والقوانين لا تتغير إلاّ ببطء وعلى نحو تدريجيّ.

كانت الثورة التي قلبت الحكم الأرستقراطيّ وأنظمتها القديمة، ورفعت الطبقة الدنيا، بداية فترة جديدة في تاريخ المدن، وكان ذلك نوعاً من التجديد الاجتماعيّ، فلم تكن طبقة من الناس تحلّ محلّ طبقة أخرى في السلطة فحسب، بل إنّها المبادئ القديمة التي نُحيت جانباً، وأوشكت قواعد وأنظمة جديدة أن تحكم الدول والمجتمعات، وتغيّر وجه الحياة البشريّة، ولا يعني ذلك أنّ المبادئ الجديدة كانت منصفة، بقدر ما كانت لازمة لتحقيق مصالح الطبقة الجديدة.

أصبح الإنسان في النظام الجديد مقياس كلّ شيء في الوجود، وبمعنى الفكر السياسيّ المواطن هو مركز الدولة، وهو الذي يضع النظام، وهو مقياس الحكم عليه. أمّا القانون فهو المقومّ الأساسيّ الثابت في الدولة، وهذا القانون يجب احترامه والالتزام به مهما كان نوعه

[١]- تيتوس ليفيوس ١٧/٧، ٩، ٣٣، ٣٤.

ما دام ارتضاه المواطن لنفسه في البداية. وكان صاحب هذا الاتجاه سقراط الذي عبّر عنه في المحاورات التي تركها لنا تلميذه أفلاطون، ومن كتابات آخر له هو كسنوفون<sup>[١]</sup>. لكن ذلك لم يكن كافياً، لأنّ ثمة نقطة هامة ترتبط بمصدر هذا القانون. ونحن هنا لا نتحدّث عن ضرورة الالتزام بالقانون أو عدم الالتزام به بقدر ما نتحدّث عن طريقة التشريع والمرتكزات التي تُبنى عليه، لا سيّما ما يرتبط بالقيم الإنسانية العليا.

إنّ معظم الثورات الاجتماعية التي قامت هي ثورات سياسيّة، كانت غايتها العامّة، بحسب الظاهر، تحقيق أكبر قدر ممكن من التطوّر لصالح المواطنين، وتحقيق أعظم سعادة جماعيّة للمجتمع الإغريقيّ، لكن ما لبثت أن أظهرت الأيام أنّها لم تكن سوى ثورات تخدم الأقوياء بشكل أساس. وهذا ما كان واضحاً وجوهريّاً من خلال القوانين التي صدرت ولم تغيّر الكثير في جوهر الحياة الإغريقيّة فلم تنقلها من سعادة الفرد إلى سعادة الجماعة، التي يراها أرسطو غرضاً لعلم الساسة، إذ يقول:

«إنّ علم السياسة هو علم السعادة الجماعيّة، وإن علم الأخلاق هو علم السعادة الفرديّة، وإن وظيفة الدولة هي أن تقيم مجتمعاً يحقّق أعظم سعادة لأكبر عدد، والدولة هي مجموعة من المواطنين ذات عدد كافٍ لتحقيق جميع أغراض الحياة»<sup>[٢]</sup>. وهي نتاج طبيعيّ؛ لأنّ الإنسان بطبيعته حيوان سياسيّ<sup>[٣]</sup>.

إنّ النظام الطيّب أو الصالح يكون في الدول التي تضمّ طبقة متوسّطة كثيرة العدد، بمعنى أن يكون عدد أفرادها أكبر من عدد الطبقتين الأخريين (الأغنياء والفقراء) مجتمعين، أو على الأقل أكبر من كلّ من هاتين الطبقتين على حدة. والسبب الذي يقدّمه أرسطو لهذا الاحتمال هو أنّ الأغنياء يشيع بينهم الصلف أو التجبّر وعدم الانصياع للقانون، وأنّ الفقراء يشيع بينهم الشعور بالمرارة والحقد إزاء الطبقة الغنيّة، ومن ثم يميلون إلى الجريمة. أمّا

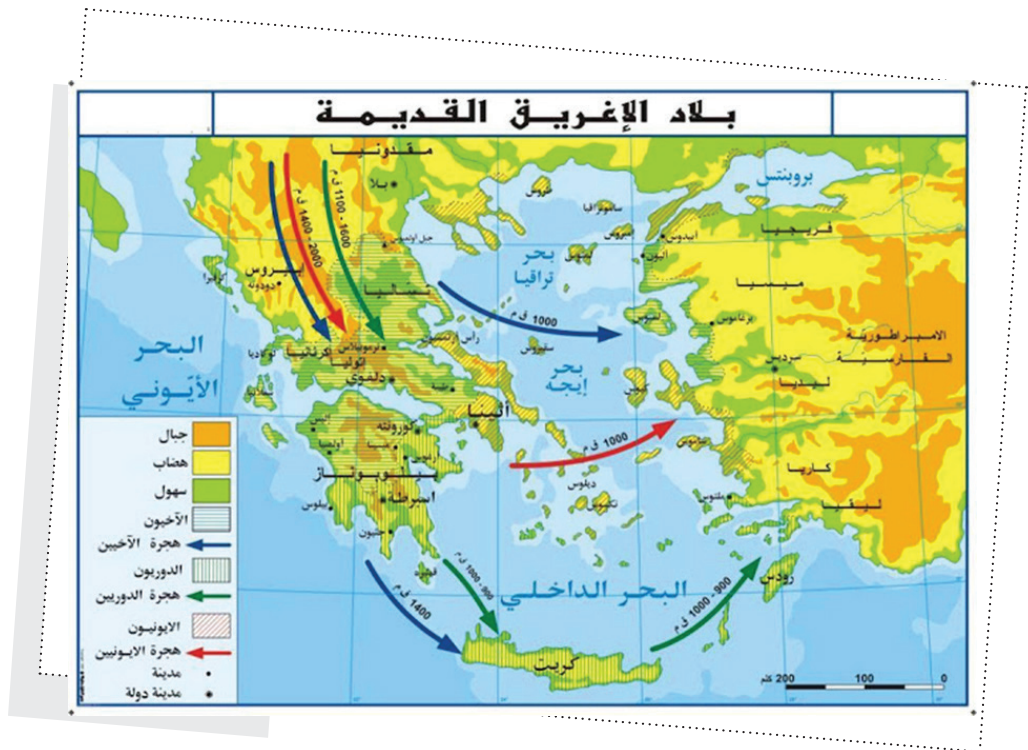
[١]- على وجه الخصوص ما كتبه أفلاطون في محاورة كريتون ومحاورة الدفاع.

[٢]- أرسطو، السياسة، ٤، ٩، ٩، ١٢٩٦ آ.

[٣]- المصدر السابق.



أفراد الطبقة المتوسطة فإنهم راضون عن حياتهم عادة، إذ إنهم لا يطمعون في ثروة الأغنياء، ولا يشيرون حسد الفقراء. ومن ثم كانت هذه الطبقة تمثل عنصر الاستقرار في الدولة وتدعو إليه، وتعمل على وضع حدٍّ للتصرفات المتطرفة التي قد تقوم عليها الطبقتان المتناقضتان بالطبيعة، وهما طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء. ولا يبدي أرسطو أي تخوُّف من أن تسعى الطبقة المتوسطة، إذا أصبحت هي الطبقة الكبرى في المجتمع إلى ما فيه مصلحتها فحسب، بل خلافاً لذلك يزعم أرسطو أنَّ الدولة التي يسودها الدستور المعتدل أو المتوازن هي وحدها التي لا يحدث فيها انقسام، أو حيثما تسود الطبقة الوسطى يكون احتمال التناحر ضئيلاً<sup>[١]</sup>. لكن ذلك لم يحدث في أثينا، بسبب غلبة الطبقة الفقيرة عليها، رغم محاولات إخفاء ذلك.



[١]- أرسطو، السياسة، ٦، ٣، ٤، ١٣٢٩ آ.



## المصادر والمراجع

١. توكوديدس، تاريخ الحرب البلوبونيزية، ترجمة دينا الملاح، عمرو الملاح، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٣، الكتاب الأول.
٢. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، بيروت، ١٩٧٩.
٣. محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٠.
٤. أرسطو، السياسة ٣، ٩، ٨، ١٢٨٥ ب.
٥. بلوتارخوس، مسائل رومانية ٦٣.
٦. كسنوفون، دستور اللاكيدايمونيين ٨، ١١، ١٥، الهلينيّات ٢، ٤، ٣٦.
٧. باوسانياس ١، ٣، ٢ و ٤، ٥، ١٠ و ١٧، ١.
٨. فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، ترجمة عباس بيومي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠.
٩. أرسطو، الدستور الأثيني ٤/٣ - ٥.
١٠. ديموسينيس، ضد أورغوس ٦٨ - ٧١، ضد ماكاتراتوس، ٣٧.
١١. ديموسينيس، ضد ليتينيس ١٥٨.
١٢. خليل سارة، تاريخ الإغريق، إصدار جامعة دمشق، ٢٠٠٦.
١٣. إيسايوس، ميراث أبولودوروس ٢٠، ميراث بيرهوس ٥٤، ديموسينيس ضد ماكاتراتوس ٥١، البائنة.
١٤. فوستيل دي كولانج حول السلطة الأبوية المطلقة ١١٦ - ١١٩، بلوتارخوس، صولون، ١٣.
١٥. ليسياس، المدخل ٣٢.

١٦. مصطفى العبادي، ديمقراطية الأثينيين، مجلّة عالم الفكر، العدد الثاني، ديسمبر، ١٩٩٣.

١٧. هيرودوت ١ / ٢٩، أرسطو، الدستور الأثيني ١ / ١، بلوتارخوس، صولون ١٦ / ٢٥، ١ / ٢٦.

١٨. سيد أحمد علي الناصري.

١٩. بوليبيوس، التاريخ العالمي، ٦ / ٤٤.

٢٠. تيتوس ليفيوس ٧ / ١٧، ٩ م ٣٣، ٣٤.



## الإرهاب الديني والفكري لمدينة أثينا في القرن الخامس (ق.م)

محمود السيّد مراد<sup>[١]</sup>

### مقدّمة

ثمة علاقة وجوديّة وثيقة بين الإرهاب وحقوق الإنسان والشعوب، فالإرهاب هو الوجه المقابل لحقوق الإنسان، وعندما يُسلَب من الإنسان/ الشعب -حقاً من حقوقه الطبيعيّة اللّصيقة باستعمال القوة الغاشمة، أو التلويح بها من قبل الحكومات أو الجماعات أو الأفراد، يكون هذا إرهاباً.

وتتنوّع صور الإرهاب بتنوّع صور الحق المسلوب من هذا الإنسان أو ذاك الشعب. فمثلاً، عندما يُسلَب الحق في حرّية الاعتقاد بالقوّة يصبح إرهاباً دينيّاً، وهنالك الحق في حرّية الرأي، وفي حرّية التعبير، وعندما يُنتهك يصبح إرهاباً فكريّاً..... وهكذا.

وكما يمارس الأفراد والجماعات صوراً من الإرهاب، تمارس الدول والحكومات صوراً مؤسّسيّة له ضدّ الأصوات المعارضة لسياستها بغية القضاء عليها، أو إسكاتّها على أضعف الإيمان. ولم تكن أثينا القرن الخامس (ق.م) استثناءً من هذه القاعدة. فرغم أنّها كانت تعيش عصرها الذهبيّ حضاريّاً وفكريّاً وسياسيّاً واقتصاديّاً، والذي مكّنها من أن تحظى بلقب معلّمة اليونان، ورغم ما شهدته ثانياً من ظهور لتجربة من تجارب نظام الحكم الديمقراطيّ، ورغم ما كان يتمتّع به شعبها في ظلّ هذه التجربة من الحرّيات والحقوق السياسيّة والمدنيّة والدينيّة، رغم كلّ ذلك، وعلى عكس هالة العظّمة التي دأب المؤرّخون وكتب التاريخ على خلعها عليها كلما جاء ذكرها، تظّل أثينا القرن الخامس ق.م نظاماً ديمقراطيّاً غير مثاليّ، فقد شهد عدداً لا بأس به من صور الاضطهاد والإرهاب المؤسّسيّ المنظّم ضدّ المعارضين

[١]- أستاذ الفلسفة اليونانية ورئيس قسم الفلسفة كلية الآداب جامعة سوهاج - جمهورية مصر العربية.

لنظامها السياسي والديني والفكري. لقد كانت مدينة شديدة العداء لكل من يهدد أو حتى يتوقع في يوم من الأيام أن يهدد نظام الحكم فيها. وقد وصل هذا الإرهاب إلى حدّ إيقاع أشدّ أنواع العقاب بالمخالفين، فقد تمّ اعدام سقراط (٣٩٩ ق.م) Socrates (فيلسوف الكلمة وشهيد الفلسفة الأول) لمجرد إسكات صوته وإيقاف مناقشاته الجريئة والساخرة من نظام الحكم الأثيني، ومن جهل وادّعاء زعمائه المتصدّرين للساحة في الأصعدة كافة.

صحيح أنّ أثينا الديمقراطية في القرن الخامس (ق.م) هي التي أوجدت سقراط، وأفسحت المجال أمامه واسعاً للمناقشة والحوار، ولولا جوّ الحريّات العامّة الذي وفّره لما قدّر لنجمه أن يسطع في سماء اليونان، ولما قدّر للحضارة البشريّة أن تسعد بظهور مثل هذه الشخصية الفريدة. ولكن، وكما كانت الديمقراطية الأثينية سبباً في ظهوره، كانت أيضاً السبب الأساس في اضطهاده وإرهابه وبعد ذلك إعدامه.

ولم يكن سقراط هو وحده الذي مارست أثينا الديمقراطية إرهاب المدينة الفكري والديني عليه فحسب، بل تعرّض عدد من الفلاسفة والمفكرين أيضاً لصور من الإرهاب والاضطهاد إبّان هذه الفترة، فجاء سجل أثينا حافلاً بصور من اغتيال الحقوق الدينيّة والفكريّة والسياسيّة من خلال تعريض هؤلاء المفكرين لمحاكمات واضطهادات مُحجّفة بدءاً من أنكساجوراس Anaxagoras (٤٢٨ ق.م) صديق بريكلِس Pericles (٤٢٩ ق.م)، ثم زوج بريكلِس نفسه الفيلسوفة أسبازيا Aspasia (٤٠٠ ق.م)، ومروراً ببروتاجوراس Protagoras (٤١١ ق.م) السفسطائي، وانتهاءً بسقراط وتلاميذه من بعده. وقد تنوّعت وسائل الإرهاب والاضطهاد ما بين الحكم بالغرامات الماليّة، وإسقاط الجنسيّة، وإحراق المؤلّفات، والنفى خارج البلاد، وبين الإعدام بالسّم.

هذه الدراسة ستعمل على معالجة المشكلة المتمثّلة بالسؤال الرئيس التالي:

- هل تعرّض بعض الفلاسفة والمفكرين الأحرار الذين عارضوا الممارسات السياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة لصور من الاضطهاد والتنكيل في أثينا الديمقراطية في القرن الخامس؟ أم كانت مظلة الحريّات التي أفسحها النظام الأثيني من الاتّساع الذي يسمح لهؤلاء بحريّة الطرح والمعارضة؟

وهذا السؤال تتفرّع منه أسئلة عدّة ستعمل الدراسة على معالجتها كذلك، منها:

✓ ما هي الأسباب التي دفعت أثينا إلى ممارسة مثل هذه الأشكال من الإرهاب الديني والفكري؟

✓ ما هي الآليات التي اعتمدت عليها في ممارسة هذا الاضطهاد؟

✓ من تعرض من الفلاسفة الأحرار لمثل هذه الأشكال من التضييق والاضطهاد؟

✓ ما هي أنواع العقوبات والتهديدات التي كانت أثينا توقعها لتكميم الأفواه المعارضة آنذاك؟

✓ هل أثرت هذه الممارسات المخزية على صورتها التاريخية باعتبارها مدينة الحريات ومعلّمة اليونان؟

ولمّا كان الطرح الذي يتمّ تقديمه في الدراسة سوف يلفت انتباه الدارسين والباحثين لوجود عدد من الممارسات الاضطهاديّة والإرهابيّة التي مارستها أثينا القرن الخامس ق.م، وهي تعيش أزهى عصورها الديمقراطية، فإنّ ذلك يؤكّد القاعدة القائلة بأنّ الإرهاب لا وطن ولا دين له، فإنّ هذه الدراسة تمثّل بعض الأهميّة للمنشغلين بالدراسات السياسيّة والفلسفيّة اليونانيّة بشكل خاصّ، وللمهتمين بقضايا الإرهاب والحريّات بشكل عامّ.

الدراسة، إذن، تعالج أوضاعاً تاريخيّة وفكريّة ودينيّة لأثينا في القرن الخامس (ق.م)، للوقوف على حقيقة ما وقع في ظلّها من اضطهاد للفلاسفة المعارضين، معتمدة على المنهج التحليليّ عند العرض، وعلى المنهج النقديّ عند التعلّيق والاستنباط.

## أولاً: أوضاع أثينا الدينية والسياسية إبان القرن الخامس ق.م

قُدِّر لأثينا القرن الخامس ق.م أن تشهد تجربة حضارية بارزة، فقد تجمّعت في سمائها آنذاك عوامل عدّة ساهمت في قيامها. ونحاول هنا أن نطلّ إطلالة سريعة على الأوضاع الحضارية التي كانت تمرُّ بها أثناء وقوع هذه الاضطهادات:

### ١. الأوضاع الدينية

إذا أردنا التعرف على الأوضاع الدينية في أثينا والتي جرت كل هذه الاضطهادات في ظلّها وجدنا أنها-مثلها مثل الكثير من المدن اليونانية في ذلك العصر- كانت تؤمن بديانة هي خليط عجيب من المعتقدات المتوارثة من الأجيال السالفة شيّدتها قرائح عدد لا بأس به من الشعراء والمنشدين والحكماء والمشرّعين على حدّ سواء. فمعظمها كان من وحي خيال الشعراء العظام من أمثال هوميروس Homer (حوالي ٨٥٠ ق.م)، وهزiod Hesiod (حوالي ٧٧٧-٨٤٦ ق.م)، وأرفيوس Orpheus وغيرهم. كانت ديانة وضعيّة وليست سماويّة، وبالتالي لم يكن للأثينيين كتبٌ مقدّسة موحى بها من عند الإله يرتّلونها ويحفظونها عن ظهر قلب. فضلاً عن أنّهم لم يعرفوا الأنبياء المرسلين برسالة إلهيّة من السماء. حقاً كانت الإلياذة لهوميروس تُوصف أحياناً بأنها «إنجيل بلاد اليونان» لكنه كان وصفاً مبالغاً فيه، فليست هي من الوحي في شيء، ولا كانت موضع تقديس دائم من الناس، ولا كان هوميروس نبياً مرسلًا، ما جعل البعض يعتبر أنّ هذا التحرُّر من ضغط العقيدة الدينية ونفوذ رجالها هو السبب في أصالة الفكر الفلسفيّ الإغريقيّ وتميّزه من دون كلّ الفلسفات<sup>[١]</sup>.

لم يكن لدى الأثينيين إله واحد علوي، بل كانت آلهتهم من وضع أيديهم، ومن وحي خيالهم، ومن الطبيعيّ أن يكون الناس أحراراً مع مخلوقاتهم. إنهم هم الذي خلقوا الآلهة، وليست الآلهة هي التي خلقتهم.. ومن هنا، جاء استخفاف المفكرين الأحرار من هذه الآلهة واستهزاؤهم بها<sup>[٢]</sup>. من ثم كانت الآلهة التي يعبدها الأثينيون خليطاً من كائنات مجسّمة ذات أشكال وصفات بشريّة Anthropomorphism، ومن كائنات ذات صور حيوانيّة، ومن الآلهة الفشتيّة Fetishism ذات الصور والأشكال النباتيّة، وجميعها تسكن أعالي جبل

[١]- توفيق الطويل: قصّة النزاع بين الفلسفة والدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٥٣.

[٢]- توفيق الطويل: المرجع السابق، ص ٥٥.

الأولمب المقدّس، وإن كانت بين الحين والآخر تهبط إلى الأرض، وتختلط بالناس لترتكب كلّ الموبقات الأخلاقية التي كانت تنهي البشر عنها. وإلى جانب هذا الخليط من الكائنات المقدسة عبد الأثينيون قوى الطبيعة المختلفة كالنجوم والكواكب وغيرها.

نضيف إلى ذلك، أنّه لم يكن في أثينا سلطة كهنوتية دينية قوية تمسك برقاب الأتباع والمؤمنين، وتوزّع عليهم إما صكوك الغفران، أو ويلات الجحيم حسب درجة ولائهم لهذه السلطة. فهي لم تعرف أيّ نظام كهنوتيّ يصبح معه قساوسة المدينة ذوي حَوْل وطول، ويمكّنهم - كما يقول هـ. ج. روز- من الطغيان على مصالح الناس، وقمع كلّ نزعة ترمي إلى هدم المعتقدات وزعزعة التقاليد. فلم تقم في بلاد اليونان أصلاً هيئة كهنوتية عليا، ولم يؤلّف الكهنة في ما بينهم جماعة أو طائفة مقصورة على أعضائها<sup>[١]</sup>. صحيح أنّه كان بينهم كهنة وعرفّافون وأدعياء للألوهية والنبوة فضلاً عنّ يزعم أنّه ابن للإله زيوس، لكن لا أحد من هؤلاء كان يفرض سلطانه الديني والروحيّ قهراً وجبروتاً على أتباعه، فإما الطاعة وإما الجحيم.

كانت هناك أعياد سنوية لكلّ إله من الآلهة التي قدّسها الأثينيون الذين كانوا أحرص ما يكون على حضورها، والاشتراك في الطقوس والعبادات التي تقام أثناءها، وتقديم القرابين والذبائح لجلب رضى هذه الآلهة. أضف إلى هذا وذاك إيمانهم بالتنجيم والعرافة، فإذا زار أحدهم معبد دلفي كان يحرص بشدّة على سؤال كاهنة المعبد عن طالعه وحظّه في هذه الحياة. ومن ثم كانوا يعتقدون في الفأل الخير والحظّ النّحس، ويربطون مصير الأفراد ببعض الأحداث والتواريخ، ويشترطون ساعات بعينها لأداء أفعال معينة حتى لا تصيبهم اللّعة. أضف إلى ذلك ولعهم بالتطيّر والتنبؤ بالغيب<sup>[٢]</sup>. غير أنّه لم يكن للسّحرة والعرّافين أدنى سلطة أو مكانة تميّزهم عن غيرهم من المواطنين<sup>[٣]</sup>.

وكان سكّان المجتمع الأثينيّ في القرن الخامس ق.م - مثّلهم في ذلك مثّل معظم المجتمعات المتحضّرة - منقسمين إلى فريقين: الفريق الأول هو الصفوة المتنوّرة (من

[١]- هـ. ج. روز: الديانة اليونانية القديمة، ترجمة: رمزي عبده جرجس، مراجعة محمد سليم سالم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٥٦.

[٢]- عصمت نصّار: الفكر الدينيّ عند اليونان، ط ٢، دار الهداية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٠٩.

[٣]- هـ. ج. روز: المرجع السابق، ص ٥٦.



المفكرين والعلماء وكبار الساسة والزعماء) التي لا تتمسك إلا بظاهر الديانة الرسمية للمدينة فقط أمام الجماهير، فإذا كانت في مأمن من سخط العامة أظهرت اللامبالاة والفتور عن الآلهة التقليدية بل التجديف على عبادتها. والفريق الثاني، وهو الأغلبية، يتكوّن من المواطنين العاديين وقوى الشعب البسيطة التي تتمسك بالديانة تمسكاً قوياً، وعلى استعداد للفتك وإنزال أشد أنواع العذاب بمن تسوّل له نفسه الخروج على الدين أو حتى التلّفظ - مجرد التلّفظ - بألفاظ لا تليق بحق آلهة الدولة ومقدساتها.

وظل المجتمع الأثيني آنذاك منقسماً بين صفوة متحررة دينياً، وأغلبية متممّة تزمّتاً شديداً. ولم يكن هذا الشيء هو أعجب ما نصادفه في هذا المجتمع، بل كان الأعجب منه والأغرب هو خبث ودهاء هذه الصفوة المتحررة، فكثيراً ما كانت تستغل حرارة الإيمان وقوة المشاعر الدينية لدى العامة لتأليبها على خصومها من أجل التخلص منهم ومن تهديدهم لمصالحها، تماماً مثلما فعلت مع أنكساجوراس وأسابازيا وسقراط وغيرهم، ما يدلّ دلالة قويّة - كما يقول ول ديورانت - على ارتباط الدين بالسياسة في أثينا، ذلك الارتباط المتمثل في ضرورة ولاء المواطنين لرمز مدينتهم، وولائهم لمعتقداتها السائد الذي يضمن تماسك المدينة وأمنها<sup>[١]</sup>. لقد كان الدين الشعبي في أثينا موضع احترام وتقدير، وكانت هناك سلطة دينية شعبية قويّة تهدّد بالانتقام والتنكيل كلّ من يحاول الخروج على الديانة الرسمية للمدينة، وهي سلطة ليست كهنوتية، بل يمكن وصفها بسلطة العامة من الدهماء. فقد كان الشعب هو الذي يتولّى اتّهام المارقين ورفع أمرهم للقضاء. ولكن، والحق يُقال، إنّ هذا العصر قد خلا من سياسة منظّمة ترمي إلى قمع الفكر الحرّ والتنكيل بأهله. وبسبب هذا، استهدفت المعتقدات الدينية بالنقد، وتعرّضت للسخرية. وأغلب الحالات التي حوكم فيها أحرار الفكر من الفلاسفة اليونان - حسب توفيق الطويل - كان مردّها إلى بواعث شخصية، وأسباب سياسية حزبية<sup>[٢]</sup>.

[١]- ول ديورانت: قصّة الحضارة، م٣، ج٦، حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٤٨.

[٢]- توفيق الطويل، المرجع السابق، ص ٥٨.

## ٢- الأوضاع السياسية

### أ- سيادة النظام الديمقراطي

عرفت أثينا في هذا القرن قيام نظام ديمقراطي، نظام يتيح لكل مواطن فيه فرصة المشاركة الشخصية في إدارة شؤون المدينة سواء كعضو في الجمعية الشعبية (الإكليزا) Ecclesia، أم كعضو في مجلس الخمسمائة (البولا) Boule. وكان من حق كل مواطن حر -وفقاً لهذا النظام- أن يتم اختياره بالقرعة من سجل المواطنين لصبح عضواً في واحدة من هاتين السلطتين، وكان من المؤكد أنه سوف يشترك فيهما لو مرة واحدة في حياته على الأقل. صاحب ذلك تغير حتمي في معيار جدارة المواطن وأهليته، فلقد قاد انتقال المجتمع الأثيني آنذاك من مجتمع قبلي رعوي إلى مجتمع تجاري إمبراطوري ديمقراطي، وعقب إصلاحات المشرع "صولون" (+ ٥٦٠ ق.م) Solon، وبعد الانتصار على الفرس، والذي أحرزه البحارة والجنود وعمامة الشعب في المقام الأول بأيديهم وحدهم في معركة سلاميس ٤٨٠ ق.م، قاد كل ذلك إلى ازدهار الطبقات الشعبية في المجتمع الأثيني وبروزها إلى المصاف العليا<sup>[١]</sup>.

ولم تكن هذه الديمقراطية هي ديمقراطية دولة المدينة، بل كانت ديمقراطية الإمبراطورية الأثينية التي انتعشت بفضل تدفق الثروات عليها من مستعمراتها المترامية. فكان من الطبيعي أن ينتج من هذا التدفق إثراء العديد من أفراد الطبقات التي كانت مُعدمة من قبل (البحارة، التجار، الجنود)، علاوة على أنه أتاح ذلك للمواطنين الفراغ اللازم للمشاركة الفعلية في سياسة الدولة. فضلاً عما ترتب على هذا من تدفق أعداد هائلة من الأجانب والعبيد على أثينا، ما أدى إلى انهيار التوازن الأرستقراطي القديم، وأضحى النظام أكثر شعبية بكثير مما عليه كان من قبل. وهذا الأمر دفع الساسة إلى ابتداع تقليد جديد، وهو الإعلاء من سيادة الشعب بلا حدود، وإشغاله بالمصالح العامة من أجل القضاء على حنق الطبقات الفقيرة وتأميرها، ومن ثم أصبح المجال مفتوحاً أمام هذه الطبقات للمشاركة السياسية<sup>[٢]</sup>. فكان لابد من أن تدفع كل هذه المكاسب التي جنتها الطبقات الشعبية نتيجة لسيادة نظام الحكم

[١] - محمود السيد مراد: فلسفة التنوير لدى السفطائيين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أسبوط، ١٩٩٥، ص ٢٦ - ص ٢٨.

[2] - Robin (L): The Greek Thought and the Origins of the Scientific Spirit, Trans by: M.R. Dorie, Kegan Paul, London, 1928, p. 132.

الديمقراطيّ وعلى رأسها التمكن السياسيّ، والثراء الطارئ، أن تدفع الصفوة الحاكمة ومعها معظم طبقات المجتمع إلى محاربة واضطهاد كلّ من يمكن أن يهدّد استمرار هذه المكاسب ولو حتى على المدى البعيد.

### ب. القوة الشعبيّة:

أدت سيادة الطبقات الشعبيّة إلى انبعاث الروح الفرديّة، فالفرد هو الذي يسنّ القوانين، وهو الذي ينفّذها، وهو الذي يحاكم من يخرج عليها. وهو كذلك الذي يقرّر سياسات المدينة في الجمعية الشعبيّة، وهو الذي يضحيّ بدمه وروحه في سبيل نصرة المدينة، وبهذا تحوّل حبّ الشرف والرفعة الذي كان - كما أخبرنا بورا - طابعاً متأصلاً في الشخصية اليونانيّة إلى مفهوم جديد<sup>[١]</sup>، إلى أنانيّة فرديّة تحارب كلّ من يهدّد مصالحها. ولم يتقاعس الفرد المنتشي بقوة شخصيّته هذه من جانب، وبسموّ مدينته ورفعتها من جانب آخر - عن خوض المخاطر في سبيل تحقيق أمله في السيادة على الآخرين. فأنا عندما أعرف كيف أوجّه الآخرين ليقدموا مصالحهم ورأيي الشخصيّ - كما فعل بريكليس في رأي هيغل - فإنني أحقّق بذلك مجدي الشخصي<sup>[٢]</sup>.

### ج. النظام القضائيّ

إلى جانب سطوة العامّة وخوفها على المكاسب الفرديّة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي جلبتها لهم الديمقراطية الأثينيّة، كان النظام القضائيّ الأثينيّ عاملاً مؤثراً من العوامل التي أدّت إلى وقوع العديد من حالات الاضطهاد والإرهاب الدينيّ والسياسيّ في أثينا القرن الخامس ق.م. فلقد لعب هذا النظام آنذاك دوراً كبيراً في هذه المحاكمات والاضطهادات، إذ انطوى على أمرين أسهما بشدّة في ذلك، الأول: أنّه لم يشتمل على وجود طائفة من القضاة المتخصّصين للبتّ في القضايا المعروضة - رغم هول عددها آنذاك، وإنما كانت عمليّة اختيار القضاة لأيّ قضية معروضة تتمّ بالقرعة من سجل المواطنين العاديين الأحرار. والثاني: أنّه لم تكن قد ظهرت آنذاك طائفة المحامين المحترفين للدفاع عن المتهمّين

[١] - س. م. بورا: التجربة اليونانيّة، ترجمة أحمد سلامه، الهيئة العامّة للكتاب، ١٩٨٩، ص ٤٦.

[2] - Hegel: Lectures on the History of Philosophy k Trans by: E.S. Haldane, Vol. I, Routledge, London, 1955, p. 355.

المقدمين للمحاكمة، بل كان المدعى والمدعى عليه يمثلان أمام هيئة المحلفين ليدافعا نفسيهما عن سلامة موقفيهما. وفي ظلّ هذين الأمرين، يمكننا أن نرى إلى أيّ حدّ كان النظام القضائيّ الأثينيّ محفّزاً بقوة على وقوع صور عدّة من التنكيل والاضطهاد بالخصوم. وقد أسهم في اتّساع رقعة هذا الجوّ المليء بالمشاحنات والدعاوى القضائية الإرهابيّة أنّ أثينا القرن الخامس كانت هي مدينة الدعوى القضائية، إذ كثرت حالات المقاضاة فيها بشكل غريب، ولم يكن يوجد لدى الحكومة الأثينيّة منصب "المدعي العام"، لذلك اعتمدت في تقرير القضايا الخطيرة التي تمسّ بالأمن القوميّ على وشايات المواطنين بعضهم على البعض الآخر. فكان من الممكن جداً أن يُقدّم أيّ مواطن مواطناً آخر للقضاء والمحاكمة (مثلما حدث مع سقراط)، طالما يدّعي أنه يملك الأدلّة الكافية لإدانته. ومن هنا نشأت طائفة من النمامين الذين احترفوا مهنة اتّهام الناس بالحقّ أو بالباطل، أو حتّى التهديد باتّهامهم لابتزاز أموالهم<sup>[١]</sup>.

## ثانياً: نماذج من الاضطهاد الدينيّ والسياسيّ لأثينا القرن الخامس ق.م

بعدما تعرّفنا على الأوضاع السياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة لأثينا القرن الخامس ق.م، نستعرض نماذج عدّة للإرهاب السياسيّ والدينيّ التي وقعت فيها إبّان هذه الفترة:

### ١- اضطهاد الفيلسوف أنكساجوراس ومحاكمته

ترك أنكساجوراس مدينته الأمّ عقب سيطرة الفرس عليها، وهاجر إلى أثينا -حسب رواية ديمتريوس الفاليري Demetrius Phalereus - وهو في العشرين من عمره، وذلك عام ٤٨٠ ق.م ومكث بها ما يقرب من ثلاثين عاماً<sup>[٢]</sup>. فكان انتقاله هذا انتقالاً للفلسفة للمرّة الأولى من المستعمرات لتتخذ من أثينا موطناً لها<sup>[٣]</sup>. بدأ أنكساجوراس في نشر تعاليمه الفلسفيّة والطبيعيّة هناك وحقّق شهرة كبيرة، حيث وجدت أفكاره أرضاً خصبة في أثينا المتعطّشة إلى تحقيق الريادة الحضاريّة والثقافيّة، كما حقّقت مجدها الأمبراطوريّ السياسيّ آنذاك. وسرعان ما جذب أنكساجوراس ببلاغته وبراعته الخطائيّة والفلسفيّة الشخصيات

[١]- محمود السيّد مراد: المرجع السابق، ص ٣٠.

[٢]- J. Burnet: Early Greek Philosophy, Adam and Charles, Black, London, 1975, p.251.

[٣]- م. تبلور: الفلسفة اليونانيّة (مقدمة) ترجمة: د. عبد الحميد عبد الرحيم، مراجعة: د. ماهر كامل، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٤٨.

الأثينية البارزة، فاستمع إليه وتلمذ على يديه بريكليرس وزوجه أسبازيا، والكثير من وجهاء أثينا وسياسيها. وقامت علاقة صداقة متينة بين حاكم المدينة البارز وبين الفيلسوف، وكان الحاكم هو المستفيد الأكبر من هذه العلاقة، وهذا ما أكّده المؤرخ فلوطرخس Plutarch عندما ذكر أن أنكساجوراس كان له الفضل الأكبر في رفع شأن بريكليرس وليس العكس كما يعتقد الناس<sup>[١]</sup>. فقد استلهم الأول من الثاني أفكاره التحررية والعلمية من أجل الاستفادة منها في بناء شخصيته القيادية من جهة، ونشر الثقافة بين الأثينيين من الجهة الثانية. فقد أحس أن الأثينيين من دون تلك الأفكار المتحررة ستصبح خبرتهم بالحياة أحادية الجانب وساذجة<sup>[٢]</sup>.

### أسباب اضطهاد أنكساجوراس ومحاكمته

كما عودنا التاريخ، فإن الحركات الإصلاحية والتقدمية دائماً ما تلقى استجابة قوية من الصفوة والطبقة الراقية، لكنها، في الوقت ذاته، تقابل بأشد أنواع الرفض والاستهجان من العامة والجهلاء، وكانت الأغلبية الغالبة من الشعب الأثيني من هذه النوعية الأخيرة. فرغم الجهود الكبيرة التي بذلها بريكليرس في القرن الخامس ق.م مستلهما فكر أستاذه، كان موقف عامة الشعب على عكس ما أراد زعيمهم، وذلك نتيجة لما انتابهم من شك وارتباب وعدم فهم لحقيقة الروح الأيونية الجديدة. فقد اعتقدوا أنها تحمل تهديداً خطيراً لنظامهم الديمقراطي الشعبي من جهة، ولموروثهم الحضاري الديني من جهة أخرى<sup>[٣]</sup>. يضاف إلى ذلك عامل آخر أدى إلى تزكية نار النفور والكراهية في نفوس الأثينيين لأنكساجوراس، يتمثل في مكائد أعداء بريكليرس من السياسيين الطامعين في إزاحته من المشهد السياسي ليخلو لهم الجو، وذلك من خلال تشويه ما حققه، والطعن في براءة وإخلاص الدائرة القريبة منه.

وكان الطعن في براءة الصداقة الغامضة بين بريكليرس وهذا الحكيم الأيوني الغريب، هو المصيدة التي نصبها خصومه لاصطياده. فإذا كان هو يستمد قوته وبراعته السياسية والخطابية من الحكيم فليتم تجريده من هذا السلاح فيصبح ضعيفاً أعزل أمام الجماهير الملتفة حوله

[١]- جورج سارتون: تاريخ العلم، ج ٢، ترجمة لفيق من العلماء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٤١.

[2]- B. A. G. Fuller: History of Greek Philosophy, Henry Holtand, Company, New York, 1931, p. 208.

[3]- E Zeller: Outlines of the History of Greek Philosophy, 13th Ed, Dover Publications Inc., New York, 1980, p. 60.

والمفتونة بشخصيته. وقد كان لهم ما أرادوا، فأخذوا شيئاً فشيئاً ييثون في أوساط الطبقات الشعبية الشائعات التي تزكي الشك في النفوس تجاه هذه العلاقة، الأمر الذي قاد كثيراً من أفراد هذه الطبقات للنظر إلى هذه العلاقة نظرة الريبة وظن السوء بالفيلسوف وبدوره<sup>[١]</sup>. وكانت مخاوف هذه الفئات مبنية على شائعات روجها خصوم بريكلير السياسيون بأن أنكساجوراس جاسوس فارسي، وأنه شخصية غريبة وذو فكر متطرف يزعم أن الآلهة التي يعبدتها الشعب الأثيني مجرد حجارة نارية لا تنفع ولا تضر.

لقد عرض لنا الروائي اليوناني الأشهر سوفوكليس Sophocles بعضاً من الاتهامات وصور العداء التي لقيها أنكساجوراس من الأثينيين، والتي اتخذت في معظمها بادئ الأمر صورة التعصب الديني ضده، وانتقل هذه التعصب المقيت من أثينا إلى مدن أخرى في أسيا الصغرى، والتي سيطر عليها القلق والتوجس من تنامي هذا الشكل الجديد من الفكر الحر الذي يخالف ما ورثوه من عقائد وتقاليد<sup>[٢]</sup>. حقاً، نحن لا ننكر ما كان يلقاه فكر أنكساجوراس الفلسفي من ترحيب أثيني في مستهل السنوات الأولى من هجرته إليها، شأنه شأن أي فكر جديد يظهر في أرض متعطشة للثقافة والعلم، ولكن هذا الترحيب وهذا الشغف بالجديد تحول في ما بعد إلى ارتياب وشك، ثم إلى نفور وإعراض، ثم انتهى إلى محاكمة واتهام لصاحبه.

وإلى جانب المكائد السياسية، ومحاولة النيل من شخصية بريكلير من خلال الطعن في ذمم وأخلاق الدائرة القريبة منه، هناك سبب آخر دفع الأثينيين إلى هذا العداء السافر لفكر أنكساجوراس، ألا وهو تعصبهم للعادات والتقاليد الدينية المتوارثة، فقد سيطر هذا التعصب على العقول والنفوس، وأوصل الأمر إلى تحريم البحث في الطبيعة ومحاولة الكشف عن أسرارها، لما يحمله هذه البحث الجريء من انتهاكات للمقدسات الدينية من جهة، وللأعراف الاجتماعية والفكرية المتوارثة من جهة أخرى، أي أن هذا البحث الجديد اصطدم بالسلطة الدينية والفكرية المعترف بها لدى الجميع<sup>[٣]</sup>. وشاع عن الأثينيين براعتهم في اللجوء إلى رمي أعدائهم بالتجديف الديني لأنهم كانوا على يقين من أن هذه التهمة

[١]- جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيون، مطبعة الإرشاد، ط ١، بغداد، ١٩٧١، ص ٩٠.

[2]- B. A. G. Fuller: Op cit, p. 206.

[3]- B. A. G. Fuller: op cit, p. 205.

وحدها كافية للنيل منهم مهما كانت مراكزهم السياسية والفكرية<sup>[١]</sup>. صحيح أنه لم تكن توجد في أثينا كتب دينية مقدسة، ولا سلطة كهنوتية غاشمة، ولكن في المقابل كانت شديدة التمسك بالمظاهر الدينية الشكلية، والمواظبة على تأدية الطقوس والشعائر الدينية الرسمية، والضرب بيد من حديد لمن يحاول انتهاكها أو حتى التقليل من قدرها. وكانت أثينا بتعصبها الديني هذا تغرد خارج سرب المدن الأيونية المتسامحة دينياً<sup>[٢]</sup>. ولم يكن الرأي العام مهياً في ذلك الوقت لتقبل التيار العلمي المتحرر من هذه السلطة، وكيف له أن يتقبل فكراً ينكر ألوهية الأجرام السماوية التي ورث تقديسها وعبادتها، ويعريها من هالة القداسة والمهابة، وينظر إلى ظواهر العالم العلوي بوجه عام باعتبارها ظواهر مادية يمكن تفسيرها تفسيراً علمياً مجرداً<sup>[٣]</sup>.

لقد اختلف موقف عامة الشعب الأثيني عن موقف زعيمهم بريكليس والصفوة المثقفة، فبينما كان هذا الأخير معجباً بهذه الأفكار، متقبلاً لها، وكانت زوجه أسبازيا تقيم صالوناً فكرياً وأدبياً حولها بشكل أسبوعي، كانت عامة الشعب متخوفة منها، ورافضة لها لما تحمله من تهديد صريح لمعتقداتهم الدينية الرسمية والمتوارثة. هكذا تجلّت في أثينا القرن الخامس ق.م مظاهر الصراع الدموي العنيف بين الدين والعلم في أوضح صورته، صراع حرّمت من خلاله القوى الشعبية المتعصبة على الفلاسفة دراسة الفلك والطبيعة، وحكمت على من يخالف ذلك بالإلحاد، رغم أن هذا العصر على وجه التحديد كان العصر الذهبي للحضارة الأثينية<sup>[٤]</sup>. وكان نتيجة حتمية لهذا التعصب أن يُقدّم أي شخص للمحاكمة ومن ثم الإدانة، وأن يُلقى في السجن أو المنفى، مهما كانت مكانته الاجتماعية والسياسية حتى ولو كان بريكليس نفسه<sup>[٥]</sup>.

وأكبر دليل تاريخي على شيوع هذا التعصب الديني في أثينا القرن الخامس ق.م، ما سيطر على سقراط من هلع أثناء محاكمته من إصاق تهمة الاشتغال بالفلسفة الطبيعية

[١]- جعفر آل ياسين: المرجع السابق، ص ٩٠.

[2]- B. A. G. Fuller: A History of Philosophy, Henry Hall and company, New York, 1952, p. 77.

[٣]- مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج ١، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٥٣.

[٤]- ول ديورانت: قصّة الحضارة، ج ٢ م ٢، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٧٨.

[5]- B. A. G. Fuller: Op cit, p. 210.

به، وحرصه أشد الحرص على نفي التهمة عن نفسه، وذكره أن أنكساجوراس هو الذي قال عن الآلهة إنها حجارة<sup>[١]</sup>، فلولا تيقُّنه من بشاعة هذا الاتهام في نظر معاصريه، ولولا تأكُّده من تعصُّب عامَّة الشعب الأثيني، لما أصابه مثل هذا الهلع، ولا سيطر عليه الحرص على نفي هذا الاتهام عن نفسه جملة وتفصيلاً. وقد تأكَّد أنَّ محاكمة أنكساجوراس كانت سبباً في نشوب حرب إرهابيَّة دينيَّة قادها أحد رجال الدين المشهورين في أثينا ضدَّ كلِّ من لا يُقرُّ ولا يعترف بالمعتقدات الدينيَّة الرسميَّة، وضدَّ كلِّ من قدَّم تفسيراً علمياً جريئاً للظواهر الفلكيَّة المرتبطة بالمعتقدات الدينيَّة<sup>[٢]</sup>. فقد أعلن كاهن «هرقل» عام ٤٣٢ ق.م أنَّ الذين لا يقبلون المعتقدات الدينيَّة، وأولئك الذين ينشرون آراء مخالفة في الفلك يجب تقديمهم للمحاكمة<sup>[٣]</sup>. وعمد الأثينيون نتيجة لهذه التصريحات إلى سنِّ قانون يجيز إجراء مثل هذه المحاكمات بشكل قانونيٍّ، ويجيز اتِّهام هؤلاء الذين لا يمارسون الشعائر الدينيَّة، وهؤلاء الذين يهرطقون في أبحاثهم العلميَّة ويذيعون نظريَّات متحرِّرة عن الأجرام السماويَّة وتقديمهم للمحاكمة<sup>[٤]</sup>.

نستطيع أن نضيف سبباً ثالثاً - إلى السببين السياسيِّ والدينيِّ - كان يقف وراء اتهام أنكساجوراس وتقديمه للمحاكمة، هو السبب الفكري. فقد جاء إلى أثينا وهو يحمل معه مستوى من العلم والثقافة أعلى بكثير من مستوى عامَّة الأثينيين، فكان لابدَّ من مناصبته العداء شأن كلِّ فكر وافد جديد وغريب<sup>[٥]</sup>. وقد أكَّد على ذلك ديمتريوس الفاليري عندما أشار إلى أن نزعة أنكساجوراس العقليَّة المتحرِّرة كانت السبب الحقيقي وراء اتهام أثينا له بالإلحاد. فكانت المحاكمة رد فعل على الكراهيَّة التي أبدتها الأثينيون تجاه من حاول التعلُّق بمستوى من الثقافة أعلى بكثير من المستوى الذي وصلوا إليه<sup>[٦]</sup>.

[١]- أفلاطون: الدفاع، ١٨ ج ترجمة عزت قرني، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٨٨.

[2]- A. S. Bogomolov: History of ancient Philosophy, Trans by: V. Stankevich. Progress publishers, Moscow, 1985. p. 104.

[٣]- محمد فتحي عبد الله: الفلسفة اليونانيَّة (مدارسها وأعلامها) ج ١، دار الشمس للطباعة، ٢٠٠٣، ص ٢٠٢.

[٤]- برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربيَّة، ك١، ترجمة: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١١٢.

[٥]- جعفر آل ياسين: المرجع السابق، ص ٩١.

[٦]- برتراند راسل: المرجع السابق، ك١، ص ١١٢.



من هنا يبدو أنَّ الحرِّية التي اشتهرت بها أثينا القرن الخامس ق.م لم تكن حقيقةً، بل كانت مقيّدة بعادات المدينة ومقدّساتها. فلم يكن مسموحاً الخروج بأيّ حال على ما استقرّ عليه المجتمع. وكان هذا التضيق يزداد على غير الأثينيين، فالويل كلُّ الويل لمن كان أجنبياً وفي الوقت ذاته صاحب عقل جريء مغامر. وهذا تماماً ما مثّله في نظرهم شخصيّة أنكساجوراس الذي طرح فكرةً تجديدياً يعارض من كانت تعبه وتقدّسه أثينا آنذاك<sup>[١]</sup>. لقد أخذته الحماسة الفكرية فلم تجعله ينتبه إلى موضع أقدامه في المدينة التي هاجر إليها وكان يظنّها قبلة الحرِّية في عصره. أما سقراط فقد انتبه إلى هذه الحقيقة عندما صرّح بأن «استنكاره للأساطير الخرافية قد يكون سبباً أثار عليه الخصوم من كلّ اتّجاه، مؤكّداً على أنَّ الأثينيين لا يحفلون بالرجل إذا ظلّوا في الحكمة، أما إذا بدأ يبتُّ في الناس حكمته، فإنهم عندئذٍ يتتخلّون الأسباب لبغضهم له»<sup>[٢]</sup>.

### المحاكمة

تحدّثنا كتب التاريخ والسير أنَّ أنكساجوراس قُدِّم للمحاكمة على يد اثنين من زعماء الشعب في أثينا، كانا في الوقت ذاته، خصمين سياسيين لبريكليس ينافسانه على السلطة، هما: كيلون Cleon وثيوكديديس Thucdides. وقد ضمّت لائحة الاتهام الموجهة إليه: أنّه كافر بالآلهة المدينة، ومُنكر لقداستها، ويقول عنها أنّها مجرد حجارة صمّاء. وأنّه جاسوس فارسيّ جاء إلى أثينا ليمهّد للفرس الطريق لغزوها. فكان بذلك أول مفكّر في التاريخ الفلسفيّ اليونانيّ يُعاقب من جرّاء تفكيره الحرّ وسيره وراء ما أوصى به عقله، وما حثّه عليه ضميره الفلسفيّ، بدلاً من التمسك بعقائد الجماهير<sup>[٣]</sup>.

كان أرسطوفانيس -المسرحيّ الساخر- أول من نبّه الجماهير الأثينية في مسرحيّاته الكوميديّة إلى خطورة ما يقدمه أنكساجوراس من أفكار جريئة وخارجة، بل ووصل به الأمر إلى أن اتخذه بطلاً لبعض المسرحيّات بصورة من ينفث سمومه في عقول الأثينيين لهدم

[1]- B. A. G. Fuller: A History of Philosophy, p. 205.

[٢]- أفلاطون: أوطيفرون، ترجمة: د. زكي نجيب محمود ضمن محاورات أفلاطون، لجنة التّأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥، ص ١٧.

[٣]- جورج سارتون: تاريخ العلم، ج ٢، ص ٤٥.

عقائدهم<sup>[١]</sup>. وبعد فترة طويلة من الشهير قُدِّم أنكساجوراس للمحاكمة. فقد روى ديوجين لايرتوس أن كليون هو من قام باتهام أنكساجوراس أمام المحكمة بالإلحاد لقوله إن الشمس حجر ملتهب، وأن تلميذه بريكليرس دافع عنه، وأنه عوقب وأدين بالحبس والغرامة المالية<sup>[٢]</sup>. وذكر الرواية نفسها مؤرِّخ آخر هو يوستيس<sup>[٣]</sup>. في حين روى المؤرِّخ ستاريوس Starus أن ثيوكلديس هو من قام باتهام أنكساجوراس بالجاسوسية والإلحاد<sup>[٤]</sup>.

قُدِّم أنكساجوراس للمحاكمة وتمَّت إدانته رغم دفاع بريكليرس تلميذه المستميت عنه، وأخبار محاكمته وإدانته والحكم عليه بالإعدام بشرب السم هي أخبار مؤكَّدة وردت في روايات كثيرة. فد ذكرها أفلاطون في محاورة الدفاع<sup>[٥]</sup>، وأشار إليها ديوجين لايرتوس عندما ذكر أن أنكساجوراس تمَّت إدانته، وحكم عليه بالإعدام، وظلَّ فترة في السجن قبل التنفيذ ما سمح لتلميذه بتهريره إلى خارج أثينا بعدما حاول دفع فدية مالية للإفراج عنه وفشلت المحاولة<sup>[٦]</sup>. وكان في محاكمته وسجنه متَّسمًا بِسمة الشجاعة والجلد، فقد تلقَّى وهو في محنته أنباء موت أبنائه وفشل محاولة بريكليرس في دفع فدية عنه للقضاة بصبر الحكيم حيث قال: «لقد قضت الطبيعة منذ الأزل عليَّ أنا وعلى قضاتي أنفسهم بالموت، وكذلك على أبنائي، فأنا على يقين من أن أبنائي قد ولدوا لكي يموتوا»<sup>[٧]</sup>.

كانت لدى بريكليرس ثقة لا حدود لها في براءة أستاذه، وإيمان قويُّ بأنَّه السبب وراء ما يتعرَّض له أستاذه من اضطهاد وتنكيل، لذا لم يجد غضاضة في مساعدته للخروج ممَّا ورَّطه فيه بالدفاع الخطابيِّ البليغ أمام المحكمة، وبطلب التماس العفو عنه مقابل دفع فدية لإطلاق سراحه، وأخيراً باللُّجوء إلى الاحتيال لتهريره إلى خارج أثينا حتى لا يتمَّ تنفيذ حكم الإعدام به ظلماً وجوراً. أما أنكساجوراس نفسه فقد رفض تنفيذ الحكم بشرب الشكران

[١]- محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٢٨.

[2]- D. Laretius: Lives of Eminent Philosophers, Trans by: R.D. Hicks, Vol. 11, 1112-, Cambridge university press, 1972. P. 143.

[3]- K. Freeman: The Pre-Socratic Philosophers, 2nd ed, Basil Blackwell, Oxford, 1959. p. 263.

[4]- D. Laretius: Op Cit, Vol. 11, 1112-, p. 143.

[٥]- أفلاطون : الدفاع، ترجمة: د. عزت قرني ضمن محاكمة سقراط، ط٢، دار قباء، ٢٠٠١م، ٢٦، ص ١١٦.

[6]- D. Laetius: Op Cit, Vol. 11, 1113-, p. 143.

[7]- Ibid, vol. 11, 1213-, p. 143.

السأم، وآثر الهروب من أثينا لأنه كان على قناعة تامة بأن الاتهام الموجه إليه باطل، وأنه متهم بفعل لم يقم به أصلاً، فليس هو الحكيم الذي يخالف العدالة ويفعل نقيض ما ينادي به من مبادئ. فقد ترك مدينته الأم وتنازل عن أمواله وموطنه تمسكاً بمبادئه ورغبة في نشر حكمته. ومن خلال هروبه ينجو كذلك بفكره ورسالته لكي ينشرها في بلد آخر أكثر حرية ورحابة صدر، وقد كان له ما أراد. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يكون قد حقق مطلب الأثينيين كشعب في ابتعاده عن مدينتهم لتظل مستقرة كما يحلمون<sup>[١]</sup>.

وكان لأنكساجوراس ما أراد فقد قصد وهو فارٌّ من أثينا وجبروتها مدينة لمباسكوس Lampascus، وهناك أنشأ مدرسة لتعليم الحكمة وعلم الفلك والهندسة التي لم تلق الانتشار اللائق بها سابقاً، وجذب إليه الكثير من الأتباع، وزادت شهرته، حتى أن أهل لمباسكوس اتخذوا من يوم وفاته عطلة رسمية للمدارس، ونقشوا صورته على عملة المدينة، وأقاموا له نصباً تذكاريّاً في وسط السوق تخليداً لذكراه تم إهداؤه للعقل والحقيقة<sup>[٢]</sup>. أما مقبرته فقد كتبوا على شاهدها «هنا يرقد أنكساجوراس الذي صعد ببحثه عن الحقيقة إلى السماء نفسها، حتى وهو راقد في سلام هنا»<sup>[٣]</sup>. أما أثينا، على الجانب المقابل، فلم تهناً بالاستقرار الفكري والعقدي الذي كانت تحلم به، إذ سرعان ما بدأت تستقبل قادة السفسطائيين وكذلك سقراط، الذين واصلوا إثارة العقل الأثيني بأفكارهم الفلسفية، ولم يستطع الأثينيون إيقاف هذا الهجوم الجارف<sup>[٤]</sup> إلا بإعدام سقراط. وقد تنبأ أنكساجوراس نفسه بذلك عندما أجاب عن سؤال: ما الذي خسرت عند مغادرة أثينا؟ قائلاً: «أنا لم أخسر شيئاً، لكنهم هم الذين خسروني»<sup>[٥]</sup>.

## ٢- اضطهاد أسبازيا زوج بريكلير وإرهابها

لا نعرف الكثير من المعلومات الموثقة تاريخياً عن أسبازيا الملطية، لكن من الثابت

[1]- J. Burnet: Greek Philosophy from Thales to Plato, Macmillan & co. LTD, London, 1968, p. 256.

[2]- Ibid, p. 256.

[3]- D. Laertius: Op Cit., Vol. 11, 1113-, p. 145.

[٤]- مصطفى النشار: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٦٦.

[5]- D. Laertius: Op Cit., Vol. 11, 10, p. 141.

أنَّها كانت غير أثينية الموطن، ولدت في ملطية عام ٤٧٠ ق.م. وهاجرت -مثلها مثل أنكساجوراس- من إقليم أيونيا إلى أثينا وهي في العشرين من عمرها، واستقرَّت بها حتى وافتها المنية عام ٤٠١ ق.م تقريباً<sup>[١]</sup>. وهناك حقَّقت شهرة عظيمة ليس بسبب جمالها الأخاذ فحسب، بل أيضاً لذكائها وبراعتها الأدبية في الخطابة. أما الأسباب التي دفعتها إلى ترك موطنها والهجرة إلى أثينا فلا نعرفها على وجه التحديد.

اشتهر عن أسبازيا كونها خطيبة بارعة، ومشاركة بارزة في حلقة بريكلis الفلسفية. وقد أشار أفلاطون إلى شهرتها كفيلسوفة، واتَّخذ خطبتها الجنائزية موضوعاً لحوار سقراط في محاورة مينكسينوس Menexinus، كما تظهر مرسومة في لوحة زيتية موضوعة على بوابة مكتبة جامعة أثينا في اليونان وهي واقفة جنباً إلى جنب مع سقراط وأفلاطون وفيدياس وبريكلis<sup>[٢]</sup>. وقد افتتحت أسبازيا مدرسة لتعليم البلاغة والفلسفة، وقد التحقت بمدرستها كثيرات من الطبقات العليا. بل كانت تعقد صالوناً أدبياً أسبوعياً في بيت بريكلis وكان الرجال يستمعون إلى محاضراتها، ومن بينهم بريكلis نفسه وسقراط، وأكبر الظنَّ أيضاً أنكساجوراس ويوربيدس وفيدياس. ويقول سقراط إنه تعلَّم منها فنَّ البلاغة<sup>[٣]</sup>. فقد ذكر في محاورة مينكسينوس صراحةً أنَّه وكثيرين غيره من الخطباء المفوَّهين قد تعلَّموا الخطابة من أسبازيا وعلى رأسهم بريكلis الذي تفوَّق على كلِّ الإغريق<sup>[٤]</sup>. بل أشار صراحةً إلى أنَّها هي التي وضعت الخطبة الجنائزية البليغة التي ألَّقاها بريكلis نفسه في رثاء شهداء أثينا<sup>[٥]</sup>. وقد هام بريكلis حباً في أسبازيا واتَّخذها خلية له وأنجب منها طفلاً. وما لبثت أن أصبحت ملكة أثينا غير المتوجَّة، تشيع فيها آخر أنماط الحياة الاجتماعية، وعنَّها تأخذ نساء المدينة «مُثل الحرية العقلية والأخلاقية التي يتطلَّعن لها، والتي تثير حماسهنَّ»<sup>[٦]</sup>.

لكنَّ خطورة أسبازيا - في نظر الأثينيين المحافظين - لم تكن في مهارتها البلاغية، ولا

[١]- ماري إيلين ويث: تاريخ الفلاسفة النساء، ج ١، ترجمة: محمود مراد، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٦١.

[٢]- المرجع نفسه، ص ١٦١.

[٣]- ول ديورانت: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨ - ص ١٩.

[٤]- أفلاطون: محاورة مينكسينوس، ترجمة عبد الله حسن المسلمي، ١٣٥٥هـ، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٢، ص ٥٢.

[٥]- المصدر نفسه، ١٣٦ ب، ص ٥٣.

[٦]- ول ديورانت، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٩.

حتى في جمالها المثير، بل في جرأتها على العادات والتقاليد المترسّخة في أثينا، وتهديها للأمن والسلم الاجتماعيين من جهة، وتدخّلها في شؤون الحكم وإدارة البلاد من خلال تسلّطها على عقل بريكلّيس من جهة ثانية، وهي الوافدة الأجنبية التي لا تمتّع بحقوق المواطنة الأثينية الخالصة، والتي لا يجوز لها أن تبدي رأيها في سياسة أثينا فضلاً عن إدارتها. لقد كانت شخصية فكرية مؤثرة صاحبة عقل لمّاح في استغلال الخطابة لتحقيق النفوذ السياسي، وقد امتدّ تأثيرها بقوة إلى الدوائر الخلفية للحياة السياسية والفكرية الأثينية. لذا اعتبرها كثير من الأثينيين المحافظين -أبرزهم أرسطوفانيس وسوفكليس وأفلاطون واسيخنيوس - مصدر خطورة على الحياة السياسية والاجتماعية، ومثال لسوء استخدام الفلسفة لتحقيق أهداف غير نبيلة، فقد استغلّت الحكمة والخطابة لفرض السيطرة ولخداع الشعب<sup>[١]</sup>.

فكان لابدّ من أن تُقدّم أسبازيا للمحاكمة طالما تجرّأت هذه الجرأة غير المعهودة على عادات وتقاليد أثينا المتوارثة. وقد بدأت المحاكمة شعبية غير مباشرة في بداية الأمر من خلال شنّ حملة سخرية وتشهير بأسبازيا على لسان الكتاب المسرحيين الساخرين، فأطلقوا سيلاً من الاتّهامات عليها وفتشوا سمومهم هذه على الجماهير المتحفّزة. فقد وصفوها بأنّها ديانيرا Deianeira التي أهلكت بريكلّيس، وأطلقوا عليها بلغة يونانية صريحة اسم العاهرة، واتّهمها هرمبوس Hemippos بأنّها تعمل على كسب المال عن طريق غير شريف، وأنّها قوادة لبريكلّيس تأتي له بالحرائر ليستمتع بهنّ<sup>[٢]</sup>. لقد شعر الأثينيون بأنّ أسبازيا تقوم بانتهاك صريح للأعراف الاجتماعية المتوارثة، وتتهكّم وتهين النمط الثقافي القديم، وتغرس بذور حركة التحرّر النسائية، وكلّها أفكار أجنبية غريبة عن المجتمع الأثيني، كان مصيرها الرفض القاطع من طبقات المجتمع الشعبية والمحافظّة. لقد وجدوا هذا الفكر مخيفاً ومدمراً لتراثهم ومجدهم، ومن ثم ارتدّ ما فعلته أسبازيا على حلقة بريكلّيس بأكملها، وكانت هدفاً لاعتداءات خطيرة<sup>[٣]</sup>.

وما لبث هذا الغمز واللمز أن تحول إلى اتّهام حقيقيّ لأسبازيا أمام المحكمة، فقد وُجّهت إليها تهمة دينية بأنّها كافرة بالآلهة المدينة، ولا تخضع لأوامر الدين، وأنّها جهرت بعدم

[١]- ماري إيلين ويث: المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٩.

[٢]- ول ديورانت، ج ٢ م ٢، ص ٢٠.

[3]- B. A. G. Fuller: Op Cit., p. 209.

تعظيمها آلهة اليونان<sup>[١]</sup>. وهي التهمة التي دأبت الجهات المحافظة في أثينا على توجيهها إلى كل من يجرؤ على الخروج على العادات والتقاليد المترسّخة لعلمها بما لهذا الاتهام من قوة في إثارة مشاعر الكراهية والهجوم في نفوس الجماهير المؤمنة التي تتألف منهم المجالس النيابية والمحاكم في ذلك الوقت. قُدمت أسبازيا للمحاكمة الشعبية الرسمية عام ٤٣٢ ق.م، ونظرت قضيتها أمام ألف وخمسمائة من القضاة، ودافع عنها بريكلّيس دفاعاً مجيداً، استخدم فيه كلّ ما وهب من بلاغة، بل إنه استخدم فيه دموعه نفسها، ورفضت الدعوى. ولكن هذه الحادثة تركت أثراً حزيناً عميقاً في نفس بريكلّيس لازمه حتى وفاته بعد هذا التاريخ بثلاث سنوات<sup>[٢]</sup>.

فإذا علمنا أنّ النساء في أثينا القرن الخامس ق.م كنّ محرومات من كلّ الحقوق والحريات التي يتمتع بها الذكور، فلم تكن لهنّ إرادة حرّة في اختيار أيّ شأن من شؤونهنّ، وكان المجتمع الأثيني ينظر إليهنّ على أنّهنّ مجرد وسائل لنقل الملكية وتوريثها، بل كان يعتبرهنّ أقرب ما يكون إلى فئة العبيد، وكانت المرأة في أثينا محرومة من كلّ الحقوق السياسية والمدنية الفعّالة في بلدها، فلم تكن تملك حقّ التصويت، أو حقّ الحديث في الجمعية الشعبية، أو حقّ أن تصبح ضمن هيئة المحلّفين في المحاكم الشعبية<sup>[٣]</sup>. إذا علمنا كلّ هذا أدركنا إلى أيّ حدّ كانت أسبازيا جريئة في دعوتها التنويرية إلى تحرير النساء في أثينا من العبودية والخضوع، وأدركنا في الوقت ذاته كمّ الإزعاج الذي سبّبه دعوتها هذه للمحافظين الأثينيين.

### ٣- محاكمة الفيلسوف سقراط وإعدامه

يستقرّ في أذهان الكثير من الباحثين صورة راسخة لسقراط تصوّره على أنّه مفجّر فلسفة الأخلاق الأول في العالم اليونانيّ القديم، وأنّ على يديه قد بدأت الفلسفة الخلقيّة في البزوغ، وهي صورة لا تخلو -في حقيقة الأمر- من الصّواب إلى حدّ كبير في رأيها. لكن شدّة سطوعها في الأذهان جعلت جانباً آخر في فلسفة سقراط يبهت ضوؤه فلا تميّزه العين

[١]- ول ديورانت، ج ٢ م ٢، ص ٢٠.

[٢]- المصدر نفسه.

[٣]- روجر جست: المرأة في أثينا (الواقع والقانون) ترجمة: د. منيرة كروان، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢٧.

مع أنه يحتل مساحة لا بأس بها من فكره، إنه الجانب الديني في فلسفة سقراط. لقد كان له موقف من الدين شديد التميز لا يقل بأي حال من الأحوال عن موقفه الأخلاقي. موقف المجدد والمصلح للعقائد الدينية والطقوس الشعائرية المتوارثة والسائدة في أثينا منذ عصور سحيقة. وكان لابد من أن يدفع الثمن لهذه الجرأة على الدين السائد وعلى النظام السياسي القائم آنذاك. وكان هذا الثمن هو حياته.

لقد استطاع سقراط في فلسفته أن يحقق المعادلة الصعبة بين العقل الحر المنطلق وبين الإيمان الديني الملزم، التوافق بين الدين والفلسفة. وثمة جانب آخر من جوانب تميز سقراط الفلسفي ألا وهو اتساقه مع نفسه في تقواه، فلم يكن يعيش حالة الشيسيزفرينا الفكرية بين ما يؤمن به ويعتقده، وبين ما يفعله، بل كانت أفعاله ترجمة صادقة لأفكاره، وهو اعتنق التقوى عقيدة في عقله وطبقها على سلوكياته، لذلك عاش فلسفته وفلسف حياته<sup>[١]</sup>.

والواقع أن سقراط لم يكن ملحدًا ولا مفكرًا تنويريًا قاد ثورة تغيير جذرية على الديانة التقليدية، بل كان مجرد مجدد في العقيدة أبقى في فكره على بعض الجوانب الدينية التقليدية مثل: الإيمان بالنبوءات وصدق العرافين، وتقديم الصلوات والقرايين المألوفة لآلهة المدينة، كما جدد في الوقت نفسه بعض الجوانب فيها مثل تأكيده على وحدانية الإله وتنزُّهه عن الصفات الدينية أخلاقيًا، وكمال علمه وقدرته، وشمول العناية الإلهية للعالم أجمع، وتمركزها حول الإنسان.

ولكن إذا كان سقراط قد نجح في أداء هذه الرسالة الإصلاحية الدينية التي كلفه بها الإله كما قال. فقد كتب عليه أن يلقي المصير المشئوم نفسه الذي لقيه كل مصلح ومجدد في العقيدة الدينية في كل زمان ومكان، كان ينبغي أن يتَّهم بالإلحاد وإفساد المجتمع، وأن يُحكَّم عليه بالموت.

لقد اجتهد سقراط في إظهار عدم احترامه للعقائد الدينية والاجتماعية التي كان يعتنقها مواطنوه، وقلل من شأن هذه العقائد في مناقشاته، واعترف بأنه من الصعب أن يصدق أن الآلهة يكره بعضها بعضاً، وتتقاتل في ما بينها، ولم يقبل القصص الدينية التقليدية التي

[١]- محمود مراد: فضيلة التقوى عند سقراط، مجلة كلية الآداب بسوهاج العدد ٢٩ الجزء الأول مارس ٢٠٠٦، ص ٤٠٦.

ينصت إليها الناس، محاولاً بذلك إصلاح المعتقد الديني ليتوافق مع المبادئ العقلية. وربما أدى عدم موافقته العقلية على هذه العقائد إلى انتشار الشائعات حوله، وتكوين صورة عداوية نحوه من قبل العامة، والتي كان منها صورته في مسرحية «السحب» لأرستوفانيس حيث يصوره فيها وهو يقول «لا يوجد زيوس والظواهر الطبيعية (السحب) هي الآلهة الحقّة»<sup>[١]</sup>.

### أسباب محاكمة سقراط وإعدامه

من المعلوم أنّ الحكم على سقراط بالإعدام عام ٣٩٩ ق.م كان نتيجة لاتهامه بالإلحاد وابتداع آلهة جديدة، وبإفساد الشباب في أثينا<sup>[٢]</sup>، وقد وقف مدافعاً عن نفسه أمام المحكمة التي تألفت من واحد وخمسمائة محلف تم اختيارهم بالقرعة من سجلات المواطنين صبيحة يوم المحاكمة. وقد روى أفلاطون دفاع سقراط الشهير في محاوره الدفاع، وكيف أثبت في دفاعه أنّ ما قام به على مدى حياته كلها كان رسالة مقدّسة كلّفته بها الآلهة، وأنّه مشدود إلى المدينة بأمر الإله وكأنّه مشدود إلى جواد عظيم<sup>[٣]</sup>. وقد أدانته المحكمة بأغلبية كبيرة وحكمت عليه بالموت لكن الرأي الذي يتفق عليه كثير من دراسي الفلسفة اليونانية عموماً وفلسفة سقراط خصوصاً، هو أن الأسباب الحقيقية التي كانت تقف وراء إعدامه لم تكن أسباباً دينية فحسب، بل كان هناك، في حقيقة الأمر، أربعة أسباب نبرزها كما يلي:

١- لقد أعدم سقراط لأسباب سياسية في المقام الأول، حيث دخل في صراع دموي مع الديمقراطية الأثينية السائدة في عصره، وكان لابد لهذا الصراع من أن ينتهي بموت واختفاء أحد طرفيه لأنّه صراع على البقاء. وكان لابد من أن يسقط صريعاً في هذه المعركة الطرف الأقل عدداً والأضعف ضجيجاً، وليس الطرف الأضعف صوتاً والأبعد عن الحقيقة، فسقط لكي تستمر الديمقراطية الأثينية قائمة على قدميها. لكن للعجب العجيب أنّ موته تبعه بعد فترة قصيرة موت واختفاء الديمقراطية الأثينية نفسها، وكأنّ هذا النظام بإعدامه لسقراط قد

[١]- جورج رديوش: سقراط، ترجمة: أحمد الأنصاري - مرجعة د. حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٤٠.

[٢]- لمطالعة نص الاتهامات، أنظر:

- Xenophon: Memorabilia of Socrates, Trans by: R. J. S. Watson, in: "Socrates Discourse" J.M. Dent &son Ltd, London, 1951, B1, ch. 1, 1, p.1.

[٣]- أنظر: أفلاطون: محاوره الدفاع، ضمن محاكمة سقراط، ٣١، ص ١٢٤.



جرّ نعمة الحياة على نفسه. ولم يكن هو ولا النظام الديمقراطيّ الأثينيّ نفسه يعلم أنّه لولا الديمقراطية لما وُجد، والديمقراطية من ناحيتها لم تكن تعلم أن موته هو في حدّ ذاته قضاء عليها هي نفسها. لذا يمكن القول إنّ الديمقراطية قد جنت على نفسها عندما أفسحت المجال للجدل السقراطيّ، فقد كاد هذا الجدل يقضي عليها، وجنت على نفسها بالتخلّص من مفجّر هذا الجدل<sup>[١]</sup>.

فإذا كان من الصحيح تاريخياً ما اشتهرت به أثينا من إفساح الطريق واسعاً أمام الناس لممارسة حقّهم في الكلام بحريّة، فلا شكّ في أنّ هذه الحرّية كانت مشروطة بالتقيّد بقيود العادات والتقاليد وقبلها العقائد الدينيّة الشعبيّة. وإلاّ فلماذا قامت بمحاكمة فيلسوف لم يرتكب ذنباً سوى ممارسة هذه الحرّية ولكن من خلال تبنيّ فكر مغاير؟ كيف نصف أثينا بأنّها مدينة الحرّية وهي تسلب من الحرّية أهمّ مقوماتها باشتراط أن يتمّ التفكير العقليّ الحرّ وفقاً للإطار التقليديّ الدينيّ المفروض سلفاً<sup>[٢]</sup>؟

لم يكن سقراط راضياً عن أوضاع أثينا المتردّية في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، غمّه كثيراً ما كانت آخذة فيه من التوسّع الأمبراطوريّ والاشتباك في حروب توسّعية مع المدن الأخرى، وما فعلته سياسة الديمقراطية من إفساح المجال لحرّية الأفراد في الحديث عن كلّ شيء رغم عدم جدارتهم لهذا. كان قلب سقراط يحنّ إلى مجد أثينا القديم في ظلّ أبطالها الأرستقراطيين القدماء<sup>[٣]</sup>، كان مثله الأعلى السياسيّ هو الحكم الملكي بواسطة الشخص الذي يعرف (الحكيم)، ولا شكّ في أنّ معاصريه قد رأوا في ذلك ردّة إلى المملكيّة بشكلها المطلق، وقد كان الدفاع عن الحكم الملكيّ يضع صاحبه كليّة في موقف الاعتراض على نظام المدينة، وبالتالي كان خروجاً على المألوف بل عملاً مشبوهاً يجلب المتاعب العظيمة على صاحبه. لقد اتّفق الأثينيون على أنّ المواطنين ينبغي أن يحكموا مدينتهم بأنفسهم، وما كانوا ليرضوا أبداً عن

[١]- محمود مراد: فضيلة التّقوى عند سقراط، ص ٣٣٥.

[٢]- ي. ف. ستون: محاكمة سقراط، ترجمة: نسيم مجلي، المشروع القوميّ للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١، ٢٠٠٢، ص ٢٢٩.

[٣]- د. أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٤٢.

أيّ نظام غير هذا<sup>[١]</sup>. وهناك الكثير من المواقف التي يسجّل فيها المؤرّخون معارضة سقراط الشديدة للديمقراطية منها ما ذكره ديوجين لايرتوس من رفض سقراط أن يدعّن لكرتياس وحلفائه عندما أمره بإحضار الثريّ ليون Leon ليمثّل أمامهم من أجل محاكمته، وكذلك واقعة أنّه الوحيد الذي صوّت على تبرئة القادة العشرة<sup>[٢]</sup>. كما انتقد أيضاً عملية اختيار الحكام برمي القرعة، وهذا ما جعل الكثيرين يميلون إلى اعتبار ذلك هجوماً على نظام المدينة الدولة نفسه. إذن، كانت الدوافع الحقيقيّة وراء الاتّهام دوافع سياسيّة، ولمّا كان العفو العام الذي أعلن عنه بعد تجديد الديمقراطية لا يجيز إقامة اتّهام على أساس من هذه الدوافع، فقد جاء اتّهام سقراط مغلفاً ظاهريّاً بغلاف ديني<sup>[٣]</sup>. بل هناك من يرى أنّ اللامبالاة التي أبدّاها سقراط إزاء مصير العامل الأجير في «أوطيفرون» والذي تمّ قتله على يد والد أوطيفرون، فلم يهتم سقراط في المحاورّة به ولا حتى بالسؤال عن اسمه قد أذهلت معاصريه كما أذهلتهم لامبالاته تجاه مصير الأجراء في عامي ٤١١، ٤٠٤ ق.م واستنّج معاصروه من ذلك افتقاده لمشاعر العطف، وأن ذلك يعكس ازدراءه للديمقراطية، ولعلّ هذا يفسّر بقاء سقراط في المدينة تحت حكم الدكتاتوريّة وعدم قيامه بأيّ دور لاستعادة الديمقراطية<sup>[٤]</sup>.

إنها أفكار سقراط السياسيّة وليست الدينيّة التي جلبت عليه هذا المصير المشؤوم، وليست الاتّهامات الثلاثة التي كيّلت إليه سوى محاولة لتشتيت الانتباه بعيداً عن الأسباب الحقيقيّة. بل إنّ الطابع الدينيّ للمحاكمة لا يمكن فهمه إلّا على أضواء سياسيّة؛ فتهمّة الإلحاد لم تكن لتنتهي إلى الإعدام، فكثيراً ما أنكر الفلاسفة وجود الآلهة اليونانيّة وشكّكوا فيها ووجّهوا نقدهم للأساطير الأولمبيّة بشكل يفوق ما نُسب إليه قوة وجلبة، ومع ذلك لم يتعرّضوا للمصير نفسه. يكمن جوهر المحاكمة في عدم مشاركة سقراط في إقامة الشعائر الدينيّة التي فرضتها الديمقراطية أصلاً، في حين كانت الحكومة تركز بشدّة على إقامة الشعائر

[١]- أي. أف. ستون: محاكمة سقراط، ص ٢٥- ٢٦.

[2]- Diogenes Laertius: op cit., Vol.1, 11, 24, p. 155.

[٣]- ثيوكاريس كيسيديس: سقراط، تعريب طلال سهيل، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٧٤.

[٤]- أي. أف. ستون: المرجع السابق، ص ١٧٧.

الدينية الوطنية ولم يكن يعينها الاعتقاد فيها في ذاته، وقد عُدَّ عدم مشاركة سقراط في النهاية خيانة للديمقراطية وليس كفراً بالآلهة<sup>[١]</sup>.

٢- يضاف إلى هذا سبب آخر يتمثل في دوافع شخصية ثأرية، إذ إنَّ سقراط نفسه بجدله اليومي المتكرر في الساحات والأسواق مع رجال عصره البارزين من قادة وساسة وأدباء، وفصحته على الملأ لتظاهرهم الكاذب بالحكمة قد خلق له أعداء شخصيين حقيقيين أخذوا بتحسين الفرص للإيقاع به لأجل التخلص من دليل كذبهم. وقد أشار ديوجين لايرتوس نفسه إلى ذلك بقوله إنَّ سقراط قد أضحى موضع حقد عظيم خصوصاً من هؤلاء الثلاثة الذين رفعوا عريضة الاتهام ضده، فمن المؤكد أنه قد عامل أنيتوس هذه المعاملة الساخرة المتهكِّمة، وأنَّه فعلاً قد صوِّرَ ذلك في محاورته مينون لأفلاطون (90a-95a)، ولما كان أنيتوس هذا لم يستطع -كما يروي ديوجين- تحمُّل أن يغدو أضحوكة بواسطة سقراط فناصره العداء. وكانت هذه المعاملة أيضاً الحافز الذي دفع أرسطوفانيس وأصدقاءه للهجوم عليه، وأسهم بعد ذلك في إقناع ميلتوس بأن يوجَّه لسقراط تهمة الإلحاد وإفساد الشباب. لقد ثار أنيتوس غضباً لمصلحة الحرفيين والساسة، وليقيون غضباً لمصلحة الخطباء، وميلتوس لمصلحة الشعراء، وشعرت كلُّ هذه الطبقات بالكراهية لسقراط<sup>[٢]</sup>. وأشار سقراط نفسه في الدفاع (23E-24A) إلى أنَّ المتهمين الثلاثة كانت لديهم دوافع مختلفة بعض الشيء تقف وراء تقديم اتِّهاماتهم: فلم يكن المحرِّض الرئيس وراء الاتِّهامات مؤلِّفها الظاهر للعيان ميلتوس، وإنما كان أنيتوس وهو رجل ذو تأثير سياسيٍّ عظيم في عصره، ويحمل كراهية متعصِّبة وغبيَّة للسفسطائيين حسبما يروي أفلاطون نفسه (مينون 91c-92a)، وكان من السهل أن تمتد هذه الكراهية نفسها إلى سقراط خاصة في ضوء الافتراءات التي عمَّرت طويلاً ووردت في «السحب»<sup>[٣]</sup> لأرسطوفانيس بأنَّ سقراط أحد كبار السفسطائيين لذلك وصف «جثري» ميلتوس بأنَّه «دمية يمسك بخيوطها أنيتوس القوي»، واعتبره بلانكينى Blankeney واحداً من صنائع أنيتوس، وأشار بيرنت إلى أن أنيتوس «عكف على استغلال تعصُّب ميلتوس

[١]- د. أميرة حلمي مطر : المرجع السابق، ص ١٤٣.

[2]- Diogenes Laertius: Op Cit., Vol.1, 11, 38, p. 169.

[3]- Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: The Formal charges against Socrates, Journal of The History of Philosophy, 23, 4 Oct.1985, p. 468.

الأعمى»<sup>[١]</sup>. كما أشار ديوجين لايرتوس إلى ذلك بقوله «وبوجه عام حدث بسبب شدة حاجاته أن وجهه إليه الناس لكلماتها وانتزعوا شعره، وأنه كان لدى الشطر الأعظم من الناس موضع ازدراء وسخرية، وقد تحمّل هذه المعاملة الظالمة بصبر وجلد، وكان ردّه على الشخص الذي أبدى استغرابه الشديد من هدوء سقراط وصبره على ما يفعله به الناس، أن قال «هل يتعيّن عليّ إذا ركلني حمار أن أتبع نفس طريقته؟!». لقد استجوب سقراط بشكل متكرّر مستمعيه، وضعهم وجهاً لوجه أمام مشكلات الإنسان الجوهرية، ولكنه أبداً لم يحلّها، فأثار الريبة والشعور بالنقص، كما أن المطالب التي قدّمها خلقت في النفوس غضباً وكراهية له، وقد صوّر هيباس ذلك بقوله «إنك دائماً يا سقراط ما تسخر من الآخرين، تستجوب وتمتحن كلّ شخص، ولكنك ترفض دائماً أن تخرج نتيجة من عندك، أو تدلي برأي حول أي شيء»<sup>[٣]</sup>.

٣- وهناك سبب ثالث وراء المحاكمة هو أن العقلية الشعبية في أثينا قد خلطت بين سقراط والفسطائيين خلطاً كبيراً رغم الخطأ البين لذلك بحيث أنه لو حدث وكنت قد سألت أيّ أثيني عن الفسطائيين في عصره لعدّ لك سقراط على رأسهم. وبسبب هذا الخلط كان ميلتوس والمتحالفون معه على يقين تامّ بأنّهم قادرون على إقناع المحلفين في المحكمة بأنّ سقراط ملحد، إذ كان الكثير من الأثينيين يعتقدون هذا الاعتقاد حول أيّ عدد من الفسطائيين وفلاسفة الطبيعة، ومن ثمّ لما كانوا ميّالين إلى ألا يروا فرقاً جوهرياً بين هؤلاء وسقراط كان من الطبيعي أن يقفز إلى العقل اتهام كامل بالإلحاد إليه، واللعب على مثل هذا الفرض سوف تكون حيلة تكتيكية بارعة حتى ولو كان المدّعون أنفسهم لا يؤمنون به. إنهم كانوا سوف يفقدون سنداً عظيماً لو أهملوا الإشارة إلى هذا الافتراء<sup>[٤]</sup>. وخير دليل على هذا الخلط مسرحيّة السحب لأرستوفانيس التي يظهر فيها سقراط باعتباره الشخصية المحوريّة وزعيم الفسطائيين، وقد ساد هذا الظنّ بين الأثينيين، وإلّا لما أورده أرستوفانيس

[1]- Ibid, p. 468.

[2]- Diogenes Laertius: Op Cit., Vol.1, 11, 38, p151.

[3]- Xenophon: Memorabilia of Socrates, B, 1V, ch,4,9,p.133.

[4]- Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: The Formal charges against Socrates, p.476.

في مسرحية له يشاهدها الجمهور وحوكم سقراط على هذا الأساس<sup>[١]</sup>.

٤- والسبب الرابع والأخير يتمثل في أن عدداً من الأثينيين اعتبروا سقراط مسئولاً مسئولية مباشرة عن الجرائم التي ارتكبها تلميذاه ألقبيادس وكريتياس في حق أثينا الديمقراطية، فهو يعلم الشباب الانحراف<sup>[٢]</sup>. لقد اعتقدوا أنه مسئول عن إفساد الشباب الأثيني لأنه يعلمهم إظهار العصيان والازدراء تجاه آبائهم (خصوصاً في المسائل الدينية) وهذا ما أكد عليه أسيخنيس Aeschines بقوة متناهية ذاهباً إلى أنه حكم على سقراط بالإعدام بسبب كونه معلماً لكريتياس. ويرتكز بوليقرات Polycrates بقوة على علاقات سقراط المزعومة مع الشابين ألقبيادس وكريتياس كمعلم لهما في الهجوم عليه. ومن المحتمل أن هذا الزعم يمثل مصدراً قوياً للكراهية تجاه سقراط في أثينا<sup>[٣]</sup>.

لأجل هذا كله، كان الأثينيون ينظرون إلى سقراط نظرة الريبة والسخط. فقد عدّه المحافظون أشدّ السفسطائيين خطورة، لأنه -وإن راعى ما في الدين القديم من أسباب المتعة والمسرة- قد رفض التقاليد المتوارثة، وأراد أن يخضع كل قاعدة من قواعده لحكم العقل بعد تقصّ وفحص، وأن يقيم قواعد الأخلاق على ضمير الأفراد، وليس على خير المجتمع أو أوامر الآلهة، وانتهى به الأمر إلى تشكيك جعل العقل الأثيني فيه في حال من الاضطراب زعزعت كيان كل عادة وكل عقيدة، من هنا اتهمه التيار المحافظ بأنه زعزع أركان الدين، وأذاع قلّة احترام الصغار للكبار، ونشر الانحلال الخلقي عند الطبقات المتعلّمة، وفوضى العزوبية التي كانت تقوّض أركان الحياة الأثينية<sup>[٤]</sup>.

ولكن إذا كان متهمو سقراط الثلاثة قد غلّفوا اتهاماتهم الثأرية له بغلاف من الخروج على الديانة الرسمية للمدينة، فقد فعلوا ذلك عن ذكاء وخبث شديدين لأنهم يعرفون أن ديانة اليونان كانت تعاقب كل استهانة بالآلهة من خلال مخالفة الطقوس الدينية، حيث كان الاعتراف والعبادة لآلهة الدولة حقاً واجباً على المواطنين لأن الآلهة كانت في نظر الشعب

[١]- ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١١٩.

[2]- K. Jaspers: Socrates, Buddha, Confucius, Jesus Ed by: H. Arendt, Trans by: R. Manheim, A Harvest Book, New York, 1962, p. 11.

[3]- Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: The Formal charges against Socrates, p. 465.

[٤]- ول ديورانت، المرجع السابق، ج ٢ م ٢، ص ٢٣٧.

الأثيني حارسة المدينة وكنوزها المودوعة في المعابد، وكان يُعتقد أيضاً أنَّ الإيمان بها والعهود التي تُعقد لدى ذكرها، كانت تنمّي فيهم الشعور بالمساواة وتعزّز ثقتهم المتبادلة<sup>[١]</sup>. ومن ثم فإنَّ هناك دليلاً إضافياً على أنَّ محاكمة سقراط تمّت لأسباب سياسيّة وليست دينيّة بحتة، وهو أنَّ دولة المدينة اليونانيّة كانت هي التي تحدّد -عن طريق التشريع- الآلهة التي تختصّها بالعبادة والتبجيل، وكانت هي التي تنظم الطقوس الدينيّة والشعائر التي يلتزم بها المواطنون، لقد كانت الديانة وظيفة اجتماعيّة أو مدنيّة، انعكاساً لطرق الحياة المحليّة وتقاليدها، ومن ثم كان الاتهام بأنّ المرء غير مؤمن بآلهة المدينة جريمة سياسيّة عند الإغريق في المقام الأول<sup>[٢]</sup>.

صحيح أنَّ هذه الاتّهامات ضدّ سقراط كانت افتراءات غير متّسقة منطقياً، ولكن سمعته السيّئة بين الأثينيين هي التي جعلت الملك الأرجون يتأثّر بها، بل ويمكننا أن نفترض حتماً أنَّ المدّعين قد شنّوا اتّهاماتهم عليه في الوقت الذي شنّوه فيه بالذات (لا قبله ولا بعده) لأنّهم شعروا بالثقة بأن الملك الأرجون الحالي -وهو مسئول منتخب- سوف يسلم باتّهاماتهم هذه من دون مقاومة، أو حتى تدخل من جانبه من أيّ نوع. فضلاً عن أنَّ أنيتوس كان رجلاً ذا علاقات قويّة ومتشعّبة في أثينا آنذاك. فإذا كان الحال كهذا فلن يكون ذا أهميّة لو أن واحداً أو أكثر من المدّعين قد فطن إلى أنّه لا يمكن أن يكون ملحداً كامل الإلحاد وفي الوقت نفسه يعتقد اعتقاداً وثاقاً في إشارته السماويّة<sup>[٣]</sup>. إذن، حوكم سقراط لأسباب أخرى واتّخذت الاتّهامات الدينيّة مجرد ستار يخفي الأسباب الحقيقيّة للإعدام. وقد توسّع العلماء في تصوير ذلك توسّعاً يجعلنا نحن من جانبنا نتوقّف عند هذا الحدّ الذي ذكرناه.

## واقعة الإعدام

أدين سقراط في المحكمة، وحُكم عليه بالإعدام بشرب السّم، وقد استسلم بشجاعة منقطعة النظير لهذا المصير، وعندما دُبّرت له وسيلة للهرب من الحكم الظالم رفض الفرار وقبل برضى نفس أن يضعّي بحياته الفانية في سبيل ضمان الخلود لفلسفته وفكره. وقد كان

[١]- ثيوكريس كيسديس: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

[٢]- أي. أف. ستون: المرجع السابق، ص ٢٣٣.

[3]- Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: The Formal charges ...., p. 478-p. 479.

له ما تمّنّى. لقد حكمت عليه أثينا بالموت ليموت فكره معه، وما كانت تدري أنّها بإعدامه قد كتبت له الخلود وفي الوقت ذاته كتبت شهادة الوفاة لها ولمجدها. فلم يفلح الإعدام ولا جبروت أثينا وتعسّفها في القضاء على نفوذه الفلسفيّ، فقد ظلّ هذا الفكر حيّاً ونابضاً لدى أفلاطون وأرسطو وصغار السقراطيين. وقد انتقل الكثير من آرائه على يد هؤلاء التلاميذ فأصبح مادةً لجميع الفلاسفات الكبرى في القرنين التاليين. وكان أقوى أسباب نفوذه هو المثل الذي ضربه بحياته وأخلاقه، فقد أضحى في التاريخ اليونانيّ شهيداً وقديساً، حتى كان كلُّ جيل يبحث عن مثل أعلى للحياة البسيطة والتفكير الجريء يعود إلى الماضي ليستمدّ من ذكرى سقراط غذاءً لمثله العليا<sup>[١]</sup>.

وعقب تنفيذ حكم الإعدام في سقراط الذي روى مشهده المأساويّ الأخير أفلاطون في محاوره أقريطون، فرّ تلاميذه وحواريّوه خوفاً من بطش أثينا وتنكيلها بأتباعه، حيث هرب أفلاطون إلى ميجارا، وقفل أرسطيوس (مات ٣٦٦ ق.م) Aristippus إلى مسقط رأسه في قورينا في شمال أفريقيا وأقام مدرسة هناك لتعليم الفلسفة السقراطية كما يراها هي المدرسة القورينائيّة The Cyrenaicism، وعاد إقليدس (مات ٣٦٠ ق.م) Euclid إلى ميجارا وأسّس المدرسة الميجارية Megarianism. أما أنتستينس (مات ٣٦٨ ق.م) Antisthenes فقد أقام المدرسة الكلية The Cynicism.

لقد تحوّلت أثينا بعد صدور قانون محاربة الهرطقة عام ٤٣٢ ق.م إلى أداة قمع للحرّيّات الدينيّة والفكريّة، ونصبت محاكم التفتيش للمفكرّين الأحرار -كما يقول دودس E.R.Dodds- فقد أصبح الكفر بآلهة الديانة اليونانيّة التقليديّة وأساطيرها، وكذلك الاشتغال بدراسة الفلك والظواهر السماويّة جرائم هرطقة تستوجب المحاكمة العاجلة. وضمت قائمة الضحايا قادة الفكر والنقديّ الحرّ في أثينا من أمثال: أنكساجوراس، والفيلسوفة أسبازيا، ودياجوراس أستاذ بريكلّيس، وبروتاجوراس السفسطائي، ويوريديس الكاتب المسرحي، وأخيراً سقراط. وصدرت معظم الأحكام بالإدانة، وتنوّعت العقوبات بين النفي والإعدام وإحراق المؤلّفات. وكان عصر الاستنارة الذهبيّ لبلاد اليونان أبى إلا أن يكون أيضاً عصر

[١]- ول ديورانت، المرجع السابق، ج ٢ م ٢، ص ٢٣٨.

نفى العلماء الأحرار وإعدام الفلاسفة وحرق مؤلفاتهم<sup>[1]</sup>. تماماً مثلما كان الحال في القرن الثامن عشر في أوروبا، والذي شهد نبوغ وسطوع نجوم التنوير: فولتير، جان جاك روسو، جون لوك، ديدرو، مونتيسكيو وغيرهم، وفي الوقت ذاته حفل بمحاكماتهم ومطارداتهم ومصادرة مؤلفاتهم حتى اضطروا إلى نشرها مهزّبة ومغفلة أسماء أصحابها، أو ذُيّلت بأسماء مستعارة.

[1]- Dodd's (E.R.): The Greek and the Irrational, University of California press, Berkeley & Los Angeles, 1959.p. 125.



## خاتمة

في ختام حديثنا هذا، نستطيع أن نجمل أهمّ النتائج العامّة التي ننتهي إليها في النقاط التالية:

- رغم تعارض المصالح بين عامّة الشعب الأثيني وبين الأحزاب السياسيّة المحافظة والمعارضة للديمقراطيّة الأثينيّة في القرن الخامس ق.م، فالفريق الأول كانت مصالحه تتمثّل في المحافظة على المكاسب التي جنتها الطبقات الشعبيّة اقتصاديّاً وسياسيّاً آنذاك، أمّا الفريق الثاني فكانت مصالحه تتمثّل في التشكيك في النظام الديمقراطي من أجل إسقاطه والوثوب إلى سدّة الحكم، أقول، رغم هذا التعارض، فقد اتّفقت كلمة الفريقين على ضرورة محاربة أيّة أفكار جريئة تنويريّة وافدة تستهدف زعزعة أمن واستقرار المدينة، وتندر بالزوال للمكاسب السياسيّة والاقتصاديّة التي تحقّقت فيها مهما كانت مكانة من يروّجها. فلا شيء يمكن التسامح معه إذا مسّ عبادات المدينة وتقاليدها وأعرافها الدينيّة والاجتماعيّة المستقرّة منذ مئات السنين.

- لجأت مدينة أثينا من أجل الحفاظ على أمنها واستقرارها والمكاسب الأمبراطوريّة التي حقّقتها إلى كلّ وسائل الردع والاضطهاد لإسكات الأصوات المتحرّرة والمعارضة لسياستها ونظامها، فلم تجد غضاضة -وهي قبلة الحقوق والحريّات في بلاد اليونان- أن تسلب المعارضة وتجردّها من كلّ هذه الحقوق والحريّات بل وتقدّمها للمحاكات الجائرة موقعة بهم أشدّ أنواع العذاب والذي تنوّع بين النفي خارج المدينة، التجريد من الممتلكات والحقوق، السجن، إحراق المؤلّفات، وصولاً إلى تنفيذ حكم الإعدام بسقراط.

- وجّهت إلى أحرار الفكر التنويريّ في أثينا تهمة واحدة اشتركوا في حمل عارها - إلى جانب الاتهامات الأخرى التي اختلفت باختلاف حالة المتّهم - ألا وهي الهرطقة والخروج على الديانة الرسميّة للمدينة. مما يظهرنا على ما كان يسود المدينة من تعصّب دينيّ وتطرّف مقيت، فلم يكن يُسمح فيها بأيّ قدر من الحريّات الدينيّة أو التسامح الدينيّ. ولولا خبث وعلم المدّعين بخطورة هذا الاتهام وعدم تسامح الشعب الأثيني بأيّ حال من الأحوال مع من ينتهك حرّماته الدينيّة المقدّسة لما حرصوا في كلّ مرّة على رفع هذا الاتهام

بالهرطقة في وجه من يستشعرون منه بذور تهديد مصالحهم. من هنا يمكننا القول بأنَّ أثينا القرن الخامس ق.م كانت مدينة التعصُّب الدينيِّ في بلاد اليونان.

- رغم اشتهاار أثينا بأنَّها أتاحَت للجميع حريَّة التعبير عن الرأي سواء بالكتابة أم بالخطابة أو الكلام المرسل، فإنَّها في الوقت ذاته قد وضعت خطوطاً حمراء غير مسموح لأحد بتجاوزها مهما بلغ من مكانة، وعلى رأس هذه التابوهات: المساس بالنظام السياسيِّ القائم، التعرُّض لحرمة وقداسة المعتقدات الدينيَّة المتوارثة. فإذ ما جرؤ أمرؤ على تجاوز هذه الخطوط كان الاضطهاد والتنكيل الجزاء المنتظر بكلِّ تأكيد.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المراجع العربيّة

- ١- أفلاطون (٢٠٠١): الدفاع، ترجمة د. عزّت قرني ضمن محاكمة سقراط، ط ٢، دار قباء، القاهرة.
- ٢- ----- (١٩٥٤): أوطيفرون، ترجمة د. زكي نجيب محمود ضمن محاورات أفلاطون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ٣- ----- (١٩٧٢): محاورة مينكسينوس، ترجمة عبد الله حسن المسلمي، منشورات الجامعة الليبيّة، بنغازي، ١٩٧٢.
- ٤- أميرة حلمي مطر (١٩٨٦): الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة للنشر، القاهرة.
- ٥- برتراند راسل (١٩٥٧): تاريخ الفلسفة الغربيّة، ل١، ترجمة: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ٦- توفيق الطويل (١٩٤٧): قصة النزاع بين الفلسفة والدين، مكتبة الآداب، القاهرة.
- ٧- ثيوكاريس كيسيديس (١٩٨٧): سقراط، تعريب طلال سهيل، دار الفارابي، بيروت.
- ٨- جعفر آل ياسين (١٩٧١): فلاسفة يونانيون، مطبعة الإرشاد، ط ١، بغداد.
- ٩- جورج رديبوش (٢٠١٤): سقراط، ترجمة: أحمد الأنصاري - مرجعة د. حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- ١٠- جورج سارتون (١٩٧٨): تاريخ العلم، ج ٢، ترجمة لفيق من العلماء، دار المعارف، القاهرة.
- ١١- روجر جست (٢٠٠٥): المرأة في أثينا (الواقع والقانون) ترجمة د. منيرة كروان، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- ١٢- س. م. بورا (١٩٨٩): التجربة اليونانيّة، ترجمة أحمد سلامه، الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة.
- ١٣- عصمت نصّار (٢٠٠٣): الفكر الديني عند اليونان، دار الهداية للطباعة والنشر، القاهرة.

- ١٤- ماري إيلين ويث (٢٠٠٠): تاريخ الفلاسفة النساء، ج ١، ترجمة: محمود مراد، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
- ١٥- م. تيلور (١٩٥٨): الفلسفة اليونانية (مقدمة) ترجمة: د. عبد الحميد عبد الرحيم، مراجعة: د. ماهر كامل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- ١٦- محمد غلاب (١٩٧١): الفلسفة الإغريقية، ج ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، القاهرة.
- ١٧- محمد فتحي عبد الله (٢٠٠٣): الفلسفة اليونانية (مدارسها وأعلامها) ج ١، دار الشمس للطباعة، طنطا.
- ١٨- محمود مراد (٢٠٠٦): فضيلة التقوى عند سقراط، مجلة كلية الآداب بسوهاج العدد ٢٩ الجزء الأول مارس ٢٠٠٦.
- ١٩- ----- (١٩٩٥) فلسفة التنوير لدى السفسطائيين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط.
- ٢٠- مصطفى النشار (١٩٩٨): تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج ١، دار قباء، القاهرة.
- ٢١- هـ. ج. روز (١٩٦٥): الديانة اليونانية القديمة، ترجمة: رمزي عبده جرجس، مراجعة محمد سليم سالم، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ٢٢- ولتر ستيس (١٩٨٤): تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم، دار الثقافة، القاهرة.
- ٢٣- ول ديورانت (٢٠٠١): قصة الحضارة، م ٣، ج ٦، حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ٢٤- ===== (١٩٦٨): قصة الحضارة، ج ٢ م ٢، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ٢٥- ي. ف. ستون (٢٠٠٢): محاكاة سقراط، ترجمة: نسيم مجلي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، القاهرة.

## ثانياً: المراجع الأجنبية

- 1- Brickhouse (Th. C.) & N.D. Smith: The Formal charges against Socrates, Journal of The History of Philosophy, 23, 4Oct.1985.
- 2- Bogomolov (A. S.): History of ancient Philosophy, Trans by: V. Stankevich. Progress publishers, Moscow, 1985.
- 3- Burnet (J.): Early Greek Philosophy, Adam and Charles, Black, London, 1975.
- 4- =====: Greek Philosophy from Thales to Plato, Macmillan & co. LTD, London, 1968.
- 5- Dodds (E.R.): The Greek and the Irrational, University of California press, Berkeley & Los Angles, 1959.
- 6- Freeman (K.): The Pre-Socratic Philosophers, 2nd ed, Basil Blackwell, Oxford, 1959.
- 7- Fuller (B. A. G.): A History of Philosophy, Henry Hall and company, New York, 1952.
- 8- =====: History of Greek Philosophy, Henry Holtand, Company, New York, 1931.
- 9- Gooch (P. W.): Reflections on Jesus and Socrates, Yale University press, New Haven 1996.
- 10- Guthrie (W. K. C.): A History of Greek Philosophy, vol.3, Cambridge university press, 1969.
- 11- Hegel: Lectures on the History of Philosophy k Trans by: E.S. Haldane, Vol.1, Routledge, London, 1955.
- 12- Jaspers (K.): Socrates, Buddha, Confucius, Jesus Ed by: H. Arendt, Trans by: R. Manheim, A Harvest Book, New York, 1962.

- 13- Kerferd (G.B): The Sophistic Movement, Cambridge university press, London, 1984.
- 14- Laertius (D.): Lives of Eminent Philosophers, Trans by: R.D. Hicks, Vol. 11, 11-12, Cambridge university press, 1972.
- 15- Robin (L): The Greek Thought and the Origins of the Scientific Spirit, Trans by: M.R. Dorie, Kegan Paul, London, 1928.
- 16- Untrestiener (M): The Sophists, Trans by: K. Freeman, Basil Blackwell, Oxford, 1959.
- 17- Xenophon: Memorabilia of Socrates, Trans by: R. J. S. Watson, in: "Socrates Discourse" J.M. Dent &son ltd, London, 1951.
- 18- Zeller (E.): Outlines of the History of Greek Philosophy, 13th Ed, Dover Publications Inc., New York, 1980.



# تاريخ سيراكوزة السياسي والعسكري من التأسيس حتى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد

عبد الله السليمان<sup>[١]</sup>

## مقدمة

منذ القرن التاسع قبل الميلاد، تحسّنت الأوضاع في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وخرجت اليونان من عصورها المظلمة، إلّا أنّ زيادة أعداد السكّان، وضيق مساحة البلاد، وتبدّل الأحوال المناخية فيها، دفع الناس إلى البحث عن أماكن جديدة في حوضه الغربيّ. وقد فضّل الإغريق سواحل غاليا وإيطاليا والطرف الشماليّ من جزيرة صقلية، وكثُر انتشارهم في هذه السواحل حتى أنّ المؤرّخين المتخصّصين في التاريخ الكلاسيكيّ يطلقون على جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية اسم «بلاد اليونان العظمى Magna Graeca»، في دلالة منهم على حجم الانتشار الإغريقيّ في هذه السواحل خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. ورغم ما لهذا الاسم من جماليّة إلّا أنّنا لا نستطيع دراسة تاريخ تلك المنطقة من دون التعرّف على مدينة سيراكوزة حاضرة جزيرة صقلية وأكبر مدنها، لا بل حاضرة اليونان في الحوض الغربيّ للبحر المتوسط كلّها. فمثلما كانت أثينا حاضرة بلاد اليونان في الشرق كانت سيراكوزة حاضرتها في الغرب، وتتجلّى مكانتها في الدور الذي لعبته لحماية المستوطنات اليونانية في الحوض الغربيّ للمتوسط.

يأتي هذا البحث ليدرس الجانب العسكريّ من تاريخ هذه المدينة، وما رافقه من تطوّرات سياسيّة وتبدّل في أنظمة الحكم ما بين ديمقراطية واستبدادية، منذ الهجرة اليونانية إلى جزيرة صقلية وتأسيس سيراكوزة حتى نهاية القرن الخامس.

[١]- مدرّس التاريخ القديم بجامعة دمشق..



ولم تقتصر حرب سيراكوزة على مواجهة قرطاجة؛ بل تعدّتها إلى مواجهة أثينا، بحيث لم تسلم المدن الإغريقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط من صراعات بلاد اليونان القارية. وتجدر الإشارة إلى أن جميع مصادر هذه الفترة هي إغريقية، وتروي الأحداث من وجهة نظر الإغريق، بمعنى أننا بحاجة إلى نظرة المؤرخ الناقد، حتى نتوصل إلى معلومات أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

### أولاً: جزيرة صقلية Sicily

تقع صقلية في وسط جنوب إيطاليا، ولا تبعد عن البرّ التونسي أكثر من مائة وأربعين كيلو متراً، وقد اكتسبت أهميتها من موقعها بين شرق البحر المتوسط وغربه، وهذا ما سيمنحها القدرة على التحكم بطرق التجارة فيه، كما أنها أكبر جزره<sup>[١]</sup>. وقد استوطن الإنسان هذه الجزيرة منذ عصور ما قبل التاريخ، وتدلّ النقوش والأدوات المكتشفة في الكهوف على ذلك. وفي أواخر الألف الثاني قبل الميلاد وصلت ثلاث أمواج من المهاجرين إلى سواحلها: وهي موجة السكان Sicans من إسبانيا، وموجة الإليمين Elymi من آسيا الصغرى، وموجة الصقليين Sicels من إيطاليا، وهؤلاء منحوا الجزيرة اسمهم، وكانت تُعرف أيضاً باسم تريناكريا Trinaria ومعناها «الأرض المثثة الشكل». كما انتشر الفينيقيون في صقلية منذ الألف الأول قبل الميلاد<sup>[٢]</sup>. واستولوا على سواحلها ومرتفعاتها، والأماكن الحصينة فيها، ليحكموا قبضتهم عليها كمحطة تجارية لهم<sup>[٣]</sup>، وجاءت موجات مكثفة من الفينيقين لاستيطان سواحلها في القرن الثامن قبل الميلاد، وأسّسوا فيها عدداً من المدن لهم، وكان توكوديدس Thucydides أول من أشار إلى تلك الموجات.

مع نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، خرجت البلاد من العصر المظلم وبدأت تسترد عافيتها، وشهدت زيادة ملحوظة في أعداد السكان، ومع ضيق مساحتها وقلة مواردها وتردي المناخ، بدأت المنافسة على موارد جزر البحر المتوسط. لم يكن البحر بالنسبة إلى اليونانيين حاجزاً، بل حافزاً دفعهم نحو شواطئه الجديدة، فاندفعوا بقوارب تسير بطريقة التجذيف إلى

[1] - Braudman. J., The Creeks overseas Their early Colonies and Trade, Thames and Hudson, London 1980, p. 190.

[٢] - ول. ديورانت، قصّة الحضارة، حياة اليونان، ج ١، مج ٢، ترجمة محمد بدران، بيروت، د.ت. ص ٣٠٨، ٣٠٩.

[3] - Hoyos, Dexter., The Carthaginians, New York 2010, p. 47.

الوراء، وبواسطة التيارات الهوائية، من دون أن يمتلكوا البوصلة ولا الخرائط، كان مشرق الشمس بوصلتهم الوحيدة لذلك فضلوا عدم الابتعاد عن الشواطئ متى ارتفعت الشمس إلى كبد السماء، خشية أن يتوهوا ويتعب طاقم السفينة من التجذيف، لذلك كان لا بد من ملازمة الشاطئ مع وجود مرافئ منتشرة في كل مكان ليستريحوا فيها. هذه التسهيلات في المقومات الطبيعية وفي العلاقات البحرية دفعت سكان إيجة إلى التطلع نحو جزر المتوسط حيث توفر الرخام في إيطاليا، والنحاس في قبرص وسردينيا، والحديد في جزر أبلي Apples وأبييريا، والفضة في إسبانيا وصقلية<sup>[١]</sup>.

بدأ اليونانيون يتوافدون إلى جزيرة صقلية في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وكانت ميجارا (قرب أثينا) أول من أرسلت مجموعة من المغامرين إلى الجزيرة، نتيجة زيادة أعداد السكان فيها عشرة أضعاف في غضون قرن واحد، فأُسست هذه المجموعة من المغامرين في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد مدينة صغيرة على الساحل الشرقي، شمال موقع سيراكوزة الحالي، سميت ميجارا هوبلايا Megara Hyblaea، كما أسس الإغريق بعدها بسنوات قليلة مدينة ناكسوس Naxos عندما وصلت موجة جديدة من المغامرين بقيادة ثوكليس Thoukles نحو سنة ٧٣٥ ق.م وفق توكوديدس، وإن كان بعض المؤرخين يرجع تاريخ تأسيسها لسنة ٧٥٧ ق.م، وبينما كان سكان خالكيس Chalcis منهمكين في تأسيس مدينة ناكسوس، قام الدوريون بالاستيلاء على ميناء في الطرف الأدنى من الساحل الشرقي للجزيرة، وأسسوا مدينة سيراكوزة Syracuse نحو سنة ٧٣٤ ق.م حسب توكوديدس، الذي أشار إلى أن ذلك حدث بعد سنة واحدة فقط من تأسيس مدينة ناكسوس، كما أشار إلى تأسيس مدينة جيلا Gela بعد سيراكوزة من قبل المهاجرين الدوريين القادمين من جزيرة كريت.

بعد ذلك أسس الإغريق مدينة قطانا Catana نحو سنة ٧٢٧ ق.م، وأخذت هذه المدن بالانتشار، فقام سكان جيلا بتأسيس مدينة أكراس Acragas، وقام سكان سيراكوزة بتأسيس مدينتي ليونتينى Leontini، كامارينا Camarina على الساحل الجنوبي الغربي. كما أسسوا مدناً أخرى كان أشهرها مدينة زانكى Zancie (ميسانا Messina) التي أسستها خالكيس

[1]- Gabriel-Leroux, J., Les premières Civilisations de la Méditerranée, presses Universitaires de France, Parise 1941.

على المضيق الذي يفصل صقلية عن شبه الجزيرة الإيطالية، ومدينة هيميرا Himera على الساحل الشمالي للجزيرة، وقام سكان مستوطنة ميجارا هوبلايا بتأسيس مدينة سلينسوس Selinus في غربها. وخلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد كانت هذه المدن اليونانية تزداد قوة، وكان أهل الجزيرة الأصليون في جميع هذه الهجرات يُطردون من السواحل نحو الداخل بقوة السلاح، فانسحبوا إلى الجبال الداخلية يفلحونها ويستغلونها.

كان الفينيقيون قد سبقوا الإغريق إلى جزيرة صقلية، وفضلوا ساحلها الغربي حيث كانوا في بلدات موتي (Motya Mozia) وبانورموس (Panormos Palermo) وسولويس (Soloeis Solunto) <sup>[1]</sup>، فغرب الجزيرة آمن لهم السيطرة على طرق المواصلات إلى سردينيا وكورسيكا وأيريا. وحين استوطن اليونان شرق الجزيرة والفينيقيون في غربها، كان حتمياً وقوع الصدام بينهم بسبب التزاحم والتنافس، في مطلع القرن السادس قبل الميلاد، حيث بدأ الإغريق بمضايقة الفينيقيين، وهذا ما دفعهم إلى حمل السلاح دفاعاً عن تجارتهم ووجودهم، لا ليمارسوا القرصنة كما ادّعى سترابون وغيره من المؤرخين الغربيين.

### ثانياً: مدينة سيراكوزة سنة ٧٣٥ ق.م

بدأت سيراكوزة في الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة صقلية بالصورة التي هي عليها اليوم، مدينة محتشدة على لسان أورتجيا Ortygia الجبلية الممتدة في البحر. أما قصة تأسيسها فهي أن كورنثا كانت أرسلت في القرن الثامن قبل الميلاد جماعة من المستعمرين مدججين بأسلحة متفوقة بقيادة أرشياس للاستيلاء على شبه الجزيرة الصغيرة، فبنوا أو وسّعوا الطريق الذي يصلها بأرض صقلية، وطردوا سكانها إلى داخل الجزيرة، وبنوا مدينة سموها سيراكو Sirako، وسرعان ما نمت وازدهرت، وأهلها موقعها الممتاز لتصبح عاصمة الجزيرة، فازداد عدد سكانها في أرض كثيرة الموارد، حتى أصبحت على مرّ الأيام أكبر المدن في بلاد اليونان كلّها، فكان طول محيطها أربعة عشر ميلاً، وازداد عدد سكانها حتى بلغ نصف مليون نسمة <sup>[2]</sup>، وشاعت بينهم عبادة الإله أبو لون ولا تزال آثار معبد شاختة حتى اليوم. بينما كان معبد زيوس الأوليمبي يقع على بعد ثلاثة كيلومترات خارج المدينة، وقد بُني في القرن السادس قبل الميلاد.

[1] - Hoyos, Dexter., Op. Cit., 2010, p.47.

[2] - ديورانت، المرجع السابق، ص ٣١٣.



آثار معبد أبو لون في مدينة سيراكوزة تأسس سنة ٥٧٠ ق.م

وقد حكم سيراكوزة عند بداية تأسيسها حكومة أولجاركية أرستقراطية من ملاك الأراضي عرفوا باسم Gamoroi انتزعوا الأراضي من السكان وحولهم إلى طبقة من المستعبدين Killyrioi<sup>[١]</sup>. ولم يكن للعوام من سكان سيراكوزة أي حقوق سياسية، مما دفعهم لثورة على ملاك الأراضي، ويستولوا على الحكم فيها سنة ٤٩٥ ق.م. وللأسف، فإن الديمقراطية الجديدة عجزت عن إقامة مجتمع منظم، إذا جاز لنا أن نصدق أرسطو طاليس<sup>[٢]</sup>.

في الواقع، شهدت الجزيرة تبدلات سياسية حادة في نهاية القرن السادس قبل الميلاد؛ تمثلت في سيطرة نظام جديد قائم على حكم الفرد الواحد، الذي وضع كل شيء في يده، فدعاه اليونانيون باسم tyrannoi؛ ومنه تم اشتقاق كلمة مستبد tyrant. كانت جيلا تحت حكم المستبد كلياندر بين سنتي ٥٠٥ - ٤٩٨ ق.م، وبعد موته انتقلت السلطة إلى أخيه

[١]- سيّد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، من حضارات كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م، ص ١٤٢.

[٢]- ديورانت، المرجع السابق، ص ٣١٣.

هيبوقراتيس Hippocrates أو هيبوقراط الذي استولى على الحكم في مدن كاليليولي ولتيني ناكسوس، بينما نجت سيراكوزة من هذا التوسع، وعندما تمردت كامارينا المستعمرة السيراكوزية سنة ٤٩٢ ق.م تدخل من جديد وشن حرباً على سيراكوزة، وتمكن من هزيمة جيشها عند نهر هيلوروس، ثم ضرب حصاره عليها، لكنه عاد واقتنع بضرورة فك الحصار مكتفياً بمستعمرة كامارينا، لكنه خسر حياته في معركة مع السيكلين سكان صقلية الأصليين نحو سنة ٤٩١ ق.م.

آل الحكم إلى المستبد جيلون الجيلي Gelon of Gela، فسيطر على سيراكوزة سنة ٤٨٥ (وحكمها بين سنتي ٤٨٥ - ٤٧٨ ق.م)<sup>[1]</sup>. ونقل مقر حكومته إليها، وأقام نظاماً دكتاتورياً مستعينا على ذلك بخطة من الغدر المستنير. وكان حاكماً مستبداً لا يرضى عهداً ولا ذمة، يسخر من جميع المبادئ الأخلاقية والقيود السياسية. وجعل من أرتيجيا حصناً منيعاً لحكومته، ودخل ناكسوس، وليونيني، ومسانا، وفرض الضرائب على شرقي جزيرة صقلية كله ليستعين بها على جعل سيراكوزة أجمل عواصم بلاد اليونان قاطبة، وبهذه الطريقة أصبح ملكاً عظيماً<sup>[2]</sup>.

ويروي لنا هيرودوت الطريقة التي وصل بها جيلون إلى حكم سيراكوزة إذ يقول: كان هيبوقراط Hippocrates طاغية في جيلا، وظلّ عليها مدة تماثل عهد أخيه كلياندر، واستطاع أن يؤسس دولة كبيرة ضم إليها العديد من الأراضي، لكنه مات في إحدى هجماته على الصقليين، وكان موته الفرصة التي ينتظرها جيلون، فتظاهر بتأييد ولدي هيبوقراط، وهما إيوكليديس وكلياندر، وواجه أهل جيلا الذين كانوا يسعون للتحرك من الطغيان باسم ولدي هيبوقراط، وقمع المتمردين بقوة السلاح، ثم استولى على السلطة منتزعا ثمار النصر من الأخوين. وقد رأى جيلون الفوائد الهائلة لموقع سيراكوزة كميناء وقلعة، فقرّر الاستيلاء عليها، وكان العامة قد طردوا أصحاب الأرض الأغنياء بمساعدة عبيدهم فلهجؤوا إلى كازمين، ولكن جيلون أعادهم إلى سيراكوزة، واستولى عليها من دون مقاومة من العوام الذين استسلموا له حالما شاهدوا زحف قواته، ومضى في تحصين سيراكوزة حتى أصبحت بمثابة السويداء منه، وسرعان ما نمت وازدهرت كشجرة فتية، فجلب لها أهل كامارينا التي خربها حتى سواها بالأرض، ثم منح أهلها

[1] - Module, Alexander Deluxe., Tyrant battles of Carthage versus Syracuse 480 -276 B.C., 2012, p.4.

[٢] - ديورانت، المرجع السابق، ص ٣١٣، ٣١٤.



حقوق المواطنة<sup>[١]</sup>، كما قام بنقل سكّان المدن القريبة لتعزيز قوّته، وقاد نهضة عمرايَّة واسعة في البلاد تمثّلت في تشييد مسرح سيراكوزة، الذي صمّمه المهندس اليوناني داموكوبوس ويضمُّ الكثير من المقاعد شبه الدائريَّة، وفيه ٦٧ صفّاً مقسّمة إلى تسعة قواطع وثمانية ممرّات. وقد أغرى جيلون عدداً من الشخصيّات الأدبيَّة المشهورة بالقدوم إلى سيراكوزة؛ مثل الكاتب المسرحي آشيلوس Aeschylus، والكاتب أريو من ميتيما، والكاتب يوميلوس من كورنثا، وسافو الذي نفى من ميتيلين، كذلك شيّد أسطولاً هو الأكبر في بلاد الإغريق قاطبة، حتى أمسى واحداً من أقوى رجال العالم اليوناني.



المسرح اليوناني في سيراكوزة

### ثالثاً: الصدامات الأولى بين قرطاجة وإغريق صقلية

بعد سنة ٥٨٠ ق.م، وقع أول صدام عسكريّ بين قرطاجة وإغريق جزيرة صقلية بحسب المؤرخ الصقليّ أنطوخوس، وتسبّبت به مجموعة سنيديانس Cnidians بزعامة فستانالوس

[١]- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، مراجعة د. أحمد السقاف و د. أحمد بن صراي، المجمع الثقافي أبو ظبي ٢٠٠١م، ص ٥٤٨

Pentathlus أحد المغامرين الإغريق، التي حاولت الاستقرار في رأس ليليايوم قرب مدينة موتيا الفينيقية وتأسيس مستوطنة إغريقية، لكنها طردت من قبل الإليميان Elymians (السكان الأصليين للجزيرة). لكن الوقائع تشير إلى أن الفينيقيين هم الذين عارضوا هذا الاستيطان الإغريقي بحكم أنهم كان يستوطنون السواحل، أما السكان الأصليون فلا حول لهم ولا قوة. وعندما طلبت مدينتا سيلينوس Selinous وأكراكاس Akragas (في غرب جزيرة صقلية) المساعدة من قرطاجة، نحو سنة ٥٥٠ ق.م، جاءتها قرطاجة ملبية بقيادة الجنرال ملخوس Malchus (اسمه الحقيقي مازيوس Mazeus أو مازيل Mazel)، وقامت بعمليات ناجحة، فضمت شمال غرب الجزيرة وفق رواية جوستين Justin.

ونحو حوالي سنة ٥٤٥ ق.م استدعي الجنرال ملخوس مرة أخرى من قبل المدن الفينيقية المتضايقة في سردينيا للمساعدة، وخاض حروباً كثيرة، لكن الحظ لم يحالفه هذه المرة، حيث ألحق به سكان صقلية (الإغريق) هزيمة نكراء، وفقد قسماً كبيراً من جيشه، ونفي من قبل مجلس الشعب القرطاجي مع من بقي من جنوده حياً، رغم أنه كبد الإغريق خسائر فادحة. وما إن تسلّم ماغوا السلطة حتى استعاض عن الجيش المؤلف من الوطنيين، بجيش دائم من المرتزقة. لكن بعض المؤرخين المعاصرين يشكّون في هذه صحة الروايات، وفي هذا الحدث الأخير بالذات، ويعتقدون أن أزمة اجتماعية حدثت داخل المستعمرات الفينيقية في غرب المتوسط كانت وراء نفي ملخوس، فالازدهار المتميز الذي نعمت به أكراكاس وسيلينوس يشير إلى عدم وجود حروب كتلك التي أشارت إليها المصادر الأدبية في القرن السادس قبل الميلاد<sup>[1]</sup>. عموماً، كانت الصدمات الأولى ٥٨٠ - ٥١٠ ق.م نزاعات بسيطة، وفق ما يرى كثير من المؤرخين، والعديد من هذه النزاعات يمكن أن تكون محلية بين مدن الولايات المتجاورة، وهذا كان شائعاً بين المستعمرات اليونانية في جنوب إيطاليا وصقلية.

## رابعاً: معركة هيميرا الأولى بين سيراكوزة وقرطاجة سنة ٤٨٠ ق.م

### ١. التحضيرات

لما بدأ الزحف الفارسي على بلاد اليونان، رغبت أثينا وإسبارطة بالاستنجاد بسيراكوزة، فأرسلتا سفراء إلى جيلون يطلبون المعونة الحربية منه، لكنه اشترط مقابل القتال معهما أن

[1] - The Cambridge ancient history, Cambridge University Press, Vol IV, 1988, pp. 749- 751.

يعين قائداً عاماً على الأسطول فرفضت أثينا، عندها عرض تولي قيادة القوات البرية فرضت إسبارطة، فمنع كل عون عن الإغريق<sup>[١]</sup>، وبدأ يخطط للسيطرة على جزيرة صقلية، لاسيما أن سيراكوزة أصبحت قوة عسكرية معتبرة تحت قيادة جيلون، الذي كان ذا طموحات لا حدود لها، ويرى أن أوضاع الجزيرة باتت مواتية للسيطرة عليها، للأسباب التالية:

أ. كان هناك تحالف مستقر بينه وبين تيرون Theron طاغية مدينة أكراس منذ سنة ٤٨٩ ق.م، وتدعيماً لهذا التحالف تزوج من ابنته داماريتا Damareta، وفي المقابل تزوج تيرون من ابنة بوليزيلوس Polyzalus أحد أخوة جيلون.

ب. أقام جيلون حكماً دكتاتورياً على سيراكوزة، ودعا إليها المنفيون، ونصف سكان جيلا وأعداداً من سكان المدن المجاورة، وبنى لهم أحياء جديدة (تيشي ونيابوليس) خارج السور لاستيعابهم، وضح فيها الأموال.

ج. ترك مدينة جيلا لأخيه هيرو Hieron ليحكمها تابعاً له.

د. وضع العديد من المدن والمناطق الإغريقية في صقلية تحت سيطرته.

هـ. أوحى لحليفه تيرون طاغية أكراس ليحتل هيميرا Hamira نحو سنة ٤٨٣ ق.م، والتي كانت تتمتع بموقع استراتيجي متميز، في الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة، على شكل هضبة مثلثة الشكل تنحدر بشدة نحو ساحل البحر، ومحاطة بمياه الأنهار. وقد اعتبر جيلون أن احتلال تيرون لهيميرا سيثير حفيظة القرطاجيين خوفاً على مصالحهم التجارية، ويدفعهم ليعلنوا الحرب عليه، فيظهر هو بمظهر المنقذ له، وبالتالي ستتاح له الفرصة لمهاجمة المراكز التجارية القرطاجية والاستيلاء عليها.

وسواء أكان هذا حقاً أم لا، كان تيريلوس Terillos بن كرينيوس Crinippus حاكم هيميرا على علاقة طيبة مع هاميلكار بن حنون القرطاجي، وفي الوقت نفسه على عداوة كبيرة مع أكراس، لأنه عندما طرد عدداً كبيراً من العائلات الأولجاركية ذهبت لتقيم في أكراس، ثم أن حكمه في هيميرا لم يكن يعتمد على قاعدة شعبية صلبة.

[١]- أنظر نص خطاب الوفد اليوناني في كتاب هيرودوت، المرجع السابق، ص ٥٩٤، ونص خطاب جيلون على الوفد اليوناني، ورد الوفد اليوناني عليه، في كتاب هيرودوت، المرجع السابق، ص ٥٥٠.



## ٢. ساعة الصفير

احتلت قوات تيرون هيميرا، وطردت حاكمها تيريلوس الذي استنجد بصديقه هامياكار، وكذلك بزواج ابنته سيديب Cydippe واسمه اناكزيلاس Anaxilas، وكان وقتها حاكماً على مدينة ريغيون Rhegion. وقد تحمس أناكزيلاس لطلب المساعدة من القرطاجيين، وقدم لهم أطفاله رهائن ليبرهن عن مدى حماسه لتدخلهم، فلم يكن أمام قرطاجة إلا أن تلبي نداء تيريلوس ولاسيما أن تيرون أصبح على مقربة من بانورموس وسالوس بما يمثل تهديداً لها، بل إن كل المنطقة البونية أصبحت مهددة، كما أن العلاقات التجارية القرطاجية داخل الجزيرة أصبحت أيضاً في خطر، فمدينة هيميرا بحد ذاتها كانت تمتلك علاقات تجارية متميزة مع قرطاجة، وكان التجار القرطاجيون يقومون بدور الوسيط التجاري بين هذه المدينة ومملكة تارتسوس Tartessos. لا بل إن تيرون صك في السنة التي دخل فيها هيميرا، نقوداً تحمل على وجهها ديك هيميرا، وعلى الوجه الآخر سرطان أكراكاس، وهذا العمل كان مزعجاً لقرطاجة بحجم القوة المالية التي سيمنحها لجيلون ولاقتصاد سيراكوزة<sup>[1]</sup>.



النقد الذي ضربه تيرون بعد دخوله مدينة هيميرا، ويظهر عليه السرطان شعار أكراكاس وعلى الوجه الثاني الديك شعار هيميرا. نقلاً عن موسوعة كامبردج للتاريخ القديم، ص ٧٧٢

## ٣. أضواء نقدية على أخبار التحالفات الدولية التي سبقت معركة هيميرا الأولى

إذا صح لنا أن نصدق خبر تيودور الصقلي Diodorus Siculus، فإن قرطاجة استغرقت ثلاث سنوات في إعداد نفسها للمعركة، وتبدو المبالغة واضحة هنا، حيث يحاول المؤرخون الإغريق واللاتين الربط بين معركتي هيميرا في الغرب وسالاميس في الشرق، وتؤكد هذه

[1] - The Cambridge ancient history., Op. Cit., 1988, pp.767- 769.

المبالغة عندما يؤكِّدون أنَّ كلتا المعركتين حدثتا في اليوم ذاته من سنة ٤٨٠ ق.م.<sup>[١]</sup>، لذلك تحدَّث معظم المؤرِّخين عن تحالف بين قرطاجة في الغرب والفرس في الشرق للقضاء على الإغريق، وأنَّ هناك سفارات تمَّ تبادلها بين الطرفين، وأنَّهما اتَّفقا على مهاجمة الإغريق في وقت واحد من الشرق والغرب<sup>[٢]</sup>، ولعلَّ معظم المؤرِّخين استندوا في روايتهم هذه على ما نقلوه عن تيودور الصقلي الذي ادَّعى أنَّ الحملة القرطاجية في معركة هيميرا كانت بتنسيق كامل وبشكل واضح مع الاحتلال الفارسي، بسفارة أرسلت من قبل زيركسيس Xerxes والفينيقيين إلى قرطاجة لتجاريهم في عملهم ضد اليونان، فبينما يقوم الفرس بحرب يونان الجزيرة في الشرق، تقوم قرطاجة بحرب سيراكوزة في صقلية، وهكذا يقع الإغريق بين فكي الكماشة. بيد أنَّ رواية تيودور سواء أخذها من إفوروس أو تيمايوس أو من أي مؤرِّخ آخر، لا أساس لها من الصحة، رغم أنَّها أوسع ما يمكن أن تكون في نسخة المؤرِّخ إفوروس Ephorus.

في الواقع، إنَّ هذه الكتابات السلبية تعكس الانقسامات التقليدية الراسخة في العقلية اليونانية (البربر واليونان، الحرية والعبودية)<sup>[٣]</sup>. كما أنَّ مؤرِّخي القرن الخامس لم يذكروا شيئاً عن هذا التحالف، ولا سيما هيرودوت الذي قدَّم تفصيلات أدقَّ ومعلومات جمَّة، فكيف له أن ينسى أو يغض الطرف عن خبر تحالف دولي كهذا؟ فقبل أن يعرض خبر النداء المشهور ليونان صقلية<sup>[٤]</sup> وطلب أثينا وإسبارطة النجدة من جيلون ضدَّ زيركسيس، بحث عن سبب تقصير جيلون فوجد تبريراً وحيداً له لعدم مساعدته ليونان القارية، هو الادِّعاءات التنافسية<sup>[٥]</sup>. ربما أنَّ أفوروس ثبَّت هذه الرواية اعتماداً على بيندار Pindar، الذي كان قد كتب قصيدة في تخليد معركة هيميرا وإحياء لنصر جيلون سمَّاها البيثية الأولى First Pythian، وربط فيها بين انتصارات سيراكوزة في هيميرا في الغرب، وانتصارات الإغريق في

[١]- عمر بن إدريس، الصراع القرطاجي- الإغريقي في غرب المتوسط ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، دبلوم دراسات معمَّقة، جامعة الجزائر، د.ت، ص ٦٩.

[2]- Rollin, Charles., The Ancient History of The Egyptians, Carthaginians, Assyrians, Babylonians, Medes and Persians, Macedonians and Grecians., University of Paris, Translated from The French: J. M. Richardson., & J. Bain., London, 1850, p.327.

[3]- Prag, Jonathan., Tyrannizing Sicily: the despots who cried Carthage., Leiden., 2010, p.59.

[٤]- أنظر نصَّ خطاب الوفد اليوناني لجيلون، وردَّ جيلون عليهم في كتاب هيرودوت، المرجع السابق، ص ٥٩٤ وما تلاها.

[5]- Prag, Jonathan., Op. Cit., 2010, p.57.

سلاميس في الشرق سنة ٤٨٠ ق.م ونسج بينهما بالتوازي<sup>[1]</sup>. إلا أنَّ أرسطو بنفسه أنكر أهمية قضية التزامن، والواقع أنَّ الهدف من كلِّ هذه الادِّعاءات هو الترويج لأعمال المستبدين وحكم الطغاة في صقلية ضدَّ القرطاجيين<sup>[2]</sup>.

#### ٤. النقد الذي يوجَّه لهيرودوت في نقل أخبار التحالفات قبل معركة هيميرا الأولى

سعى هيرودوت لترويج رغبة جيلون في القيادة العليا، ولما رفضت قرطاجة طلبه منع عنها كلَّ مساعدة، ولم يتحدَّث عن أيِّ تهديدات كانت تبيِّنها قرطاجة لجيلون. ونظرة فاحصة في كلامه تبين أنَّه إنشائيٌّ أدبيٌّ أكثر ممَّا هو تاريخيٌّ، وفيه مغالطة كبيرة، حتى وإن جاء الخبر اسناداً إلى أخبار استقَّاهَا من صقلية، فمصادر هذه الفترة مشوَّشةٌ وغير واضحة<sup>[3]</sup>. كما أنَّ دراسة نقدية للأحداث تُظهر:

أ- أنَّ لغة خطاب جيلون القاسية (وفق رواية هيرودوت)، يُفترض أن تترك عداوةً بين الطرفين، لكن واقع الأحداث لا يتَّفَقُ مع ما حدث بعد العركة. فجيلون اعترف بفضل الإله أبولون في تحقيق النصر<sup>[4]</sup>، وقَدَّم الأضاحي والنذور لمعبده في دلفي، وأقامَ له النُصبَ التذكارية، كما أنَّ يونان الجزيرة (أهل البلاد القارية) كانوا سعداء بنصر معركة هيميرا سعادتهم بنصر معركة سلاميس.

ب- أنَّ هيرودوت الذي قدَّر أنَّ سببَ (التنافس على القيادة العليا للقوات) من دون غيره، هو أقرب إلى الواقع الذي يُشير إلى أن الوقت لا يسمح بالتنافس بين الإغريق أنفسهم، في حين كانت قرطاجة تحشد قوَّاتها منذ ما قبل معركة هيميرا بثلاث سنوات، وهذا العمل لم يكن خافياً على أحد<sup>[5]</sup>. كما لم يكن خافياً حجم القوَّات التي جمعها الفرس في الشرق. وكان جيلون يدرك أكثر من غيره أنَّه لو كُتِب النصر للفرس فلن يوقفوا زحفهم باتجاه صقلية، لم لا والجيش الفارسي كان يمتلك أسطول صور الذي لا يضاهيه أسطول آخر في عالم البحر

[1]- Rollin, Charles., Op. Cit., 1850, p.327.

[2]- Kimmig, Greek., Carthaginian antagonism. As illustrated by the assertion that, 1983, p.120.

[3]- Prag, Jonathan., Op. Cit., 2010, p.57.

[4]- Prag, Jonathan., Op. Cit., 2010, p.56.

[5]- Hoyos, Dexter., Op. Cit., 2010, p.164.

المتوسّط غير الأسطول القرطاجي؟. أما قول بعض المؤرخين بأنّ الفرس وقتلوا معركتهم ضد الإغريق في الشرق لتتزامن مع معركة القرطاجيين ضد الإغريق في الغرب، فهو أمرٌ فيه مبالغةٌ كبيرةٌ لأنّه لا يقومُ على وثيقةٍ تاريخيّةٍ، ولا علّةٍ منطقيّةٍ، ولا يؤيّدُهُ تسلسل الأحداث. والأصحُّ، باعتقادي، أنّ الذي منع جيلون من مساعدة إغريق اليونان القاريّة هو حجمُ الخطر الذي كان يحدّقُ به، فهو في حالة حربٍ مع قرطاجة وظهره مكشوف لها، وكان يتوقّع أن تبادره في أيّ لحظة، ولعلّه رأى أنّ خير وسيلةٍ للدفاع هي الهجوم، فخطّط لاستدراج القرطاجيين وتدمير قوّتهم. كما أنّه أراد أن يستغلَّ انشغال الإغريق بالحرب التي يُعدُّ لها الفرس في الشرق ليتوسّع على حساب سكان صقلية (الفينيين والإغريق والسكان الأصليين على حدّ سواء)، ويجعل من نفسه حاكماً مستبداً على كامل الجزيرة، لم لا وأوضاعها الداخلية كانت مناسبة. وبما أنّ قرطاجة كانت تدركُ جيّداً أطماع جيلون وطموحاته في السيطرة على كامل صقلية، فلا عجب إذا كانت بعض المصادر تتحدّث عن ثلاث سنوات قضتها في إعداد نفسها، وسعيها إلى توقيت ساعة الصفر لعملها العسكريّ ضدّه ليتزامن مع معركة الفرس ضد اليونان، فربما كانت على علم بمشروع الملك الفارسي عن طريق حليفته في حربه على اليونان، أمّها مدينة صور على الساحل اللبناني.

## ٥. سير القتال

مع بدء الاستعدادات العسكريّة، جهّزت قرطاجة جيشها، وأسندت قيادته إلى هاميلكار بن حنون. وفي هذا السياق، يقول هيرودوت: «لقد كان هاميلكار قرطاجياً في بعضه أي لناحية الأب فقط، بينما أمه من سيراكوزة، وأما تولّيه ملك قرطاجة فلجدارته»<sup>[١]</sup>. لقد كان الجيش الذي جمعه يقوم على المرتزقة بشكل أساسي، وكان جلُّهم من الليبيين، أما البقية الباقية فهي من الأيبيريين ومن إغريق صقلية وأقوام شمال إيطاليا وسردينيا.

وتقدّم المصادر اليونانية أرقاماً ضخمة عن تعداد الجيش القرطاجي تصل إلى ٣٠٠ ألف جنديٍّ و ٢٠٠ سفينة حربيّة، لكنّ هذا الرقم مبالغ فيه، والأدقُّ أنّ تعداد هذا الجيش كان بحجم تعداد جيش السيراكوزيين وحلفائهم، أي أنّه لم يتعدَّ أربعة وعشرين ألف جنديٍّ وألفي فارس.

[١] - هيرودوت، المرجع السابق، ص ٥٥٣

أما وصف المعركة فكان لتيودور الصقلي، ومن المحتمل أنه اعتمد على أفورس الذي يقدم البلاغة اللغوية على حساب الدقة التاريخية، والتي تؤكد أن الأسطول القرطاجي، فور إبحاره، تعرّض لعواصف شديدة دمّرت السفن التي تحمل الخيول والعربات الحربية، ما اضطرّ القرطاجيين إلى تغيير خطّتهم، فنزلت القوّات في بانورموس بدلاً من هيميرا في أيلول سنة ٤٨٠ ق.م<sup>[١]</sup>. وأسّس هاميلكار معسكرين، واحداً بحرياً ليحمي به الأسطول والطريق الساحلي، وآخر رئيسياً في المنطقة الجنوبية الغربية فوق التلال المطلة على المدينة. سارت القوّات القرطاجية باتجاه هيميرا، وهزمت قوّاتها وقوّات تيرون. لكنّ جيلون بدأ زحفه السريع مع خمسين ألف جندي، وخمسة آلاف من الخيالة (هذه الأرقام مبالغ بها)، وخيّم بجيشه شرق المدينة.

وكان من حسن حظّ جيلون أنه أسرّ رسول مدينة سيلينوس Selinus الصقلية المتحالفة مع قرطاجة، فعلم منه تاريخ وصول سلاح الفرسان القادم لتعزيز جيش هاميلكار، وقام باستبدال خيالة سيراكوزة بسلاح فرسان الصقليين المتحالفين معه، وخطّط لقيادة جيشه بنفسه، ومهاجمة معسكر التلّ، بينما يقوم فريق آخر من جيشه باقتحام معسكر البحر، وبالفعل دخل الخيالة معسكر الجيش القرطاجي البحريّ عند الفجر، وكانت مفاجأة صاعقة له أن يتعرّض كلا المعسكرين لهجوم واحد في الوقت نفسه. وقد نجحت القوّة التي هاجمت المعسكر البحريّ في إشعال النار بالأسطول وتفريق صفوف جيش هاميلكار وذبح جنوده. أما في المعسكر الرئيسيّ على التلّ، فقامت القوّات الإيبيرية العاملة في الجيش القرطاجي بهجوم مضادّ وناجح، لكن القوّات الإغريقية ردّت بهجوم مماثل، ودخلت المعسكر، واستطاعت عزل الإيبيريين والانتصار عليهم<sup>[٢]</sup>.

أمّا هاميلكار فقد اختفى عن الأنظار، ولم يُعثر على أثر له بين القتلى أو الأسرى أو حتى بين الفارين. ويتحدّث القرطاجيون أنّ قائدهم ظلّ في مُعسكره طوال المعركة، واستمرّ حتى وقت متأخّر من الليل بحرق الأضاحي تقريباً من الآلهة لتعينه على النصر. ولما أخذ جيشه بالانهيار في نهاية المعركة، رمى بنفسه في النار فأصبحت جثته رماداً، وهكذا تلاشى واختفى، وهلك جنوده أو سيقوا إلى الأسر، وأحرق جيلون سفن الأسطول القرطاجي المتبقية أثناء

[1]- The Cambridge ancient history., Op. Cit., 1988, pp.770- 771- 772.

[2]- Module, Alexander Deluxe., Op. Cit., 2012, p.5.

المعركة، ولم يعد لقرطاجة سوى عشرين سفينة، واضطرت إلى توقيع الهدنة<sup>[١]</sup>.

## ٦. موقف حلفاء قرطاجة من المعركة

كان لافتاً للانتباه أنَّ حلفاء قرطاجة من الإغريق لم يقاتلوا معها، ولاسيَّما أناكزيلاس Anaxilas حاكم مدينة ريغيون، ومردُّ عدم اشتراكه في المعركة، على الأرجح، هو أنَّه كان محاصراً من قبل أسطول جيلون، أو ربَّما كان يعتقد أنَّ قوَّات قرطاجة قادرة لوحدها على هزيمة الحلفاء (جيلون وتيرون)، وأنَّ مهمَّته تنحصر في الحفاظ على مسينا ومضيقتها فحسب. كما أنَّ الأثروسكيين حلفاء قرطاجة لم يتدخلوا لصالحها، ولعلَّ وقوفهم على الحياد كان ناتجاً من الانقلاب الذي قاده الرومان ضدَّ نظامهم الملكي في روما، وإعلان النظام الجمهوري في سنة ٥٠٩ ق.م، ما أضعف موقعهم كقوَّة سياسية. أما الجمهورية الرومانية فلم يكن لها موقف واضح من كلتا القوَّتين المتصارعتين، لذلك فضَّلت الوقوف على الحياد<sup>[٢]</sup>.

## ٧. شروط الهدنة

تضمَّنت الهدنة بين الطرفين جملة شروط، يمكن تفصيلها على الشكل التالي:

أ: إقامة معبدين أحدهما شُيِّد بالفعل فوراً بعد سنة ٤٨٠ ق.م، وسمِّي معبد ديلا فكتوريا Della Vittoria في هيميرا، وتحديداً في المكان الذي جرت فيه المعركة (وبقايا المعبد ما زالت قائمة)، أمَّا المعبد الثاني فربما شُيِّد في سيراكوزة<sup>[٣]</sup>.

ب: عدم تقديم أضاح بشرية للآلهة، والهدف منه كان الدعاية السياسية، لا بل إنَّ هناك لبساً حول ما إذا كانت صحيحة أم لا.

ت: دفع غرامة مالية كبيرة تصل إلى ألفي وزنة تالنت Talents<sup>[٤]</sup> (وحدة نقدية ما بين العشرين والسبعة وعشرين كيلو غراماً من الفضة).

[1]- The Cambridge ancient history., Op. Cit., 1988, pp.773- 774.

[٢]- عمر بن إدريس، المرجع السابق، ص ١٠١.

[3]- The Cambridge ancient history., Op. Cit., 1988, pp.773- 774.

[4]- Ibid, p.774.

## ٨. نتائج المعركة

كان نتائج المعركة:

- أ. انتقال المدن الإغريقية في صقلية حليفة قرطاجة إلى حلف جيلون.
  - ب. اختلال التوازن العسكري في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وقد أدّى ذلك إلى هزيمة الأتروسكيين حلفاء قرطاجة في كوماي Comai على الساحل الغربي لإيطاليا سنة ٤٧٤ ق.م.
  - ج. وقوف قرطاجة على الحياد أثناء النزاع الذي حدث بين أثينا وسيراكوزة (٤٢٧-٤٢٤ ق.م) و(٤١٥-٤١٣ ق.م)، وكان من نتائج هذه المعركة أن رفضت قرطاجة عرض أثينا بالصدّاقة.
  - د. الهزيمة النفسية التي مُنيت بها قرطاجة، ولم تتخلّص منها طوال سبعين عاماً انكفأت خلالها على التجارة مع أفريقيا، وكثيراً من المؤرّخين يُرجع رحلة حنون إلى هذه الفترة تحديداً.
  - هـ. منح هذا النصر سيراكوزة صفة الرمزية في جزيرة صقلية، وسيطرة كاملة على مدنها الإغريقية.
  - و. رفع هذا النصر جيلون إلى مرتبة الأبطال، حيث يُروى أنّه دخل الجمعية العامة بعد الانتصار الذي حققه من دون سلاح ومن دون حراسة شخصية، وأنّ السيراكوزيين أبقوا تمثاله في مدينتهم بعد موته سنة ٤٧٨ ق.م تكريماً له على النصر الذي صنعه في هيميرا<sup>[1]</sup>.
- في الواقع، إنّ هزيمة هيميرا لم تكن نهاية المطاف بالنسبة إلى قرطاجة، حيث أنّها لم تكن إلا مجرد جولة وخسرتها، وكان لديها من القوة ما يمكنها من الدفاع عن موقعها في غرب الجزيرة، وهذه الحقيقة كان يدركها الإغريق، لذلك لم يتجرّأوا على مهاجمتها. كما أنهم دفعوا ثمناً باهظاً لقاء انتصارهم، ولم يكن بوسعهم متابعة الحرب ضد قرطاجة، وبالتالي فإن

[1] - Prag, Jonathan., Op. Cit., 2010, p.60.

توقفهم عن مهاجمة القرطاجيين مرده إلى عجزهم عن مواصلة الحرب<sup>[١]</sup>.

### خامساً: سيراكوزة بعد وفاة جيلون

بعد وفاة جيلون، انتقل الحكم إلى شقيقه هيرو الأول، وهو كان يحكم مدينة جيلاً تركها لشقيقه بوليزيلوس ليحكمها نيابة عنه، وانتقل هو إلى سيراكوزة وقام بحرب الأتروسكيين في كوماي سنة ٤٧٤ ق.م، ومد نفوذه إلى جنوب إيطاليا، واستمر في التوسع في صقلية والتضييق على السكان الأصليين السيكلين، وفي البحر الترياني، حتى أنهم أرسلوا حملات إلى جزر كورسيكا وإلبا. وفي عهده أصبح لسيراكوزة نفوذٌ إمبراطوريٌّ واسع.

إلى ذلك، جعل هيرو الأول من سيراكوزة عاصمة للثقافة والفنون الإغريقية تنافس أثينا في مكانتها، حيث كان بلاطه ملتقى للأدباء والشعراء أمثال سيمونيدس من سيوس وبيندار Pindar، وإيسخوليس Aeschylus. إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، حيث توفي سنة ٤٦٧ ق.م، وخلفه نظام ديمقراطي سنة ٤٦٦ ق.م واستمر حتى سنة ٤٠٦ ق.م، وأصبح للمدينة مجلس شيوخ Boule، ومجلس شعبي، ومجلس تنفيذي (مجلس عسكري)، ونقيب للعوام. ورغم المصاعب التي واجهت سيراكوزة خلال أيام الديمقراطية الأولى إلا أنها نجحت في صدّ عدوان جيرانها ضد مدينة أكراس، ومدّت سيطرتها على شرق صقلية<sup>[٢]</sup>.

### سادساً: الصراع بين سيراكوزة وأثينا

لم يدم الوئام طويلاً بين المدن الإغريقية في جزيرة صقلية، بعد النصر الذي حققته يراكوزة على قرطاجة في معركة هيميرا سنة ٤٨٠ ق.م. إذ سرعان ما دبّ الشقاق والخلاف، ثم نشب القتال في سنة ٤٢٧ ق.م عندما طلبت مدينة ليونيني من أثينا التدخل لصالحها ضد جارتها سيراكوزة، ولكنها تباطأت في النظر بهذا الطلب. وفي سنة ٤١٦ ق.م انعكست حرب البيلوبونيز الثانية بين أثينا وإسبارطة بظلالها على الحوض الغربي للبحر المتوسط؛ حين طلبت سجستا Segeste النجدة من أثينا ضد سيراكوزة، فقررت أثينا إرسال وفد إلى سجستا لدراسة الموقف، فما كان من سكان هذه المدينة إلا أن تظاهروا بالثراء الفاحش،

[١]- عمر بن إدريس، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[٢]- الناصري، المرجع السابق، ص ١٤٣.



حتى يغروا الوفد بقبول تقديم يد العون لهم، حتى أنَّهم عرضوا أطباقاً من الذهب في كل بيت قصده، وكانت هذه الأطباق تنقل على عجل من بيت إلى بيت، حتى إذا دخل الوفد بيتاً شعر أنها من أثاثه.

قبلت أثينا نجدة سجستا، وأرسلت لها بعثة عسكرية عظيمة مكوّنة من ٢٧ ألف رجل ما بين جنديٍّ وبحارٍ على متن ١٣٤ سفينة ذات ثلاث طبقات، مع ١٣٠ سفينة صغيرة لإمداد والتموين، في مواجهة سيراكوزة بقيادة لاماخوس Lamachus، وتحرك الأسطول في صبيحة يوم الأحد من صيف سنة ٤١٥ ق.م<sup>[١]</sup>، وتمكّن الأثينيون من الاستيلاء على ميناء سيراكوزة، لكنهم لم يستغلّوا هذا النجاح في إتمام انتصارهم، بل أفلعوا بقوّاتهم حيث قضوا فصل الشتاء في ناكسوس وكامارينا، وعندما عادوا لمهاجمة سيراكوزة في ربيع سنة ٤١٤ ق.م كان هجومهم فاشلاً وأودى بحياة قائده، فأُسندت القيادة إلى نيكياس، الذي استمرّ في القتال على الرغم من أنّه كان من أشدّ الرافضين له في البداية، خوفاً على سمعة أثينا وعلى سمعته الشخصية<sup>[٢]</sup>.

علم الإسبارطيّون بماهيّة هذه الحملة عن طريق أحد الجنرالات (الكييادس) الذين انشقّوا عنها والتجأ إليهم، فأرسلوا الجنرال الإسبارطيّ جوليبوس Julippus مع قوّة قُدّرت بثلاثة آلاف جنديٍّ في خريف سنة ٤١٤ ق.م، وفور وصوله إلى سيراكوزة حتى انقلب ميزان القوى لصالح المدينة المحاصرة، حيث تمكّن هذا القائد من تحرير مدخل المدينة البحريّ كما قام بإنعاش أسطول سيراكوزة العسكريّ. طلب نيكياس الدعم من مدينته فقدّمت له أثينا ١٥ ألف مقاتل بقيادة ديموثينيس Demothenes، لكنّ تلك الأعداد لم تغيّر شيئاً في كفة ميزان القوى، وأمام إدراك الأثينيين أن لا فائدة من حصارهم لسيراكوزة قرّروا الانسحاب، بيد أنّ أبناء سيراكوزة لم يسمحوا لهم بذلك، حيث انقضّوا على الميناء وعلى الأسطول الراسي فيه، ودارت بينهم رحى معركة قاسية، كان من نتيجتها دمار أسطول أثينا عن بكرة، وعندما حاول الأثينيّون التراجع عبر البرّ أجهز عليهم السيراكوزيّون وكانت النتيجة مقتل ٤٥ ألف

[١]- الناصريّ، المرجع السابق، ص ٣٤١، ٣٤٢.

[٢]- فوزي مكّاوي، تاريخ العالم الإغريقيّ وحضارته، دار الرّشاد الحديثة، الدار البيضاء ١٩٨٠، ص ١٧٠.

جنديّ من قوّات البعثة، وتمّ الإعلان عن فشلها في سنة ٤١٣ ق.م.<sup>[١]</sup> وأثناء المراحل التالية لحرب البيلوبونيز (٤١٢ - ٤٠٤ ق.م)، كانت سيراكوزة قادرة على إرسال قوّتها البحرية إلى بحر إيجه وتقديم المساعدة لحلفائها (إسبارطة وكورنثا)، إلّا أنّ انتباه سيراكوزة كان منصّباً على قضاياها الداخلية<sup>[٢]</sup>.

### سابعاً: معركة هيميرا الثانية سنة ٤٠٩ ق.م

انتهت فترة التوسّع القرطاجيّ في أفريقيا نحو سنة ٤١٠ ق.م، ومعها سبعة عقود من السلام، وتخلّلت قرطاجة عن موقف الترقّب والانتظار، وبدأت تفكّر جدّياً بالعودة إلى سابق عهدها، والسيطرة على الحوض الغربيّ للبحر المتوسطّ من جديد مستغلّة ظروف بلاد اليونان، والفشل الكبير والهزيمة النكراء لحملة أثينا على سيراكوزة سنة ٤١٣ ق.م. أما مدينة سجستا الصقلية حليفة قرطاجة، والتي كانت سبب قدوم الأثينيين إلى الجزيرة، فقد أصبحت هدفاً لهجوم تأديبيّ من مدينة سيلينوس الإغريقية حليفة سيراكوزة، وإذا هُزمت سجستا أمام سيلينوس فمن المحتمل أن تقع جميع المستوطنات الفينيقيّة في صقلية تحت السيطرة الإغريقية، والتي بدورها ستحوّل هذه المستوطنات إلى موطن قدم ورأس جسر لها ضدّ قرطاجة. كما وتجدر الإشارة إلى أن قرطاجة تعافت من جراحها، واستعادت قوّتها، بعدما دفعت الغرامة المفروضة عليها بموجب اتفاقية الصلح مع جيلون<sup>[٣]</sup>، ولعلّ رغبة القائد القرطاجي حيميلكو Himilco كانت إحدى عوامل التحركّ الفوري. فهو حفيد هاميلكار الذي انتحر في معركة هيميرا، ووالده (الذي يدعى جيسجو) قضى حياته في المنفى، في سيلينوس بسبب هزيمة هيميرا. لذلك كان من الطبيعي أن تتملّك نفسه رغبة في الانتقام لموت جدّه وعار أبيه.

بعد محاولة تحكيم بين مدينتيّ سجستا وسيلينوس انتهت بالفشل، تمّ الهجوم على سجستا من قبل سيلينوس مدعومةً من سيراكوزة، وتحركّ الجيش القرطاجيّ بقيادة حيميلكو أمام أسوار سيلينوس على الساحل الجنوبيّ في أوائل ربيع سنة ٤٠٩ ق.م، وبعد حصار

[١]- الناصريّ، المرجع السابق، ص ٣٤١-٣٤٧.

[2]- Module, Alexander Deluxe., Op. Cit., 2012, p.7.

[٣]- جين افريك، تاريخ أفريقيا العام، مج ٢، المشرف العام د. جمال مختار، اليونسكو ١٩٨٥م، ص ٤٦٠

دام تسعة أيام استطاع القائد القرطاجي احتلالها، ورغم الخسائر الجسيمة تحرك فوراً عبر صقلية لمهاجمة هيميرا، (المكان الذي مات فيه جدّه)، وكان تعداد جيشه أقلّ من عشرين ألف جندي، وأثناء زحفه، التحق به حوالي أربعة آلاف جندي، وبعد استراحة ليلة واحدة، وعند الفجر، قاد كتيبته في السهل المقابل لهيميرا، ولكنه أخذ على حين غرة، وبصعوبة بالغة استطاع إعادة تشكيل بعض قوّاته من جديد، وذلك قبل انقضاء كامل كتاب سيراكوزة وهيميرا عليه، وهكذا أصبح الطرفان وجهاً لوجه.

اندحرت التشكيلات الأولى للجيش القرطاجي بسرعة، وبدأ اليونانيون مسعىً نشيطاً، لكن الجيش واستطاع من جديد أن يحكم قبضته على إدارة المعركة، وبدأت الكتائب اليونانية بالهروب، وسقطت هيميرا بيد القائد المظفر الذي سوى أسوارها بالأرض<sup>[1]</sup>، وقتل ثلاثة آلاف أسير انتقاماً لجدّه الذي مات على أبوابها ولم يتمكّن من دخولها، وانتقاماً لوالده الذي نُفي إثر تلك الهزيمة، كما قام بإنقاذ بعض التحف الفينيقية ثم أرسلها إلى قرطاجة. ولم تستغرق هذه الحملة أكثر من ثلاثة أشهر، إذ بعد انتصار حيميلكو في هيميرا سرح الجيش، ولم يحاول أن يهاجم أيّ مدينة أخرى، رغم أن الأمور كانت مواتية لذلك، وهذا ما يؤكّد أن قرطاجة لم يكن لديها أيّ نوايا عدوانية توسعية، وحين عاد إلى قرطاجة استقبل استقبال الأبطال. وقد أعطى هذا النصر سيادة مطلقة للقرطاجيين على صقلية لثلاث سنوات متواصلة، رغم بعض الخروق في الهجوم على موتي وبانورموس خلال سنتي ٤٠٨ - ٤٠٧ ق.م، لكنها لم تكن ذات أهمية<sup>[2]</sup>.



دراخما من سيراكوزة مؤرخة ما بين سنتي ٤١٥ - ٤٠٥ ق.م

[1]- Module, Alexander Deluxe., Op. Cit., 2012, p.7.

[2]- Rollin, Charles., Op. Cit., 1850, p.332.

### ثامناً: معركة أكراس ٤٠٦ ق.م

هاجم بعض السيراكوزيين، في سنة ٤٠٦ ق.م، أراضي قرطاجة، فترأى لها أن تخضع كامل صقلية لسيطرتها، فاستدعت من جديد القائد حيميلكو الذي ادّعى المؤرخون اليونانيون أنه قاد جيشاً تعداده ما بين مائة وعشرين ألفاً وثلاثمائة ألف رجل، لكنّ تخميناً أكثر معقولية يرجّح أنّ تعداد القوّات القرطاجية لم يكن يتعدّى الخمسة والثلاثين ألف رجل. وقد بدأ حيميلكو عمله العسكري بمدينة أكراس، ثاني أكبر المدن الإغريقية في صقلية، وكانت محصنة، ومحاصرة مع بداية صيف سنة ٤٠٦ ق.م. وهو قسّم جيشه إلى قسمين، فجعل المعسكر الأول وفيه نصف قوّاته شرق أكراس، وحدّد لبقية الجنود معسكراً في المنطقة الجنوبية الغربية من المعسكر الأول. كان عند أكراس عشرة آلاف مدافع بمن فيهم جنود الكتيبة المدنية وفرقة المرتزقة التي كانت تحت إمرة القائد الإسبارطي ديكسيوس، بالإضافة إلى ألف من المرتزقة اليونانيين. ولكن القدر لم يأذن للقائد القرطاجي حيميلكو بإدارة المعركة فقد أصيب بمرض الطاعون ومات، فنجح ابن عمه إملكون Imilcon ابن هانو بتولي قيادة الحملة.

أمّا بالنسبة إلى الإغريق، فقد قامت الجمعية الديمقراطية التي كان منطاباً بها تشكيل قوّات التحالف، باختيار دافنايوس لصدّ هذا الهجوم؛ فسمّى الضابط الشاب الطموح ديونيسيوس Dionysius لمساعدته. وكان تعداد قوّاته ثلاثين ألفاً من المشاة وخمسة آلاف فارس، (على الأرجح كان تعداد هذه القوّات لا يتعدّى نصف هذا الرقم). قاد دافنايوس قوّات التحالف الإغريقية وتحرك فوراً لإغاثة أكراس، وعندما اقترب بزحفه منها، قاد إملكون جيشه الشرقي خارجاً في السهل تحضيراً للاشتباك. أمّا الجيش القرطاجي الثاني فقد بقي في خطوط الحصار حول أكراس. وبعد معركة عنيفة حقّق دافنايوس نصراً حاسماً، وانتشر أكثر من ستة آلاف جثة رجل قرطاجي على طول الحقل وعرضه<sup>[1]</sup>.

كان إملكون لا يزال يمتلك جيشاً آخر خيم في المنطقة الجنوبية الغربية من أكراس، وأثناء هروب القوّات القرطاجية باتجاه المعسكر والجيش الثاني، رفض دافنايوس ملاحقة خصمه، كما أنّ حامية أكراس فعلت الشيء نفسه. على أي حال، كُسِر الحصار على

[1]- Module, Alexander Deluxe., Op. Cit., 2012, p.9.

أكراس، وانضمت الجيوش اليونانية إلى القوّات المرابطة فيها، ورغم هذا النصر التكتيكي، كان الجنود الإغريق غاضبين حين أدركوا جُبن جنralاتهم في اقتحام معسكر القرطاجيين الثاني، فرجموا أربعة من الجنرالات الخمسة في أكراس حتى الموت، ووصموا دافنايوس بالخزي والعار، ونعتوه بالجُبن والذل.

لم يكن بوسع سيراكوزة أن تسكت عن قتل الجنرالات الأربعة، لذلك أوقفت كلّ دعم لأكراس وقرّرت أن تتركها لمواجهة قدرها، بينما قرّر المرتزقة الكامبانيون Campanian الانضمام إلى صفوف إملكون، وهكذا تحوّل النصر إلى هزيمة، فعاد الأخير لفرض الحصار من جديد على أكراس<sup>[1]</sup>، ودام هذا الحصار ثمانية أشهر عانى السكّان خلالها الأمرين من المجاعة والأمراض، كما أنّ فريقاً كبيراً منهم هرب إلى جيلا، كونها أقرب المدن إليها، ووهنت همّة المدافعين، فدخلها إملكون وقتل من فيها، ونهب جنوده كلّ شيء وقع أمامهم لتتحوّل المدينة إلى خراب، وبقي فيها إلى أن انتهى الشتاء<sup>[2]</sup>.

### تاسعاً: معركة جيلا ٤٠٥ ق.م

توجّهت القوّات القرطاجيّة إلى جيلا Geila مع بداية ربيع سنة ٤٠٥ ق.م<sup>[3]</sup>، متبّعَةً فلول الجيش الإغريقي، ولأنّها كانت تمثّل خطّ الدفاع الأخير عن سيراكوزة. وقد صمّم أهلها على المقاومة، وطلبوا المساعدة من سيراكوزة، التي كانت تعيش أصداء ما حدث في أكراس (ذبح الضباط)، فما كان من ديونيسيوس Dionysius (حكم ٤٠٥ - ٣٦٦ ق.م)، إلّا أن استولى على الحكم في المدينة، وكان يمتاز بالذكاء والحنكة السياسيّة، فرتبّ انتخابه كقائد أعلى للقوّات اليونانية الإغريقيّة المتحالفة، وأبطل طريقة الاقتراع، وأعاد البلاد إلى نظام حكم الطغاة. ثمّ قاد اليونان المتحالفين معه ضدّ قوّة إملكون في جيلا، وعسكر غرب المدينة على طول الساحل.

كان تحت إمرة ديونيسيوس جيشٌ كبير يقدرّ تقريباً بعشرين ألفاً من المشاة وألفين وخمسمئة فارس، إلّا أنّه كان قلقاً من أن تجري المعركة في السهل الواقع شمال المدينة ما

[1] - Ibid, p.9.

[2] - Rollin, Charles., Op. Cit., 1850, p.334.

[3] - Ibid, p.334.

يمنح القوّات القرطاجيّة حرّية الحركة لتستهدف الجناحين. ولتفادي هذا الأمر، قسّم قوّاته إلى أربع مجموعات<sup>[١]</sup>. وأرسل أخاه ليتينيس بأربعة آلاف مقاتل ليقوم بهجوم برمائيّ على طول الشاطئ المفتوح جنوب معسكر القرطاجيين الساحليّ.

عندما بدأت المعركة شقّ إملكون صفوف وحدات المرتزقة اليونانيّة، في هذه الأثناء كان ديونيسيوس في الشمال على رأس قوّة سيراكوزة الرئيسيّة والتي بلغ تعدادها ثمانية آلاف مقاتل، مدعومةً بالفين وخمسمئة من سلاح الفرسان، وبينما كان يقاتل المرتزقة الليبيين، نفّذ ليتينيس الهجوم البرمائيّ محقّقاً عنصر المفاجأة. واقتحمت قوّاته معسكر القرطاجيين، واستطاعت أن تحقّق نجاحاً أوليّاً، إلّا أنّ اليونان لم يفلحوا في استثمار هذا النصر بسبب بطء حركة قوّاتهم، وتمكّن مرتزقة إملكون من طرد إاليوتس برغم الخسائر التي تكبّدوها، وتزعّم الكامانيون الهجوم المضادّ. في هذه الأثناء، تقدّم الجيش الصقليّ الرئيسيّ نحو الشمال، لكن قبل أن يتمكّن من هزيمة المرتزقة الليبيين، قام إملكون بدفع الليبيين لمهاجمة جناحيّ هذا الجيش، فانسحب سيسيليوتس بخسائر معتدلة، بينما تأخّر ديونيسيوس وقوّاته كثيراً، لذلك لم يؤثروا قدومه على سير المعركة. وهكذا فشلت خطة ديونيسيوس المعقّدة جداً، وانسحب إلى سيراكوزة، واستولت القوّات القرطاجيّة على مدينة جيلا. وما هو مثير للانتباه أنّ إملكون اعتمد في نصره مرّة أخرى على القتال البطوليّ لثمانمائة من الكامانيين الشجعان، وخمسة آلاف محارب من المرتزقة الليبيين<sup>[2]</sup>، وهو تابع زحفه على ليليبي واستولى عليها، ثم على مدينة مسينا Msina.

### عاشراً: حصار سيراكوزة ٤٠٤ ق.م

شعرت سيراكوزة بحجم الخطر الذي يتهدّد بها، واتّخذ ديونيسيوس التدابير اللازمّة لحشد القوّات اليونانيّة التي استقدمها من إيطاليا لتدعيم قوّاتها التي فشلت في مواجهة زحف الجيش القرطاجيّ في جيلا، والذي أصبح على مشارف المدينة<sup>[3]</sup>. بينما تابعت القوّات القرطاجيّة تقدّمها، وضربت حصارها على مدينة سيراكوزة، حاضرة الإغريق في جزيرة صقلية، التي غدت على وشك السقوط في قبضة الجيش القرطاجيّ، لولا مرض الطاعون

[1]- Module, Alexander Deluxe., Op. Cit., 2012, p. 12.

[2]- Ibid, p. 12.

[3]- عادل عمران زايد، التواجد القرطاجيّ في الحوض الغربيّ للبحر الأبيض المتوسط، من القرن الخامس حتى منتصف القرن الثاني ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق ٢٠١٢م، ص ٩٢

الذي فتك بجيش إملكون، وفَسَّر المؤمنون في الجيش القرطاجي أنَّ غضب الآلهة على إملكون كان بسبب استخدامه لحجارة المقبرة أثناء حصاره لمدينة أكراس ونشه قبر تيرون<sup>[١]</sup>، حتى أنَّ كثيراً من جنوده أخبروه أنهم شاهدوا أشباح الموتى تطاردهم في الليل<sup>[٢]</sup>. ورغم كل هذا بقيت قوات إملكون تضغط بقوة على سيراكوزة، حتى أنه جعل من معبد زيوس مقراً عسكرياً له، ونش قبر جيلون وزوجته ديماريتة Demarete، ونهب معبد ديميتير Demeter وكوري في ضاحية أحرادينه Achradine السيراكوزية<sup>[٣]</sup>.

### حادي عشر: اتفاقية الهدنة الموقعة بين سيراكوزة وقرطاجة

كان ديونسيوس يشعر بقوة قرطاجة، ويرى أنَّ الأمور العسكرية تسير في غير صالح سيراكوزة، كما رغب في تثبيت عرشه كمستبد، وأخذ استراحة المحارب، ولاسيما أنَّ الطبقة الغنية في سيراكوزة كانت ترغب في إزالة نظام حكمه، لذلك وافق على عقد معاهدة سلام مع إملكون، وبدأ جهوده بمعاينة الأغنياء حيث انتزع أراضيهم ووزعها على الفقراء والمعدمين، فكوّن لنفسه قاعدة شعبية عريضة، ثم عمل بجهود جبارة لبناء دولة سيراكوزة القوية، والتي استمرت في عهده سبعة وثلاثين سنة، كما قام بعدد من الحملات على مدن صقلية الإغريقية، حتى شملت سلطته في النهاية شرق ووسط صقلية ومعظم بروتيوم ولوكانيا في جنوب إيطاليا، وأصبحت سيراكوزة من أغنى وأقوى دول اليونان<sup>[٤]</sup>.

وكان من أهم شروط معاهدة السلام:

أ. التعهد بدفع ثلاثمائة وزنة أوقية فضة كغرامة حرية لقرطاجة.

ب. التخلي عن مدن سيلينوس وهيميرا وأكراس لقرطاجة.

ج. استقلال مدينتي مسينا وليونتيني ومنحهما الحق في الدخول في حلف قرطاجة.

[١] - فينغريد إلليغر، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين، ترجمة عيد مرعي، دمشق ٢٠٠٨ م. ص ١٢٠

[2] - Rollin, Charles., Op. Cit., 1850, p.334.

[٣] - فينغريد إلليغر، المرجع السابق، ص ١٢٠

[4] - Module, Alexander Deluxe., Op. Cit., 2012, p.12.

د. إعطاء الحق لقرطاجة بالتجارة مع المدن الإغريقية، على أن تبقى موانئها مفتوحة أمام السفن الإغريقية.

هذه المعاهدة أعطت القرطاجيين سيادة كاملة على صقلية، باستثناء سيراكوزة التي تعهّدت بدفع الغرامة. وغدت قرطاجة تحكم غرب الجزيرة بما فيها المجتمعات الإغريقية المتبقية من سيلينوس وأكراس وهيميرا<sup>[١]</sup>. وهذه الهدنة سمحت لسيراكوزة في سنة ٤٠١ ق.م. بالمشاركة بقوة قدرها ٣٠٠ مقاتل وجنرال في جيش العشرة آلاف تحت قيادة كوروش الصغير الذي جمع قوة عسكرية في آسيا الصغرى وسعى للإطاحة بشقيقه، وتحرك جيشه في ربيع سنة ٤٠١ ق.م، لكنه قُتل في معركة كوناكسا، ولقي كوروش حتفه، وأبديت قواته ما عدا اليونان، فعادوا عبر الصحارى بمآثر وبطولات احترمتها الأجيال اللاحقة<sup>[٢]</sup>. كما بنى ديونيسيوس أسطولاً قوياً لتحصين سيراكوزة التي بنى فيها أيضاً قلعة ضخمة، وأحاطها بجدار طوله ٢٢ كم. كما تطلّع للسيطرة على جنوب إيطاليا، وشيّد عدداً من المستوطنات على ساحل الأدرياتيكي، وأقام علاقات مع مدينة روما الناشئة. وقد عُرف عنه أنّه شاعر وأديب وكاتب مسرحي له عدد من المسرحيات التي عُرضت في أثينا وأولمبيا وصقلية، وكسب عنها جوائز في المهرجانات الأدبية<sup>[٣]</sup>.

## وجهة نظر

انطلاقاً ممّا ورد آنفاً، يظهر أنّ تاريخ سيراكوزة العسكري والسياسي من التأسيس حتى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، لا ينفصل عن تاريخ بلاد الإغريق، فضيق مساحة بلاد اليونان هو الذي دفع بأبنائها إلى الانتشار واستيطان أطراف البحر المتوسط، واستمرت الأمور على ما يرام بينهم وبين القرطاجيين حتى معركة هيميرا سنة ٨٤٠ ق.م التي كانت فاتحة لسلسلة حروب طويلة. وحتى نكون منصفين لم تأخذ الحروب القرطاجية - السيراكوزية

[١] - فينفردي إلبيرغر، المرجع نفسه.

[٢] - حول أوفى التفاصيل عن هذه الحملة، أنظر كتاب زينفون، حملة العشرة آلاف (الحملة على فارس)، ترجمة يعقوب منصور، بغداد ١٩٦٤ م.

[٣] - الناصري، المرجع السابق، ص ١٤٣



طابع الإبادة العرقية أو التهجير بل كانت صداماً يسعى من خلاله كل طرف لفرض نفوذه السياسي؛ حتى يتسنى له الحصول على الأسواق التجارية. كما أن العلاقات لم تكن متوترة دوماً بين الفينيقيين والإغريق سكان جزيرة صقلية، بل كانت المبادلات التجارية تجري بينهم؛ كما حدث في مدينة جيللا. فضلاً عن أن بعض إغريق الجزيرة دخل في حلف قرطاجة ضد أحد أعدائه الإغريق، أو حتى طلب المساعدة منها ليستقوي على عدوه من بني قومه.

ويحدثنا هيرودوت أن هاميلكار قائد قوات قرطاجة في معركة هيميرا كان قرطاجياً لوالده فحسب، أما أمه فكانت من إغريق صقلية، وكان يتمتع بعلاقات طيبة مع مستبد هيميرا المدعو أكسنيا Xenia كما أن فيليستوس Philistus كتب في أكراس التاريخ اليوناني من منظور قرطاجي<sup>[١]</sup>. إضافة إلى أن المدن اليونانية في جزيرة صقلية لم تتخلى عن العداوات التي ورثتها، بل حملتها معها، وتعاملت في ما بينها على أساسها، وهذا ما يفسر أسباب البعثة العظيمة التي أرسلتها أثينا لمحاربة سيراكوزة ذات الخلفية الدورية، بينما لم تتردد إسبارطة في نجدة سيراكوزة بحكم الخلفية الدورية الواحدة، والعداء المشترك لأثينا وفق مبدأ "عدو عدوي صديقي".

[١]- للاطلاع على المزيد، أنظر: Prag, Jonathan., Op. Cit., 2010, p.55

## المراجع العربية والمُعَرِّبة

١. جين افريك، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني المشرف العام د. جمال مختار، اليونسكو ١٩٨٥ م.
٢. زينفون، حملة العشرة آلاف (الحملة على فارس)، ترجمة يعقوب منصور، بغداد ١٩٦٤ م.
٣. سيّد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، من حضارات كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦ م.
٤. عادل عمران زايد، التواجد القرطاجي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من القرن الخامس حتى منتصف القرن الثاني ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق ٢٠١٢ م.
٥. عمر بن إدريس، الصراع القرطاجي - الإغريقي في غرب المتوسط ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، دبلوم دراسات معمّقة، جامعة الجزائر، د.ت.
٦. فوزي مكاي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، دار الرّشاد الحديثة، الدار البيضاء ١٩٨٠ م.
٧. فينريد إليلغر، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين، ترجمة عيد مرعي ط ١ ٢٠٠٨ م.
٨. هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، مراجعة د. أحمد السقاف و د. أحمد بن صراي، المجمع الثقافي أبو ظبي ٢٠٠١ م.
٩. ول ديورانت، قصّة الحضارة، حياة اليونان، ج ١، مج ٢، ترجمة محمد بدران، بيروت، د.ت.

### مراجع البحث الأجنبية

1. Braudman. J., The Creeks overseas Their early Colonies and Trade, Thames and Hudson, London 1980.
2. Gabriel-Leroux, J., Les premières Civilisations de la Méditerranée, presses Universitaires de France, Parise 1941.
3. Hoyos, Dexter., The Carthaginians., New York 2010.
4. Kimmig, Greek., Carthaginian antagonism. As illustrated by the assertion that., 1983.
5. Module, Alexander Deluxe., Tyrant battles of Carthage versus Syracuse 480276- B.C., 2012.
6. Pais, E., La Sardegna Between city and country. Carthaginian colonialism and Punic settlement in west central Sardinia, 1881.
7. Prag, Jonathan., Tyrannizing Sicily: the despots who cried Carthage., Leiden 2010.
8. The Cambridge ancient history., Cambridge University Press, Vol IV, 1988.
9. Rollin, Charles., The Ancient History of The Egyptians, Carthaginians, Assyrians, Babylonians, Medes and Persians, Macedonians and Grecians., University of Paris, Translated from The French: J. M. Richardson., & J. Bain., London, 1850.

# الاستعمار والمستعمرات الإغريقية (دوافعه، مظاهره، نتائجه)

خليل سارة<sup>[١]</sup>

## مقدمة

أدت حركة البعث والأحياء، ثم قيام دويلات المدن المستقلة في شبه الجزيرة الإغريقية، وفي جزر بحر إيجه، وعلى ساحل آسيا الصغرى، إلى ما يشبه تحقيق وعي قومي لا يخلو من عنصرية واضحة، كأمة واحدة «مميّزة» عن غيرها من شعوب الشرق الأدنى الأجانب (Barbaroi)، أمة لها تراثها الفكري، والديني، والأخلاقي، والسلوكي المشترك، قام بفضل الإلياذة والأوديسيه، وبفضل أشعار هسيودوس التعليمية.

ولقد دُعم هذا التراث الإغريقي بمرور الزمن، وأصبح وجوداً يفرض نفسه على عوامل الانفصال الجغرافي، والبحري، وعلى اللهجات المحلية للغة الإغريقية، بل وعلى العبادات المحلية والإقليمية. ولعبت مدينة «دلفي» المقدسة عندهم دوراً أساسياً في وحدة هذا التراث، كما جعلته الدورات والمهرجانات الرياضية حقيقة يمارسها الإغريق في لقاءاتهم السنوية. والذي لا شك فيه، أنّ الأسر الأرستقراطية قد لعبت الدور الأكبر في هذا الدعم بين دويلات المدن، لما كان بينها من مصاهرات، ومعاملات، حققت اللقاء والترابط<sup>[٢]</sup>. وبفضل ذلك أصبحت الإغريقية قوة طاردة، وبدأت تتمتع بديناميكية فعّالة، وراحت تبحث عن مناطق للاستيطان الاستعماري في ربوع العالم المسكون (Oikoumene).

جدير بالذكر أنّ الاستعمار والاستيطان كانا صفة أساسية للحضارة الإغريقية؛ لأنّ ذلك هو الذي أعطاهما البعد العالمي، وربما هو الذي ميّزها عن الحضارة المصرية القديمة، أو

[١]- أستاذ مادة التاريخ اليوناني القديم في جامعة دمشق.

[٢]- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق (تاريخهم وحضارتهم)، الطبعة الثالثة ١٩٨١، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ١٣٤.

حضارات الشرق الأدنى القديم، التي فضّلت أن تبقى داخل مواطنها ومن أجل مواطنيها؛ لذلك شهدت بلاد الإغريق خلال القرون الأولى من الألف الأولى ق.م، ولا سيّما خلال القرون الثامن والسابع والسادس ق.م، عمليةً كان لها أكبر الأثر في حياة الإغريق السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، بل في العالم القديم المحيط بتلك المنطقة. هذه العملية كانت بمنزلة حركة استعمار قام بها الإغريق من بلادهم الأصليّة (شبه جزيرة البلقان) أو من مدن آسيا الصغرى.

وازدهرت حركة الاستعمار بعدما تقدّم الإغريق في فنّ الملاحة واطّلعوا على أحوال الحضارات الشرقيّة المحيطة بهم من النواحي الفكرية والاقتصاديّة والاجتماعيّة؛ لذلك أخذوا يؤسّسون المستعمرات في البحر الأسود وإيطاليا وصقلية وفرنسا وإسبانيا وشمال إفريقيا، ولم ينته هذا التوسّع الاستعماريّ إلّا في القرن السادس ق.م. وقد اتّصلوا في مستعمراتهم في آسيا الصغرى أو في علاقاتهم التجاريّة، بالشعوب الشرقيّة القديمة، فاقتبسوا منها أسس الحضارة بكلّ مظاهرها؛ لأنّ حركة الاستعمار كان لها تأثير كبير في تنمية الروح القوميّة لديهم؛ إذ إن الاحتكاك بالأمم الأجنبيّة جعلهم يلمسون الفوارق بينهم وبين الشعوب الشرقيّة، ويشعرون بالروابط التي تجمع بينهم وتوحّدهم، وساعدتهم على التقارب والتفاهم. والغريب في الأمر أنّ هذه المستعمرات رغم اتّباعها، في كثير من الأحيان، لنظام الحكم السائد في أوطانها الأصليّة، فقد سبقتها في تطوُّرها نحو الديمقراطية والسير في طريق الحضارة، إذ إنّ أقدم الدساتير والأنظمة الشرعيّة لدى الإغريق قد وضعت في المستعمرات. ومن هذه المستعمرات انطلق الشعر والأدب الإغريقيّان، وفيها نشأت العلوم الرياضيّة والفلسفيّة، وبرز أول الخطباء والمؤرّخين والعلماء. ففي المستعمرات ولدت الحضارة الإغريقيّة، وعن طريقها انتقل ميراث الحضارات الشرقيّة، وانتشرت في العالم عن هذه الطريق<sup>[١]</sup>.

### أولاً: دوافع الاستعمار

اختلف كثير من المؤرّخين حول ماهيّة حركة الاستعمار الإغريقيّ ودوافعه، وعلى ذلك نستطيع أن نجمع دوافع تلك الحركة وأسبابها في الآتي:

[١]- خليل سارة، تاريخ الإغريق، جامعة دمشق ٢٠٠٦، ص ٣٢٥.

## ١. الدافع السياسي

يُعدُّ الدافع السياسيُّ من الدوافع المتشعبة والشائكة في تحليل ماهية دوافع حركة الاستعمار الإغريقيِّ. ويُقسم هذا الدافع إلى شقين أساسيين: خارجيٍّ وداخليٍّ.

وتنحصر أسباب الشقِّ الخارجيِّ في العوامل التالية:

أ- تدهور إمبراطوريات الشرق القديم، ولا سيَّما تدهور السيطرة الفينيقية على شرق البحر المتوسط، التي كانت تحدُّ من نشاط الإغريق في تلك المنطقة.

ب- انهيار الحضارة الآرامية على يد الآشوريين، خصوصاً إبَّان الفترة التي يشار إليها بالأسرة الرابعة (٩٣٤ - ٧٤٥ ق.م)، قد قضت على القوة السياسية للشعوب الآرامية في سورية وفلسطين وفينيقية، وبإسقاط هذه القوة أصبح هناك فراغ كبير في المنطقة، ولم يعد ينافس الإغريق كقوة بحرية أحد سوى قرطاجة.

ج- ضعف الأمبراطورية المصرية التي أفقدتها سيادتها ونفوذها في المنطقة.

د- انهيار علاقات المملكة الليديَّة التي لم تكن على وفاق مع الإغريق فترات طويلة.

هـ- ضعف السيطرة الفارسية على شرق البحر المتوسط خلال تلك الفترة.

كلُّ ذلك ترك الباب مفتوحاً أمام الإغريق من دون عوائق وتدخلات سياسية<sup>[١]</sup>. وعندما زحفت الأمبراطورية الفارسية نحو البحر المتوسط إبَّان القرن السادس ق.م، كان الاستعمار الإغريقيُّ قد ثبَّت أقدامه، وأصبحت المستعمرات قوة واقعة وحقيقية، وقادرة على الدفاع عن نفسها وعلى استعداد لإثارة الغرب للدفاع عنها.

أما الشقُّ الثاني من الدافع السياسيِّ (الشقُّ الداخليُّ) فيتمثَّل في سياسة الإغريق الداخلية وما أعقبها من توترات أثَّرت في كيان المواطن. فقد رأينا كيف كانت الغزوة الدورية في الألف الأول ق.م من أشدَّ الغزوات عنفاً وهمجية، فخرَّبَت كلَّ شيء ولم تترك أثراً لمظاهر الحضارة. ونهض بإزاء هذه الموجة الأخائيون والأوليون والأيونيون إلى تغيير مراكزهم والهجرة إلى جزر بحر إيجه وشواطئ آسيا الصغرى، ثم إلى مختلف الأنحاء في حوض

[١]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٣٥ - ١٣٦.

البحر المتوسط. ويؤكد ذلك توكوديدس الذي يقول: «إنَّ البلاد المعروفة اليوم باسم هلاس، لم تعرف في ماضيها القديم مستوطنات مستقرّة، وإنما كانت عرضة لسلسلة من الهجرات من قبائل مختلفة هرباً من الغزاة الأقوى، وهذا ما جعلهم دائماً على استعداد لهجرة أوطانهم الأصلية»<sup>[١]</sup>.

وفي القرنين الثامن والسابع ق.م، كانت الأوضاع السياسيّة في كثير من المدن الإغريقيّة، تدفع كثيراً من مواطنيها إلى الهجرة سعياً وراء مناطق جديدة ذات وضع سياسيٍّ أفضل؛ وذلك لأنَّ الحكم الأرستقراطيَّ أوجد تفرقة عنصريّة واضحة، وهوةً سياسيّة كبيرة أثّرت في حقوق المواطنين السياسيّة، وفرّقت بين الكاملي الأهلّيّة من الأرستقراطيين، والناقصي الأهلّيّة من عامّة الشعب، وقد تبع ذلك نفور واضح بين الحاكم والمحكوم، يزيد في شقّة الخلاف بين الطبقات والأحزاب.

من جهة أخرى، كانت حركة الهجرة والاستعمار من مصلحة الحكم الأرستقراطيِّ والأوليغاركي (حكم الأقلّيّة)؛ لأنَّ العناصر الساخطة من عامّة الشعب لو بقيت في مكانها لحركّت الثورات الشعبيّة في وجهه. ويبدو أنّ ذلك دفع الكثيرين من الأرستقراطيين إلى تشجيع هجرة تلك العناصر الساخطة، والعمل على دعمها وتقديم المساعدات<sup>[٢]</sup>.

## ٢. الدافع الاقتصادي

لا شكّ في أنّ العامل الاقتصاديّ كان من أهمّ الدوافع في قيام حركة الاستعمار الإغريقيّة، وأنّ تلك البلاد بصفتها الفقيرة التي أملتتها الظروف الطبيعيّة بسماتها، كانت الدافع الحقيقي لهجرة العديد من سكانها من أجل حياة أفضل في مناطق رزق جديدة.

وقد كان ضيق الأراضي الزراعيّة، بل ضيق مساحة البلاد بسكانها في داخل المدن الصالحة للسكنى، عاملاً مؤثراً أيضاً في الهجرة. هذا إلى جانب أنّ الرقعة الزراعيّة الضيّقة لم تكن لتفي بحاجة السكان من الغذاء، فكانوا دائماً يحاولون البحث عن أراض جديدة، وأنّ تزايد عدد السكان المطرّد خلال تلك الفترة، الذي لم يتناسب مع المساحة المزروعة،

[١]- توكوديدس، تاريخ الحرب البلوبونيزيّة، ترجمة دينا الملاح - عمرو الملاح، أبو ظبي، المجمع الثقافي ٢٠٠٣، الكتاب الأول، ص ١٩.

[٢]- خليل سارة، ص ٣٢٨.

دفعهم إلى الهجرة سعياً وراء البحث عن الغذاء والأرض<sup>[١]</sup>، ثم كان التوسّع والاستعمار تنفيساً حتمياً للضائقة الاقتصادية والغذائية. وقد ساعد البحر، وقيام الأساطيل الصغيرة، المدن على هذا الاستيطان.

كانت مقاطعة أتيكا هدفاً لهؤلاء السكان المهجرين، لكونها مجتمعاً مستقراً نجا من التفكك السياسي، إلا أن مساحتها الضيقة لم تكن لتسمح بمثل هذا الاستيعاب الكبير من السكان المهجرين. ويشرح توكوديدس سبب ذلك بقوله: «.. ذلك أن أقوى الأقوام التي تُطرد من أرضها في بلاد الإغريق بسبب الحرب أو الاضطرابات، كانت تلجأ إلى أثينا لكونها مجتمعاً مستقراً، ثم يغدو هؤلاء مواطنين فيها، وسرعان ما يزدون في عدد السكان وحجم المجتمع، وهذا يؤدي إلى ضيق أتيكا بسكانها، فترسل الكثير منهم لإقامة المستوطنات في أيونية»<sup>[٢]</sup>.

ويجب ألا نغفل شيئاً مهماً كانت له مؤثراته في حياة الإغريق الاقتصادية، وكان دافعاً على الهجرة، ألا وهو مساوئ النظام الاقتصادي، الذي كان يفرض بقاء معظم الأرض الصالحة للزراعة في أيدي الأسر الأرستقراطية النبيلة، وحرمان عامة الشعب منها. هذا إضافة إلى الديون التي أثقلت كاهل المعدمين، من ضرائب تعسفية واستحقاقات، دفعت بالكثير إلى فقد حرياتهم، وتحول الكثيرين إلى عبيد؛ إذ وجد المواطنون المثقلون بالديون في الهجرة منفذاً للهرب، تخلصاً من أعبائهم المالية، وبداية لمرحلة جديدة من الحرية، بدلاً من البقاء تحت نير (عبودية الدين)؛ إذ لم يكن هناك تشريع ينظم العلاقة بين الدائن والمدين في تلك المرحلة، وكان من الممكن أن يتحوّل العاجز عن سداد دينه إلى (عبد) يتصرّف فيه الدائن كما يشاء، سواء بالبيع أم الحبس، بل تعدّى ذلك إلى أولاد المدين وأسرته، وربما كان ذلك من الأسباب الرئيسية التي دعت الكثيرين إلى الهرب إلى أبعد المناطق، سعياً وراء الرزق، وشراءً لحرياتهم من نير التعسف الاقتصادي<sup>[٣]</sup>.

[1]- GWYNN. Journal OF Hellenic Studies, 38, 1918. A. J. Graham. Colony and Mother \_ City in Ancient Greece. p 25.

[٢]- توكوديدس، الكتاب الأول، ص ٢٠. وهنا يجب أن نوضح أن أثينا هي العاصمة الرئيسية لمقاطعة أتيكا، وكان مكانها لا يفوقه مكان آخر في ميزاته. فهذه المدينة تقع داخل أوسع منطقة صالحة للزراعة وتلتقي عندها طرق عدة للمواصلات.

[٣]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٣٦.



ولا يفوتنا هنا أن ننبّه إلى أنّ حركة الانتشار والاستيطان لم تكن وقفاً على المُعَدِّمين، بل شملت بعض النبلاء الذين لم يتوصّلوا إلى الحكم في بلادهم؛ فكثيراً ما كانوا ينضمّون إلى المهاجرين.

من جهة أخرى، كان نظام الوراثة عند الإغريق يحصر حقّ استثمارها في أكبر الأبناء حفاظاً على حجم الملكيّة وعدم تقسيمها، وهذا ما دفع الأبناء الآخرين من النبلاء الصغار إلى البحث عن ضياع جديدة في أراضٍ المستوطنات الجديدة.

نستنتج من جرّاء ذلك، أنّ المهاجرين كانوا يأتون من مختلف الأماكن في بلاد الإغريق وجزر بحر إيجه وشواطئ آسيا الصغرى، وهم ينتسبون إلى كلّ الطبقات، بينهم النبلاء والمتشرّدون والفلاحون والتجّار، أي من عامّة الشعب، وقد أخذوا في هجرتهم ثلاث اتجاهات رئيسيّة:

- منهم من كان يفتّش عن أراضٍ صالحة لزراعة الحبوب والكروم والزيتون والتين، وغابات تُقطع منها الأخشاب اللازمة للتدفئة ولصناعة السفن، وقريبة من المياه الصالحة للشرب والريّ.

- ومنهم من كان يريد اكتساب الثروة عن طريق التجارة، فيبحثون عن الخليجان الصالحة لتأسيس المرافئ، وتبادل البضائع، وإيجاد الأسواق العالميّة لرواج صناعاتهم المتطورة، وتصدير كمّيّات كبيرة من الحبوب والمعادن والأخشاب والرقيق، مقابل الخمور والزيت والأواني الخزفيّة والأسلحة والحلّيّ المستوردة من بلاد الإغريق<sup>[١]</sup>.

- وهناك صنف ثالث من المهاجرين كانوا يخدمون في جيوش الدول الأجنبيّة جنوداً مرتزقة، فيحصلون على الغنائم والجوائز بما يظهرهونه من الشجاعة والإخلاص، وكثيراً ما يستقرّون في أراضي هذه الدول، فيختلطون بالسكّان، أو يؤسّسون مدناً خاصّة بهم؛ كما فعل الجنود الإغريق من المرتزقة الذين انضمّوا إلى جيش (بسامتيخ الأول)، وأسّسوا مدينة (نوكراتيس) عند مصبّ النيل في مصر<sup>[٢]</sup>.

[١]- خليل سارة، ص ٣٣٠.

[٢]- المرجع السابق.

وكانت سياسة المهاجرين تجاه سكان البلاد التي ينتقلون إليها تختلف حسب أهداف الهجرة، فكانوا يستخدمون جميع الوسائل لاستمالتها بالهدايا النادرة وحسن المعاملة، وكثيراً ما يتزاجون من هؤلاء السكان. كذلك كانوا يحترمون آلهتهم، فيفتشون بين آلهة الإغريق على ما يماثلها ويطلقون عليها أسماء إغريقية، ويشترون في عبادتها. وفي كثير من الأحيان كان المهاجرون يلجأون إلى عقد معاهدات الصداقة والتحالف مع القبائل الأصلية في البلاد. على أن بعض المهاجرين كانوا يلجأون أحياناً إلى المكر والخديعة والغدر، فيعقدون معاهدات الصداقة مع القبائل الأجنبية، ثم يغدرون بها<sup>[١]</sup>.

أيضاً يجب ألا نغفل عشق الإغريقي للمغامرات وركوب المخاطر، والجري وراء الثروة لإرضاء الغرور، خصوصاً الشباب منهم، كعامل له وزنه في تشجيع الهجرة إلى بلاد غريبة وبعيدة، كما أن غريزة حب الاستطلاع والفضول كانا عاملاً مؤثراً للهجرة.

ورغم هذا كله، يبقى العامل الأساسي هو الثورة البحرية والتجارية الكبرى، نتيجة للتطور في صناعة السفن، خصوصاً السفن ذات الثلاثة طوابق من المجدفين أو ذات الخمسين مجدفاً، وبذلك لم يعد الإبحار مرهوناً بهبوب رياح معينة في مواسم معينة، مثلما كان الحال أيام هوميروس، حيث أصبح الانتقال سهلاً وميسراً، وبالتالي فتحت مناطق جديدة للتجارة، وكان القمح عاملاً أساسياً؛ لأن كثيراً من الدويلات الإغريقية كانت تعتمد عليه في غذائها الأساسي، فقد كانت التجارة حتمية اقتصادية لتلك الدويلات، بعكس دول الشرق الأدنى القديم، التي كانت مكتفية ذاتياً من الناحية الاقتصادية<sup>[٢]</sup>.

### ٣. الدافع الاجتماعي

لقد كان المجتمع الإغريقي في جوهره مبنياً على النظام الطبقي القائم على امتلاك الثروات، وإن كثيراً من المدن كانت تنحصر فيها المجتمعات في ثلاث طبقات رئيسية: طبقة النبلاء والأشراف، والطبقة المتوسطة، وطبقة المعدمين. وقد كانت الفوارق الاجتماعية

[١]- محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، الجزء الأول، دمشق ١٩٦٩، ص ١٢٨.

[٢]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٣٨.

كبيرة جداً بينها، بحيث أوجدت نوعاً من الحقد بين الطبقات المعدّمة والطبقة المميزة التي كانت تتمتع بكثير من الحقوق، وتلك الهوة العميقة كانت الحافز للنفور والبحث عن مناطق لمجتمعات جديدة تذوب فيها تلك الفوارق<sup>[١]</sup>.

### ثانياً: مظاهر حركة الاستعمار

تميّزت حركة الاستعمار بمظاهر خاصّة، منها ظاهرة التشابه القائم بين المدن والمستعمرات الجديدة، وبين المدن الأم (METROPOLIS). فقد نقل الإغريق معهم عاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم الأصليّة، حتى أصبحت المدن الجديدة صورة طبق الأصل عن المدن الإغريقيّة، وأصبحت تُعرف باسم (APOEKIA)، أي المستوطنة أو المستعمرة<sup>[٢]</sup>.

وكان المهاجرون الإغريق لا يقطعون صلتهم بالموطن الأصلي، فكانوا يحافظون على جميع الأنماط المعيشيّة التي كانوا يمارسونها. وكانت الهجرة في بادئ الأمر عفويّة وتابعة للمصادفات، تقتصر على خليط من المهاجرين المستائين الذين يعملون لحسابهم الخاص من دون خطة معيّنة. وبعدما عرفوا فائدة المستعمرات أخذت الهجرة شكل (التنظيم الحكومي)، حيث قامت الحكومات بتنظيمها والاشتراك في تأسيس المدن<sup>[٣]</sup>.

وكانت أولى الخطوات لإنشاء المستعمرة هي اختيار قائد الجماعة (OIKISTES)، وهو مواطن من المدينة الأم، يرافقه عدد من الكهّان والعرفّان والمهندسين، أو ممن يريدون الانضمام إليه من المدن الأخرى؛ أمّا المهندسون فمهمّتهم واضحة، وهي بناء المدن وفق النموذج الأم، وأما الكهّان والعرفّان فكانت مهمّتهم مزدوجة: تلبية حاجات المستعمرين من جهة، ونشر ثقافتهم وديانتهم في صفوف المستعمرين في مراحل لاحقة من جهة أخرى، من أجل المزيد من الهيمنة والسيطرة. ومن الملاحظ أنّ قيادة المستعمرات كانت عادة في أيدي الأرستقراطيين، بينما جمهور المستعمرين كانوا من كلّ طبقات المجتمع، وكانت المستعمرة تختار المكان وفقاً لشروط خاصّة، مثل ثراء المنطقة وغناها، كوقوعها في سهل غنيّ، أو عند منفذ تجاريّ، أو على رأس ميناء هامّ، وكثيراً ما كانت المستعمرات تجمع بين

[١]- عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٢٨.

[٢]- كيتو، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسري، مراجعة صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٢، ص ١٠٥.

[٣]- خليل سارة، ص ٣٣٢.

الميزتين: السهل والميناء؛ إذ من الملاحظ أنَّ جميع المستعمرات الإغريقية تحتل المناطق البحرية الهامة المطلّة على البحار، أو عند التقاء نهر داخليّ يصبُّ عند بحر خارجيّ، للإتيان بالتجارة من الداخل، وتصديرها إلى الخارج<sup>[١]</sup>. وكثيراً ما يُهيأ مخطّط المدينة الجديدة سلفاً، وتقسّم الأراضي إلى حصص تُوزع بالقرعة، ويؤسسون معبداً لإله المدينة أو آلهة المدن التي جاؤوا منها، وإذا كانوا خليطاً من مقاطعات مختلفة، فإنهم يتفقون عادة على أحد الآلهة الإغريقية المشهورة ويفضّلون في الغالب (أبوللون) أو (هرمس) أو (هيراكليس)، ثم يأخذون شعلة من الموقد المقدّس في وطنهم الأصليّ (موقد هستيا) لإشعال النار في المدينة الجديدة. واختيار المكان من السّمات البارزة لمظاهر الاستعمار؛ إذ كان يتحتّم على الأفراد استشارة كهنة (أبوللون) في دلفي قبل اختيار المكان كما يقول هيرودوت<sup>[٢]</sup>، وهم الذين، في ما يبدو، على علم بأهمّ المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية والتجارية. ولهذا كان أبوللون أكثر الآلهة ارتباطاً بالمستعمرات الإغريقية، وكثيراً ما اتّخذته المستعمرات كمؤسّس (Oikistes) أسطوريّ لها، وبالتالي كان قادة المستعمرات يصبحون زعماء في المستعمرات الجديدة، وبعد موتهم يتحوّلون إلى أبطال يُعبدون فيها، ويدفنون في أضرحة للعبادة في قلب السوق العامة. وإذا حدث خلاف بين المستعمرات كان كهنة (دلفي) يقومون بدور المحكّمين والقضاة<sup>[٣]</sup>. ويقول توكوديدس «إذا حاولت المستعمرة إنشاء مستعمرة فرعية منها، كان يستوجب عليها استدعاء قائد المستعمرة من المدينة الأم»<sup>[٤]</sup>.

وفي العادة، كان المهاجرون يلتقون قبل الهجرة، ويؤدّون قسماً يؤكّد التزامهم بعهود الوفاء للمدينة الأم، وإذا حاد أحدهم عنها تنزل عليه اللّعة، ثم يتفق المهاجرون على صيغ الدساتير والقوانين التي سوف يختارونها لمدينتهم الجديدة، وكثيراً ما كانت تؤخذ من دساتير المدينة الأم، وعادة كان زعيم المستعمرة يُنتخب زعيماً سياسياً، وقبل الهجرة كان يشترط أن يشعل المهاجرون شعلة من موقد المدينة الأم لحملها معهم يشعلون بها موقد مدينتهم الجديدة. كرمز للارتباط النفسي والروحيّ بين المستوطنين (Oikeia) والمدينة

[١]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٣٨.

[٢]- هيرودت، الكتاب السادس ٢، ٤٢.

[٣]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٣٩.

[٤]- توكوديدس، ١، ٢٤، ٢.

الأم (Metropolis). وجدير بالذكر أنّه، في عصر الطُّغاة الإغريق، انتشر إنشاء المستعمرات رغبة من هؤلاء الطُّغاة في التوسُّع والسيطرة، ونشر نفوذهم، وكثيراً ما قاد أبناء الطُّغاة أنفسهم المستوطنين، حيث تطلَّ المستعمرة جزءاً من ممتلكات الطاغية حتى سقوطه أو موته. وفي الغالب كانت المستعمرة تابعة عنصرياً للمدينة الأمّ المؤسَّسة، فالدوريون يؤسِّسون مستعمرات دوريّة، والأينيون مستعمرات أيونيّة، رغم أنّ المستعمرة كانت تعتبر دويلة ذات سيادة ومستقلّة عن المدينة الأم<sup>[١]</sup>.

أيضاً كانت السوق العامّة AGORA أحد مظاهر المستعمرة الحديثة تحيط بها الشوارع المختلفة، والأحياء من حولها. ويحيط بالمستعمرة السور ثم الأراضي الزراعيّة CHORA التي تُعدُّ أساس حياة المدينة. وخارج هذا السور يقع الإطار الريفيّ الذي يمدُّ المدينة بحاجتها من الغذاء الزراعيّ والحيوانيّ، وقد وصف أرسطو ريف المدينة الزراعيّ بأنّه (الجوهر الحيوي للمدينة)<sup>[٢]</sup>. وبداخل المدينة تقوم المرافق الأساسيّة التي تؤكِّد شخصيّتها<sup>[٣]</sup>، كان مجتمع المواطنين (Polity) هو دولة المواطنين، والدليل على ذلك أنّ أسماء المدن كان يُنسب إلى المواطنين، وليس العكس فأثينا تسمّى مدينة الأثينيين، وبلاتيا تسمّى مدينة البلاتيين وإلخ. ويطلق المهاجرون على الأنهار والجبال في وطنهم الجديد الأسماء التي ألّفوها في بلادهم الأصليّة. ونرى هذا الشعور برابطة القرابة والاحترام نحو الوطن الأصليّ، أيضاً في المستوطنات التي تأسَّست بسبب اختلاف المهاجرين ومواطنيهم أو نتيجة للنزاع بين الأحزاب. وإجمالاً كان الشعور الوطنيّ يدعو إلى الصداقة والتعاون بين المستوطنة والمدينة الأم من أجل البقاء والانتعاش الاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ.

وبالإجمال، تشبه حركة الاستعمار الإغريقيّ، حركة الاستعمار البريطانيّ لأميركا الشماليّة بعد اكتشافها، وبداية الهجرة إليها.

وقد كان سكان المستوطنة يتوحّدون في ظلّ عبادة إله واحد، ويحرصون على التمسُّك بفكرة (العدالة) والحرية المستمدّة من هذا الإله. وكانت العلاقات الاجتماعية والحفلات

[١]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٣٩.

[٢]- أرسطو، السياسة ١١٢٦ ب.

[3]- R.E. Wycherley, How the Greeks built Cities, 2nd edition Max. Millan and Company, London 1962. p 126.

الدينية صفة أساسية من صفات المدينة وحقوق المواطنة، رغم أنها كانت في بداية الأمر تقتصر على النبلاء، فقد أصبحت بعد ذلك تشمل عامة المواطنين الأحرار، في حين بقي النساء والأجانب والعبيد خارج نطاق المجتمع<sup>[١]</sup>.

وبقي لنا أن نشير إلى أن الحكومة التي خرجت منها المستوطنة، لم تكن تتعهد بحماية هذه المستوطنة، وبالمقابل لم يكن المهاجرون يعترفون بسيطرتها السياسية عليه<sup>[٢]</sup>.

أما بالنسبة إلى علاقة المستوطنين الإغريق بسكان المناطق الأصلية، فقد دفعوا بهم إلى الداخل، بينما احتلوا هم الشواطئ، وفي البداية استخدموا معهم القوة، ولكن بمرور الزمن حققوا تعايشاً سلمياً معهم، لأن الإغريق المهاجرين كانوا يحرصون على إنعاش السكان الأصليين اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وإشراكهم في الرخاء المشترك، بل حدث تزواج بينهم، ويكفي أن نشير إلى أن هيرودوت جاء نتيجة لزواج امرأة آسيوية من كارياء، برجل إغريقي في هاليكارناسوس<sup>[٣]</sup>. والآن، بعدما تعرضنا لظاهرة الاستيطان وظروفه، سنحاول رصد المناطق التي نشأت فيها هذه المستعمرات.

### ثالثاً: مناطق الاستيطان الإغريقي

#### ١. الاستيطان الاستعماري في آسيا الصغرى

يبدو أن مناطق النفوذ الاستعماري قد شملت كثيراً من مناطق العالم القديم، ولا سيما في حوض البحر المتوسط، ومنه القسم المتوسط من شاطئ آسيا الصغرى الذي يبلغ طوله ما يقارب التسعين ميلاً ولا يزيد عرضه على (٢٠ - ٣٠) ميلاً، وعُرف باسم (أيونية)<sup>[٤]</sup>. يقول هيرودوت: «كان من حسن حظ طالع الأيونيين في آسيا، وهم أصحاب البانيونيوم، أنهم أقاموا مستعمراتهم في منطقة تتمتع بأطيب مناخ، وليس لأيونية منطقة شبيهة في العالم، لا في جنوبها ولا في شمالها، ولا في شرقها ولا في غربها، فغيرها من الأقاليم يعاني من البرد

[١]- عاصم أحمد حسين، ص ١٢٤ - ١٣٠.

[٢]- المرجع السابق.

[٣]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٤١.

[٤]- يرى ج. م كوك أن الحضارة الإغريقية ولدت في أيونية أي بفضل هذه المستعمرات حيث خلقت الغربة والشتات والإحساس بالحاجة إلى القومية حفاظاً على الوجود الحضاري في مواجهة الشرقيين. أنظر:

J. M. Cook: The Greeks in Ionia and the East. London 1962.

القارس، أو من الحرّ الشديد والجفاف. ولا يتكلّم الأيونيون لغة واحدة، بل أربع لهجات مختلفة موزعة على أماكن متعددة. وأول مدن الأيونيين في الجنوب ميليتوس، تليها ميوس وبيرينة، وتقع جميعها في كاريا، ويتكلّم أهلها بلهجة واحدة. أما مدنها في ليدية فهي إفسوس وكولوفون وليبدوس وتيوز وكلاوزمناي وفوكايا، ولأهلها لهجة خاصة تختلف تماماً عن لهجة تلك المدن التي سبق ذكرها. وهناك ثلاث مستوطنات أيونية أخرى، اثنتان منها تقعان في جزيرتي ساموس وخيوس، وواحدة هي أرتيرية التي تقع على البر. ويتحدّث أهالي أرتيرية لهجة واحدة. أما ساموس فيتحدّث أهلها لهجة خاصة بهم لا تشاركهم فيها منطقة أخرى»<sup>[١]</sup>. وعدد هذه المدن اثنتا عشرة مدينة على حدّ قول هيرودوت الذي يفسّر ذلك بقوله: «إنّ السبب في اختيار الأيونيين اثنتي عشرة مستوطنة لهم في آسيا، هو أنهم كانوا موزعين في اثنتي عشرة دولة يوم كانوا يقيمون في الجزر البلبونيزية»<sup>[٢]</sup>.

كانت (ميليتوس)، وهي إحدى المستوطنات الأيونية الاثنتي عشرة، أغنى مدينة في العالم الإغريقيّ في القرن السادس ق.م. وقد بنيت في موقع ممتاز جدّاً على رأس ممتدّ في وسط البحر تقابله سلسلة من الجزر تمنع عنه الرياح ويصلح ليكون مرفأً في كلّ جهاته. وقد هاجر (الأيونيون) إلى هذه المستوطنة قادمين من مقاطعة أتيكا نحو سنة (١٠٠٠ ق.م)، وقد انضمّ إلى الأيونيين كثير من المهاجرين الأخائيين والكريديين والليكيين، وسرت بينهم جميعاً اللّغة الإغريقيّة وعبادة الآلهة (أثينا) والإله (أبوللون). وأسست ميليتوس المستوطنات في كلّ أنحاء البحر المتوسط والبحر الأسود، فبلغ عدد هذه المستوطنات الثمانين، كان ستون منها على شواطئ بحر مرمرة والبحر الأسود، وأشهرها (سينوب) و(فاسيس) و(طرابزون) و(خالكيدون) و(بيزنطيوم) و(نوكراتيس) في مصر، وإضافة إلى ذلك أدّت ميليتوس دوراً كبيراً في تاريخ الفكر الإغريقيّ.

أما القبائل (الأيوولية) التي كانت تربطها أواصر الصداقة والتحالف مع الأخائيين، فقد هاجرت كلّها معاً إلى القسم الشماليّ من شواطئ آسيا الصغرى، وسُمّي هذا القسم باسم (أيوليس) نسبة إلى الأيوليين. ويعدّد هيرودوت مدن الأيونيين بقوله: «أمّا المدن الأيوولية

[١]- هيرودوت، الكتاب الأول، ص ٩٨.

[٢]- المصدر نفسه، ص ٩٩.

فهي سايمة، ولاريسا، ونيون تيخوس، وتيمنوس، وسيللا، ونوتيوم، وإيجروسا، وبيتانة، وآجبابي، ومرينا، وجرينيا. تلکم هي مدن الأیوليين الإحدى عشرة القائمة. وكانت في الحق اثنتي عشرة، وهي مثل عدد مدن الأيونيين، عدا واحدة منها هي (سميرنا) التي اغتصبها الأيونيون، وأرض أيولية تفضّل أيونية، إلا أن مناخها ليس بالأفضل»<sup>[١]</sup>.

هذا عدا تلك المستوطنات القائمة عند جبل (إيدا) التي لا تنتمي إلى الاتحاد. ومن المستوطنات الأيولية في الجزر خمس مستوطنات في (لسبوس)<sup>[٢]</sup>.

وقد استولى الدوريون على القسم الجنوبي من شواطئ آسيا الصغرى المقابل لجزيرة (رودوس) والذي أطلق عليه اسم (دوريس).

وقام إغريق جزيرة يوبويا (Euboea) وإغريق جزيرة قبرص بتأسيس مستعمرة بوسيدونيا (Poseidnia) على نهر العاصي ومكانها الآن مدينة (المينا البيضاء) في شمال سورية، والتي منها يعتقد العلماء أن فكرة الكتابة انتقلت من الفينيقيين إلى الإغريق، ويقترحون أن هذه المستعمرة أنشأت حوالي عام ٨٠٠ ق. م<sup>[٣]</sup>.

## ٢. الاستيطان الاستعماري في جنوب إيطاليا وصقلية

### أ. الاستيطان الاستعماري في جنوب إيطاليا

تتميز المستعمرات الإغريقية في جنوب إيطاليا بصغر مساحتها وكثرة عددها، ووقوعها على خليج تارنتم وخليج نابولي، وتصارعها على مناطق القوة والنفوذ في جنوب إيطاليا، وعلى الموارد التجارية، واعتمدت في بقائها على حماية السكان المحليين في جنوب إيطاليا لها، وعلى بعض الملوك من بلاد الإغريق، وأهم هذه المستعمرات:

#### \* بيثكوساي PITHEKOUSAI

وهي أولى المستعمرات في جنوب إيطاليا، أسسها الإغريق الخالكيديون القادمون من يوبويا عبر البحر المتوسط في القرن الثامن ق. م، ويعود تأسيسها إلى ما بين ٧٧٥ - ٧٠٠ ق. م.

[١]- هيرودوت، الكتاب الأول، ص ١٠١.

[٢]- المصدر نفسه.

[٣]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٤١.



## \* كوماي أو كيمي CUMAE

تقع هذه المستعمرة على السواحل الجنوبية الغربيّة لإيطاليا على خليج نابولي في منطقة زراعيّة خصبة، أسّسها مستوطنون من يوبويا سنة ٧٥٠ ق.م، وأسّست كوماي إلى الجنوب منها مستعمرة نيابوليس التي تُعرف اليوم بنابولي الواقعة على الخليج الذي يُعرف باسمها، ومعناها في الإغريقيّة (المدينة الجديدة)، وكان الهدف من هذه المستعمرة البحث عن موطئ قدم على البرّ الإيطاليّ.

## \* ريجيوم RHEGIUM

تقع في الطرف الإيطاليّ من مضيق ميسينا، أسّسها إغريق خالكيدية الذين انطلقوا من مستعمرة زانكلي، ويعود تاريخ تأسيسها إلى عام ٧٢٠ ق.م، وكان الهدف السيطرة على الطرق التجاريّة القادمة من إيطاليا إلى صقلية أو بالعكس.

## \* تارنتم TARENTUM

تقع على الساحل الجنوبيّ لإيطاليا على الخليج الذي يحمل اسمها، أسّسها إغريق إسبرطة عام ٧٠٧ ق.م، تميّزت بمينائها العظيم وأراضيها الخصبة التي سيطروا عليها بعد طردهم للسكّان الأصليين. وكانت تارنتم المستعمرة الوحيدة التي أسّسها الإسبرطيون في جنوب إيطاليا، وكان الهدف من وراء تأسيسها التخلّص من السكان الذين تحوّلوا إلى عبيد بسبب عدم مشاركتهم في حرب ميسينا التي قادتها إسبرطة ضد جيرانها الميسانيين في البلوبونيز، وبذلك وجدت موطئ قدم لها في العالم الجديد.

## \* سيباريس SYBARIS

تقع على الساحل الجنوبيّ لشبه الجزيرة الإيطاليّة على مسافة قريبة من تارنتم أسّسها الأخيون عام ٧٢٠ ق.م، وازدهرت بسرعة نتيجة العمل التجاريّ مع آسيا الصغرى وبلدان البحر المتوسط، وأصبحت مشهورة بالترف والسرور، واستخدم اسمها للإشارة إلى أعلى درجات الترف<sup>[١]</sup>. وقد ضُرب المثل بشراء سيباريس الذي لا حدّ له. ولم تُعمّر سيباريس

[١]- سيد أحمد علي الناصري، ١٤٦.

طويلاً لأنَّ كروتون شنت عليها حرباً وقضت عليها عام ٥٢٠ ق.م، فأسس بريكلس سنة ٤٤٤ ق.م مستوطنة ثوري THURII في مكانها هادفاً من هذه الخطوة إلى فتح باب التدخل الأثيني في جنوب إيطاليا، وداعياً الإغريق إلى المشاركة في بناء هذه المستوطنة<sup>[١]</sup>.

#### \* كروتون CROTON

أسس هذه المستعمرة الأخيون على شواطئ خليج تارنتم من جهته الغربية على رأس بحري عام ٧١٠ ق.م، وقد ازدهرت تجارياً لقربها من سيبريس وزراعياً لسيطرتها على أجزاء من سهول كالابريا الخصبة<sup>[٢]</sup>.

#### \* لوكري LOCRI

تقع لوكري على الساحل الشرقي لكالابريا أو إصبع قدم إيطاليا، على التلال الداخلية حيث يضيق السهل الساحلي، وتمتد لوكري على مساحة واسعة تصل إلى نحو ٢٣٠ هكتاراً تحيط بها الجدران بطول سبع كيلو مترات. أسسها سكان جزيرة لوكريس بين عامي ٦٩٠ و ٦٥٠ ق.م، على أنَّ اللوكريين قد استقرُّوا في أكثر من موقع في إيطاليا قبل الاستقرار في لوكري عام ٦٧٠ ق.م.

وبمرور الزمن ازدهرت المستعمرات المختلفة، وأصبح جنوب إيطاليا يعجُّ بالمدن الإغريقية إلى درجة أنَّ الرومان أطلقوا عليها اسم بلاد الإغريق العظمى (MAGNA GRAECIA) وأطلقوا على كلِّ هيليني اسم إغريقي نسبة لقبيلة غرايكي (GRAECI) القادمة من يوبويا<sup>[٣]</sup>. وأصبح جنوب إيطاليا يُعرف باسم اليونان الكبرى (MAGNA GRAECIA) لكثرة المستوطنات الإغريقية فيه.

نجح الإغريق في السيطرة على جنوب إيطاليا، وغيرُوا بوصلة التاريخ في تلك البقعة من العالم القديم من خلال تأسيس عدد كبير من المستعمرات في عالم لا يعرفون عنه

[١]- روبرت ليمان، التجربة الإغريقية حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي، ترجمة منيرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٨، ص ٥٩.

[٢]- تشارلز الكسندر روبنسن، أثينا في عهد بريكلس، ترجمة أنيس فريجة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٦، ص ١٨٩.

[٣]- خليل سارة، ص ١٨٨.

شيئاً، ولا عن وجود تجمّعات سكانية كبيرة كالأتروسكيين واللوكانيين<sup>[١]</sup>.

### ب. الاستيطان الاستعماري في صقلية

استوطن الإغريق سواحل صقلية الشمالية والشرقية والجنوبية، وبنوا مستعمرات تميّزت بكبر مساحتها، وكانوا على مواجهة مباشرة مع السكّان الأصليين من جهة، ومع الفينيقيين السوريين من جهة أخرى، وكانت هذه المستعمرات القلاع الأولى لحماية الوجود الإغريقي أمام الهيمنة القرطاجية، وأهمّ هذه المستعمرات:

#### \* ناكسوس NAXOS

تقع في شمال الساحل الشرقي من جزيرة صقلية في منطقة سهول ساحلية من أجل تخفيف المجابهات مع السكّان المحليين، وتأسيس قاعدة انطلاق قويّة للسيطرة على سواحل جزيرة صقلية الشرقية، والسهول الزراعية القريبة من تلك السواحل.

تم تأسيسها من قبل إغريق خالكيس في عام ٧٣٥ ق.م، وسُمّيت ناكسوس بهذا الاسم تيمناً بجزيرة ناكسوس<sup>[٢]</sup> الواقعة في بحر إيجه التي اشترك قسم كبير من أهلها بتأسيس تلك المستوطنة الأيونية<sup>[٣]</sup>، ونظراً إلى ضيق مساحة ناكسوس الزراعية، فقد قام مواطنوها بتأسيس مستوطنتين في أراض زراعية خصبة هما: ليونتيني وكاتانا.

#### \* ليونتيني LEONTINI

تمّ تأسيسها بعد ستّ سنوات من تأسيس ناكسوس، أي نحو سنة ٧٢٩ ق.م، على تلّ يسمّى (هيرايان)، وجاء تأسيس معظم المستعمرات الأيونية على التلال المرتفعة، وهذا دليل على ضعف الإغريق وخوفهم من السكّان الأصليين الموجودين داخل الجزيرة والاكتفاء باستعمار السواحل الشرقية من صقلية القريبة من سواحل بلاد الإغريق القارية، وعدم التغلغل في داخل الجزيرة خوفاً من السكّان الأصليين.

[١]- حول المستعمرات الإغريقية في جنوب إيطاليا. أنظر: أطروحة دكتوراه غير منشورة في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، عبدو حمو أحمد، جامعة دمشق ٢٠٢٠ م، ص ٥٠-٥٥.

[٢]- هي واحدة من مجموعة جزر تسمّى كيكلاديس CYCLADES، وتقع في البحر الإيحي جنوب أنيكا ويوبويا، وسُمّيت بهذا الاسم لأنها توضع على شكل دائرة في البحر الإيحي.

[٣]- محمد كامل عياد، ص ٣٤٧.

### \* كاتانا CATANA

تقع على الساحل الشرقيّ لجزيرة صقلية، وتمتّع بميناء رائع<sup>[١]</sup> أسّسها الناكسوسيون بهدف تأمينها من الجهة الجنوبيّة لتكون كاتانا الخطّ الأول في الدفاع عن ناكسوس، هذا من الناحية الدفاعيّة، أمّا من الناحية الاقتصاديّة فتمثّلت في السيطرة على السهول الزراعيّة الواسعة حول جبل أتنا.

### \* سيراكوزة SYRACUSE

تقع في جنوبي الساحل الشرقيّ لجزيرة صقلية، في مركز البحر المتوسّط، بالقرب من شبه الجزيرة الإيطالية من جهة، وعلى بعد حوالي ١٦٠ كم من قرطاج في تقاطع الطرق الإغريقيّة والرومانيّة القديمة. أسّستها كورنثة في النصف الثاني من القرن الثامن ق.م، وأصبحت واحدة من أكبر المدن أثناء الفترة الكلاسيكيّة (٥٠٠ - ٣٢٣ ق.م)، حيث وصل عدد سكّانها إلى نحو ٢٥٠ ألف نسمة مقارنة مع مدينة أثينا، بسبب سياسة حكّامها القائمة على فرض سيطرتهم على معظم المستعمرات في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، والتدخّل بشكل مستمرّ في شؤونها، علاوة عن حمايتها لتلك المستعمرات ضد التدخّل القرطاجيّ والأتروسكيّ والرومانيّ. وأسّست سيراكوزة مستعمرتين صغيرتين بالقرب منها: الأولى كامارينا، الثانية مستعمرة أكراي<sup>[٢]</sup>.

### \* زانكلي ZANCLE

تقع في الركن الشماليّ الشرقيّ من جزيرة صقلية، عند إصبع الحذاء الإيطاليّ في موقع قريب على البرّ الإيطاليّ<sup>[٣]</sup> أسّست خالكيدية هذه المستعمرة من أجل السيطرة على الساحل الشرقيّ للجزيرة، ويعود تاريخ تأسيسها بين عامي ٧٥٠ - ٧٢٥ ق.م، ومعنى زانكلي المنجل وهو دليل على أهميّتها الزراعيّة. وبعد تأسيس زانكلي قامت خالكيدية بتأسيس مستعمرة ميلاي التي تقع على بعد عشرين ميلاً غرب زانكلي، وكان لهذه المدينة سهل خصيب، وتبعثها تأسيس مدينة أخرى وهي مستعمرة هيميرا عام ٦٤٨ ق.م إلى الغرب على الساحل

[١]- إبراهيم عبد العزيز جندى، معالم التاريخ اليوناني، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ١٩٩٨، ص ٣٠٥.

[2]- Hammond, N, G, I, and h, scullard, the Oxford Classical Dictionary. P 1030.

[٣]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٤٥.

الشماليّ لجزيرة صقلية على تلّ قريب من النهر الذي حمل اسمها، وكانت مخفراً أمامياً لحماية الإغريق من الفينيقيين، اشتهرت بحماماتها الحارة.

#### \* ميغارا هيبلايا MEGARA HYBLAEA

تقع على الساحل الشرقيّ لجزيرة صقلية بين سيراكوزة جنوباً وكاتانا شمالاً، تأسست من قبل مستوطنين من ميغارا عام ٧٢٨ ق.م ونجحوا في تأسيسها بعد محاولات عدّة فاشلة في كاتانا وليونتيني، لأنهم طُردوا من قبل الخالكيديين، حتى وصلوا إلى جزيرة تقع شمال سيراكوزة بستة عشر كيلو متراً، واستقروا بها برخصة من الملك هيلون HYBLON ملك السكّان الأصليين الذي أعطاهم أرض هذه المستعمرة. وبعد مئة عام من تأسيسها أسست مستعمرة سيلينوس في عام ٦٢٨ ق.م حيث ازدهرت المدينة ازدهاراً كبيراً نتيجة العمل التجاريّ مع الفينيقيين<sup>[١]</sup>.

#### \* جيلا GELA

تقع على الساحل الجنوبيّ لجزيرة صقلية، تأسست من قبل مهاجرين جاؤوا من جزيرتي رودوس وكريت في عام ٦٨٩ ق.م، والبعض يرى أنّهم جاؤوا من جزر عدّة في بلاد الإغريق الفارية. وقد عثرت التنقيبات الأثرية على فخّار أرجوانيّ اللّون مصنوع في جزيرة كريت، وهذا يدلّ على أنّ سكان جزيرة كريت قد أسسوا تلك المستعمرة. وفي عام ٥٨٠ ق.م أسست إلى الغرب منها مستعمرة زراعية هي أكراكاس التي تفوّقت بعد فترة قصيرة على المدينة الأم في حجمها وراثتها.

نجح الإغريق في السيطرة على جزيرة صقلية، وأسّسوا مستوطنات على سواحلها الشرقية الغربية من بلاد الإغريق، والسواحل الشماليّة الغربية من المستعمرات في جنوب إيطاليا والأثروسيكين والرومان، والسواحل الجنوبيّة الغربية من قرطاجة، وهذه السواحل فرضت على الإغريق تحدّيات سياسيّة وعسكريّة تجلّت في مواجهة القرطاجيين الطامعين بالسيطرة على تجارة غربيّ البحر المتوسط، والأثينيين الطامعين بخيرات جزيرة صقلية، والرومان الطامعين بالسيطرة على إيطاليا بشكل كامل<sup>[٢]</sup>.

[١]- إبراهيم عبد العزيز جندى، ص ٣٠٧.

[٢]- حول المستعمرات الإغريقية في صقلية. أنظر: أطروحة دكتوراه غير منشورة، عبدو حمو أحمد، ص ٥٥ - ٦١.

كذلك زاد الإغريق توسّعهم في مستعمراتهم غرب بحر إيجه، حيث أنشأوا مستعمرة (بوتيدايا) والتي أنشأتها كورنثة في خليج خالكيدكي. كذلك توسّعوا عبر الساحل الغربيّ لبلاد الإغريق على البحر الأدرياتيكيّ فأنشأت كورنثة أيضاً مستعمرة (كوكيرا) وهي جزيرة (كورفو) الحالية، وكذلك مستعمرة (أبيدامنوس) والتي كان لها دور أساسيّ في إشعال الحرب البلوبونيزيّة<sup>[١]</sup>.

### ٣. الاستيطان الاستعماري في البحر الأسود

امتد نفوذ الإغريق أيضاً حتى البحر الأسود الذي كان منطقة حيويّة هامّة لبلادهم، وكانت (ميليتوس) رائدة مدنها في حركة الاستيطان الاستعماريّ في البحر الأسود، منذ منتصف القرن السابع ق.م وبدأت في ظهور العديد من المستعمرات مثل (فاسيس) شرق البحر المتوسط، و(ترابيزوس) في الجنوب، وكذلك (هيراكليا) التي أنشأتها (ميجارا) في الخرسونيس (جزيرة القرم) وفي شمال البحر الأسود أسّست (أولبيا) (أوديسا الحالية)، وكذلك (خالكيدون) و(بيزنطيوم) حيث قُدّر لهذه المستعمرة الصغيرة أن تصبح عاصمة لأمبراطوريّة، وورثة للحضارة الإغريقيّة والرومانيّة في الشرق<sup>[٢]</sup>.

### ٤. الاستيطان الاستعماري في أسبانيا وجنوب أوروبا

وبازدياد النشاط الاستيطانيّ، بدأ الإغريق في استكشاف أوروبا، خصوصاً إسبانيا ذات السهول الخصبة، والمناجم الغنيّة بالفضّة والقصدير، فأسسوا مستعمرة (أمبريون) (إمبرياس الحالية)، وفي جنوب أوروبا أقام تجار فوكايا مستعمرة (ماسيليا - مارسيلية الحالية) عند مصبّ نهر الرون وذلك حوالي عام ٦٠٠ ق.م، والتي أصبحت قاعدة للنفوذ التجاريّ للإغريق، وأقاموا أيضاً مستعمرة (نيابوليس - نابولي الحالية) في إيطاليا و(نيكاية - نيس الحالية)، و(مونويكوس - موناكو الحالية) في فرنسا<sup>[٣]</sup>.

[١]- عاصم أحمد حسين، ص ١٣٥.

[٢]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٦٦.

[٣]- خليل سارة، ص ٣٣٦.

## ٥. الاستيطان الاستعماري في ليبيا ووادي النيل

اقترب الإغريق إبّان القرن السابع ق.م من ساحل أيونية إلى مناطق النفوذ في شمال أفريقيا، وقام مواطنو جزيرة ثيرا THERA بإنشاء مستوطنة قورينة CYRENE لتكون حصناً للاستعمار الإغريقيّ في شمال أفريقيا، وكرأس جسر للنفوذ بين مصر وقرطاجة. كما قامت ميليتوس بدعم المحطّة التجاريّة المقامة على الفرع الكانوبي للنيل والمعروفة باسم نقراتيس NAUCRATIS حيث تحوّلت إلى مدينة أيونية بعدما ازدهرت الأحياء والهليونيون الإغريقيّ الذي هو مجمع كلّ آلهتهم، ولما كانت مدينتا قورينة ونقراتيس ذات تأثير خاص في تاريخ الحضارة الهلينية في شمال أفريقيا ومصر، فمن الواجب علينا أن نعالج كلاّ منهما بشكل موجز.

### \* قورينة أو قوريني CYRENE

وهي (شحات) الحالية بمقاطعة (برقة)، وقد وصفها الشاعر بندار بأنّها (حدائق الرّبة أفروديت)، وقد أسّس هذه المستعمرة مجموعة من مهاجري جزيرة (ثيرا) (وهي الآن جزيرة سانتورين الحالية) بناءً على نصيحة من كهنة الإله (أبوللون) بأن يبحثوا لهم عن مستعمرة على ساحل أفريقيا الشمالي إلى الغرب من حدود مصر، وذلك إبّان القرن السابع ق.م، وبعدما ذهبوا يئسوا من الإقامة فيها، فعادوا من حيث أتوا، بل تجوّلوا في البحر سنين عديدة، ثم اضطروا للعودة إلى قورينة مرّة أخرى، وذلك في عام ٦٣١ ق.م حسبما تروي الأساطير.

كانت قورينة هي المستعمرة الأولى للإغريق في شمال أفريقيا محصورة بين ساحل البحر المتوسط وحافة الصحراء الليبيّة. وتروي الأساطير أنّ اسم قورينة مشتقّ من اسم ينبوع ماء هناك اسمه كوري، وتقول أسطورة أخرى إنّ قورينة كانت في الأصل حوريّة من حوريّات البراري والأدغال، وصديقة لربة الصيد (أرتميس).

ومن الواضح أنّ المستوطنين الإغريق قد اختاروا مكانهم لموقعه الاستراتيجيّ، ولتضاريسه، ولثراء تربته، وجمال جباله، التي تتخلّلها الينابيع، وتنمو فيها المراعي الخصبة، ووضعوا أساس مدينتهم في مكان يبعد عشرة أميال من ساحل البحر، على ربوة تتدرّج من الجنوب صوب الشمال، ثم تنحدر بانكسار شديد صوب البحر لتصبح أكروبولاً مناسباً

للمدينة، يرتمي البحر تحت قدميها. وبُنِي في المستعمرة معبداً للإله (أبوللون)، كذلك بنوا معبداً للمؤسس الأسطوري للمستعمرة وهو (أسطوطاليس) ومعبداً للربة (أرتميس) شقيقة أبوللون، وكذلك بنوا معبداً للربة المصرية (إيزيس) التي دخلت عبادتها إلى ليبيا تحت تأثير الحضارة المصرية<sup>[١]</sup>.

### \* نقراطيس NAUCRATIS

على خلاف المستعمرات الإغريقية الأخرى، قامت نقراطيس (نقراش حالياً) على ضفاف فرع النيل الغربي، وبالقرب من سايس صالحجر عاصمة الأسرة الصاوية. ولم تعرف المدينة مؤسساً، ولا أقيمت لها طقوس، ولا أشعل لها موقد أُخذت ناره من موقد المدينة الأم، ولا تدخل كهنة أبوللون في اختيار مكانها<sup>[٢]</sup>، إنما يرجع الفضل في تأسيسها إلى ملوك الأسرة الصاوية أنفسهم، وهو رغبتهم في تجميع الجنود والتجار الإغريق في مدينة قريبة من عاصمتهم، حتى يكونوا تحت بصرهم، واحتراماً لمشاعر المصريين الذين أثارهم اعتماد هذه الأسرة على الأجانب خصوصاً في الجيش. وكان الفرعون بسماتيك (٦٦٣ - ٦١٠ ق.م) هو الذي فكّر جدّياً في تنفيذ ذلك، ولكن أماسيس (أحمس الثاني) الذي اشتهر بصداقته للإغريق (٥٦٩ - ٥٢٨ ق.م) هو الذي وضع قرار بسماتيك موضع التنفيذ، ومنح الإغريق المقيمين أو العابرين أرضاً لينبؤا عليها معابدهم ومحاربهم وساحاتهم المقدسة. ويرى البعض أنّ السبب الدافع لذلك ليس حب الإغريق بقدر ما هو الخوف والرعب من تزايد خطر الإمبراطورية الفارسية، واتجاهها نحو مصر، تلك المنطقة الحيوية بالنسبة إلى مصالح الإغريق التجارية خصوصاً القمح الذي كانوا يجمعونه بالفضة أو بالعملات الفضية من قرى الدلتا، ثم يصدرونه عبر الفرع الغربي للنيل إلى الجزر الإغريقية في بحر إيجه، وإلى مدن أيونيا وأثينا وكورنثا أيضاً. ولهذا يرتبط تأسيس نقراطيس بتزايد النقود الفضية للمدن الإغريقية المختلفة، لكنّ الرعب من خطر الفرس هو الذي دفع بسماتيك إلى الاعتماد على الجنود الإغريق، وتوطيد علاقته بالمدن الإغريقية في أيونيا<sup>[٣]</sup>.

[١]- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي ١٩٦٦، ص ١٥٦.

[2]- A. J. Graham op cit. p 25.

[٣]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٦٠.



لكن النصوص التاريخيّة -خصوصاً كتابات هيرودوت واسترابون تذكر أنّ تجّار ميليتوس هم أول من أسّسوا نقراطيس<sup>[١]</sup>، وقد يكون صحيحاً أنّ التجّار الأول قد جاؤوا من ميليتوس، ولكن يبدو أنّ ميليتوس شغلت نفسها بعد ذلك باستيطان الغرب الإيطالي، ومنطقة البحر الأسود، فتدهورت مصالحها في نقراطيس، وحلّت محلّها خيوس، وتابعتها جزيرة تيوس، لأنهما كانا في أشدّ الحاجة إلى القمح المصريّ، ثم دخلت رودوس كمنافس لهما، حيث عيّنت ممثلاً تجاريّاً وسياسيّاً لها في نقراطيس، وحدث أثينا حذوها في القرن الرابع ق.م إلى أن نهضت كورنثا واتّجهت للتجارة مع مصر، وأخيراً تركّ المجال بأكمله لمدينة أثينا، ومن ثم يتّضح أن نقراطيس كانت مستعمرة جماعيّة أيونيّة<sup>[٢]</sup>.

#### رابعاً: النتائج العامّة للاستعمار الاستيطاني الإغريقي

اندفع الإغريق إلى الهجرة والاستعمار لأسباب وعوامل متعدّدة، ولا شكّ في أنّ المصلحة الاقتصاديّة كانت في مقدّمة الحوافز، فلذلك نطلق على هذه الحالة صفة (الاستعمار) بدلاً من الصفة الشائعة (الانتشار) التي أطلقها أصحاب النزعة العنصريّة في المدرسة الغربيّة، كي يضيفوا على صفة الهجرات الغربيّة الصفة السلميّة بمعنى (الانتشار السلمي)، وقد نفى الكثيرون منهم نفيّاً قاطعاً صفة (الاستعمار) الإغريقيّ بسبب النزعة العنصريّة المتطرّقة عند هؤلاء. ويصفون ذلك الاستعمار (بالانتشار الحضاري) للإغريق، أي أنّ أهدافهم الأساسيّة تمثّلت في نشر الحضارة الإغريقيّة في ربوع العالم المسكون، ونشر الأمن والسلام، وتوطيد الأمن والأمان، ونشر العلم بكلّ إبداعاته. ونؤكّد على صفة (الاستعمار)، حيث أنّ الوقائع أعطتنا إثباتات دامغة على هذه الصفة، كون الإغريق المهاجرين كانوا يسيطرون بالقوّة على أفضل الأراضي، والأكثر جمالاً، والأفضل مناخاً، لكي تتلاءم طبيعتهم مع طبيعة بلادهم الأم التي جاؤوا منها، إضافة إلى ذلك كانوا يسيطرون على أهم الشواطئ والمواقع البحريّة للفائدة الاقتصاديّة والتجاريّة، ويدفعون أصحاب البلاد الأصليين إلى الداخل، حيث تسود التربة الجدباء، وفقر المحاصيل الزراعيّة، ما أدّى إلى حصول مناوشات كثيرة بين الإغريق والسكان الأصليين. فالغاية الأساسيّة عند الإغريق جرّاء هذه الهجرات طمعهم في خيرات الشعوب، وإن كان هذا الاستعمار «سلميّاً»، ولكنّه لا يقلّ قوّة عن الاستعمار العسكريّ.

[١]- هيرودوت ٢، ١٧٨، استرابون ١٧، ١٨ (٨٠١).

[٢]- سيد أحمد علي الناصري، ص ١٦٢.

فالإغريق كانوا يطمعون في خيرات المستعمرات، فيستوردون منها الحبوب والمواد الأولية التي يحتاجونها، ويصدرون إليها مصنوعاتهم؛ ولكنهم يختلفون عن الفينيقيين الذين لم يكونوا يفكرّون في شيء آخر غير الفوائد التجارية. والكثيرون منهم كانوا يتركون بلادهم رغبة في المغامرات والشهرة، أو حباً في الاطلاع والمعرفة. ثم إن بعض الإغريق كانوا يضطرون إلى الهجرة والتفتيش عن وطن جديد لهم؛ لأن أرض بلادهم ضيقة وفقيرة لا تكفي لإعاشتهم. كما أشار إلى ذلك (توكوديدس) و(أفلاطون). وقد كان نظام الملكية السائدة في بلاد الإغريق يفرض بقاء الأراضي الواسعة الصالحة للزراعة في أيدي الأسر الكبيرة النبيلة. كما أن نظام الوراثة يقضي بحصر حق استثمارها في أكبر الأبناء، فكان بقيّة الأخوة الذين يريدون ملكاً خاصاً بهم يذهبون إلى ما وراء البحار في سبيل الحصول على ذلك. وأخيراً، فإن الأوضاع السياسيّة في المدن الإغريقيّة كانت كثيراً ما تدفع قسماً من السكان إلى الهجرة، وذلك لأنّ الحكم الأرستقراطيّ الذي يفرض سيطرة النبلاء، ويوجه سياسة البلاد حسب مصلحة هذه الطبقة، كان يحرم المواطنين الأحرار من أكثر الحقوق، ويزيد في شقّة الخلاف بين الطبقات والأحزاب.

إنّ المهاجرين كانوا يأتون من مختلف الأماكن في شبه جزيرة الإغريق، وجزر بحر إيجه، وشواطئ آسيا الصغرى، وهم ينتسبون إلى كلّ الطبقات؛ بينهم النبلاء، والامتشردون، والفلاحون، والتجار؛ فكان بعضهم يفتش عن أرض تصلح للفلاحة، قريبة من المياه، فيها حقول خصبة لزراعة الحبوب، ومرتفعات لكروم العنب والتين، وغابات تقطع منها الأخشاب اللازمة للتدفئة والبناء وصنع السفن، والبعض الآخر كانوا يريدون اكتساب الثروة عن طريق التجارة، فراهم يبحثون عن الخلجان الصالحة لتأسيس مرافئ يسهل الاتصال بينها وبين البلاد الداخلة، ويمكن تبادل البضائع مع سكّانها وتصدير كمّيات كبيرة من الحبوب والمعادن والأخشاب والرقيق منها، مقابل الخمور والزيت والأواني الخزفيّة والأسلحة والحليّ المستوردة من بلاد الإغريق. كان قسم من المهاجرين يخدمون في جيوش الدول الأجنبية كجنود مرتزقة، فيحصلون على الغنائم بما يظهرهونه من الشجاعة والإخلاص، وكثيراً ما يستقرون في أراضي هذه الدول، فيختلطون بالسكّان، أو يؤسسون مدناً خاصّة بهم، كما فعل الجنود الذين انضموا إلى جيش (بسامتيخ الأول) وأسّسوا مدينة (نقراطيس) عند مصبّ النيل.

يصعب الاعتقاد بأن الاستعمار الإغريقي كان في بادئ الأمر عفويًا وتابعًا للمصادفات، وإن كان يقتصر على خليط من المهاجرين المستائين الذين يعملون لحسابهم الخاص من دون خطة معينة، لاسيما وأن الحكومات تشجّع هجرة أمثال هؤلاء المشاغبين لتتخلّص من معارضتهم. نعم، بعدما عرف الإغريق فائدة المستعمرات، قامت حكوماتهم (بقوينة الهجرة) وأصبحت خاضعة للقوانين والتشريعات، بحيث تتولّى هي تنظيم الهجرة والاستعمار، وتشارك في تأسيس المدن، وترسل مع المهاجرين مرشداً ينوب عنها يسمى (أوكسيت) يرافقه عدد من الكهّان والعرفان والمهندسين. وكثيراً ما يُهيأ مخطط المدينة الجديدة سلفاً، وتقسّم الأراضي إلى حصص تُوزع بالقرعة. على أن الحكومة لم تكن تتعهد بحماية المستعمرة، كما أن المهاجرين لا يعترفون بسيطرتها السياسية عليهم.

وقد كان للاستعمار تأثير كبير في تنمية الروح القومية لدى الإغريق؛ إذ إن الاحتكاك بالأمم الأجنبية جعلهم يلمسون الفوارق بينهم وبين الشعوب الأخرى، ويشعرون بالروابط التي تجمع بينهم وتوحدهم. ثم إن المستعمرات التي اشترك مهاجرون من مدن مختلفة في تأسيسها قد ساعدت على التفاهم والتقارب بين هذه المدن.

في المستعمرات ولد الشعر والأدب الإغريقي، وفيها نشأت العلوم الرياضية والفلسفية وبرز أول الخطباء والمؤرخين، وعن طريقها انتقل ميراث الحضارات الشرقية القديمة إلى الإغريق، كما أن الحضارة الإغريقية انتشرت في العالم عن هذه الطريق<sup>[١]</sup>.

ومن خلال ما سبق، بإمكاننا أن نستنتج أهم النتائج الحاصلة، وهي على الشكل التالي:

## ١. النتائج السياسية

أثّرت حركة الانتشار الإغريقية في الأنظمة السياسية عند الإغريق، بصورها المختلفة في معظم البلاد؛ من النظام الملكي، إلى الأرستقراطي، إلى الأقلية الأوليغاركية، إلى الديمقراطية. وذلك التطور لم يظهر بصورة واضحة قبل حركة الاستعمار.

[١]- حول الاستعمار الإغريقي وعلاقات الإغريق بالحضارات الشرقية. أنظر: محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، دمشق ١٩٦٩، ص ١٢٤ - ١٢٨. ثم خليل سارة، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

## ٢. النتائج الاجتماعية

كانت حركة الاستيطان الإغريقي حافزاً على هجرة الكثيرين، ومؤثرة في عدد السكان الذي بدأ يقل نسبياً في المدن الأم، هذا إلى جانب أن أهم نتائج الحركة الإغريقية اجتماعياً كان ظهور طبقة جديدة من الرأسماليين المعدمين، من الطبقات المتوسطة التي تملكها الثراء، وأصبح لها دورها المؤثر في تاريخ الإغريق خلال تلك الفترة.

## ٣. النتائج الاقتصادية

كان التطور الاقتصادي الناتج عن نهب ثروات المدن التي استعمروها من أهم سمات حركة الاستعمار الإغريقي؛ إذ ظهرت بوضوح مظاهر نشاط عجلة التجارة الخارجية عبر البحار، ولا سيما في إيطاليا وآسيا الصغرى، حيث أثرى الكثير من التجار الذين كان لهم دور كبير في الحياة السياسية. هذا إلى جانب ازدياد نشاط التجارة وتقدمها، الذي أدى إلى النشاط والتطور الصناعي. وقد أثر ذلك في حركة الأيدي العاملة التي كانت تعتمد سابقاً على العمال الأحرار، ثم كانت الحاجة بعد ذلك إلى استخدام العبيد الذين كانوا يُستقدمون من تراقية وسواحل البحر الأسود وآسيا الصغرى في أعداد غفيرة، حتى أصبحت تجارة العبيد رائجة.

وكان تركز السكان في المدن بفضل الصناعة وقلة أهمية الزراعة، قد أدى إلى خلق مجتمع المدينة، حتى تميّز النصف الثاني من القرن السابع ق.م بصراع الطبقات. ولا يغفل هنا الإشارة إلى أنه ظهرت طبقة جديدة في المجتمع الإغريقي (طبقة الأثرياء من التجار)، كانت لها مؤثراتها الفعالة في صراع الطبقات.

## ٤. النتائج الحضارية

لا شك في أن حركة الاستيطان كانت لها نتائجها الثقافية والحضارية أيضاً، فقد ظهرت الأفكار الجديدة نتيجة لتبادل الأفكار واختلاط الإغريق بلغات وأفكار الشعوب الجديدة، واحتكاك الثقافة الإغريقية بثقافات أخرى. وطمعت الحضارة الإغريقية بأراضي المدن الجديدة وشعوبها، فتأثرت، ما أدى إلى روح التنافس بين المستعمرات الإغريقية نفسها، والدخول في حروب اقتصادية من أجل الثراء والسيطرة، التي ما لبثت أن انقلبت إلى حالة انفصالية عميقة تأصلت في حركة المدن الاستعمارية.



خريطة بلاد الإغريق



خريطة توزع المستعمرات الإغريقية في جنوب إيطالية وصقلية

## المراجع والمصادر

١. ابراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ١٩٩٨.
٢. تشارلز الكسندر روبنسون، أثينا في عهد بريكلس، ترجمة أنيس فريحة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٦.
٣. خليل سارة، تاريخ الإغريق، جامعة دمشق ٢٠٠٦.
٤. روبرت ليتمان، التجربة الإغريقية حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي، ترجمة منيرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٨.
٥. سيد أحمد علي الناصري، الإغريق (تاريخهم وحضارتهم)، الطبعة الثالثة ١٩٨١، دار النهضة العربية، القاهرة.
٦. عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق.
٧. كيتو، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسرى، مراجعة صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٢.
٨. محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، الجزء الأول، دمشق ١٩٦٩.
٩. مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي ١٩٦٦.

## الرسائل العلمية

١. أطروحة دكتوراه غير منشورة في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، عبدو حمو أحمد، جامعة دمشق ٢٠٢٠ م.

## المصادر:

١. أرسطو، السياسة، ترجمة أوغسطينس بربارة البوليسي، إصدار اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونيسكو)، بيروت ١٩٥٧.

٢. توكوديدس، تاريخ الحروب البلبونيزية، ترجمة دينا الملاح وعمرو الملاح، أبو ظبي، المجمع الثقافي ٢٠٠٣.
٣. هيرودوت، التاريخ، ترجمة عبد الإله الملاح، إصدار دار الثقافة، أبو ظبي ٢٠٠١.

## المراجع الأجنبية

1. GWYNN. Journal OF Hellenic Studies, 38, 1918. A. J. Graham. Colony and Mother \_ City in Ancient Greece.
2. R.E. Wycherley, How the Greeks built Cities, 2<sup>nd</sup> edition Max. Millan and Company , London 1962.
3. j. M. Cook: The Greeks in Ionia and The East. London 1962.
4. Hammond, N, G, I, and h, scullard, the Oxford Classical Dicti Classical Dictionary.

## الرقيق عند الإغريق حتى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد

عبد الله السليمان<sup>[١]</sup>

### مقدمة

يكاد يتعجب المرء عندما يسمع عن أنَّ الديمقراطية اليونانية، التي حرّمت استعباد الإنسان لأخيه، قد أباحَت لليونانيين استعباد الشعوب الأخرى، وإذلالها، وتسخيرها لخدمتها من دون أدنى حقوق. لا شكَّ في أنَّ هذه المواقف السلبية تعكس النظرة العنصرية والانقسامات الكلاسيكية الراسخة في العقلية اليونانية (البربر واليونان، الحرية والعبودية). والأصعب من ذلك أنَّ فلاسفتهم صاغوا النظريات السياسية، وقَدَّموا الأعذار الاجتماعية والاقتصادية، ووضعوا الدراسات الإثنوغرافية لتبرير فكرة استعباد الإنسان، حتى غصَّ المجتمع اليونانيُّ بالعبيد.

في الواقع لقد حرمتهم تلك الديمقراطية المزعومة من أيِّ حقوق سياسية أو مدنيّة، رغم أنَّهم كانوا عصب الاقتصاد وعنصراً مهماً في المجتمع، بل العنصر الأكثر فعالية فيه. هذا ناهيك عن استغلال العبيد وإرهاقهم بالأعمال اليومية، وبأعمال المزارع والحقول، أو بالعمل في المناجم، والتحكُّم بأدقِّ تفاصيل حياتهم الأسرية؛ كحرمانهم من الزواج، أو حرق أكبادهم ببيع أطفالهم أمام عيونهم، أو تفريق العبد عن زوجته متى شاء السيد، إلى آخر هذه الممارسات الوحشية بحقِّ الإنسانية. ومهما تنوّعت مصادر العبيد فقد كانت النتيجة واحدة في سوء المعاملة.

إنَّ ما نرغب فيه في هذا البحث هو دراسة ظاهرة العبوديّة في المجتمع اليونانيّ، والتعرُّف على جذورها، ومتى بدأت، وكيف نمت، وهل اقترنت بتطوُّر هذا المجتمع؟ والتعرُّف على

[١]- مدرس التاريخ القديم في جامعة دمشق.



أهم مصادر العبيد، وأهم الأعمال التي كُلِّفوا بها، وما هي الأرقام التي وصلت إليها أعدادهم؟ كما نرغب في التعرف على نظرة المجتمع اليوناني للرق، وما هو مقدار الحرية التي قدّمها لهم، وما هو سقف الحقوق التي حصلوا عليها، وما هي نظرة المواطن إلى عبيده؟ كذلك نرغب في التعرف على عقوبات العبيد ودرجات قسوتها، متوخّين الدقّة والأمانة العلميّة، بعيدين كلّ البعد عن التعصّب والعنصريّة، آمّلين في الوصول إلى أعماق ذاك المجتمع الذي عاش سيّداً على أكتاف الرقيق والأجانب، وإن كان الإغريق قد سعوا جاهدين إلى إنكار أي دور لهم في استعباد الناس واسترقاقهم ولصق هذه التهمة بالفينيقيين وغيرهم.

### أولاً: هل عرف الإغريق العبوديّة في عصورهم الباكّة؟

العبوديّة هي تملّك إنسان لإنسان آخر، وممارسة حقّ المملكيّة عليه، وهو حقّ باطل أنشأته القوّة التي كانت وما زالت تبيح كثيراً من الحقوق غير العادلة، متحدّية أحكام العقل والضمير، فهل يُعقل أن يباع الإنسان من قبل أخيه الإنسان في ظلّ نظام يدّعي أنّه قانوني، أباح للقوّة استرقاقه ومنحها حقّ التصرف فيه؟<sup>[١]</sup>. وبالعودة إلى السؤال عنوان الفقرة، هل عرف الإغريق العبوديّة في عصورهم الباكّة؟ يذكر المؤرّخ الإغريقي هيرودوت - Herodotus (٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م) معتمداً على ما ذكره الجغرافي هيكاتيوس الملطي Miletian Hecataeus الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، أنّ اليونان في عصورهم الأولى لم يعرفوا نظام العبوديّة قط. لكن الدكتور سامي سعيد الأحمد يردّ عليه بعد دراسة مستفيضة عن أحوال الإغريق في عصورهم القديمة، بأن كلامه بعيد كلّ البعد عن الحقيقة؛ لأنّ اليونان احتفظوا بالعبيد واستخدموهم منذ أقدم عصورهم المعروفة؛ حيث احتلّت العبوديّة مكاناً بارزاً في حياتهم، وولع الناس باقتنائهم واستخدامهم أيّما ولع، وذهب الفلاسفة منهم إلى وضع النظريّات التي تبرّر هذا الولع وترى فيه مظهراً اعتيادياً طبيعياً<sup>[٢]</sup>.

إنّ معلوماتنا عن العبوديّة عند الإغريق تعود إلى عصر الحضارة الموكينيّة ١٧٠٠ - ١١٠٠ ق.م، حيث يؤكّد أحد الألواح الطينيّة الذي عُثِر عليها في مدينة بيلوس Pylos (إحدى أهمّ مدن هذه الحضارة) على وجود ١٤٠ عبداً فيها، حيث ظهرت صيغة مبكرة في الألواح

[١]- عبد السلام الترماني، الرقّ ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، العدد ٢٣، الكويت ١٩٧٩م، ص ١٣.

[٢]- سامي سعيد الأحمد، العبودية عند اليونان، مجلّة التربية، العدد ٤٨، قطر ١٩٨١م، ص ١٠٠.

الطينية الموكينية بشكل do-e-ro، في مقابل صيغة رجل حر (Eleútheros ἐλεύθερος)، ويمكن أن يستخدم الفعل اليوناني δουλεύω (يعمل)، والذي لا يزال موجوداً في اللغة اليونانية الحديثة، مجازياً للتعبير عن صور أخرى من السيادة، مثل سيادة مدينة على أخرى، أو سيادة رب أسرة على أولاده. وهذه إشارة صريحة إلى وجود العبيد في المجتمع الموكيني، الذي كان، مثله مثل مجتمعات الشرق القديم، منقسماً إلى أحرار وعبيد، وكان الأحرار على مراتب وفتات تدرجت في السلم الاجتماعي حسب الثروة، أما العبيد فقد كانوا مملوكين للأفراد، والقسم الأكبر منهم كان مملوكاً للإله بوسيدون Ποσειδών إله البحر<sup>[١]</sup>. وكان من المنطقي أن يكون العبيد مرتبطين بإله البحر؛ ولاسيما إذا علمنا أن ملوك موكيناي قد مارسوا القرصنة بأنفسهم قبل أن ينصرفوا إلى التجارة<sup>[٢]</sup>. وتبين أسماء هؤلاء العبيد الذين ربما استعبدتهم القراصنة وحولّوهم إلى حياة العبودية، أن بعضهم قد أتى من كيثريا، وخيوس، وليمنوس، وهاليكارناسوس.

أمّا النظام الاجتماعي السائد في موكيناي، فيرجح أنه كان نظاماً إقطاعياً، ارتبطت فيه طبقة المزارعين الصغار أو الفلاحين بسيد المنطقة، والتزمت بموجب عقد معه على تأدية بعض الضرائب المادية والمعنوية لهذا السيد الإقطاعي أو الملك<sup>[٣]</sup>. وبالتالي، يمكننا أن نميّز نوعين من العبيد في الحضارة الموكينية؛ عبيد القناة المرتبطين بالأرض والذين توجب عليهم دفع حصة من محصولهم لأصحاب الأرض، وعبيد المعبد أو عبيد الإله (θεοιο) te (o-jo do-e-ro)، علماً أننا ما زلنا نجهل طبيعة علاقتهم بالآلهة؛ فهي ليست واضحة حتى اليوم، لكن يمكننا القول أن لعبيد المعبد بعض الحقوق؛ حيث كانوا ينادون بأسمائهم، ويتملكون أراضيهم، وكان وضعهم القانوني أقرب إلى وضع الأحرار، حيث لم تكن الفروق الاجتماعية قد تعمقت بعد.

أمّا في العصور المظلمة 800 - 1200 Ελληνικοί σκοτεινές εποχές ق.م،

[١]- إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، ج١، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٢١

[٢]- محمد كامل عباد، تاريخ اليونان، ج١، ط٣، دار الفكر، دمشق ١٩٨٠م، ص٧٦.

[٣]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي، ج٢، ط٤، منشورات جامعة دمشق، دمشق ٢٠٠٢م، ص٢٩

التي تلت عصر الحضارة الموكينية، فقد توضّح أنّ هناك علاقات اجتماعية معقدة حكمت علاقات التبعية بين ملاك الأراضي والعاملين فيها؛ حيث أنزل الدورويون Doriens كثيراً من السكان الأصليين من الآخيين إلى مرتبة العبودية، والبعض الآخر، وإن نجا من العبودية، إلا أنه عاش في وضع أدنى من أبناء تلك القبائل الدوروية<sup>[١]</sup>، وقد أطلق على هذه الفئة اسم perioikoi بمعنى جوار (أو بالمعنى الحرفي: الذخيرة الحية التي حولنا)، وكان مطلوباً منهم الخدمة في الجيش ودفع الضرائب، مقابل السماح لهم بالعيش في مجتمعاتهم وتمتعهم بالحكم الذاتي، والاحتفاظ بحريّاتهم الشخصية وأملاكهم، تماماً كما حصل مع سكان لاكونيا<sup>[٢]</sup> Laconia. عموماً، لقد صار بوسعنا في هذا العصر، أي عصر الأبطال والملاحم، تحديد أطر هذه الظاهرة الاجتماعية؛ حيث أشارت لغة الملاحم في أشعار هوميروس Ho-mer وهزيود Hesiod إلى العبيد بكلمة دول doule ودوليوس douleios وداموس dmôs (δμῶς)<sup>[٣]</sup>، وكلّهم كانوا تابعين وغير أحرار بدرجات متفاوتة ما بين زيادة أو نقصان. ويبدو أنّهم كانوا تابعين للدول أو لأسيادهم الإقطاعيين، بعدما خسروا أملاكهم العقارية؛ لكنهم تمتّعوا بحياة عائلية كاملة. وتمّ التأكد من وجود العبيد في المجتمع اليوناني عن طريق الشعراء الغنائيين من أمثال أرخيلوخوس Ἀρχίλοχος حوالي (٦٨٠ - ٦٤٥ ق.م)، وثيوجنيس الميجاري Θεόγνης ὁ Μεγαρεύ الذي ذاع ذكره سنة ٥٤٠ ق.م. وكان شاعراً رثائياً من شعراء الحكم والأمثال.

## ثانياً: مصدر العبيد عند الإغريق

### ١. أسرى الحروب

لقد كان أسرى الحروب أهمّ هذه الموارد وأكثرها غزارة، وكان مصطلح داموس dmôs في أشعار هوميروس يُستخدم، على الأخص، للإشارة إلى أسرى الحرب الذين فقدوا حريّتهم، وتحوّلوا إلى حياة العبودية بشكل كامل، وكانوا يُستخدمون في البيوت للخدمة في الغالب،

[١]- إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص ١٤٣.

[2]- Martin, T. R., Ancient Greece From Prehistoric to Hellenistic Times., Second edition., New Haven & London 2013, p.97.

[٣]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٠

وكان من الطبيعي أن تكون غالبية العبيد في الفترة الهوميرية من أسرى حرب طروادة، ومن خادومات المنزل اللواتي تم أسرهن باعتبارهن سبايا حرب<sup>[١]</sup>، حيث قبض أخيل Ἀχιλλεύς على الكثيرين من رجال طروادة وباعهم، بينما يحدثنا أغاممنون Ἀγαμέμνων، قائد الحملة الإغريقية التي ذهبت لغزو طروادة، عن بنت حملها بعيداً عن أهلها واتخذها خادمة وعشيقة لنفسه. وحصل أغاممنون، بعد سقوط جزيرة لسبوس Λέσβος على سبع بنات كحصّة له من الغنيمة. في الواقع، إن مصدرنا المهم، إن لم يكن الوحيد حالياً عن العصور المظلمة، هو ما أورده لنا ملاحم الإلياذة والأوديسيه عن الحياة في تلك الأزمنة؛ فنرى أن العبودية كانت جزءاً لا يتجزأ من ذلك المجتمع «البطولي»، مما يدل على قدمها وترسّخها كأساس اجتماعي متعارف عليه<sup>[٢]</sup>.

لقد كان أسرى الحرب الذين لم يستطيعوا افتداء أنفسهم، يشكّلون القسم الأعظم من عبيد بلاد اليونان. فغالباً ما كان الجنود الذين يقعون في الأسر، في الحروب والمعارك، يتحوّلون إلى حياة العبودية؛ فمثلاً قام كيمن Κίμων (٥١٠ - ٤٥٠ ق.م)، القائد العسكري والسياسي الأثيني الشهير، والذي ساعد في طرد الفرس من بلاد الإغريق، ببيع ما يزيد عن عشرين ألف أسير كعبيد في أسواق النخاسة بعدما أسره في معركة نهر الأيوروميدون Eurymedon التي جرت سنة ٤٤٦ ق.م<sup>[٣]</sup>. كما كان العبيد يُمنحون كجوائز لمن يبلي بلاء حسناً في الحروب من ضباط وجنود<sup>[٤]</sup>.

كما شاع عند اليونان استعباد سكان البلاد الأصليين بحدّ السيف، في المناطق التي انتشروا فيها وأسسوا عليها مستعمراتهم، وتعدّ جزيرة صقلية مثلاً نموذجياً عن هذه الظاهرة في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، ففي مدينة سيراكوزة التي أسّسها الإغريق نحو سنة ٧٣٥ ق.م الميلاد في صقلية، كانت توجد طائفة من العبيد تسمّى الكليريوي Kyllyrioi وهم السكان الأصليون والذين استرقهم المستوطنون الكورنثيون، ويقول عنهم هيرودوت

[1] - Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.83.

[2] - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٠

[3] - حسين الشيخ، اليونان، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص ٨٩.

[4] - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٠

إنَّ عبيداً لملأكَ الأراضي في سيراكوزة Syracuse<sup>[١]</sup>. وذكر توكوديدس Thucydides أنَّ نيشياس Nicias أخذ ٧ آلاف من سكان هيكارا بصقلية أسرى، وباعهم مقابل ١٢٠ وزنة في قرية كاتانيا Catana المجاورة<sup>[٢]</sup>.

## ٢. الخطف والقرصنة

وبعد أسرى الحروب كان الخطف والقرصنة هو المصدر الثاني للعبيد عند اليونان، فقد تألفت عصابات في البر والبحر، كانت تُغيّر على القوافل أو المراكب التي تحمل المسافرين، أو تُغيّر على جماعات آمنة فتأسر الرجال وتسبي النساء والأطفال وتسوقهم إلى مدن بعيدة يباعون فيها<sup>[٣]</sup>، وكان الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى يشكّل مخابئ رائعة للقرصنة، خلال القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد<sup>[٤]</sup>. في الواقع لقد كانت رحلات اليونان البحرية في الغالب بغرض السلب والنهب والقرصنة، وهذا ما كشفته لنا الأوديسي Odyssey، ولعلَّ روايات أوديسيوس Odysseus خير شاهد على ذلك فقد تفاخر بأعمال قرصنة ونهب قام بها هو ورفاقه في إسماروس ومصر، عندما هاجموا السواحل وقتلوا الرجال وأخذوا الأطفال والنساء، وكاد أوديسيوس هو نفسه أن يقع في الاسترقاق أثناء مغامراته هذه<sup>[٥]</sup>، فقد حدّثنا عن تاجر أفريقيّ كاد يحوِّله إلى العبودية أثناء رحلته من أفريقيا إلى بلاد اليونان في البحر المتوسط، ويظهر أنّه قد رافق هذا التاجر من دون أن يعلم نواياه فقال له: «والواقع أنّه كان قد صدّرني لبيعي عبداً بقيمة بخسة للغاية»<sup>[٦]</sup>، على أيّ حال، كان التجار في الغالب يسلّحون أنفسهم بهدف حماية بضاعتهم، لكنهم لم يتورّعوا عن اختطاف وبيع من يقع في برائتهم، وبهذه الطريقة حصلوا على العبيد<sup>[٧]</sup>.

[١]- إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص ٤٥٩.

[٢]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١.

[٣]- عبد السلام الترماني، المرجع السابق، ص ١٧.

[4]- The Cambridge ancient history, Vol III, Part III, Cambridge University Press, 1988, p.15.

[٥]- إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص ٢٣٤.

[٦]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٠.

[٧]- إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص ٢٣٤.

### ٣. الشراء من أسواق النخاسة

من الصعب تحديد متى ظهرت تجارة العبيد على وجه الدقة في العصور البكرة من تاريخ الإغريق<sup>[١]</sup>، لكن الجماعات المدنيّة زادت حاجتها للرقيق ولم تعد تكتفي بأسرى حروبهم بل أخذت تشتري العبيد من أسواق النخاسة، وكان ذلك عاملاً من عوامل الرفاهية عند الطبقات المترفة<sup>[٢]</sup>، وكانت هذه الأسواق تحصل على العبيد من تجار العبيد؛ الذين كونوا قوافل تتبع جيوش القتال والقراصنة لتشتري منهم ما قد يقع في أيديهم من أناس، ليحوّلهم إلى حياة العبوديّة. وكان النشاط الاقتصادي في بلاد اليونان، خلال الفترة التي تلت العصور المظلمة، قد شجّع على استيراد العبيد، ولاسيما أن هذا النشاط الاقتصاديّ ترافق مع زيادة في الطلب على اليد العاملة الرخيصة<sup>[٣]</sup>، حتى أمسى معظم عبيد أثينا غرباء عنها تمّ استيرادهم من الخارج، فمثلاً كان نحو ٩٠٪ من عبيد لورين Laureion الذين عملوا في مناجمها من أجناس أجنبيّة<sup>[٤]</sup>.

لقد كان هذا أمراً مفهوماً في مجتمع لم يسمح بصفة عامّة بتربية العبيد في المدينة نفسها<sup>[٥]</sup>، ويظهر لنا أنّ عدداً قليلاً من العبيد في أثينا قد ولدوا وترعرعوا في عوائل أولئك الذين استعبدوا بلاد في اليونان<sup>[٦]</sup>، فهم إمّا أن يكونوا قد خطفوا أو أسروا من بلاد تراكيا Thrqe (شمال بلاد اليونان) أو آسيا الصغرى أو سوريا أو دلماشيا Dalmacija (كرواتيا)<sup>[٧]</sup>، وتم شراؤهم من قبل الإغريق، حيث كانت القبائل والحكومات المحليّة في تلك المناطق تغير على بعضها؛ وتبيع أسراها عبيداً لتجار الرقيق من الإغريق، فمثلاً في تراكيا كان هناك أكثر من خمسين قبيلة تتقاتل في ما بينها، فمن وقع منهم أسيراً في يد أعدائه بيع في أسواق النخاسة. وقد تحدّث هيرودوت عن أنّ التراكيين كانوا يبيعون أطفالهم

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١

[٢]- عبد السلام الترماني، المرجع السابق، ص ٤٩.

[3]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.84.

[4]- Akrigg B., & Rob Tordoff., Op. Cit., 2008, p.6.

[٥]- ألفرد زيمرن، الحياة العامّة اليونانيّة؛ السياسة والاقتصاد في أثينا في القرن الخامس، ط٢، ترجمة عبد المحسن الخشاب، مراجعة أمين قنديل، تقديم أحمد عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٤٧٤.

[6]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.84

[٧]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٧٤.

للعبودية، ولا شك في أنه مغرض، والنقد الذي يوجه إليه هو أن التراكين لم يبيعوا أطفالهم للعبودية، والذين يبيعوا كانوا أطفال قبائل تراكية أخرى وقع أطفالها في الأسر، فقامت القبيلة المنتصرة ببيع أطفال القبيلة المغلوبة كعبيد في أسواق النخاسة اليونانية<sup>[١]</sup>.

وهكذا يظهر أن تراكيا كانت أهم المناطق التي كان الإغريق يشترون منها عبيدهم، طبعاً بالإضافة إلى حوض البحر الأسود، مع الإشارة إلى أنهم نادراً ما حصلوا على العبيد من ساحله الجنوبي، وكان هذا البحر مصدراً مهماً للعبيد طوال التاريخ القديم<sup>[٢]</sup>. في الواقع نستطيع أن نستشف مناطق تصدير العبيد من إحدى الوثائق اليونانية، التي بينت أصل ٣٢ عبداً؛ كانت بلدانهم مصدراً لتجارة العبيد؛ كان منهم ١٣ عبداً من تراكيا، و ٧ عبيد من كاريا Caria، والآخرين من كابودوكيا Cappadocia، وسكيثيا Scythia، وفريجيا Phrygia، وليديا Lydia، وسوريا Syria (التي كانت تحت سلطة الإمبراطورية الفارسية)، وإيليريا Illyria، صقلية Sicily<sup>[٣]</sup>، وغالباً ما يستدل علماء التاريخ على أصول العبيد من خلال أسمائهم، حيث غلب عند الأثينيين تسمية عبيدهم بالمناطق التي استوردوهم منها<sup>[٤]</sup>.

إن جميع الباحثين الذين أخذوا بهذه النظرية، (استنتاج بلد العبد من اسمه) اعتمدوا على حديث سترابون، لكن من السخف الوثوق بها لأن السادة في أثينا بشهادة أفلاطون كانوا يطلقون أسماء جديدة على عبيدهم، منذ اليوم الأول لشرائهم، ويتركون أعداداً قليلة جداً منهم لتحمل أسماء المدن التي أتت منها عن طريق التجارة. وفي الواقع أن هذه الأسماء قد تحجب الأصول الحقيقية للعبد، وإن كانت تسمح باستنتاج المنطقة الأوسع التي أتى منها العبد، حيث حفظت لنا النصوص اليونانية أسماء عبيد تم جلبهم من تراكيا إلى دلفي، وهناك بدلت أسماءهم إلى أسماء يونانية. فمثلاً اسم أفروديسيا Aphrodisia يشير إلى عبد أصله من بويوتيا Boeotia لكننا نجد عبيداً من سوريا وتراكيا وسارماتيا Sarmatia يحملون الاسم ذاته<sup>[٥]</sup>.

[1]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.84.

[2]- Lewis, D., Near Eastern slaves in classical Attica and the slave Trade with Persian territories. The Classical Quarterly, Volume 61, Issue 01, Printed in Great Britain 2011, p.91.

[3]- Fortune, R., Greek and Roman slavery, Researchgate 29 January 2019. p.5.

[4]- Lewis, D., Op. Cit., 2011, p.93.

[5]- Ibid, pp.96- 97.

بعد أن يحصل التجار على العبيد من الشمال أو الشرق، كانوا يجلبونهم إلى بيرية Βέρροια (عاصمة مقاطعة إيماتيا في شمال بلاد اليونان) لبيعوا مع سائر ما يجلبونه من سلع<sup>[١]</sup>، ولما كان الإغريق لا يستعبدون بعضهم بعضاً (إلا في ما ندر)، جعلهم هذا يكثرون من طلب العبيد من التجار، وجعل هؤلاء التجار يتحكمون في أسعارهم، وغالباً ما كان اليونان يدفعون ثمنهم نبذاً، حيث كان النبيذ اليوناني مشهوراً في عالم البحرين الأسود والمتوسط<sup>[٢]</sup>. وبالإضافة إلى بيرية كانت جزيرة خيوس Χίος محطة مهمة لتجارة العبيد في بلاد اليونان، حتى أن كتاباً من أمثال المؤرخ ثيوبوموس ويوسيدويوس اعتبروا أن سكان هذه الجزيرة كانوا أول الأقوام اليونانية التي استخدمت العبيد من غير اليونان<sup>[٣]</sup>، وهذه الجزيرة الواقعة في بحر إيجه لا تبعد أكثر من ٧ كيلومترات عن ساحل آسيا الصغرى، وقد أصبحت على مر الزمن سوقاً كبرى للنخاسة، فكان تجار العبيد يتعاونون من الدائنين أبناء من عجزوا عن الوفاء بديونهم، وقد بيّنت الإحصاءات النسبية التي أجراها توكوديدس أن أكثر تعداد للعبيد كان في هذه الجزيرة، حتى بلغ سنة ٤٣١ ق.م نحو ١٠٠ ألف، بينما كان عدد سكانها لا يتجاوز ٣٠ ألف نسمة.

لقد كانت تجارة العبيد تجارة مربحة<sup>[٤]</sup>، وكان على التاجر أن يعرف زبونه بأنواع البضاعة التي عنده، كعمر العبد وجنسيته وسعره وما استتر من عيوبه كالمرض أو العجز، وهذا الأمر الأخير نص عليه قانون أثينا صراحة، حيث لا يجوز أن يبيع عبداً من دون الإشارة إلى ما قد يعانيه من مرض أو عجز، بينما لم تشر قوانين أثينا مطلقاً إلى ضرورة الإفصاح عن جنسية العبد<sup>[٥]</sup>. لقد تفاوت العبيد في أعمارهم وأجناسهم وأعراقهم، وطبيعتهم، وكانت جميع هذه المزايا تلعب دوراً في سعر العبد<sup>[٦]</sup>، وغالباً ما كانت جنسية العبد تلعب دوراً مهماً في سعره وفي الرغبة باقتنائه؛ حيث أوصى أرسطوطاليس باقتناء العبيد من الأقوام التي لم يعرف

[١]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٧٤.

[2]- Fortune, R., Op. Cit., 2019. p.5.

[٣]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١.

[4]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.84.

[5]- Lewis, D., Op. Cit., 2011, p.95.

[6]- Bonk, E., Differentiating Slaves from Wives in Ancient Athens by Social Death., Presented in partial fulfillment of the requirements for graduation with Honors Research., The Ohio State University 2013, p.27.



عنها جنبها الشديد ولا شجاعتها الشديدة، التي تقوم بعملها بنشاط من دون أن يعرقل هذا النشاط أعمالها، لكن هذا الكلام الفضفاض لا يمكن أن نستقي من أي معلومات حول جنسية العبيد المفضلة، بينما كان أرسطو في كتاب السياسة أكثر وضوحاً عندما وصف نوعيات الأقوام المختلفة، ومدى صلاحيتهم للعمل كعبيد استناداً إلى طبيعة البلاد الجغرافية ومناخها، فالأقوام التي تقطن شمال بلاد اليونان عاشوا في أرض باردة، وهم أقوياء لكنهم عديمو المعارف، بينما الآسيويون عاشوا في بلاد حارة نسبياً وهم أذكاء لكن قوتهم البدنية أقل، ويمتازون بالخنوع (على حد وصف أرسطو)، بينما لم نسمع عن عبيد أثيوبيين في أثينا مثلاً، ولا شك في أن مرد ذلك إلى صعوبة الوصول إلى تلك المناطق النائية عن عالم البحر المتوسط الذي انتشر اليونان على سواحله، وربما أن نقلهم من أثيوبيا كان يكلف كثيراً، مما سينعكس على سعر العبد الذي سيرتفع؛ فلن تجد له شارباً. ومهما يكن من أمر كانت هناك نصيحة منتشرة بين الإغريق بالألّا يضعوا عدداً كبيراً من العبيد من الجنسية نفسها في مكان واحد، حتى يقلل من فرص ثورتهم<sup>[١]</sup>.

أمّا أسعار العبيد فهي متنوعة حسب مواهب هذا العبد أو تلك الجارية، حيث وضعت جائزة لمن يربح المصارعة بين أجاكس المغوار وأوديسيوس بما يعادل اثني عشر ثوراً، وعلى من يخسرها أن يقدم بنتاً (أمة) ذات مواهب متعددة قُدر ثمنها بأربعة ثيران<sup>[٢]</sup>، إذاً، كان ثمن الجارية المتعددة المواهب أربعة ثيران في عصر أوديسيوس. لكن قيمة العبد كانت تختلف بين زمن وآخر، ومدينة وأخرى، وبين عبد وآخر، ويقدرها إكسينوفون بين ٥٠ - ١٠٠٠ دراخمة حسب مواصفات هذا العبد. وتحدثنا المصادر بأن نيشياس القائد المعروف اشترى عبداً كان يشرف له على إنتاج الفضة من منجمه بمكيالين من الفضة. واشترى والد الخطيب اليوناني ديموستينيس Demosthenes على حد قول ولده عبداً بسعر تراوح ما بين ٥ - ٦ فضية لكل واحد منهم، وكان معدل دخله من مجهودهم ثلاثين منا سنوياً<sup>[٣]</sup>. لقد كان سعر العبد القادم من الشرق ١٧٩ ونصف دراخمة، بينما كان سعر العبد القادم من الشمال

[1] - Lewis, D., Op. Cit., 2011, pp.94, 95.

[٢] - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٠.

[٣] - المرجع السابق نفسه، ص ١٠٣.

١٧٣ دراخمة<sup>[١]</sup>. وقد سمعنا من هيرودوت أنَّ مبلغ ٢٠٠ دراخمة كان فدية عادية في القرن السادس قبل الميلاد، بينما كان متوسط ثمن العبد في أثينا سنة ٤١٥ ق.م في مزاد لبيع عبيد المنازل هو ١٦٦ دراخمة للرجل و ١٧٠ دراخمة للنساء أي ما يعادل ٣٤ جنيهاً استرلينياً، بينما كان الفرد الواحد من عبيد المنجم يساوي ١٥٠ دراخمة. ورغم أنَّ الأسعار في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد كانت في ارتفاع مستمرٍّ، إلَّا أنَّ أسعار العبيد فيها كانت في هبوط دائم<sup>[٢]</sup>.

وقد أنكر الإغريق أنَّهم عملوا بتجارة العبيد، بل إنَّ تجَّار العبيد كانوا أجان. وتذكر لنا الإلياذة والأوديسيه أنَّ الفينيقيين والتامينيين كانوا الأكثر ولعاً بتجارة العبيد<sup>[٣]</sup>، وغالباً ما سعى الإغريق إلى تصوير التجَّار الفينيقيين بهذه الصورة المشوَّهة، وكانوا يدَّعون أنَّهم يخشون أن يأخذوهم أسرى إن هم سافروا معهم. أو يخطف ابنه أو ابنته عند رحيله من المدينة التي رسى فيها قاربه بعد شحنه بالسلع التي قايضها. وغالباً ما يستشهد المؤرِّخون بقصة أيومايوس على ذلك، فقد روى أنه ابن ملك ولكن اختطفته أمة والده، وسلَّمته للفينيقيين التجَّار الذين كانوا قد استقرُّوا في مملكته لمدة عام لبيع ما حملوه معهم وبعدما باعوا بضاعتهم وشحنوا سفنهم هربت الأمة ومعها طفل سيدها أيومايوس<sup>[٤]</sup>.

#### ٤. استعباد الأطفال

لقد كان أطفال العبيد يتحوَّلون بصورة آلية إلى عبيد بمجرد ولادتهم<sup>[٥]</sup>، رغم أنَّ الذين وُلدوا في منزل السيِّد من آبائهم العبيد كانوا قلة قليلة<sup>[٦]</sup>، وكان من الممكن أن يقوم بعض الآباء اليونان المعدمين ببيع أطفالهم للعبودية، وكان أطفال الجنود الأعداء الذين قُتل آباؤهم في ساحات الوغى، وسُبيت أمهاتهم، يتحوَّلون إلى عبيد<sup>[٧]</sup>. وكان الأطفال المرميُّون في

[1]- Lewis, D., Op. Cit., 2011, p.95.

[٢]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٨٤.

[٣]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٠.

[٤]- إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص ٢٣٩.

[5]- Driscoll, S., Ancient Greece: Life as a Slave in Ancient Greece., ICONN One Search for Public Libraries 2011. p.2.

[٦]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٨٩.

[7]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.2.

الشارع مصدراً مهماً للعبيد عند اليونان. فرغم أنَّ العرف في مدينة طيبة كان يقضي بفرض عقوبة الموت على كلِّ أب وأم يطرحان طفلاً غير شرعي لهما في الطريق، إلا أنَّ هذه الظاهرة استمرَّت، وكان الأطفال غير الشرعيين الذين يُعثر عليهم مرميين في الطرقات والأزقة يُؤخذون ويُستعبدون<sup>[١]</sup>. ورغم أنَّ تشريعات صولون منعت الأب من أن يبيع ابنه للعبودية، إلا أنَّ الأب غير الراغب بابنه؛ كان يقوم برميهِ في الطريق، ويبدو أنَّ هذه الممارسة كانت عند بعض الأسر شراً لا بدَّ منه، منذ أن كانت موانع الحمل وعمليات الإجهاض خطيرة وغير مضمونة النتائج، حيث يتخلَّصون من الطفل الرضيع في الأيام العشرة الأولى من حياته، وغالباً ما كانت الأسرة التي تلتقط هذا الطفل الرضيع تحوِّله إلى حياة العبودية<sup>[٢]</sup>.

وكان هؤلاء الأطفال يحيون حياة بائسة، كما هي حياة آبائهم، وكانوا مهدَّدين بالبيع في أيِّ وقت كان، باستثناء بعض السادة الأكثر إحساناً الذين عطفوا على هؤلاء الأطفال الصغار، ولم يكن القانون اليونانيُّ يراعي طفولتهم ولا يحميها في وحشية الاستعباد والقيام بالأعمال والواجبات التي أُسندت إليهم، سواء في بيوت أسيادهم أم في مزارعهم، ويبدو أنَّ الأطفال الأصغر سنّاً قاموا بالواجبات الرتيبة بالنسبة إلى أسيادهم، من الصباح حتى الليل من دون أدنى فرصة للعب، وترينا التصاوير المرسومة على الفخاريَّات أنَّهم غالباً ما كانوا يقدِّمون النبيذ في جلسات الرجال والنساء المسائيَّة المختلطة، بينما كلَّف المراهقون والأكبر سنّاً ببعض الأعمال الشاقَّة كالعمل في المناجم، ورغم أنَّ بعض الاستثناءات سمحت لأطفال العبيد باللَّعب مع أطفال أسيادهم، ما أتاح لهم هامشاً من الطفولة، إلا أنَّ هذا الأمر كان مختلفاً من وجهة نظر السيِّد؛ الذي رأى في أطفال العبيد وسيلة لتسلية أطفاله، ورغم هذا، كانت الفروق الاجتماعيَّة الصارخة بين أطفال العبد وأطفال السيِّد ستطغى على المشهد عاجلاً أم أجلاً<sup>[٣]</sup>.

## ٥. الفقر ومصادر أخرى

وكان الفقر في بلاد اليونان سبيلاً إلى العبودية، فالفقر في بعض الأحيان كان يضطر بعض

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢

[2]- Fortune, R., Op. Cit., 2019. p.5.

[3]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.2.

الآباء إلى بيع أنفسهم لقاء ثمن يسدون به ديناً سابقاً، أو يعينون به أولادهم<sup>[١]</sup>، وقد أدّى سوء الأوضاع المعيشية في القرن السابع قبل الميلاد؛ إلى صراع طويل بين طبقتي النبلاء والعامّة من الشعب، حيث كان الفقراء وزوجاتهم وأطفالهم مستعبدين للأغنياء، بحكم أنّهم كانوا يعملون في الأرض التي كانت كلّها بأيدي النبلاء، ولما كان هؤلاء المستأجرون يعجزون عن دفع ما يترتّب عليهم من إيجار، كانوا يباعون هم وأولادهم عبيداً، فجميع الديون كانت بضمان الشخص المدين. وكان أكثر النظم قسوة وبغضاً في نظر العامّة هو إمكانية استرقاقهم، وهذا ما دفع العامّة إلى الثورة في أثينا وغيرها من المدن اليونانية<sup>[٢]</sup>، وتسبّب ذلك في قيام ثورة اجتماعية تمخّض عنها وصول عدد من المصلحين إلى السلطة وتسجيل القوانين والتخفيف عن كاهل المدينين، وسنشرح جهودهم عند تناول نظرة القانون الإغريقي للعبيد. ومن مصادر العبيد الأخرى كان ارتكاب جرم سائن يحوّل صاحبه إلى العبودية، حيث قضى قانون المدينة باسترقاق كلّ من يرتكب أفعالاً من شأنها أن تُخلّ بنظامها الاجتماعي أو السياسي<sup>[٣]</sup>، لكن الأشخاص الذين فقدوا حريّتهم عن طريق حكم قضائي؛ أي بسبب جرم شنيع أو حكم قضائي، وتحوّلوا إلى العبودية كانوا قلة قليلة في المجتمع اليوناني<sup>[٤]</sup>.

### ثالثاً: الأعمال الموكلة للعبيد

لقد كانت أهمّ الأعمال الموكلة للعبيد عند الإغريق في عصر هوميروس تتمثّل في رعي الحيوانات، والخدمة في المنزل، والمعاونة في أعمال الزراعة البدائية، والمساهمة في غزل وإنتاج ما يحتاجه بيت السيّد من أدوات وسلع وملابس<sup>[٥]</sup>، أما في عصر هزيود فيتّضح من قصيدة «العمل والأيام» (القرن الثامن ق.م)، أنّه كان يمتلك العديد من العبيد الذين لم يتم التعرف على وضعهم، أو المهام التي كلّفوا بها، رغم أنّنا لا نجد في كتاباته ما يدلّ على أنّ العبيد كانوا ضرورة اجتماعية واقتصادية، وهذا طبعاً لما نعرفه عن الوضع الاقتصاديّ

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٠

[٢]- مصطفى العبادي، ديمقراطية الأثينيين، مجلّة عالم الفكر، مج ٢٢، عدد ٢، الكويت ١٩٩٣م، ص ٦١

[٣]- عبد السلام الترماني، المرجع السابق، ص ١٦.

[٤]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٨٩.

[٥]- إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص ٣٥٧.

المؤلم آنذاك الذي عكسه في كتابه «الأعمال والأيام» بوجه خاص<sup>[١]</sup>. ورغم أنه لم يتحدث عن الأعمال التي كلف بها عبيده، إلا أن بوسعنا الاستنتاج أنها لا تتعدى الخدمة المنزلية.

لكن يمكننا القول إنه منذ القرن السادس قبل الميلاد، دخل العبيد في كل تفاصيل المشهد اليومي في بلاد اليونان، حتى أن أحد أساتذة الكلاسيكيات حدّد الأعمال التي قام بها العبيد بما يقارب ١٧٠ وظيفة، كان أهمها خدمة البيوت والعمل في الورش والحرف والنسيج والفخار والزراعة والتعدين والدعارة، والطب، والتجارة، والأعمال المصرفية، هذا بالإضافة إلى العبيد الذين امتلكتهم الدولة وشغلّتهم في مصالحها؛ أي ما يعادل في أيامنا القطاع العام، لكن علينا الإشارة إلى تفاوت أعداد العبيد التي عملت في كل قطاع، فأعداد الذين عملوا في التعدين والتنقيب عن المعادن في مناجم لورين، وفي مزارع أتيكا، كانوا أضعاف الذين عملوا في قطاع الصيرفة مثلاً<sup>[٢]</sup>.

## ١. العمل في البيوت

لقد كان استخدام العبيد في البدء مقتصرًا على العمل في البيوت والخدمة فيها، وكان اليونان يسمّون عبيد المنازل oikethV (بمعنى عبيد المنزل) أو paiV (بمعنى غلام). وكانوا يُعدّون حاجة أساسية في البيت منذ اليوم الأول لتأسيسه، فمن غير المنطقي تأسيس بيت من دون شراء عبد لخدمته، فأرسطو ذكر مثلاً في تعريف «البيت» بأنه ذلك الكيان المكوّن من الأحرار والعبيد. لقد كان من المفترض أن يحدث الحمل بعد فترة وجيزة من الزواج، وبالتالي كان لا بدّ من جارية في البيت تقوم على رعاية الزوجة الحامل وتمريضها، وفي ما بعد تُعنى بطفلها الجديد، وأن تقدّم الخدمات المنزلية التي يحتاجها كل بيت<sup>[٣]</sup>. إنّ عدم امتلاك أيّ عبد كان من علامات الفقر في المجتمع، ففي إحدى خطب ليسياس Lysias المعروفة باسم (إلى غير الصالحين On the Refusal of a Grant to an Invalid) ظهر رجلٌ معوّقٌ متوسلاً أن يُعطى معاشاً قائلاً: «أبي لم يترك لي شيء، وأمي توفيت عندما كان

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١.

[2]- Akrigg B., & Rob Tordoff Slaves and Slavery in Ancient Greek Comic Drama Cambridge University Press., Cambridge 2008, p.7.

[3]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.27.

عمري سنتين، وليس لدي أولاد ليرعوني، عندي تجارة بسيطة تؤمّن لي دخلاً محدوداً جداً، وأنا الآن مطلوب أن أعمل فيها لوحدي، وحتى الآن لم تُتَح لي فرصة لشراء عبد يقوم بعمل تلك الأشياء معي<sup>[١]</sup>.

لقد كان العبيد يعملون في بيوت أسيادهم منذ الفجر حتى المساء، وإذا كان في البيت أطفال صغار فهم مرشّحون للعمل ٢٤ ساعة في اليوم، وكان يتخلّل يومهم أوقات قصيرة للراحة من أجل تناول الطعام. لقد كانت قائمة النشاطات التي يقومون بها في خدمة المنازل طويلة؛ حيث كانت تتضمن جمع الحطب، وإشعال النار في الموقد، وطبخ الطعام، والكنس، وغسل الثياب، وخبز الخبز، وطحن الكتّان والحبوب الأخرى، وتحضير البندق، ورمي القمامة، ومساعدة أفراد الأسرة على الاستحمام<sup>[٢]</sup>، وجلب الماء للبيت، ومرافقة أسيادهم إلى الساحة العامّة، وشراء حاجات البيت من السوق (كما كانت العادة عند اليونان)، بالإضافة إلى أعمال الغزل والنسج والتطريز<sup>[٣]</sup>، وكان مطلوباً من العبد مرافقة سيّده إلى الجمانزيوم gymnasium وانتظاره بصبر وأناة، فإذا ما فرغ السيد من نشاطاته وجب على العبد غسل جسده ودهنه بالزيت<sup>[٤]</sup>.

## ٢. العمل في المزارع والحقول

أما العبيد الذين عملوا في المزارع والحقول، فكانوا يقومون بحراثة التربة، وزراعة الأرض، ورعي الحيوانات التي كانوا يحلبونها أيضاً ويصنعون الجبن من لبنها. كما يطحنون الحبوب ولا سيّما القمح والشعير والكتّان، ويجنون المحصول، ويعصرون ثمار الزيتون لاستخراج الزيت منها، ويعصرون العنب ليصنعوا منه النبيذ، وكانوا ينظّفون المزارع من الأعشاب الضارّة باقتلاعها، ويعدّون الصخور الثقيلة من الحقل، كما يجمعون لأسيادهم المنتجات البريّة مثل التوت والفطر والبندق<sup>[٥]</sup>. ويوجّه أدب الإدارة البيتيّة الوفير الموجّه

[1]- Rhodes, P. J., The Greek City States, A source book, Second edition., Cambridge University Press., Cambridge 2007, p.111.

[2]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.4.

[3]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.85.

[4]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.4.

[5]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, pp.85, 86.

إلى ملاك الأراضي في كتاب الاقتصاد Oeconomicus لإكسينوفون Xenophon (٤٣٠-٣٥٤ ق.م)، إلى أسلوب وكيفية تعامل السيد مع عبيده بهدف تحفيزهم على العمل؛ حيث يقول في هذا الكتاب: «عندما أريد أن أقدم العباءات والأحذية لعبيدي، يجب عليّ أن أقدمها لهم متشابهة تماماً، لكن إذا كان لديّ عبيد متميزون في العمل فيجب أن أُميّزهم في العطاء»، بمعنى تشغيل العبيد وفق نظام الحوافز والعقوبات<sup>[١]</sup>. وإنَّ التفحُّص في هذا الكتاب يستنتج وجود عشرات لا بل مئات من العبيد في الحقول والمزارع الكبيرة، مما كان يعكس أهميّتهم الحقيقيّة في الاقتصاد الزراعيّ اليوناني<sup>[٢]</sup>؛ فكانوا إمّا عمالاً أو رؤساء عمال، حيث كان من الممكن أن يعيّن السيّد عبداً ليُشرف له على مزرعته وعبيدها، بينما يبقى هو البلدة، وقد لخصّ أرسطو البرنامج اليوميّ لعمل العبيد بثلاث كلمات: «عمل، عقاب، غذاء»<sup>[٣]</sup>.

### ٣. العمل في القطاع العامّ

أمّا العبيد الذين عملوا في القطاع العامّ فكانوا في غالبيّتهم أسرى حروب، حيث كانت الدولة تستبقي من رقيق الحروب على حاجتها، وتسخرهم في تأمين مرافقها، وبناء معابدها، وقصورها، وقلاعها، وحصونها، ومنهم من كان يُساق إلى العمل في مناجمها<sup>[٤]</sup>، ويمكن أن نطلق على هؤلاء العبيد اسم «عبيد الدولة» (في مقابل لفظة demosioi والتي تعني العبيد المملوك لأفراد)، وكان هؤلاء العبيد ملكاً كاملاً للدولة والتحقوا بخدمتها ونفذوا رغباتها<sup>[٥]</sup>، حيث قامت هيئة القضاة في أثينا (كانت تتألّف من عشرة قضاة) بتكليف العبيد الذين تمتلكهم الدولة بتنظيف الشوارع ودفن الأموات؛ ولاسيّما أولئك الذين يموتون في الشوارع ولا يجدون من يواريهم الثرى<sup>[٦]</sup>. كما قاموا بأعمال مقبّية تطلب تطبيقها القوّة على المواطنين، مثل العمل كمساعدين للقضاة في تنفيذ أحكامهم على المجرمين<sup>[٧]</sup>، أو عملهم

[1]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.14.

[2]- Akrigg B., & Rob Tordoff., Op. Cit., 2008, p.7.

[3]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, pp.85, 86.

[٤]- عبد السلام الترماني، المرجع السابق، ص ٤٩.

[5]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.86.

[6]- Rhodes, P. J., Op. Cit., 2007, p.113.

[7]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.86.

كشرطة كما في مدينة أثينا؛ وقد كانت غالبية شرطتها من عبيد سكيثيا Scythia<sup>[١]</sup>، وكان يعهد إليهم غالباً بالقبض على المواطن الحرّ بصفته منقّذ القانون، كما عمل عبيد الدولة بحراسة البيوت والمخازن. وإن معرفتهم للكتابة جعلتهم يلتحقون بخدمة القادة والقضاة وفي الرقابة<sup>[٢]</sup>.

#### ٤. العمل في الصناعة

وبعدما تطوّرت الصناعة وتقدّمت بلاد اليونان، وأصبح الإنتاج موجّهاً للسوق، زاد الطلب على العبيد لتشغيلهم في الحوانيت والورش، حيث لم يكن هناك مصانع في بلاد اليونان بالمعنى الصحيح للكلمة في القرن الخامس قبل الميلاد، وبمرور الوقت اعتمدت الصناعات الحرفيّة عليهم بشكل أساسي<sup>[٣]</sup>، ففي أثينا عمل العبيد فيها كصانعي ملابس، أو صانعي أحذية، أو صانعي فخّار، أو صانعي أدوات معدنيّة، أو صانعي أسلحة وغيرها، ولم يكن في أثينا ورشة أكبر من ورشة سفالوس Cephalus الخاصّة لصناعة الدروع حيث كان يعمل بها حوالي ١٢٠ عبداً، بينما كان في ورشة صناعة الأحذية التي يمتلكها تيمارخوس Timarchus عشرة عبيد، وامتلك والد الخطيب اليوناني الشهر ديموستينيس Demosthenes ثلاثين عبداً في مصنعه للعتاد الحربي<sup>[٤]</sup>.

وكان رئيس ورشة تصنيع في مدينة أثينا يدفع لعبيده الذين يعملون في ورشته أجرة قدرها ٣ أبولة obol في اليوم الواحد (أي نصف دراخمة؛ لأنّ الأبولة الواحدة تساوي سُدس دراخمة)، ويبدو أنّ هذا الأجر هو الذي كان يدفع للعبيد الذين يعملون في ورش الصناعة، أمّا العبد الماهر الذي كان يعمل في التطريز فقد أعطاه زبائنه طلبه من المال<sup>[٥]</sup>. وقد أتانّا من مدينة سيراكوزة خبر رجل حرّ كان يمتّهن تعليم العبيد المهن والأعمال التي تتطلّب

[1]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.5.

[٢]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[٣]- إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص ٣٥٧.

[٤]- ول. ديورانت، قصّة الحضارة، حياة اليونان، ج ٢، مج ٢، ترجمة محمد بدران، بيروت ١٩٨٨م، ص ٥٣.

[5]- Rhodes, P. J., Op. Cit., 2007, p.112.



جهداً عضلياً<sup>[١]</sup>، حيث استخدم العبيد في أعمال البناء، وكان فيهم الفنيون والمهندسون<sup>[٢]</sup>. ويخبرنا إكسينوفون عن سقراط أنَّ صاحب طاحونة وخبَّاز وحائك نجحوا نجاحاً منقطع النظير في أعمالهم نتيجة استخدامهم للعبيد، وفي الوقت الذي حشر أرسطو العبيد محشر الحيوان نراه يكثر من المديح والثناء على إنتاجهم الصناعي ومهارتهم فيه<sup>[٣]</sup>.

## ٥. العمل عند الغير بأجرة

وكان من الأثينيين من يمتلك عدداً كبيراً من العبيد المهرة فيؤجِّروهم لأصحاب الأعمال فينتفع بأجرهم<sup>[٤]</sup>، حيث أشار إكسينوفون إلى أنَّهم كانوا يتلقَّون أبولة obol واحدة (سُدس دراخمة) مقابل كلَّ عبد في اليوم، ممَّا يصل إلى ٦٠ دراخمة في السنة، وفي المقابل لم يقدِّم السيّد لعبده إلاَّ حصصاً قليلة من الطعام لقاء تعبهِ، وأجوراً قليلة على الأشغال الشاقة التي يقوم بها، لقد كان ذلك أحد أعلى الاستثمارات ربحاً بالنسبة إلى الأثينيين، فترى سقراط يسأل ثيودولو عن مصدر غناها، ويستفسر عما إذا كانت تملك عبيداً يشتغلون لمصلحتها. وإذا كان السيّد يرغب بربح أعلى كان بوسعه أن يأذن لعبيده بالعمل بصورة مستقلة لقاء أجور محدودة منهم، سامحاً لهم بالادِّخار حتى يتمكنوا من شراء حريَّتهم<sup>[٥]</sup>.

## ٦. العمل في التجارة

هناك سجلاتٌ باقية حتى اليوم تسجِّل قيام العبيد بنشاطات تجارية متنوعة بأنفسهم<sup>[٦]</sup>، إمَّا تحت إشراف أسيادهم أو بشكل مستقلٍّ، حيث وردنا خبر عدد من العبيد الذين كانوا يعملون في تجارة الأحذية، وقد تقاضى تسعة عشر عبداً منهم كانوا يعملون في هذه التجارة في أثينا من سيِّدهم أجرة قدرها ٢ أبولة obol في اليوم الواحد<sup>[٧]</sup>. أمَّا العبيد الذين عملوا لحسابهم الشخصي فكانوا فئة قليلة جداً، وتمتَّعوا بهامش كبير من حريَّة الحركة القرار، وكان يطلق

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[٢]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٩٠.

[٣]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٣.

[٤]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٩٠.

[٥]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٣.

[6]- Akrigg B., & Rob Tordoff., Op. Cit., 2008, p. 8.

[7]- Rhodes, P. J., Op. Cit., 2007, p.112.

عليهم اسم *khoris oikountes* بمعنى العبيد المستقلون، وكانوا يديرون أعمالهم التجارية الخاصة، وفتحوا ورشاً كبيرة لأنفسهم، وحقّقوا أرباحاً كبيرة وثروة طائلة، وكان من الواجب على هذه الفئة أن تدفع مبلغاً من المال (ضريبة ثابتة) لأسيادهم، وكان بوسع هذه الفئة أن تتخلّص من هذه الضريبة عن طريق توفير المال وشراء حريّتها، ولم يكن جميع أفراد هذه الفئة من العبيد تجاراً فحسب، وإن كانت تلك هي الصفة السائدة عليهم، بل عملوا في مجالات مختلفة ومتنوّعة<sup>[١]</sup>.

ونذكر من بين هؤلاء العبيد الذين عملوا في مهن مختلفة واستطاعوا ادّخار مبلغ من المال وشراء حريّتهم، فيلون *Philon* الذي عمل في بيع السمك المملّح، وسوتيريدس *So-terides* الذي عمل في النقل كسائق الحمار، ولامبريس *Lampris* التي عملت في الخدمة في البيوت كمرضعة، التي استطاعت أن تؤسّس أسرة وأنجب أطفالاً وكان عندها تجارة في أثينا<sup>[٢]</sup>، أما أشهر هؤلاء العبيد الذي برع في عمله وجنى منه ثروة طائلة، فكان باسيون *Pa-sion* الأثيني الصراف المعروف في القرن الرابع قبل الميلاد، والذي حصل على حريّته بأن اشتراها بأمواله، وأصبح حجم تعاملاته ستين تالنت، فقد كان من الممكن دائماً أن يحصل العبد على حريّته لقاء مبلغ من المال أو خدمة جليلة لسيّده، أو لبراعته في عمل ما<sup>[٣]</sup>، ولا شكّ في أنّ باسيون كان نموذجاً من طبقة واسعة وهامّة من عبيد أثينا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد؛ حصلت على حريّتها ثم ارتقت في السلم الاجتماعي<sup>[٤]</sup>.

## ٧. العمل في التربية والتعليم

لقد كان العبيد الوافدون إلى بلاد اليونان يتعلّمون لغتها، وغالباً ما يتعلّمون في بيت سيّدهم ما يكفل لهم فهم التعليمات وتنفيذها، وكان هناك كثر يتقنون فنوناً تعليميّة مختلفة، ولاسيما أولئك الذين أتوا من سوريا وآسيا الصغرى، حيث كانوا يتقنون الموسيقى والرياضيّات والكتابة الأبجديّة، وبعضهم كانوا يتقنون اللّغة اليونانيّة ولاسيما أولئك الذين

[1]- Akrigg B., & Rob Tordoff., Op. Cit., 2008, pp. 8,9.

[2]- Ibid, p.10.

[٣]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٩٠.

[٤]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٧٨.

عملوا بالتجارة ثم سقطوا في براثن العبودية، أو أن بعضهم أتى من دويلات يونانية أخرى<sup>[١]</sup>. فقامت بعض الأسر بإسناد مهمة تعليم الأطفال إلى هؤلاء العبيد، حيث لم تكن المدارس قد ظهرت بعد<sup>[٢]</sup>، ولم يكن بوسع الأب تعليم أبنائه بحكم عمله في الدكان، أمّا الأم فإنّها لا تغادر جناح الحريم في البيت، لذلك كان هؤلاء العبيد الذين كلّفوا بتربية الصغار وتعليمهم يعرفون باسم paidagogos<sup>[٣]</sup>. وغالباً ما كان يُسند إلى المثقفين تعليم أبناء الإغريق ما يتقنونه من علوم، ومع مرّ الأيام كان الأب العبد يدعو ابنه العبد لحضور دروسه في الرياضيات والقراءة والموسيقى، ممّا كان يتيح له نصيباً وافراً من العلم. كما أن بعض الأطفال كانوا قد تلقّوا بعض الدروس في العلم قبل أن يقعوا في براثن العبودية فنالوا تشجيع أسياده على المتابعة، لأنّ عبداً مثقفاً في البيت هو خير لهم من عبد جاهل متوحّش على حدّ وصفهم<sup>[٤]</sup>.

## ٨. العمل في مناجم الفضة

لم يكن جميع العبيد يتمتعون بالشكل نفسه والقدرات الجسدية نفسها، فإذا ما نزل تاجر الرقيق في بيرية ومعه شحنة من الأسرى باع أكثرهم بأثمان باهظة، إلى أصحاب المنازل والمصانع، وغالباً ما كان هؤلاء العبيد يمتلكون حرفة أو صنعة، أمّا أدنى طبقة من العبيد الذين لم يبرزوا في أيّ حرفة من الحرف، أو أن طباعهم شرسة أو شريرة أو غير قابلين للتعلّم لسبب ما، فكانوا يباعون بثمان بخس إلى ملاك ليسوا بحاجة إلى عبيد ذوي حرف يتقنونها، أو شكل جميل، وكان اليونان يسمّونهم: (andrápodon ἀνδράποδον) والذي يعني حرفياً: «من له قدما رجل»، وذلك في مقابل مصطلح: (tetrapodon τετράποδον) والذي يعني «ذوات الأربع» أو الثروة الحيوانية. حيث كانوا يباعون إلى ملاك لا يحتاجون إلى أكثر من سيقان وأذرع قويّة، ثم كانوا يرسلون إلى العمل في مناجم الفضة في لورين Laureion في أتيكا<sup>[٥]</sup>، لقد كانت أوسع المشاريع التي كانت تستخدم العبيد هي صناعات

[1]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.2.

[2]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.85.

[3]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.32.

[4]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.3.

[٥]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٨٣.

التعدين الملحقة بالدولة<sup>[١]</sup>. حيث كانوا يعملون بها وهم مقيّدون بالسلاسل حتى الموت<sup>[٢]</sup>. وإذا ما درسنا حالة العبيد الذين كانوا يعملون في المناجم سنجد أنها تعيسة للغاية، وتفتقر إلى أدنى شروط الإنسانية، حيث كانت المناجم إمّا على شكل آبار عميقة مظلمة يصل عمقها إلى نحو ٢٥٠م، أو على شكل ممرّات ضيّقة كانت تتبع عروق المعدن، وكانت هذه الممرّات ضيّقة تراوح بين قدمين أو ثلاثة أقدام في الارتفاع، وذلك لتوفير جهد تدعيمها من ناحية ومن أجل الحصول على نتائج سريعة، وكان يتمّ إنارة هذه المناجم بمسارج فخاريّة<sup>[٣]</sup>. وكثيراً ما كان العبيد يعملون فيه بالمناقب والأزاميل والمطرقة، وهم جاثون على ركبهم، أو منبطحون على بطونهم، أو مستلقون على ظهورهم، طوال عشر ساعات متّصلة في اليوم الواحد<sup>[٤]</sup>. وتحدّث المؤرّخون اليونان كثيراً عن سوء حالة العمل في المناجم، حتى أنّه عثر في مناجم الفضة في لورين Laureion على قيود حديدية في غرف تحت الأرض؛ لا بدّ وأنّها كانت تستعمل في تعذيب العبيد العاملين فيها<sup>[٥]</sup>. ويحدّثنا إكسينوفون أن نيشياس Nicias قد امتلك ألف عبد في القرن الخامس قبل الميلاد، كانوا يعملون في مناجم التعدين<sup>[٦]</sup>. عموماً، كان الإغريق يفضّلون في هذه الأشغال الشباب من العبيد، وإذا هرم العبد وكبر فإنّه كان يُنقل إلى وظيفة المراقبة على بعض ممتلكات أو صناعات الدولة أو الفرد المالك<sup>[٧]</sup>.

ورغم كلّ ما تقدّم لا يجوز التطرّف في إطلاق الحكام الاقتصاديّة، وتصوير العبيد على أنّهم محور الحياة الاقتصاديّة في أثينا، فمثلاً، كان قطاع المناجم من أثرى القطاعات في أثينا، وكان من الممكن أن يدرّ على الدولة دخلاً وفيراً، ورغم ذلك كان الدخل الذي جنته في سنة ٤٨٣ ق.م من مناجمها في مارونيا والتي أدارها العبيد وكانوا عماد الإنتاج بها؛ لا يزيد عن ٥٠ تالنت (أي ما يعادل ٣٠٠ ألف دراخمة)، بينما كان دخلها السنويّ من حلفائها حوالي ٦٠٠ تالنت (أي ما يعادل ٣ ملايين دراخمة)؛ أي اثني عشر ضعفاً، ما يوضح أنّ

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[2]- Akrigg B., & Rob Tordoff., Op. Cit., 2008, p.4.

[٣]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٨٧.

[٤]- ول. ديورانت، المرجع السابق، ص ٥٠.

[٥]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٣.

[6]- Akrigg B., & Rob Tordoff., Op. Cit., 2008, p.10.

[٧]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٣.

الحياة الاقتصادية والسياسية كانت تقوم على أنها دولة امبراطورية أكثر من كونها دولة تعتمد على أعداد كبيرة من العبيد<sup>[١]</sup>، رغم أن هذه الأرقام المالية لم تقلل من أهمية العبيد في المجتمع الأثيني.

## ٩. العمل في المعبد

لقد عرف الإغريق نوعاً من العبيد الذين كانوا مكرّسين لخدمة الآلهة، وعاشوا في المعبد، وكانوا يدعون hierdouloi حيث اعتنوا بحدائق هذه المعابد، ونصبوا تماثيل الآلهة وما إلى ذلك من أعمال أخرى تخصّص المعبد، وفي بعض الأحيان عملت الفتيات في المعبد مومسات، وكان المال الذي يكسبه يعود لصالح المعبد<sup>[٢]</sup>. ونعرف إكسينوفون نذر بتكريس عبادات إلى معبد أفروديت في كورنثا إن ظهرت الألعاب الأولمبية كما يشتهي<sup>[٣]</sup>.

## رابعاً: حالة العبيد الاجتماعية عند اليونان

من الصعوبة بمكان وضع نظرية شاملة عن حالة العبيد الاجتماعية عند اليونان، وذلك لاختلاف معاملتهم بين زمن وآخر ومدينة وأخرى<sup>[٤]</sup>، لكن ذلك لا يعني أبداً أنهم نعموا بحياة مثالية، حيث دلّ قانون منقوش على حجر يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد على معاناة العبيد من التبعية الشديدة، ومن صور هذه المعاناة أن أبناءهم كانوا ملكاً للسيد الذي كان يحقّ له أن يبيعهم متى شاء.

لقد تفاوتت العلاقات الاجتماعية والحياة الأسرية عند العبيد بشكل كبير، فبعض الأسر التي أُسرت وبيعت في أسواق النخاسة بقي أفرادها بعضهم مع بعض، بينما تعرّضت أسر أخرى للتشتت؛ حيث بيع كل فرد فيها على حده، وبعض النساء أُجبرن على الزواج ممن أسرهن، بينما تعرّضت أخريات للاستعباد في بيوت الدعارة، أما النساء الأسعد حظاً فهنّ النساء اللواتي بقين في كنف أزواجهن، رغم وقوع الأسرة كاملة في براثن العبودية<sup>[٥]</sup>، وكان

[١]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٩٣.

[2]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.6.

[٣]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[٤]- المرجع نفسه، ص ١٠١.

[5]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.3.

وضع المرأة الأمة صعباً في تذللها لأسيادها حيث يصفه لنا إسكوماكوس قائلاً: «ونختار من بين خادמות المنزل اللواتي لا يطمعن في أكل أو شرب ولا يمعن في النوم والتكاسل والتحدث الكثير مع العبيد فنشجعهن ونجعلهن أمناء شرعيين على بيوتنا وما فيها»<sup>[١]</sup>.

وإذا تتبعنا التسلسل الزمني للعصور اليونانية يمكننا القول إنَّ العبودية كانت في صر الملاحم والبطولات ليئة إلى الحد الذي كان يصعب التفريق فيه بين العبودية والعمال بأجر في الأعمال التي كُلِّفوا بها، وإن فرقت بينهم في التسمية، وكان العبيد في وضع جيد حتى أنَّ الأوديسييه تحدثنا عن عبد اسمه موهيوس انتهب فرصة غياب سيده فاشترى لنفسه عبداً لخدمته. وتصف الإلياذة والأوديسييه العبيد كمخلصين مطيعين، ولو أنَّ للسيد سلطة كاملة على عبيده<sup>[٢]</sup>. أما في كريت فقد كان يحقُّ للأسرة أن تمتلك العبيد والخدم من الرجال والنساء، وأن تستفيد من خدماتهم في العديد من المجالات؛ وكانت الزراعة أهم هذه المجالات، طبعاً بالإضافة إلى عملهم في الصناعة والتجارة وكخدم في القصور والبيوت، مقابل توفير الحماية لهم<sup>[٣]</sup>، ويشير أرسطو إلى أنَّ العبيد نالوا حقوقهم الاجتماعية في كريت ما عدا ممارسة الرياضة وامتلاك الأسلحة، وهذا يساعدنا على فهم نظام العبودية الأبوية، بمعنى أنَّه كان يشبه إلى حد ما نظام القنانة، أي ارتباط طبقة من الفلاحين بالأرض، وكان عليهم دفع حصة من إنتاجهم إلى السادة الكبار، لكن بعد قرون من هذه العبودية أصبح العبيد سلعاً تباع وتشترى<sup>[٤]</sup>، ما دفع عبيد كريت إلى الهروب في حالات عديدة أو حتى التمرد<sup>[٥]</sup>.

لكن بالمجمل، كان عبيد الإغريق على علاقة طيبة بأسيادهم، وكان من الممكن أن ينال العبد حريته، وكانت تتم معاملته بصورة حسنة ومن دون قسوة، ويتمتع بقدر محدود من الحرية؛ تحديداً في الأعمال الريفية، كما كان يمكنه أن يقتصد رأس مال صغير لنفسه،

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[٢]- المرجع السابق نفسه، ص ١٠٠، ١٠١.

[٣]- محمد علي الصافوري، النظم القانونية القديمة لدى الإغريق والرومان، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٧٤م، ص ٦١.

[4]- The Cambridge ancient history, Vol III, Part III, Cambridge University Press, 1988, p.247.

[5]- Chaniotis, A., Milking the Mountains; Economic Activities on the Cretan Uplands in the Classical and Hellenistic Period, Stuttgart 1999, p.183.

ولذلك كانت أوضاع العبيد في العصر العتيق في اليونان أفضل من أحوالهم في عصر كاتو في روما<sup>[١]</sup>. وكان من الممكن إدماجهم في الأسرة اليونانية التي يعمل عندها، صدر مرسوم رسمي قبل معركة سلاميس ٤٨٠ ق.م ينصُّ على وجوب أن «ينقذ المواطنون أنفسهم، ونساءهم، وأطفالهم، وعبيدهم»، بمعنى أنه ساوى بين عبيد السيّد من جهة وأطفاله وزوجته من جهة ثانية. لا بل إنّ العادة جرت باستقبال العبد الجديد باحتفال يتم فيه منحه اسماً جديداً ويقدم له الكعك والتين المجفّف والبندق، كما هي العادة في استقبال العروس الجديدة بالضبط<sup>[٢]</sup>.

كما كان يسكن العبد على أملاك سيّده في أحد البيوت التي يمتلكها، وبعض العبيد حصل على امتياز النوم في بيت سيّده (ولاسيّما المرضعة، أو العبد المكلف برعاية الصغار)<sup>[٣]</sup>، كما كان بوسعهم أن يخرجوا مع عوائل مالكيهم للتنزّه، وكانوا يحضرون الطقوس الدينية الأسرية مثل التضحيات والإراقة<sup>[٤]</sup>، حيث كانوا يُدعون صراحة إلى مأدبة الإراقة (Choes) في اليوم الثاني من عيد أنستريا، كما سُمح لهم بالشروع في الطقس السريّ الإليوسيني. وقد اشترك الرقيق في عبادة آلهة أسيادهم، وإن سُمح لهم بالإبقاء على أعرافهم الدينية الخاصّة إن وجدت.

وهكذا، لم يعد العبد يشعر بوضاعة مركزه، وأصبح فخوراً بأنّه يعمل من أجل سيّده حتى مماته، وتلك كانت الطريقة المتّبعة في عهد هوميروس هي التي أخرجت يومانيوس راعي الخنازير، وإيريكلية مربيّة العائلة، وهكذا غدا العبد جزءاً لا يتجزأ من أهل البيت، وانتمى انتماءً حقيقياً إلى أسرة سيّده. وهذا بالمقابل ما دفع بعض الأسياد إلى التقرب من عبيدهم أكثر؛ حتى أنّ ليرتس كان يأكل ويشرب مع خدمه وفي الشتاء وينام في صحبتهم، وقد بقيت تلك الطريقة في المعاملة الحسنة قائمة مع تقاليد الأسرة اليونانية حتى القرن الخامس قبل

[١] - إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص ٣٥٧.

[2] - Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.30.

[3] - Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.3.

[4] - Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.86.

الميلاد<sup>[١]</sup>. لقد كانت معاملة العبيد في مدينة أثينا مثلاً والمناطق المجاورة لها ليّنة للغاية<sup>[٢]</sup>، وما يدهش أن بعض العبيد في أثينا انغمس في حياة الترف، وكانوا يحيون حياة فخمة أحياناً، لا بل أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من حياة المدينة، وربما يعود سبب حسن المعاملة العبيد في أثينا، وغيرها من المدن اليونانية، لأسباب اقتصادية لا إنسانية، ذلك لأن أثينا تريد المال، وكان العبيد منتجي الثروة، فلن ينتجوها إلا إذا عوملوا معاملة حسنة<sup>[٣]</sup>. كما نصّت قوانين كورتين Gortyn في كريت على ضرورة معاملة العبيد من الناحية الاجتماعية أسوة بالأحرار، وفي كل من أثينا وكورتين لم تكن الفروق شاسعة جداً بين الأحرار والعبيد خصوصاً في كورتين، بينما كانوا يتميّزون عن المواطنين في كثير من المدن اليونانية الأخرى بنوع خاص في اللباس<sup>[٤]</sup>.

لم يكن العبيد في أثينا أو في كورتين يجبرون على ارتداء ملابس معيّنة لتميئهم عن المواطنين، بل كانوا يرتدون الملابس ذاتها<sup>[٥]</sup>، وكان من الصعب عليك أن تميّز فيها بين المواطنين الأحرار والعبيد، ولا سيّما أن أعداد العبيد كانت فيها كثيرة، لكن إذا حصل وتجرت امرأة على ارتداء بيبيلوس peplos قصير أو كيتون chiton علناً، فمعنى ذلك أنها أمة، وتجدر الإشارة إلى أنهم طلبوا من نساء العبيد أن يحافظن على شعرهن قصيراً، وهذا ما يظهر بوضوح من خلال التصاوير التي رسمت على الأواني الفخارية. أمّا العبيد الذكور فغالباً ما تعرّوا أو ارتدوا loincloths، وطلب منهم أن يتركوا شعرهم قصيراً أيضاً. عموماً، يمكن تمييز العبيد من بعض الندب على ظهره بسبب تعذيبه أو عقابه، وفضّل أغلبهم السير حفاة رغم أنه كان بمقدورهم أن يشتروا الصنادل (نوع الأحذية الذي شاع في بلاد اليونان) لينتعلوها<sup>[٦]</sup>.

رغم كل ما تقدّم من تسهيلات قدّمها اليونان لعبيدهم الذين كانوا في حوزتهم، إلا أن

[١]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٧٧.

[٢]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١.

[٣]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٦٨.

[٤]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١.

[٥]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٦٨.



هؤلاء الأسياد استطاعوا أن يمسكوا بالواقع الاجتماعي للعبيد من خلال التحكم بتزويجهم، حيث كان كلٌّ من الذكور والإناث يعيشون على حده في أغلب الأحيان، كما تم الفصل بينهم في وظائفهم ومسكنهم، وكان زواج العبد مكافأة له من سيّده على سلوكه الطيّب، وكان من المنطقيّ عند الأسياد أنّ العبيد المزعجين سينجبون أطفالاً مزعجين، والعبيد الطيبين سينجبون أطفالاً طيبين<sup>[١]</sup>. ويحدّثنا إسكوماكوس عن ذلك فيقول: «وكانوا يسدّون الباب ويحكمون غلقه ليكونوا (أي الأسياد) على بيّنة تامّة بأن الاتصال بين الجنسين مستحيل، ومن أن العبيد لن يتمكّنوا بأيّ حال أن ينجبوا أطفالاً من دون علمهم، لأنّ العبيد الطيبين ما إن أصبحوا آباء سيصبحون أكثر ولاء، وسيزداد حرصهم على أداء الواجب، وعلى العكس، فالأشرار منهم سيصبحون أكثر عنفاً وتمرداً على القانون»<sup>[٢]</sup>. لقد استعمل الزواج كأداة للسيطرة من قبل السادة على العبيد، فمتى تزوج العبد المطيع صار مطيعاً أكثر من أجل أن يحافظ على استمرار حياته الأسريّة<sup>[٣]</sup>، وكانت الأسرة اليونانيّة ترحّب بأبناء العبيد الطيبين، وكانت تضمّهم إلى الأسرة الكبيرة بوصفهم أفراداً جدّداً فيها<sup>[٤]</sup>. أمّا العبد الذي يحاول أن يتنصّل من واجباته؛ ما ينفك سيده يهدّده بتفريق هذا الزواج<sup>[٥]</sup>.

إذا ما تعرّض العبد للمرض كانت زوجة سيّده أن تهتمّ به، وكان على سيّده أن يجلب له طبيباً ليعالجه إذا تفاقم المرض واشتدّ عليه، وذلك حتى يتسنّى له أن يتماثل للشفاء ويعود إلى الخدمة، وهذا الموضوع بالذات أشار إليه إكسينيفون وأوصى بالعبد المريض، والسبب في معالجته من وجهة نظر الإغريق كانت تعبر عن إنسانيّتهم تجاه ما يمتلكونه من عبيد أو حيوانات، إلّا أنّ هذه الإنسانيّة كانت مزيفة؛ لأنّ هذا السيد ذاته لو مرض عنده حيوان من حيوانات حقله، كان من الواجب عليه أن يعتني به، ويطلب له البيطري إذا ساءت حاله، في الواقع لم يكن هناك أي إنسانيّة في المشهد؛ لأنّ السيّد دفع أمواله عندما اقتنى هذا العبد أو ذلك الحيوان، لذلك من المنطقيّ أن يسعى للحفاظ على ملكيّته هذه، التي أنفق نقوده من أجلها<sup>[٦]</sup>.

[1] - Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.21.

[٢] - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[3] - Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.21.

[4] - Driscoll, S., Op. Cit., 2011, p.3.

[5] - Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.21.

[6] - Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.17.

أما إطعام العبيد فكان متوقِّفاً على عوامل عدَّة أهمُّها إحسان السيد لهم، فبعض هؤلاء الأسياد أبقوا عبيدهم بما يشبه المجاعة، بينما أغدق آخرون عليهم، بمعنى أن القضية كانت متوقِّفة على كرم السيّد أو بخله، وكان بعض السادة حريصين كلَّ الحرص على تقديم الغذاء الجيّد لعبيدهم؛ حتى يضمنوا بقاءهم أقوىاء بما فيه الكفاية للقيام بالأعمال التي يكلّفونهم بها، وفي بعض الحالات سمح السادة لعبيدهم بجميع ما يلزمهم من طعام من الغابة في أوقات فراغهم؛ مثل الثمار الموسميّة، والأعشاب البريّة، والبنّاق والتوت والفطر، لكن، بالمجمل، كان معظم غذاء العبيد من الخبز والمنتجات التي صنعت من الحبوب، وعند حدوث الكوارث وانتشار الأوبئة واندلاع الحروب كان العبيد الطبقة الاجتماعيّة الأولى المرشحة للموت<sup>[١]</sup>.

مهما تحدّثنا عن النقاط الإيجابية في الحياة الاجتماعيّة عند العبيد، تبقى كفة الميزان في غير صالح العبيد، وهذا ما جعلهم غير مخلصين في ولائهم الباطنيّ لأسيادهم، وقد تأكّد ذلك الأمر أثناء حرب البيلوبونيز بين إسبارطة وأثينا، حيث بينَ توكوديدس أنّه خلال الفترة الثالثة من هذه الحرب والمؤرّخة بين سنتي ٤١٣ - ٤٠٤ ق.م، تضرّر اقتصاد أثينا كثيراً، فبعدما احتلَّ الإسبارطيون أجزاء واسعة من أتيكا فرّ ما يقارب ٢٠ ألف عبد، وكانوا في غالبيّتهم من الحرفيين المعروفين والزُرّاع المَهرة، وكانوا يعرفون باليونانيّة باسم Kheirotekhnai، وكانوا من ضمن العبيد الذين تعامل معه الأثينيون بلطف، ومع ذلك فقد آثروا الفرار، وخسروا أرزاقهم، وفقدوا قطعانهم من المواشي<sup>[٢]</sup>. وقد أشار عنوان إحدى مسرحيّات لانتيفانيس: صائد الهاربون Δραπεταγωγός، في القرن الرابع قبل الميلاد إلى أنّ هروب العبيد كان أمراً مألوفاً.

### خامساً: عقاب العبيد

لم يسمح السادة الأثينيون بالاعتداء على حرّيات عبيدهم، حيث كان السيّد مسؤولاً عن أعمال عبيده، لكنّهم في الوقت نفسه، بالغوا في معاقبة المذنبين منهم، ومعظم العقوبات

[1]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.3.

[2]- Rhodes, P. J., Op. Cit., 2007, p.112.

كانت بسبب السرقة<sup>[١]</sup>. ومن اللافت للانتباه أننا لم نسمع عن تمرد أو ثورة قام بها العبيد على أسيادهم طوال ٢٠٠ سنة، فهل يا ترى كان العبيد راضين بأحوالهم الاجتماعية؟! أم أن الثورة كانت أمراً مستحيلاً؟! يرى المؤرخ جوزيف فوجت Joseph Vogt أن العبيد ربما كانوا راضين بما آلت إليه أوضاعهم في ظل هذه العبودية التي يصفها بالعبودية الإنسانية<sup>[٢]</sup>. طبعاً مع احترامنا الكامل لوجهة نظر الأستاذ جوزيف إلا أنها لم تكن واقعية، لأنها تخالف المنطق السليم، فليس بوسعنا تصديق أن الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم يفضل الذل والهوان على الحياة الحرة الكريمة.

في الواقع لم يكن بوسع العبيد التمرد على أسيادهم لأنهم كانوا من جنسيات ولغات مختلفة، وبعيدون جداً عن أوطانهم، لذلك لم يكن بوسعهم تنظيم أنفسهم من أجل التمرد أو الهروب مع عوائلهم إلى بلدانهم الأصلية<sup>[٣]</sup>، والثورة أصلاً لم تكن خياراً مطروحاً في ذلك الواقع الاجتماعي الذي هيمنت عليه قوة أسيادهم، وهذا ما أدركه العبيد حيث رأوا أن طاعة أوامر أسيادهم خير لهم من تمرد غير مضمون النتائج<sup>[٤]</sup>، ومثلما أدرك العبيد هذه الحقيقة أدركها أسيادهم الإغريق أيضاً؛ لذلك لم يتساهلوا البتة مع العبيد المخالفين (اللص أو المقصر في عمله)، ففي المناجم كان العمل يستمر عشر ساعات متواصلة، ولم يكن العمل ينقطع ليلاً ولا نهاراً، فإذا تباطأ العبد أو استراح ألهب المشرف عليه ظهره بالسوط، وإن حاول الهرب صُفد بأغلال من حديد، وإذا هرب وألقي القبض عليه كُويت جبهته بالحديد<sup>[٥]</sup>، وإذا أساء العبد لسيده كان يحق لهذا السيد أن يجلد بالسوط<sup>[٦]</sup>، وأحياناً كان العبد يعاقب بإرساله إلى الطاحون والعمل فيها على الرُحى وتدويرها بدل الحيوانات<sup>[٧]</sup>، أو بحرمانه من حصته في الطعام والملابس، أو بحرمانه من وقت الراحة.

[1]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.5.

[2]- Vogt, J., Ancient Slavery and the Ideal of Man., Harvard University Press, 1975 pp. 5 - 14.

[3]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.86.

[4]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.18.

[٥]- ول. ديورانت، المرجع السابق، ص ٥٠.

[٦]- عبد السلام الترماني، المرجع السابق، ص ٥٦.

[٧]- سلاماني عبد القادر، الاستعمار وظاهرة الرق في أفريقيا الغربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أحمد بن بلّة، وهران ٢٠١٦م، ص ١٩.

وقد زحرت التصوير اليونانية بالعديد من مشاهد جلد العبيد؛ وكانت هذه وسيلة لإجبارهم على العمل، حيث أتنا صور نرى فيها ما كان يقاسيه من يهمل أو يتهاون في واجبه منهم، ففي لوحة تشاهد عبداً معلقاً من يديه ورجليه في سقف المعمل وهو يضرب بالسوط، بينما العمال الآخرون يشتغلون دونما اهتمام بما يجري لزميلهم. وفي صورة أخرى نرى عبداً آخر معلقاً من رجله على حائط<sup>[١]</sup>، هذا العنف كان يمارسه السيد أو المراقب؛ الذي ربما كان أيضاً أحد العبيد. كما زخر الأدب اليوناني أيضاً بالعديد من مشاهد التعذيب؛ ففي بداية رواية أرسطوفانيس Ἀριστοφάνης (٤٥٦ - ٣٨٦ ق.م) «الفرسان» نلاحظ اثنين من العبيد يشكوان من أن المراقب الجديد يوجّه إليهما العديد من الكدمات والجلدات بلا هوادة.

لقد اعتُبر قتل السيد لعبده في أيام ازدهار أثينا عملاً غير صحيح، وأمر محرم ترفضه الآلهة، وبالتالي كانت هناك عقوبة دينية؛ لكنّها لم تكن أكثر من طقوس تنقية<sup>[٢]</sup>، لأنّ القتل أمرٌ يلوّث القاتل، لا بل إنّ هذا التلوّث قد يعدي ويؤثر على كلّ من اتصل بالقاتل، لذلك كان يبعد هذا القاتل من المدينة وسوقها، ومن ماء التنقية، ومن الأضاحي، ومن الإراقة، وطاسات النيذ. هذا التلوّث يسمّى بخار العفن، ومن الواضح أنّ هذه المعتقدات كان الهدف منها منع انتشار جريمة القتل، حتى ولو على العبيد<sup>[٣]</sup>، لكن بشكل عامّ لم يشع بين الأسياد قتل عبيدهم الأصحاء الأقوياء، لأنّه ليس من المنطقيّ أن تخسر مثل هذه القوة المنتجة والرخيصة<sup>[٤]</sup>، كما أنّه ليس من المنطقيّ أن تلوّث نفسك ببخار العفن وتجلب لنفسك المأساة والدمار لأنّك قتلت عبداً بوسعك أن تبيعه<sup>[٥]</sup>.

إنّ العنف والعقوبات وعدم تزويد العبد ببعض أساسيات الحياة؛ مثل الملابس الدافئة، يؤكّد بما لا يدع مجالاً للشك أنّ العبد في اليونان كان ملكاً للعائلة لا فرداً منها، حتى التهديد بالعقوبة مثل العنف أو إرساله للعمل في ظلّ شروط سيئة في طاحونة، أو مقلع حجارة، أو حتى بهدم أسرته عن طريق بيع أطفاله أو زوجته وتفريقهم، كانت هذه التهديدات تدفع العبد

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[2]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.86.

[3]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.22.

[4]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.86.

[5]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.22.

إلى تهذيب سلوكه مع سيّده. ويبرّر اليونان استخدامهم للعنف والتهديدات ضد عبيدهم، مشبّهين هذا العنف إلى ذلك الذي يستخدمه الأب في تقريع أولاده الصغار، والهدف الوحيد منه هو بالطبع تحسين سلوكهم والارتقاء به، وإن كنّا نرى في هذا المثل كلمة حقّ أريد بها باطل، لا بل إنّ أرسطوفانيس Aristophanes نفسه سخر من هذا المبدأ في مسرحيّاته، لا بل إنّ السيّد كان يضرب عبيده لتمييزهم عن أفراد عائلته بالذلّ والمهانة<sup>[١]</sup>.

لماذا هذا التناقض في معاملة العبيد؟ في الواقع لم يكن هناك أيّ تناقض، القضية تكمن في طبيعة العمل الذي يدعى العبد لأدائه، فإذا كان كلّ ما يُطلب إليه لا يتطلّب إلاّ جهداً آلياً لقواه الجسمانيّة، فسيعمل العبد كآلة، وسيعتبره أصحاب النظريّات آلة. وبعد فترة قصيرة، سيضرب بالسياط وينحطّ إلى مرتبة الحيوانيّة، وتسلب مشاعره حتى يتبلّد، وينزل إلى المساواة التعسّة بالآلة التي لا حسّ لها والتي يقوم مقامها. بينما من جهة أخرى إذا دُعي العبد إلى القيام بعمل مهمّ مسؤول عنه، بل عمل فنيّ يستدعي مواهب خاصّة ويصادف مطمحه الطبيعيّ وهواه، فيحتمل أن يرقى نشيط في الجماعة العاملة له قيمته، وبالتالي هناك نوعان من العبيد<sup>[٢]</sup>.

### سادساً: أعداد العبيد عند الإغريق

من الصعب تقدير تعداد العبيد في بلاد الإغريق نظراً لعدم وجود إحصاء دقيق، وأيضاً بسبب اختلاف التعريفات الخاصّة بالعبيد في تلك الحقبة، وقد تضاربت الآراء حول أعداد العبيد في المجتمع اليونانيّ، لكنّ أفلاطون الذي كان يمتلك خمسة عبيد حتى وفاته، وصف أبناء الطبقة الثريّة بأنهم كانوا يمتلكون خمسين عبداً، وهذا أعلى عدد للعبيد استخدم في بيت واحد، ولم يرد أيّ عدد أعلى منه في الإلياذة والأوديسيّة، حيث كان تقريباً هو العدد نفسه الذي استخدم في قصر أوديسيوس وفي قصر أكرم الملوك ألكينوس<sup>[٣]</sup>. ومنذ سنة ٦٠٠ ق.م أصبحت العبوديّة المعيار الأكثر تميّزاً لبلاد اليونان، حيث انخفضت أسعار العبيد<sup>[٤]</sup>.

[1] - Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.19.

[٢] - ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٧٠.

[٣] - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٠.

[4] - Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.85.

حتى كان أفقر المواطنين الأثينيين فحسب هم الذين لا يمتلكون عبيداً<sup>[١]</sup>، بينما استطاعت الأسرة المتوسطة الدخل أن تمتلك ما بين عبد إلى عشرين في منزلها وربما أكثر من ذلك بقليل فأفلاطون كان يمتلك خمسة عبيد حتى وفاته. أما ملاك الأراضي اليونان الأغنياء فقد امتلكوا مئات العبيد في مزارعهم<sup>[٢]</sup>.

وقد أجمع عدد كبير من المؤرخين أنَّ عدد العبيد في القرن الخامس قبل الميلاد كان كبيراً في أثينا بالنسبة إلى عدد المواطنين، ومن الصعوبة بمكان تقديره، لأنَّ استخدام العبيد كان يتمُّ على نطاق واسع في الأعمال المنزلية وفي الصناعات المختلفة، كما كانوا يستخدمون في الزراعة والأعمال الريفية<sup>[٣]</sup>، وإنَّ معظم التخمينات تقدِّر أنَّ عدد العبيد في أثينا لوحدها كان يتراوح ما بين ٣٠ و ١٥٠ ألف عبد، في الواقع إنَّ هذه التخمينات كان مردُّها إلى غياب الإحصائيات في المصادر القديمة<sup>[٤]</sup>، وكانت أقلَّ التقديرات عشرين ألفاً من العبيد حيث اتَّضح من الأعمال الأدبية أنَّ كلَّ مواطن حرٍّ في أثينا كان يمتلك عبداً واحداً. لا شكَّ في أنَّ أعداد العبيد كانت أكبر من هذا التقدير الأخير، لاسيَّما إذا علمنا بحقيقة شيوع استخدامهم في مختلف مناحي الحياة؛ حيث صوِّر أرسطوفانيس في مسرحيته «بلوتوس» الفلاحين الفقراء الذين كانوا يمتلكون أكثر من عبد، وطبقاً لأكسينوفون أنَّ الستراتيجوس نيشياس Nicias ابن نيكراتوس Niceratus اشترى ألف عبد ليعملوا عنده في مناجم الفضة لورين في القرن الخامس قبل الميلاد، بعدما استوردتهم من تراكيَّا ومن سوسياس Sosias وكان عليه أن يدفع أجر العبد واحد أبولة obol في اليوم<sup>[٥]</sup>، واستأجر هيونيكاَس حوالي ستمائة عبد، واستأجر فيلونيديس حوالي ثلاثمائة عبد.

من الممكن أن نقدِّر عدد العبيد من خلال حديث إكسينوفون الذي اقترح على أثينا أن تزيد عدد العمَّال في مناجم فضة لورين وتشتري ١٢٠٠ عبد إضافيٍّ. ويستطرد في القول بأنَّه: «إذا استمرَّت هذه الزيادة لمدة خمس سنوات فستجد الدولة نفسها ممتلكة لثلاثة عبيد

[1]- Rhodes, P. J., Op. Cit., 2007, p.111.

[2]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.85.

[٣]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٨٩.

[4]- Akrigg B., & Rob Tordoff., Op. Cit., 2008, p.7.

[5]- Rhodes, P. J., Op. Cit., 2007, p.111.

مقابل مواطن أثيني حرّ واحد». ولما كان نفوس أثينا من الأحرار آنذاك ٢٠ ألفاً فمعنى هذا أنّ الدولة ستمتلك ٦٠ ألف عبد. وهذه الأرقام التي أوردها لنا إكسينوفون ربما يدلّ على أنّ هناك ثلاثة عبيد لكلّ مواطن أثيني حر، وكانت رغبة إكسينوفون هي رؤية الدولة ممتلكة لنفس العدد من العبيد ومحتفظة بنفس النسبة منهم<sup>[١]</sup>. وقد حدد المؤرخ لاستيز Laistner عدد العبيد في أثينا بعد حرب البيلوبونيز مباشرة سنة ٤٠٤ ق.م من الجنسين بحوالي مائة ألف إنسان. أما جلوتر فقد بالغ في الأرقام التي أوردها (٤٧٠ ألف عبد في أجينا، و٤٦ ألف عبد في كورنثا، و٤٠٠ ألف عبد في أثينا)<sup>[٢]</sup>.

بينما أورد المؤرخ ألفرد زيمرن أنّ العدد الكلّي للعبيد في أتيكا كان نحو ٩٠ ألف عبد، منهم نحو ٢٠ ألفاً يعملون في المناجم، بينما الـ ٧٠ ألفاً الآخرون كانوا موزعين على الشكل التالي: ٣٥ ألف عبد شاب، ٢٥ ألف أمة شابة، ١٠ آلاف عبد طفل<sup>[٣]</sup>، في الواقع إنّ هذه الأرقام مقبولة لكنها افتراضية إلى حدّ بعيد، لأنّها لا تستند إلى إحصائيات حقيقية، ومثلما فعل ألفرد فعل غيره من المؤرخين، حيث قدر كلٌّ من فينلي Finley وباركير Barker أعداد العبيد بالنسبة إلى أعداد المواطنين الأثينيين، وبيّنوا أنّها تراوحت ما بين ٦٠ - ٨٠ ألف عبد من كلا الجنسين، أي في المعدّل بما يساوي عبيدين أو ثلاثة لكلّ مواطن أثيني ذكر بالغ<sup>[٤]</sup>.

وكان من أهمّ نتائج زيادة أعداد العبيد في المجتمع الروماني أنّهم نافسوا العمّال الأحرار على فرص عملهم، حيث لم يكن هؤلاء العبيد يقومون بالحرفة التي يعمل فيها المواطنون، بل يقومون بالواجبات ذاتها، ويتقاضون أجوراً متساوية، وقد ضمّت مجموعة البنّائين الذين خطّطوا وبنوا معبد الإرخثيوم Erechtheum في أثينا سنة ٤٠٨ ق.م، عدداً من العبيد (١٥ عبداً) وعدداً من المواطنين (٢٧ مواطناً)، وعدداً من الأجانب المقيمين في أثينا (٤٠ أجنبياً)، وكانوا جميعاً يعملون سوياً تحت إشراف رئيس بنّائين واحد، وكانوا يقومون بالعمل ذاته؛ وهو نصب الأعمدة، ويقوم بتخطيط كلّ عمود جماعة يتراوح عدد عمّالها من أربعة إلى ستة عمّال، وفي حالات أخرى كان العمّال عبيداً وأحراراً يقومون بأعمالهم تحت إشراف عبد،

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٣.

[٢]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٨٩.

[٣]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٨٧.

[٤]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٨٩.

وكانت الأجرة دراخمة واحدة في اليوم للجميع سواء أكانوا عبيداً أم أحراراً<sup>[١]</sup>. وبما أن هذا ما سيدفع حكام المدن اليونانية إلى اتخاذ إجراءات احترازية للحد من أعداد العبيد، فهذا مثلاً ما دفع الملك بيرياندر Periander طاغية كورنثا إلى إصدار قرار يقضي بمنع شراء العبيد، بسبب زيادة عدد السكّان، وعدم وجود فرص عمل للأحرار، فسعى للحد من أعداد العبيد حتى يجعل العمل متاحاً للعامل الحر<sup>[٢]</sup>.

### سابعاً: إعتاق العبيد عند الإغريق

تعدُّ ظاهرة إعتاق العبيد شكلاً من أشكال الارتقاء الإنساني، وكان الاستعباد في ما مضى ظاهرة إنسانية؛ باستبقاء الأسير حياً وعدم قتله، وقد شرّعت القوانين إعتاق العبيد وتركت الموضوع بيد السيّد في حياته أو بالوصيّة بعد موته<sup>[٣]</sup>. وقد حرّر بعض المالكين عبيدهم طوعاً، ووعد بعضهم الآخر عبيدهم بالحرية في المستقبل، لكن المحرّرين لم يصبحوا مواطنين في دولة المدينة، بل أصبحوا بمنزلة المقيم الأجنبي الذي كان يدعى متيكوس<sup>[٤]</sup> Metics / Metoikoi، وربما أن بعض العبيد فضّل عدم ترك عائلة سيّده لأسباب عدّة بعضها اجتماعي أو عاطفي فهناك مرضعة معتقة عادت للعيش مع عائلة سيّدها في شيخوختها<sup>[٥]</sup>، على اعتبار أن أولاد السيّد الذين أرضعتهم ورعتهم وسهرت على عنايتهم لن يتنكّروا لتعبها عليهم، لكن تبقى هذه الحالات قليلة.

من الصعب تحديد زمن ظهور إعتاق العبيد، لكن من المؤكّد أن إعتاق الرقاب كان موجوداً في خيوس منذ القرن السادس قبل الميلاد<sup>[٦]</sup>، كما أننا نقرأ عن شراء وتحرير عبد من قبل كراكسوس أخ الشاعرة صافو Σαπφώ الساكنة في مصر في القرن السادس قبل الميلاد<sup>[٧]</sup>. وقد يعود تاريخ العتق إلى مرحلة أبكر من ذلك. لكن هذه الممارسة حُظرت في

[١]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٣١٥.

[٢]- إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص ٣٦٦.

[٣]- عبد السلام الترماني، المرجع السابق، ص ٧١.

[4]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.87.

[5]- Akkrig B., & Rob Tordoff., Op. Cit., 2008, p.4.

[٦]- سلاماني عبد القادر، المرجع السابق، ص ١٩.

[٧]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١.



أثينا منذ النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، حيث قيّدت القوانين اليونانية حقّ السيّد في إعتاق عبيده، وذلك بحجّة تجنّب الإخلال بالنظام العامّ، وبداعي الحاجة إليهم، فما كان يجوز للسيّد أن يفعل ذلك إلّا في حالات خاصّة، وبقيود، وبعد إجراءات قضائية ودينية معقّدة<sup>[١]</sup>.

في الواقع، إننا لم نقرأ عن حادثة إعتاق رسميّة تمكّنا من أخذ محتواها كدليل تاريخي<sup>[٢]</sup>، باستثناء ما حدث في الأزمة التي أدّت إلى معركة Arginusae سنة ٤٠٦ ق.م عندما عرضت أثينا على عبيدها الحرّة مقابل التجذيف في الأسطول، وهكذا تحوّل العبيد الذين اشتركوا في معركة بحريّة واحدة إلى سادة<sup>[٣]</sup>. عموماً، يمكننا القول أنّ الأمم لم تكن سواء في إعتاق عبيدها؛ فاليونان لم يعتقوا عبيدهم كما كان يفعل الرومان في ما بعد، حيث رغبوا بأن يبقى عبيدهم في العبوديّة مدى الحياة، أو ينقلوهم إلى ورثتهم، وإن كان البعض من اليونانيين قد وجد أنّه من الفائدة إعتاق العبيد لكن بشروط، أو حتى التلويح لهم بإمكانية إعتاقهم حتى يضمن استمرار ولائهم، لأنّ أمل الحرّة كان سيجعل العبد يعمل بجدّ وإخلاص، ويكون مطيعاً لسيّده<sup>[٤]</sup>. في الواقع إنّ التلويح بالحرّة كحافز للعمل كان وسيلة شائعة عن اليونان. بهذا المعنى، لن يخرج إعتاق العبيد من كونه مصلحة فردية، ولن يرقى، بالتالي، إلى ظاهرة تدلّ على الارتقاء الإنسانيّ والحضاريّ.

لقد استرسل أرسطو في الحديث عن موضوع الحرّة، ولا شكّ في أنّه شعر بأنّ كلامه عن حرّة العبيد يخالف بقيّة نظريّاته عن العبيد، حيث قال: «إنّه من الأوفق أن يلوح بالحرّة دائماً للعبيد كمكافأة لهم على خدمتهم». وقد أوصى أرسطو بالحرّة لخمسّة من عبيده البالغ عددهم ثلاثة عشر. وقد اضطرّ إكسينوفون للوصول إلى هذه الخلاصة ذاتها، رغم أنّه يُعبر عنها بشكل أكثر وضوحاً فيقول: «يحتاج العبيد إلى أن يمتنوا بالأمال الطيّبة أكثر من الرجال الأحرار؛ وذلك حتى يبقى الإبقاء عليهم في مراكزهم». بينما يذهب مؤلّف الاقتصاديات الأرسطوطاليسية إلى أبعد ممّا ذهب إليه أرسطو فيقول: «يرضى العبيد أن يتكبّدوا المشاقّ،

[١]- سلاماني عبد القادر، المرجع السابق، ص ١٩.

[٢]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٠.

[3]- Rhodes, P. J., Op. Cit., 2007, p.114.

[4]- Fortune, R., Op. Cit., 2019. p.5.

عندما تكون الحرية جازتهم بعد وقت محدود»، وبمعنى آخر أنه ينصح قرأه بأن يتخذوا وضعاً ثابتاً مع عبيدهم، بأن يتعهدوا بمنحهم الحرية بعد عدد معين من السنين، أو بعد حادث كموت السيد، فذلك أفضل من تركه في حيرة وشك<sup>[١]</sup>.

و غالباً عند الحديث عن الإعتاق كان اليونان يستخدمون مصطلح σῶμα / sōma ومعناها الحرفي «الجسد»، وعند إعتاق العبيد لم يتحولوا إلى مواطنين بصورة آليّة؛ حيث لم تكن القوانين اليونانية تحرّر العبد تماماً، بل كانوا يوضعون تحت وصاية مالکهم السابق بالالتزام التعاقدی لأداء بعض الخدمات، والتي لا تختلف كثيراً عن بعض الأعمال التي كان يؤدّيها العبد المحرّر أيام عبوديّته الأولى<sup>[٢]</sup>، حيث كان مطلوباً منهم مواصلة سادتهم السابقين متى دعواهم إلى ذلك<sup>[٣]</sup>. ويظهر من مقترحات أفلاطون في كتابه «القوانين» أنّ العبد المحرّر كان مثقلاً بمختلف الالتزامات، فعليه المثل في بيت سيّده السابق ثلاث مرّات شهريّاً، كما كان يُمنع من أن يفوق سيّده ثراءً، وما إلى ذلك. وكان العبيد المحرّرون يعدّون بمرتبة الأجانب المقيمين (متيكوس)، فمن بين الأجانب الذين منحهم كلستينيس سنة ٥٠٧ ق.م حقوق المواطن، كان هناك عدد من المعتقين، ولا بد من أنّه كان في أثينا منذ ذلك الوقت فصاعداً عدد من السكان المحرومين، لأنّ العبد المحرّر كان يُعدّ في مرتبة الأجانب المقيمين، لكن إذا ما حصل على حقوق «المواطنة» لم يُثر أحد مشكلة أصله<sup>[٤]</sup>.

### ثامناً: مفاسد العبيد

لقد كانت العبوديّة في بلاد اليونان مصدراً هاماً في تجهيز بيوت الدعارة (porneia) بالبنات الحديثات السنّ، حيث نسمع عن امرأة حرّة اسمها نكارتيه ابتاعت سبع عبادات في مقبّل أعمارهنّ وتاجرت بأجسادهنّ<sup>[٥]</sup>. وكان عمالّ الجنس يستقبلون زبائنهم في بيوت الدعارة الكبيرة، أو في المقصورات الصغيرة الخاصّة التي كانت تقام على طرف الطريق، كما أنّ بعض العاهرات من غير العبيد مارسن البغاء بالطريقة نفسها. وعموماً، كانت نساء العبيد

[١]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٧٨.

[2]- Fortune, R., Op. Cit., 2019. p.5.

[3]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.87.

[٤]- ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص ٤٧٧.

[٥]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

يُعتبرن bordellos؛ حيث يمكن أن يجمعن في قاعة كبيرة لدفع الزبائن إلى الاختيار والتقدير، وقد درّبت العديد من هؤلاء الفتيات على الرقص والعزف، ومن بين هؤلاء المومسات التي نجحت في عملها وطلبت أجوراً مرتفعة من أجل أن تشتري حريتها؛ نذكر الأمة نيايرا -Neai-ra التي كانت تتقاضى أجرها ٢٠٠ دراخمة<sup>[١]</sup>. وفي المقابل، تهكّم أرسطوفانيس، في إحدى مسرحياته، من النساء الحرّات اللواتي يتّصلن جنسياً مع عبيدهنّ من دون أن يلقى معارضة من مستمعيه، مما يدلّ على تعود الناس سماع حالات مماثلة في حياتهم اليومية<sup>[٢]</sup>. وتجدر الإشارة إلى أنّه لم يكن لكثير من هؤلاء العبيد أو تلك الفتيات ذنب في بعض هذا الفساد الخلقيّ، وأنّ بعضهم دفع له وهو غير راغب فيه، لا حول له ولا طول، حيث جرت العادة في بلاد اليونان عند استرقاق بعض الأطفال، دفعهم إلى العمل في بيوت الدعارة الذكوريّة، كما كان الحال مع فيدون الإليسي، الذي اشتراه أصدقاء سقراط الأثرياء وأعتقوه من ذلك المكان بناء على طلب الفيلسوف.

### تاسعاً: نظرة القانون الإغريقيّ للعبيد

لقد كان العبيد سلعة قابلة للبيع والشراء، وافتقروا إلى حقّهم في الحرية، وحُرّموا من أن يصبحوا مواطنين، وأن يمارسوا حقوقهم السياسيّة؛ كما مُنعوا من امتلاك الأراضي، حتى أنّ وضعهم القانونيّ كان متدنّياً، وغالباً ما وُصفوا بأنّهم كُسالى وغير موثوق بهم أو أغبياء، طبعاً حسب رتبة العبد. كان عبيد الدين أفضل حالاً من غيرهم؛ لأنّهم كانوا إغريق في الأصل، وقد عرف التاريخ اليوناني عدداً من الرجال المصلحين الذين هدّفوا إلى سنّ قوانين هدّفتها<sup>[٣]</sup> معالجة قضايا هؤلاء العبيد؛ كان أولّهم الملك دراكون Dracon الذي أصدر قانوناً سنة ٦٢١ ق.م نصّ على أنّ عقوبة قاتل العبد هي نفسها التي تفرض على قاتل الشخص الحرّ<sup>[٤]</sup>، فالدعوى المرفوعة ضد قاتل العبد لم تكن دعوى تعويض خسائر، مثلما يكون الحال مع قاتل الماشية، بل دعوى (díkē phonikḗ) التي يُعاقب عليها مرتكبها لانتهاكه الدين عن طريق سفك الدماء، وهذا النصّ يشير إلى أهميّة العبد في المجتمع اليونانيّ؛ لكنّه لا يوضح إذا

[1]- Akkrigg B., & Rob Tordoff., Op. Cit., 2008, p.10.

[٢]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[3]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.5.

[٤]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١.

ما كان القانون ينطلق من أسس أخلاقية في عدم جواز قتل العبد لأنه إنسان، أم بسبب أضعاف عناصر قوة المجتمع بسبب ما يقدمه العبيد من أعمال وخدمات.

لقد كان دستور أثينا في القرن السادس قبل الميلاد أوليغارشياً oligarchic في كل النواحي، وهذا ما مهّد للأغنياء من أجل أن يستعبدوا الفقراء. لقد كانت الأرض في أيدي قلة قليلة، والأكثرية أقتان للأقلية، وكان الواقع الاجتماعي صعباً للغاية. لقد كان نظام القنانة في أثينا يقضي بأن يدفع الفلاحون سدس محصولهم لأسيادهم، ومن كان يعجز عن دفع هذه الحصة كانت تتراكم عليه ديناً، ولما كانت جميع الديون بضمان شخص المدين، كان الفلاح يتحوّل إلى العبودية؛ هو وزوجته وأطفاله، وكانت هذه الطبقة من السكّان تُعرف باسم المسادسون hektemoroi<sup>[١]</sup>. ونتيجة ذلك، ثارت عامة الشعب ضدّ حكم الأقلية، واقترن الصراع الطبقيّ بالعنف، واستمرّت المواجهة بين كلا الحزبين زمناً طويلاً، إلى أن توصل الطرفان إلى اتفاق بينهما على اختيار صولون Solon حكماً وحاكماً Archon (٥٩٤-٥٩٣ ق.م) وعهدوا إليه بأمر الدولة<sup>[٢]</sup>.

لقد كانت فترة الأراخنة الفترة الذهبية الاجتماعية في أثينا لاسترداد حقوق الفقراء الذين تعرّضوا للرقّ بسبب عجزهم عن تسديد حصة ملاك الأراضي، فدراسة تشريعات صولون التي أصدرها في سنة ٥٩٤ ق.م وقانونه المعروف باسم سيسكتيا (seisachtheia) (σεισάχθεια) أي «رفع الأعباء»، تبين أنّ الخطوة الأساسية التي قام بها كانت تتمثّل في إلغاء كلّ الديون المترتبة على الطبقة العامة، كما ألغى أهمّ النتائج المترتبة عليها؛ وهي فقدان المدين حريته لحساب الدائن، حيث تضمّن هذا التشريع تحريم اتّخاذ شخص المدين ضماناً لسداد فوائد الدين<sup>[٣]</sup>، كما جرّم بيع أحرار أثينا، بما في ذلك بيعهم لأنفسهم، وتم تحديد سعر الفائدة، وإلغاء الربا الفاحش، ممّا يبيّن أنّ هذا المصلح سعى للحدّ من ظاهرة انتشار العبيد. وكان لهذه التشريعات أصداءها في المجتمع اليونانيّ، حيث منعت تفشي ظاهرة العبودية فيه، كما حرّرت الكثير من الأثينيين من الخوف الذي كان يهدّدتهم بالتحوّل إلى عبيد بسبب الديون، وهو ما كانوا قد تعرّضوا له فعلاً قبل صدور قانون صولون،

[1]- Rhodes, P. J., Op. Cit., 2007, p. 110.

[٢]- مصفى العبادي، المرجع السابق، ص ٦٣.

[٣]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩١م، ص ١٢٨.

وهكذا لم يعد ممكناً أن يتحوّل الأثيني الحرّ على العبوديّة في وطنه<sup>[١]</sup>.

وعندما نتفحص بإمعان قوانين صولون سنجد أنفسنا أمام كثرة أعداد العبيد في زمنه؛ ممّن كانوا في الأصل أحراراً، وفقدوا بعد ذلك حريّتهم نتيجة عدم تمكّنتهم من دفع الديون. وحقيقة أخرى، هي ذكر تلك القوانين لكثير من سكان أثينا الذين هربوا من بلدتهم خوفاً من الوقوع في براثن العبوديّة؛ ما يدلّ على تقزّز الناس الشديد منها<sup>[٢]</sup>، هذا في ما يخصّ عبيد الدين الذين هم من أصول يونانيّة. وفي المقابل أصدر صولون مجموعة من القوانين ضيّق فيها على العبيد؛ ولاسيّما أنّ معظم عبيد أثينا كانوا من الأجانب، حصلت عليهم أثينا بواسطة الشراء، فقام صولون بمنع الذكور منهم من ارتياد الجمنازيوم gymnasium، وهذا ما بنى جداراً اجتماعياً حقيقياً بين العبيد والأحرار<sup>[٣]</sup>، حيث حرّم العبد من ممارسة الألعاب الرياضية ومن دخول معهد المصارعة «لا يُسمح للرقيق بممارسة الرياضة أو التدنّ بالزيت في معاهد المصارعة». كما منعه من استعمال المساحيق للزينة أو ممارسة العادات الجنسيّة الشاذّة، كأن تكون له علاقة شاذّة مع صبيان الأحرار «لا يسمح للرقيق أن يكون عاشقاً لصبيّ حرّ، ولا أن يتتبّعه، وإلاّ عوّب بخمسين جلدة علنيّة». وبموجب عادة أخرى ذكرها لنا هايبورايديس كجزء من قوانين صولون تنصّ على مسؤوليّة صاحب العبد عن الخسائر التي يسببها عبده في أرواح وممتلكات الآخرين، ويقال إنّ صولون قد منع السيّد من حقّ الحياة على عبده، وحتى أنّه فرض عقوبة الإعدام على السيّد الذي يقتل عبده متعمّداً، وذهب إلى الحدّ الذي سمح فيه للعبد بأن يرفع دعوى على سيّده إن أساء معاملته، وكان بمقدور العبد طلب اللّجوء إلى معبد زيوس أو أيّ معبد أو مذبح آخر، كما يفعل الأحرار تماماً، لكي يكون في حرز من أذى سيّده وملاحقته له، وكلّ هذه يدلّ على تضاعف عدد العبيد وكثرتهم<sup>[٤]</sup>.

وفي الوقت الذي كانت فيه العبوديّة سائدة في جميع بلاد اليونان، ولها قوانينها الخاصّة، وأنظمتها، فإنّ التاريخ قد حفظ لنا منها قوانين أثينا وكورتين فحسب. ونستنج منها أنّ مكانة العبد في الأخيرة كانت أحسن من أخيه في أثينا<sup>[٥]</sup>؛ حيث كان الرقيق ملكاً لسيّدهم (أو

[١]- مصفى العبادي، المرجع السابق، ص ٦٤.

[٢]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١.

[3]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.6.

[٤]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠١.

[٥]- المرجع السابق نفسه، ص ١٠١.

للدولة)، يتصرّف بهم حسبما يراه مناسباً، فيمكنه أن يبيعه؛ ولاسيّما أن بعض الأسر اليونانيّة سعت للرّبح من وراء بيع عبيدها، أو حتى بيع أطفال العبيد الذين في حوزتها متى كبروا<sup>[١]</sup>، وكان من حقّ اليونانيين أن يهبوا عبيدها لغيرهم، أو تورّثهم، أو حتى تأجيرهم، متى أحسّت العائلة أنّها ليست بحاجة إليهم، وكان هذا الحلّ هو الأفضل أولاً لتجنّب بيع العبيد، وثانياً للتخلّص من الالتزامات الماليّة تجاههم<sup>[٢]</sup>. وكان للسيد وحده الحقّ في تقرير إذا ما كان يحقّ للعبد (الذي يعمل عنده) أن يمتلك عائلة خاصّة به من عدمه، وكانت هذه الزيجات تُعقد بموافقة السيّد، وبما أنّ السيّد هو الذي عقد الزواج كان يحقّ له إنهاءه متى شاء، أمّا الدولة فإنّها لم تعرف بزيجات العبيد ولا بأسرهم الناتجة من هذا الزواج أصلاً<sup>[٣]</sup>.

لقد امتلك الرقيق حقوقاً قضائيّة أدنى من حقوق المواطنين، فرغم أنّ صولون كان قد أعطى العبد حقّ الإدلاء بشهادته في المحكمة، لكن في الواقع لم تكن شهادته مقبولة إلاّ إذا كانت تحت وطأة التعذيب<sup>[٤]</sup>، لأنّه من المفترض أن يخفي الحقيقة على سيّده. ولأنّ العبيد كذّابون بفطرتهم، كان التعذيب هو الوسيلة الوحيدة في المحاكم الأثينيّة للتحقّق من صدق العبد عند الإدلاء بشهادته<sup>[٥]</sup>، في ما عدا استثناءات قليلة<sup>[٦]</sup>، منها الشهادة على عمليّات البيع في السوق، استناداً إلى شهادة الخطيب اليونانيّ الشهر ديموستينيس Demosthenes الذي يقول: «إنّ العبيد كانوا يشهدون على عمليّات البيع في السوق»<sup>[٧]</sup>. وكان السيّد يمثلّ عبده في جميع الإجراءات القضائيّة، فإذا ارتكب العبد جنحة أدّت إلى تغريم سيّده، كان السيّد يجلده مقابل الغرامة التي دفعها عنه؛ ويبدو أنّ النسبة كانت سوطاً واحداً لكلّ دراخمة. وفي المقابل كان السيّد يتلقّى تعويضات عن أيّ جرائم يرتكبها آخرون في حقّ عبده، وكان قانون كورتين (الذي كان معظمه قائماً على مبدأ العقوبات الماليّة) قد ضاعف الغرامة على الرقيق لارتكاب جنحة أو جناية، وبالمثل، كلّفت الجريمة المرتكبة بحقّ عبد أقلّ بكثير من تلك المرتكبة بحقّ حرّ. على سبيل المثال، بلغت عقوبة اغتصاب عبد لامرأة حرّة غرامة قدرها

[1]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.21.

[2]- Ibid, p.27.

[3]- Ibid, pp. 20, 21.

[4]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.6.

[5]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.16.

[6]- Driscoll, S., Op. Cit., 2011. p.6.

[7]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.15.

مائتا أستاثر (أربعمائة دراخمة)، في حين لم تزد عقوبة اغتصاب عبد لأمة غير عذراء على غرامة أبولة واحدة (سدس دراخمة).

لم تكن العبودية في كورثين تعني خسارة العبد لكل حقوقه المدنية، حيث تمتع العبيد فيها بحق ملكية المنازل والمواشي والملابس والأثاث المنزلي وحق توريثها إلى ذرياتهم. وإذا ما ادعى العبد أنه قد سيق إلى العبودية قسراً وبصورة غير مشروعة، فعلى السيد المثول أمام المحاكم للدفاع عن نفسه، وإلا تعرض لغرامة جسيمة. وللعبد إلى جانب تلك الحقوق؛ حق التمتع بالحياة العائلية الكاملة، فله الحق في الزواج، والطلاق، وكتابة الوصية، والميراث، مثل الأحرار تماماً. وتنص قوانين كورثين على أنه إذا تزوج العبد من امرأة حرة وعاشت في بيته فيعتبر الأولاد عبيداً، وإذا كان العكس فأطفالهم يكونون أحراراً. ويظهر أن في أثينا وضواحيها سُمح للعبيد بالادخار وشراء حريتهم من أسيادهم. وفي كلتا المدينتين كانت إهانة العبد أو إكراهه على القيام بعمل تُعتبر جريمة<sup>[١]</sup>، كما اعتبر ضربه مخالفاً للقانون، حتى وإن لم يتعد من طريقك ليدعك تمر، والتعليل الذي قدّمه القانون أن الجميع في أثينا يرتدون الملابس ذاتها؛ سواء أكانوا مواطنين أم عبيداً أو أجانب مقيمين في المدينة، ومن الصعب جداً أن تميز بينهم، فلو قام مواطن بضرب مواطن آخر معتقداً أنه عبد، وتبين له في ما بعد أنه ليس عبداً، سيكون قد ارتكب مخالفة كبيرة، لذلك كان من الأفضل عدم ضرب العبيد؛ حتى لا يقع أحد في مخالفة خطيرة<sup>[٢]</sup>. أمّا إذا حصل وقام عبد بجريمة مفزعة كقتل سيده، فلا يجوز لأقارب السيد قتل العبد، بل يُخير ما بين إعدامه من قبل الدولة بمحاكمة عامة، أو من دون محاكمة<sup>[٣]</sup>.

## الخاتمة

لم تكن حياة العبيد في المجتمع اليوناني تختلف كثيراً عن حياتهم في مجتمعات الشرق القديم، ومن خلال دراسة أوضاعهم هذا البحث توصلنا إلى النتائج التالية:

**النتيجة الأولى:** أن المجتمع اليوناني قد عرف العبودية منذ عصوره البكرة؛ ويمكن تحديد بدايتها مع تبلور المجتمع اليوناني أيام الحضارة الموكينية نحو ١٧٠٠ ق.م، وهذه النتيجة تنسف ادعاءات هيرودوت الباطلة أن اليونان لم يعرفوا العبودية في عصورهم البكرة.

[١]- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

[2]- Rhodes, P. J., Op. Cit., 2007, p.115.

[3]- Bonk, E., Op. Cit., 2013, p.22.



**النتيجة الثانية:** هي الوقوف على حقيقة عمل الإغريق بتجارة الإغريق سواء في البيع أم الشراء، وهي حقيقة طالما كانوا ينكرونها ويلصقون تهمة تجارة العبيد بالفينيقيين من دون غيرهم، فيكفي أن نعلم أن جزيرة خيوس كان محطة تجار الرقيق الأولى في منطقة الشرق حتى أنها كانت تصدر عبيدها إلى ليديا وفارس.

**النتيجة الثالثة:** تُعدُّ الأكثر أهمية وهي الإنسانية المزيّفة التي تشدّق بها الإغريق، والادعاءات الباطلة بالديمقراطية اليونانية، تلك الادعاءات المتناقضة مع المنطق السليم، أي إنسانية وأي ديمقراطية تلك التي جعلت المرأة اليونانية والعبد في مرتبة أدنى من مرتبة المواطن اليوناني، ولم تمنحهم أي حقوق إلا بما كان يلائم مصلحة المجتمع اليوناني، فهل يعقل أن يكون استعباد البشر ديمقراطية وإذلالهم إنسانية.

**النتيجة الرابعة:** تبين انفصال الفلسفة اليونانية عن الواقع الإنساني والفترة السليمة؛ فهل يُعقل أن يبذل الفلاسفة اليونان ما بوسعهم لتكريس شرعية هذا الواقع المرير؟

**النتيجة الخامسة:** مهما تحدّث اليونان عن إنسانيتهم في التعامل مع العبد، والحقوق التي منحوه إياها، والتسهيلات الاجتماعية التي قدّموها له، تبقى حقوقه ناقصة لا بل ادعاءات باطلة لأن حرية الإنسان أثنى، وسلبها لا يعادله شيء في الدنيا، لا بل إن قيمة حرية الإنسان تتفوّق على قيمة روحه، فخير من حياة الذلّ موت، وإلا لما قاتلت الأوطان ودفعت دماء أبنائها رخيصةً فدى الوطن والحرية.

**النتيجة السادسة:** إن دراسة مختلف الأعمال التي قام بها العبيد في المجتمع اليوناني تؤكّد أن العبد كان جزءاً لا يتجزأ من هذا المجتمع، بل العنصر الأكثر فعالية فيه، حتى أن عددهم بلغ في مدينة مثل أثينا أو في جزيرة مثل خيوس ثلاثة أضعاف السكّان، رغم أنهم لم ينالوا الحد الأدنى من حقوقهم الاجتماعية، لأن نظرة الإغريق إلى العبد اقترنت بشيء من الدونية.

**النتيجة السابعة:** بينت العقوبات القاسية التي وقعت على العبيد المخالفين انتفاء الحد الأدنى من الرحمة الإنسانية في قلوب أسيادهم، لأن هؤلاء الأسياد نظروا في غالب الأحيان إلى العبيد على أنهم حيوانات عمل، لن يفيد معهم شيء إلا السوط والأذى.



النتيجة الثامنة: لم يعتبر العبيد أنفسهم جزءاً من المجتمع اليوناني ولم يتوانوا عن الهروب من المناطق الساخنة متى اقتضت الظروف. النتيجة التاسعة كان المجتمع اليوناني من أقل المجتمعات التي اعتقت عبيدها، لا بل إنَّ العبد المُعتَق يبقى على اتصال بعائلة سيِّده يقدِّم لهم عدداً من الخدمات التي كان يقدمها زمن عبوديَّته الأولى.

النتيجة العاشرة: رغم كلِّ ما شاع بين اليونان عن مفاسد العبيد يمكننا القول أنَّه لم يكن لكثير من هؤلاء العبيد ذنب في هذا الفساد الخلقي، وأنَّ بعضهم دفع له وهو غير راغب فيه.

## المراجع العربية والمعرّبة

١. إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، ج ١، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ١٩٩٩ م.
٢. ألفرد زيمرن، الحياة العامّة اليونانيّة؛ السياسيّة والاقتصاديّة في أثينا في القرن الخامس، ط ٢، ترجمة عبد المحسن الخشاب، مراجعة أمين قنديل، تقديم أحمد عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٩ م.
٣. إمام عبد الفتاح إمام، مسيرة الديمقراطية رؤية فلسفيّة، مجلة عالم الفكر، مج ٢٢، عدد ٢، الكويت ١٩٩٣ م.
٤. حسين الشيخ، اليونان، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ٢٠٠٥ م.
٥. سامي سعيد الأحمد، العبوديّة عند اليونان، مجلّة التربية، العدد ٤٨، قطر ١٩٨١ م.
٦. سلاماني عبد القادر، الاستعمار وظاهرة الرقّ في أفريقيا الغربيّة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أحمد بن بلّة، وهران ٢٠١٦ م.
٧. عبد السلام الترماني، الرقّ ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، العدد ٢٣، الكويت ١٩٧٩ م.
٨. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة ١٩٩١ م.
٩. محمد علي الصافوري، النّظم القانونيّة القديمة لدى الإغريق والرومان، المكتبة الأنجلو مصريّة، القاهرة ١٩٧٤ م.
١٠. محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج ١، ط ٣، دار الفكر، دمشق ١٩٨٠ م.

١١. مصطفى العبادي، ديمقراطية الأثينيين، مجلة عالم الفكر، مج ٢٢، عدد ٢، الكويت ١٩٩٣م.

١٢. مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي، ج ٢، ط ٤، منشورات جامعة دمشق، دمشق ٢٠٠٢م.

١٣. ول. ديورانت، قصّة الحضارة، حياة اليونان، ج ٢، مج ٢، ترجمة محمد بدران، بيروت ١٩٨٨م.

### المراجع الأجنبية

1. Akrigg B., & Rob Tordoff Slaves and Slavery in Ancient Greek Comic Drama Cambridge University Press., Cambridge 2008.
2. Bonk, E., Differentiating Slaves from Wives in Ancient Athens by Social Death., Presented in partial fulfillment of the requirements for graduation with Honors Research., The Ohio State University 2013.
3. Chaniotis, A., Milking the Mountains; Economic Activities on the Cretan Uplands in the Classical and Hellenistic Period, Stuttgart 1999.
4. Driscoll, S., Ancient Greece: Life as a Slave in Ancient Greece., ICONN One Search for Public Libraries., 2011.
5. Fortune, R., Greek and Roman slavery, Researchcate 29 January 2019.
6. Lewis, D., Near Eastern slaves in classical Attica and the slave Trade with Persian territories. The Classical Quarterly, Volume 61, Issue 01, Printed in Great Britain 2011.

7. Martin, T. R., Ancient Greece From Prehistoric to Hellenistic Times., Second edition., New Haven & London 2013.
8. Rhodes, P. J., The Greek City States, A source book, Second edition., Cambridge University Press., Cambridge 2007.
9. The Cambridge ancient history, Vol III, Part III, Cambridge University Press, 1988.
10. Thorburn, J. E., The facts on file companion to Classical Drama., New York 2005.
11. Vogt, J., Ancient Slavery and the Ideal of Man., Harvard University Press, 1975.



## مصادر التاريخ الإغريقي

خليل سارة<sup>[١]</sup>

### مقدمة

بادئ ذي بدء، ينبغي القول إنَّ تاريخ الإغريق أو تاريخ أيِّ منطقة أخرى، ليس مجردَّ تاريخ أفراد، وإنما هو تاريخ مجتمع بأكمله، بأفراده وطبقاته، يتناول العلاقة بين هؤلاء الأفراد وهذه الطبقات، وبين هذه الطبقات بعضها ببعض، بكلِّ ما يدور بين هذه الأطراف المتعدِّدة من حوار وعلاقات ومعاملات واحتكاكات. ولم يقتصر ذلك على النشاط السياسيِّ فحسب، وإنما هو يتناول إلى جانب ذلك نواحيَّ أخرى من النشاط، بعضها ثقافيٌّ أو فنيٌّ أو دينيٌّ أو فكريٌّ، بل أكثر من ذلك، فإننا لكي نتعرَّف على أيِّ مجتمع لا بدَّ من أن نكون على علم بعاداته وتقاليده والأدوات التي كان يعتمد عليها في حياته اليوميَّة، والأسلحة التي كان يستخدمها للدفاع عن نفسه أو الإغارة على غيره، والملابس التي يرتديها أفرادُه.. فكلُّ هذه تُعيننا على تفهِّم اتِّجاهات هذا المجتمع وعلى نوع الحضارة التي كان يعيشها، فالحضارة هي في الواقع سجلُّ نشاط المجتمع في كلِّ جوانب حياته، ومحصَّلة التفاعل بين هذه الجوانب جميعاً.

ونحن في محاولتنا معرفة تفاصيل النشاط الذي كان يدور في المجتمع الإغريقيِّ في جوانب حياته المختلفة، نلجأ إلى نوعين من المصادر أوَّلَهما: المصادر الوثائقيَّة (DOCUMENTRE SOURCES)، وثانيهما المصادر الأدبيَّة (LITERARY SOURCES)، سواء أكانت تاريخاً أم فكراً أم أدباً أم علوماً، مما دوَّنه لنا المعاصرون للفترة التي نريد التأريخ لها، أو من جاؤوا في عصر لاحق، وكانت لديهم المعلومات التي نستطيع

[١]- أستاذ التاريخ اليونانيِّ في جامعة دمشق.

أن نثق بها في ما يخصُّ الفترة المذكورة، بحيث نستطيع أن نعتمد عليهم بالدرجة الثانية بعد الكتاب المعاصرين.

### أولاً: المصادر الوثائقية (DOCUMENTRE SOURCES)

تُعَدُّ المصادر الوثائقية بالغة الأهمية في تحرِّي مجرى الأحداث التاريخية، وتتضمن هذه المصادر فروعاً عدّة هي: علم الآثار، والنقوش، وورق البردي، والمسكوكات، وقطع الشقف الفخارية.

### ١. علم الآثار (ARCHEOLOGIE)

تشمل دراسة علم الآثار مختلف المباني والأطلال والمنشآت من منازل ومسارح وقصور ومعابد ومقابر وأروقة وأسوار وحمامات.. إلخ، وكلّ ما يُعثر عليه في هذه المباني من تماثيل وصور وأوان وأدوات، ولذلك يدخل في مجال هذه الدراسة فنون العمارة والنحت والتصوير والفخار، وكلُّها لا غنى عنها في دراسة الحضارة الإغريقية، فهي تمدُّنا بمعلومات قيّمة عن الفن والديانة والحياة الاقتصادية والاجتماعية، بل تُعَدُّ أيضاً مصدراً تاريخياً له قيمته في أحيان كثيرة، حين تلقي أضواء على أحداث عسكرية أو توضح نظاماً سياسياً<sup>[١]</sup>.

فعلى سبيل المثال، يمكننا أن نتعرّف من معبد البارثنون (PARTHENON) في الأكروبوليس في أثينا على الكثير من المعتقدات الأسطورية الإغريقية، فنحن نجد عدداً من المناظر التي تمثّل هذه المعتقدات منفذاً عن طريق النحت البارز على امتداد المساحات المربعة (METOPES) التي تلي واجهة المعبد إلى الأسفل. وكذلك نستطيع أن نتعرّف من خلال الفخامة التي تتمثّل في بقايا هذا المعبد الذي اكتمل في عام ٤٣٨ ق.م، مدى الازدهار الفني الذي عرفته الفترة التي شهدت اكتماله، وهو يعكس رخاءً كبيراً عرفته هذه الفترة التي مرّت بها أثينا تحت زعامة بريكلِس (PERIKLES). والطريقة نفسها نستطيع أن نطبّقها على المسرح الذي لا تزال أغلب أقسامه قائمة في مدينة أبداوروس (EPIDAUROS) (في شبه جزيرة البلوبونيز). إنَّ مدرّجات المشاهدين في هذا المسرح، وكلُّها موجودة حتى الآن، تتسع لأربعة وعشرين ألف مشاهد، وهو أمر يدلُّنا على المركز الذي كان يحتله النشاط

[١]- عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، د. ت، ص ١٠.

المسرحي بين اهتمامات المجتمع الإغريقي. ويذكرنا المذبح الذي لا يزال قائماً في الساحة التي كان يطلق عليها اسم الأوركسترا (الساحة التي كان أفراد الجوقة يؤدّون فيها رقصاتهم وأناشيدهم) بالصفة الدينية التي انبثق منها هذا النشاط (وهي صفة كانت تتعلق بأعياد الإله ديونيسوس DIONYSIOS). ونستطيع أن ندرك قيمة الفن المعماري المسرحي بالذات إذا أدركنا أن أقل صوت كان يصدر في هذه الساحة كان (ولا يزال) يُسمع بوضوح في كل أرجاء المسرح على امتداد المدرجات الصاعدة تدريجياً من الساحة المذكورة حتى آخر صف فيها، وهو أمر يدعونا إلى النظر إلى الموقع الذي كان يُختار لبناء المسرح وإلى الاتجاه الذي يتّخذ هذا البناء حتى يتردّد الصدى بالصورة التي تؤدّي إلى هذه النتيجة السمعية وهكذا<sup>[١]</sup>.

والشيء نفسه ينطبق على الأواني الفخاريّة، فهذه الأواني والمصنوعات كانت في العصور القديمة سلعة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها في الحياة اليومية، فمنها كانت تصنّع أدوات الطعام وأوعية الاستخدام والمباخر والمزهريات، وكان يُعبأ فيها الزيت والنبذ للتخزين أو للتصدير.. ومن المناظر التي كانت تُرسم على المزهريات الإغريقية -على سبيل المثال- نعرف الشيء الكثير عن الحياة اليومية الإغريقية في أغلب جوانبها: الملاحه، والصيد، والرياضة، والتمثيل وغيرها. وكذلك اللقى الفخاريّة إذا وجدت بكثرة في منطقة غير إغريقية فإنّها تشير إلى صلة تجارية تبادلية مع هذه المنطقة والعكس صحيح<sup>[٢]</sup>.

كلّ هذه الآثار أو المخلفات الأثرية تعطينا صورة طبيعية عن المجتمع الإغريقي، ولا سيّما إذا تجمّع لدينا عدد وافر منها لقطاع كامل من المجتمع بكلّ طبقاته.. ومن هذه الصورة نستطيع أن نستنتج أحوال هذا المجتمع ومدى ما وصل إليه من تقدّم، أو ما كان يعانيه من تأخّر أو انحدار، ونستطيع أن نرى مدى انعزاله عن المجتمعات الأخرى، أو اتصاله بها سواء أكان هذا الاتصال تأثيراً أم تأثراً، سيادة أم تبعيّة، أم مجرد تعادل على قدم المساواة، ونستطيع أن نلمس ملامح الطبقات داخل هذا المجتمع والعلاقة بينها بكلّ ما تستتبعه من تقارب أو تنافر، من عدل أو استغلال، إلى آخر ما يمكن أن يثور بين طبقات أي مجتمع من أمور مختلفة.

[١]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، بيروت ١٩٧٦م، ص ٦١.

[٢]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، مقدّمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة العربيّة، بيروت ١٩٧٩، ص ٥٣.



وبقي أخيراً أن نقول في هذا المجال: إنَّ علم الآثار الذي نشأ وترعرع خلال القرنين الأخيرين، لم يضع في يد المؤرِّخين نوعاً جديداً من شواهد الماضي فحسب، بل أيضاً النوع الأكثر انتشاراً، وأقلّها تعرُّضاً للخراب والزوال، وأقدها على الوصول إلينا سالمة وصحيحة. لأن هذا النوع يحتوي من حيث هو عنصر أساسيٍّ فيه، أدوات كان يستخدمها الإنسان الماضي في حياته العادية، ومن ثم صنعها من موادَّ أشدَّ مقاومة لعوامل التلف من تلك التي تصنع منها الموادُّ المكتوبة، فالمعدن، والحجر، والفخَّار، موادُّ أكثر قدرة على تحدي الزمن من البايروس، والرق، والورق.

## ٢. علم دراسة النقوش (EPIGRAPHY)

تُعَدُّ النقوش ثاني المصادر الوثائقية، وهي ملموسة قاطعة في الحدث التاريخي، وتنقسم إلى قسمين: نقوش بارزة، ونقوش غائرة.

وتشمل النقوش كلَّ الرسوم والكتابات المدوّنة على موادَّ صلبة كالحجر أو الرخام أو المعادن ولا سيَّما البرونز أو الخشب أو الصلصال، سواء كانت هذه الكتابات محفورة على أطلال مبانٍ أم جذاذات كانت مطمورة في باطن الأرض وأخرجها علماء الآثار، أو مدوّنات على القبور (EPITAPHES) توضح اسم الشخص المتوفى، وتاريخ وفاته، أو تترحم أو تشني عليه. وقد تكون المدوّنات إهداءات للآلهة، أو تمنح ألقاباً شرفية أو تمجّد مواطنين، أو غرباء أو مدناً.. إلخ. وقد تقوم (المدينة) أو (السلطة) أو (الأفراد) بهذا التدوين على جدران المدن أو المعابد أو المنازل وغيرها. ويمكن أن تكون المدوّنات (أعمالاً عامة) أو (خاصة) أو (قرارات) أرادت السلطة تعميمها، أو معلومة من الشعب أو الجمهور، فتدوينها على الحجر، أو المعدن، هو وسيلة نشر عامة لها، وفي الوقت نفسه أداة تثبيت لها في أذهان الأجيال اللاحقة. فهناك مثلاً معاهدات بين الدول وقرارات حكومية، وقوانين نُقِشت على جدران المعابد، أو الأسوار، أو المسارح أو غيرها من المباني العامة<sup>[1]</sup>. والنقش الكتابي هو دائماً تقريباً وثيقة أولى، وشاهد مباشر، تصلنا من دون وسيط، فالباحث الحديث يقرأ الوثيقة بشكلها نفسه الذي قرأها به معاصروها<sup>[2]</sup>.

[١]- عاصم أحمد حسين، ص ١١.

[2]- Arvanitopolos A. s: Epigraphy, Athenae- vol 1 1973, vol 2 1939 p 54.

ويجب أن ننوّه بأنّ النقوش يمكن أن تتراوح في الطول ما بين عبارة قصيرة على شاهد من شواهد القبور وبين نقش مطوّل، وسواء أكانت النقوش قصيرة أم مطوّلة، فهي ذات قيمة كبرى ليس للمؤرّخ فحسب، بل أيضاً لدارسي اللّهجات الإغريقيّة واللّغويّات والصوتيّات، وتطوّر رسم الأبجدية الإغريقيّة، وشكل حروف الهجاء، ولدارسي الديانة الإغريقيّة من حيث شعائرها وطقوسها وتنبؤات آلهتها، ومن حيث تأسيس المعابد وإدارتها وتمويلها، ونظام الكهنة وغيرهم من الموظفين الدينيين ونظام الجمعيات، وكذلك لدارسي الأدب الإغريقيّ حيث تمثّلهم النقوش بآلاف الأدبيّات من الأشعار الدينيّة ومرثيات القبور وبعدد لا يحصى من القطع النثرية القصيرة وسجلاّت من المسابقات التي تجري بين كتّاب المسرح، وأسماء الفائزين في هذه المسابقات<sup>[1]</sup>.

### ٣. علم دراسة البردي (PAPYROLOGY)

يُعَدُّ علم البردي أحد المصادر الوثائقيّة المهمّة، وهو مصدر ملموس وقاطع في الحدث التاريخي، كما يُعد من أهمّ الوثائق التي تصوّر الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة. والبردي في حدّ ذاته نبات كان ينمو وسط أحراج الدلتا في مصر، وفي بعض جهات الفيّوم. وقد عرفت مصر الفرعونيّة صناعة الورق من اللّباب اللّزج الموجود في ساق هذه النباتات المثلثة منذ أيام الدولة القديمة.. ولما كانت مصر قد احتكرت صناعة الورق، أتاح طقسها الجافّ من ناحية أخرى لفائف البردي المطمورة في أرضها فرصة النجاة من البلل والتلف، إذ اكتشفت الغالبية العظمى من الأوراق البرديّة في مصر خلال العصر البطلمي والرومانيّ. ويكفي أن نذكر في هذا الصدد، البحث الوحيد لدينا الآن من جملة بحوث الفيلسوف الإغريقيّ الشهير (أرسطو) والبالغ عددها مئة وثمانية وخمسين بحثاً قد عُثِرَ عليها في مصر عام ١٨٩٠م، وهو البحث المعروف باسم (دستور الأثينيين).. وعُثِرَ في مصر على لفائف برديّة مطوّلة تضمّ مؤلّفات شاعر (الملهاة) (سوفوكليس)، والشاعر الغنائي (ميناندروس) وغيرهما<sup>[2]</sup>.

ومن الناحية العمليّة، يُعَدُّ البردي من أهمّ المصادر القديمة إذا ما قيست بقيّة المصادر الأخرى الوثائقيّة أو الأدبيّة، لأنّ المادّة التي كانت تدوّن على لفائف البردي كانت غزيرة في

[١]- خليل سارة، تاريخ الإغريق، منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٦، ٦٩.

[٢]- عاصم أحمد حسين، ص ١٩.

مادّتها العلميّة إذا ما قيسَت ببقية المصادر الأخرى، أنّ ظروف الكتابة على البردي كانت من السهولة والوضوح الذي كان يمكن معه عرض أيّة مسائل أو مشكلات أو موضوعات معيّنة في شتّى مراحل الحياة العامّة السياسيّة أو الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، المساحة الكبيرة التي يدوّن عليها من ورقة البردي كانت تسمح بعرض جميع أو معظم جوانب أيّ موضوع بصورة شبه كاملة، وهذا ما يتعدّر في بقية المصادر الوثائقيّة لصغر حجمها أو لصعوبة الكتابة عليه<sup>[1]</sup>.

ولا يفوتنا أن ننّه إلى أن البردي كان مصدراً وثائقيّاً مهمّاً في مجال العلوم المختلفة كالآثار، والدبلوماسية، والديانة، والطب، والتاريخ، والرياضيات، والقانون، وجميع هذه العلوم كانت غزيرة في مادّتها العلميّة وأمدّتنا بكثير من صور الحضارة الإغريقيّة.

#### ٤. علم دراسة النقود أو علم النُمِيَّات (NUMISMATICS)

كلمة نُمِيَّات منبثقة من الإغريقيّة نوميسما (NOMISMA)، وهو علم يعالج وصف (النقود) وتاريخها و(الميداليّات)، ويقدم شواهد ثمينة للجغرافيا، والتاريخ، وعلم الصور (إيقونوغرافيا)، وتاريخ الديانات، والعادات، وتاريخ الفن. وهو علم مساعد مهمّ للتاريخ، ومصدر للمعرفة التاريخيّة، فقد يكون الوحيد أحياناً الذي يكشف عن وجود ملك، أو مدينة، أو يشير إلى أثر، أو حادث تاريخيّ. والنقود بما سُكّ عليها من صور لملوك وملكات، أو لمظاهر اجتماعيّة، أو دينيّة، تهتمُّ الباحثين في (علم الجمال) و(تاريخ الفن)، لأنّ تلك الرسوم والأشكال ترسم منحنيّاً للتطوّر الفنيّ يمكن تتبّعه بدقّة، في حين أنّه في مجال علم الآثار (الأركيولوجيا) لا يكون أمام الباحث إلّا خرائب ومخلفات جزئيّة من الصعب تركيب كلّ منها، وقد تكون النقود الإغريقيّة في هذا المنحى نموذجاً شبه كامل<sup>[2]</sup>.

إضافة إلى هذا، فإنّ معظم أحداث التاريخ الكبرى قد سجّلت بتاريخها على النقود منذ اختراع هذه الوسيلة في القرن السابع ق.م، في منطقة ليديّة على شاطئ آسيا الصغرى وفق

[١]- خليل سارة، ص ٧١. ثم انظر:

Aly Zaki, Egypt, S Contribution. Towards the promotion of papyrological Studies. pros. Ix Intern. Conger. Pap, (oslo 1958) 223 -328.

[٢]- عبد اللطيف أحمد علي، ص ٦٢.

قول هيرودوت «.. الليديون كما بلغنا أول أمّة تسكُّ النقود بالذهب والفضّة»<sup>[١]</sup>. وفي بلاد الإغريق سُكَّت أول عملة إغريقية في جزيرة إيجينة الدورية في القرن السابع ق.م.

وعلى سبيل المثال، إنّ قطعة من العملة تستطيع أن تقول لنا الشيء الكثير، فقد نعرف منها شعاراً لإحدى المدن الإغريقية، أو إلهاً لهذه المدينة أو آلهة، كما نعرف من وزنها ومن المعدن الذي صُنعت منه (سواء أكان ذهباً أم فضّة أم برونزاً)، بالمقارنة مع معلومات من مصادر أخرى، القيمة الشرائية لهذه العملة، ومستوى تكاليف المعيشة في المنطقة التي تنتمي إليها، كما نعرف من نوعية المعدن المستخدم في هذه العملة كالذهب أو الفضّة مثلاً، دليلاً على توافر هذين المعدنين لدى الدولة صاحبة العملة، ومن ثم يكون على ثرائها، وإذا كان من النحاس أو من معادن غير ثمينة أخرى، فإنّ هذا يدلُّ على ضعفها الاقتصادي، ووجود مجموعة من قطع العملة الإغريقية في منطقة خارج بلاد الإغريق يشير، على الأرجح، إلى علاقات تجارية بين بلاد الإغريق وهذه المنطقة.

كما أنّ الصور المضروبة على النقود مهمّة في دراسة تطوُّر الفن الإغريقي، بفرض أنّ النقود موادٌّ مؤرّخة يمكن ترتيبها في معظمها ترتيباً زمنياً. وقد حفظت لنا النقود مجموعة من الصور الشخصية للملوك والحكام، وهذه الصورة مفيدة في إبراز ملامح شخصيات من أصدروها، ولا سيّما إذا قورنت بما ذكرته المصادر الأدبية عن خصالهم، كذلك يفيد المؤرّخ أن يُدخِل في حسابه أماكن العثور على النقود الإغريقية، لأنّ هذا يشير إلى مجال تداولها في العالم القديم، ويمكن أن يستنبط منه امتداد نفوذ مدينة أو دويلة، وإن لم يكن من المحتمّ أن يكون هذا النفوذ سياسياً<sup>[٢]</sup>.

## ٥. علم دراسة الشقافات (OSTRAKA)

دراسة الشقافات من العلوم الوثائقية الحديثة التي كان من المتعذّر دراستها سابقاً، لعدم معرفتها أو الاهتمام بها، وهي تُعدُّ من الأهميّة بمكان لأنّها من المصادر الوثائقية

[١]-هيرودوت، الكتاب الأول، ص ٧٦.

[٢]-خليل سارة، ص ٧٣.

المهمة التي نستطيع أن نستقي من خلالها معلوماتنا التاريخية.

وجدير بالملاحظة أنه لم تكن الشقافات في بلاد الإغريق تستخدم عادة للكتابة عليها إلا في أثينا حيث كانت تُستخدم للإدلاء بالأصوات الانتخابية في الجمعية الشعبية. وبسبب كثرتها وسهولة الحصول عليها شاع استخدامها في كتابة مختلف أنواع الإيصالات وتحرير الخطابات.. وكان تلاميذ المدارس يستخدمون الشقافات بكثرة في التدريب على الكتابة وعلى مختلف التمارين المدرسية. وقد عُثر على كميات هائلة منها في منطقة طيبة بمصر البطلمية. وبذلك تكون (الأوستراكا) قد ألقت ضوءاً اجتماعياً على المجتمع الإغريقي إلى جانب النواحي الأخرى<sup>[١]</sup>.

### ثانياً: المصادر الأدبية (LITERARY SOURCES)

تشمل المصادر الأدبية كتابات المؤرخين والخطباء والشعراء والفلاسفة، وهي مصادر ثانوية غير قاطعة أو جازمة في الحدث التاريخي، لتأثرها بميول كاتبها وظهور النزعة الشخصية والمؤثرات النفسية وعدم الثقة فيها، ما يجعلنا نتناولها بحذر. وهي تُعدُّ مكملة للمصادر الوثائقية في بناء الحدث التاريخي السليم.

ونظراً للأهمية العظمى التي تحيط بكتابات المؤرخين في مجال المصادر الأدبية، وقبل الدخول في خضم هذا المجال، يجدر بنا قبل كل شيء، أن نقدّم فكرة موجزة عن نشأة الفكر التاريخي وتطوره عند الإغريق، وإبراز الملامح والظروف الأساسية التي أدت إلى نشوء علم التاريخ.

ثمة فارق بين التاريخ والفكر التاريخي، فالأول في أبسط معانيه يعني التقليد الفطري لدى كل إنسان في حرصه على معرفة ماضيه وتذكره. ويمكننا القول: إن الإنسان عرف (التاريخ) بهذا المعنى منذ أن عرف الكتابة، وراح يسجل أحداث حاضره وأخباره ليقراها في المستقبل أناس لا يعرفهم، بمعنى أن تسجيل الأخبار يتمّ بنظرة مستقبلية، وكأن الإنسان يحاول عن طريق التسجيل أن يخلّد ذكره ليقراه اللاحقون من بعده. هذا هو الدافع الذي

[١]- بيلوغرافية نقوش المصادر الوثائقية في: عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٩١، ص ٧-٢٩.

جعل الشعوب والمجتمعات القديمة تحرص على تسجيل أخبارها منذ أن عرفت الكتابة. ولعل أسبق وأقدم ذلك ما سجّله سكّان العراق ومصر منذ نهايات الألف الرابع ق.م، ثم لحق بهم سائر الشعوب في سورية وإيران والأناضول وبلاد الإغريق والصين والجزيرة العربية.

ولكن هذه السجلات، وأمثالها كثير، لا تمثل في الواقع سوى مادة تاريخية، وهي ليست تاريخاً أو فكراً تاريخياً، لأنّ المقصود بالفكر التاريخيّ يتمثل في الموقف العقليّ الذي يتّخذه أو يلتزم به المؤرّخ في تعامله مع المادة التاريخية بين يديه وفي تناوله لموضوعه التاريخي. وكلّما ازداد المؤرّخ في موقفه العقليّ نقداً للمادة التاريخية، ازداد فكره التاريخي وضوحاً واستقلالاً، وأعانه ذلك على أن ينفذ إلى جوهر الحقيقة التاريخية، وهي منزلة رفيعة يصعب الوصول إليها. ولاختلاف المؤرّخين في قدرتهم العقلية على ممارسة النقد الصارم والالتزام بالحياد الكامل، اختلف فكرهم التاريخي تبعاً لذلك منزلة ونضجاً. ويتّضح من ذلك أنّ الشرط الأول لنشأة الفكر التاريخي، هو توافر ملكة النقد لدى المؤرّخ، وعلى ذلك جميع الكتابات التي لا تمثل موقفاً نقدياً لا نتوّع أن نجد فيها فكراً تاريخياً. ويبدو أنّ هذا الموقف النقدي بدأ يتّضح ويتبلور بين سكّان المدن الإغريقية على الساحل الغربيّ لآسيا الغربية في القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م، وهو نتيجة لظهور الفكر الفلسفيّ الأول في تلك البلاد، ولصحوة العقل الإغريقيّ بتأثير العلم والنزعة العقلية. فنجد على سبيل المثال (كسينوفانس) الفيلسوف الطبيعيّ المعروف ينتقد ما ورد عند كلّ من هوميروس وهسيودوس من روايات متوارثة عن قصص الآلهة القديمة إذ قال: «لقد نسب هوميروس وهسيودوس إلى الآلهة كلّ ما هو شائن ومعيب بين البشر من سرقة وزنى وخداع بعضهم بعضاً»<sup>[1]</sup>.

ونظراً للأهمية العظمى التي تحيط بكتابات المؤرّخين الإغريق في مجال المصادر الأدبية، ستعرّض لأبرزهم، وهم أربعة (هيرودوت، وتوكوديدس، وكسنوفون، وبوليبيوس)، لمساهماتهم الفعالة في تطوّر علم التاريخ، ولما يشكّلونه من مصدر كبير وهامّ في تعرّفنا أحوال المجتمع الإغريقيّ في جوانبه المختلفة.

[1]- G. S. Kiri, J. E. Raven: The Presocratic Philosophers. Cambridge, 1966, no 169.

## ١. المؤرّخون

### أ. هيرودوت (٤٨٤ HERODOTOS ٤٢٥ ق.م)

#### • حياته ومنهجيّته في كتابة التاريخ

ولد هيرودوت في مدينة هاليكارناسوس (HALICARNASSUS) إحدى المستوطنات الإغريقيّة الدوريّة على ساحل آسيا الصغرى، ولكنه كتب بلهجة أيونيّة، وليست دوريّة. وكانت والدته آسيويّة من إقليم كاريا (وهم أهل البلاد الأصليون) في السنوات الأخيرة من الحروب الفارسيّة (٤٨٤ ق.م)، وأمضى حياته الأولى في موطنه الأصليّ إلى أن قام بها طاغية يدعى (ليجدامس) اصطدم بأسرته التي كانت لها مكانة مرموقة في المجتمع، إذ كانت موسرة ومحبة للعلم والشعر والأساطير، تتعاطى السياسة وتنادي بالحرية والخلاص من ظلم الطغاة، ولهذا السبب تعرّض بعض أفرادها للاضطهاد والتنكيل حتى الموت على يدي الطاغية، ما أدّى إلى فرار هيرودوت من وطنه إلى جزيرة ساموس حوالي ٤٥٥ ق.م. ويبدو أنّه في هذه المرحلة قد بدأ يكتسب شهرة بعلمه واهتمامه بدراسة الحروب الفارسيّة، وتنقّل في أكثر من مدينة إغريقيّة للمحاضرة وتتبع الأخبار في موضوع اهتمامه. وكان من الطبيعيّ أن يذهب إلى أثينا الخصم الأول للطغاة، فرحل إليها، وهي في أوج الديمقراطية في عصر فترة زعامة بريكلِس. وفي عام ٤٤٣ ق.م رافق البعثة الأثينيّة لتأسيس مدينة (ثوري) في جنوب إيطاليا. وقد امتدّ به العمر فشهد بداية الحروب البلوبونيزيّة بين أثينا وإسبرطة عام (٤٣١ ق.م) وربما كانت وفاته بعد ذلك بقليل ٤٢٥ ق.م في ثوري ودُفن فيها. وفي حدود هذا الإطار العام، يجتهد الدارسون في توزيع رحلاته الكثيرة التي اشتهر بها في أنحاء بلاد الإغريق نفسها وخارجها في آسيا الصغرى وسورية وبلاد النهرين ومصر وصقلية وبرقة وغيرها، وقيل: إنّ المسافة التي قطعها في رحلاته بلغت ١٧٠٠ ميل، ودامت أسفاره نحو ١٧ عاماً، لذا سمّاه البعض ماركوبولو العصور القديمة<sup>[١]</sup>. فلهذا كان على قدر عظيم من الحيويّة والنشاط حتى أمكن أن يقوم بهذه الأسفار، وكان على جانب كبير من الثراء للإنفاق على رحلاته، وإن اختلفت وسائل النقل ليأتي لنا بهذا التاريخ.

وكان هدف هيرودوت من هذه الرحلات هو جمع المعلومات لكتابة تاريخه المشهور

[١]- مقدّمة المترجم لكتاب (تاريخ هيرودوت) ترجمة عبد الإله الملاح، ص ٢١.

(تاريخ الحروب بين الإغريق وفارس)، ولذلك كان يحاول التحري والتقصي عن المعلومات بنفسه، وذلك بالسفر والرحلة إلى كل بلد في الشرق والغرب له صلة بأحداث الحروب الفارسية ويستطيع الوصول إليه.

وكان الخطيب والسياسي الروماني<sup>[١]</sup> (شيشرون)، قد أطلق على هيرودوت لقب أبي التاريخ (PATERHISTORIAE) لأنه بدأ كتابة تاريخه منتهجاً نهج الإخباريين الرواة، ثم اكتمل نضجه العقلي في ما بعد ليصبح ذا فكر تاريخي متميز وتصور عام لحركة الشعوب. فالكتاب كما وصلنا يتضمن فصولاً شائعة من (أخبار الشعوب) اتبع فيها منهج الإخباريين والرواة مثل فصوله عن مصر وليدية وسكثيا وغيرها، وهناك أجزاء يتمثل فيها فكر تاريخي واضح ومنهج متميز، من ذلك بعض ما ذكره هو عن نفسه حيث يقول: «إلى هنا كان اعتمادي في كل ما ذكرت على المشاهدة الشخصية وتحكيم العقل ومواصلة البحث، ومنذ الآن سوف أشرع في قول ما رواه المصريون مضيفاً إليها شيئاً مما شاهدته بنفسي»<sup>[٢]</sup> وفي مكان آخر يقول: «إنني مضطر إلى أن أقص عليكم ما ينقل إليّ، ولكنني غير ملزم بتصديقه، وأحب أن يصدق هذا القول على كل قصة أرويها في هذا التاريخ»<sup>[٣]</sup>.

هذه العبارات المقتضبة تلخص لنا منهجية هيرودوت في العمل، إذ يتبين لنا فيها نوعان من الأخبار أو المعلومات التي يعرض لها. فالنوع الأول عادة ما يكون دقيقاً وصحيحاً جاء نتيجة المشاهدة الشخصية، وتحكيم العقل، ومواصلة البحث في التحليل والاستنتاج بكل ما يستتبعه منطق الفكر التاريخي. فهو -على سبيل المثال- يوضح لنا السبب الذي أدى إلى اندلاع الحرب الفارسية - الإغريقية، ويصفها بأنها حلقة في سلسلة الصراع المستمر في العالم بين أوروبا وآسيا أو بين الشرق والغرب، ويوجه نقداً لاذعاً للروايات الأسطورية القديمة التي أوردها (هوميروس) سبباً لنشوب الحرب الطروادية مثلاً. يقول: «إن إثارة نزاع حول اختطاف امرأة ضرب من ضروب حماقة، فالعقلاء من الناس لا يشغلون أنفسهم بمثل تلك النساء، إذ من الواضح أنه ما كان لأحد أن يحملهن على ما لا يرضين به، فعندما

[١]- شيشرون من أبلغ خطباء روما (١٠٦ - ٤٣ ق.م) أسهم في حياة روما السياسية خلال القرن الأول ق.م.

[٢]- تاريخ هيرودوت، ٩٩/٢.

[٣]- المصدر نفسه، ١٥٢/٧.



اختطف الإغريق نساء الآسيويين لم يأبه هؤلاء بالواقعة، أما الإغريق فإنهم من أجل امرأة إسبرطية واحدة حشدوا جيشاً عرمرماً واجتاحوا آسية ودمروا مملكة بريام، ومنذ ذلك الحين والآسيويون يكتنون العداة للإغريق»<sup>[1]</sup>.

هذه من غير شك فكرة رائدة لا نعرف لها وروداً قبل هيرودوت، فهي تمثل الموقف النقدي اللاذع (لهوميروس). وتكشف لنا مثل هذه الصورة النقدية عن تصوّر جديد لجانب من حركة التاريخ العام في العلاقة بين الشرق والغرب<sup>[2]</sup>.

ويتضمّن النوع الثاني كثيراً من القصص والمبالغات والخرافات والروايات، إذ إنّه جمع قدراً كبيراً من مادّته من أفواه الناس، وروايات الكهنة المصريين، ومن الأدب الشعبي مُتَّبِعاً روايات الإخباريين فمزج الحقيقة بالخيال لكونها تبلغ حدود الخرافة والأسطورة، فهو يورد -على سبيل المثال- قصة الطفل الذي حكم عليه بالموت، ولكنه ينجو ليغدو ملكاً، وهو قورش، وهذه قصّة شائعة في أنحاء العالم، ونقرأ قصّة اللصّ المصريّ الظريف الذي يُفشل كلّ المحاولات للإيقاع به، وينتهي أمره بالزواج من ابنة الملك، ويورد لنا أنّ عظام جماجم الفرس رقيقة حتى إن لمس الحصاة لها يمكن أن يحدث ثقباً فيها، في حين أنّ جماجم المصريين كانت قاسية إلى حدّ يكاد من المستحيل إحداث كسر فيها ولو ضربت بالحجارة، ويعود ذلك إلى أنّ المصريين يعرّضون رؤوسهم للشمس التي تكسب عظام جماجمهم القساوة، أمّا الفرس فإنهم يلبسون قلنسوة من اللباد لتقي رؤوسهم أشعة الشمس<sup>[3]</sup>.

إنّ مزج الحقيقة بالخيال هو ما أخذه المؤرّخون القدامى والمحدثون على هيرودوت. وربما قصد من جميع هذه الطرائف، أن يجعل من نفسه محبوباً وممتعاً وذا جاذبيّة لدى قرائه الإغريق. لذا، يعتبر بعض النقاد أنّ هيرودوت هو أبو (علم الأنثربولوجيا) الاجتماعية أيضاً، لا أبو التاريخ وحده، لميله إلى الحقل الثقافي والاجتماعي والديني أكثر مما هو في الحقل السياسي<sup>[4]</sup>.

[١]- تاريخ هيرودوت، ٣/١.

[٢]- حول هيرودوت أنظر: مصطفى العبادي، نشأة الفكر التاريخي وتطوّره عند اليونان، مجلة عالم الفكر، مجلة علميّة محكمة دوريّة، العدد ١، المجلد ٣١، يوليو - سبتمبر ٢٠٠٢، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص ٧ - ١١.

[٣]- تاريخ هيرودوت، ٣/٣.

[٤]- مصطفى العبادي، ص ١٠.

ومع ذلك، حرص هيرودوت على ذكر جميع هذه الروايات لفكرة أعم وأشمل، وهي أنه كان حريصاً على تقديم صورة متكاملة للمجتمعات التي عرفها بجوانبها المختلفة الإيجابية والسلبية في عاداتهم، وتقاليدهم، وأنماط حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فذلك كان حريصاً على حسم التناقض بين الروايات بأن يوردها كما هي، تاركاً للقارئ أو السامع حرية اختيار ما يشاء، أو استخلاص ما يشاء استخلاصه. وعلى هذا، يجب أن نعتمد في كتاباته على شيء من الحذر، ونحاول أن نحققها بالمقارنة مع الآثار الموجودة، ومع المعلومات التي نستطيع أن نحصل عليها من مصادر أخرى، أو على أضعف تقدير نضعها موضع التحليل المنطقي بحيث نرى إذا كانت مرجحة أو محتملة أو غير ممكنة على الإطلاق.

#### • مؤلفات هيرودوت

إنَّ شهرة هيرودوت مبنية على كتابه (تاريخ الحروب بين الإغريق وفارس)، وقد كتب تاريخه في تسعة أجزاء، وقسمه إلى هذه الأجزاء عدد من النحويين الإسكندرانيين في فترة ازدهار مكتبة الإسكندرية في مصر في القرن الثالث ق.م، وكلُّ جزء يُنسب إلى عرائس العلوم والفنون من بنات زيوس التسع ((MUSAE<sup>[1]</sup>). وتدور كتبه الخمسة الأولى حول نشأة الإمبراطورية الفارسية تحت حكم قورش، ووصف بعض الولايات مثل مصر وتراكيا في ظلال الحكم الفارسي، ثم روى في الكتب الأربعة الأخرى قصة الصراع بين الفرس والإغريق، أو قصة الحروب الفارسية حتى تحرير (سستوس) عام ٤٧٨ ق.م، وجدير بالذكر أنه كرّس كتابه الثاني لوصف مصر، وعاداتها، ودياناتها، وتاريخها، وهو الذي قال فيه عبارته الخالدة: «مصر هبة النيل»<sup>[2]</sup>.

أما هيرودوت نفسه فقد كان يشير إلى أجزاء كتابه بعبارات عامة يسميها بالأحاديث الليبية أو الروايات الآشورية. وظهرت للكتاب طبعات كثيرة منذ عام ١٤٥٠ م باللغتين اليونانية

[١]- ربات الفنون التسع، كنَّ ربّات أو ملهفات الشعر والأدب والموسيقى والرقص، وبعدئذ الفلك والفلسفة وكلّ الهزليات الفكرية، وفي آخر العصر الروماني تحدّد اختصاص وشعار كلِّ ربةٍ منهنَّ على الشكل التالي: الجزء الأول ويحمل اسم (كليو) ربة التاريخ، والجزء الثاني يحمل اسم (يوتربي) ربة العزف على المزمار، والثالث يحمل اسم (تاليا) ربة الكوميديّة، والرابع يحمل اسم (ملبوميني) ربة التراجيديا، والخامس يحمل اسم (تريسخوري) ربة الرقص والغناء الجوقي، والسادس يحمل اسم (إيراتو) ربة الشعر الغنائي، والسابع يحمل اسم (بولهيمنيا) ربة فنّ التمثيل، والثامن يحمل اسم (أورانيا) ربة الفلك، والتاسع يحمل اسم (كالليوبي) ربة الشعر الملحمي.

[٢]- مصطفى العبادي، ص ١٢.

واللاتينية، كما ظهرت طبقات أخرى باللغات الأوروبية وغيرها، وكانت آخرها الطبعة العربية في عام ٢٠٠١ بإشراف مشكور من المجمع الثقافي في أبو ظبي.

### ب. توكوديدس (٤٦٠-٣٩٩ ق.م)

#### • حياته ومنهجيته في كتابة التاريخ

يُعدُّ توكوديدس أحد أشهر المؤرخين الإغريق، وأرجح الاجتهادات أنَّه وُلد وتوفي في الفترة المذكورة (٤٦٠-٣٩٩ ق.م)، وهو ينتمي إلى أسرة أثينية أرستقراطية تنسب إلى إحدى العائلات النبيلة الثرية في إقليم تراقية في شمال بحر إيجه، وكان والده يدعى (أولوروس) وله في تراقية أراضٍ فيها مناجم للذهب ورثها توكوديدس عن والده، ومن ثم وجد توكوديدس نفسه، بحكم المولد ينتمي إلى وطنين: تراقية وأثينا، كما وجد نفسه يتمتع بثراء واسع، ووضع اجتماعيٍّ أتاح له الاتصال بزعماء عصره.

كان توكوديدس يُعجَب أشدَّ الإعجاب بالزعيم الديمقراطيِّ الأثينيِّ (بريكليس) الذي قاد أثينا في منتصف القرن الخامس ق.م، وهي فترة شباب توكوديدس نفسه، وهذا يعني أنَّه عاش في الفترة الذهبية من تاريخ أثينا التي تكاملت قوتها واستخدمت مواردها لإغناء الحياة فيها وإضفاء البهاء عليها. فلذلك يمكن القول، إنَّ عصر توكوديدس كان غنيًا بالمنجزات الفنية والفكرية، وأن ثراء مدينته الفني والفكري جعلاً منه إنساناً واسع الثقافة، عميق الاطلاع، ولا سيَّما أنَّه تأثر بالفلسفة السفسطائية في مرحلتها الأصيلية المبكرة على يد (بروتاغوراس). إضافة إلى دراسته الفلسفة على يد الفيلسوف (أنكساغوراس)، كما درس البلاغة على يد (أنتيفون) الذي عُرف بقوة بلاغته وفصاحته<sup>[١]</sup>.

وفي عام ٤٢٤ ق.م حدث تحولٌ مهمٌ في حياة توكوديدس، وفي فترة الحرب البلوبونيزية بين أثينا وإسبرطة التي استمرَّت أوارها سبعة وعشرين عاماً (٤٣١-٤٠٤ ق.م) وشهد توكوديدس أحداثها من بدايتها إلى نهايتها، إذ عيَّنه الأثينيون قائداً لإحدى حملاتهم العسكرية والدفاع عن مدينته (أمفيبوليس) إلَّا أنَّه فشل في تنفيذ المهمة المسندة إليه، وسقطت (أمفيبوليس) بيد الإسبرطيين، فنقم الأثينيون عليه، وقرَّروا معاقبته بنفيه خارج أثينا، وبقي في

[١]- سيّد أحمد علي الناصري، الإغريق (تاريخهم وحضارتهم)، دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٨١، ص ٣١٩. ثم خليل سارة، ص ٩٣.

منفاه مدّة عشرين عاماً، ولم يعد إلى وطنه إلاّ بعد نهاية الحرب عام ٤٠٤ ق.م. وقد أتاح له فيه الابتعاد عن أجواء أثينا السياسيّة، وكانت فرصة أفضل للتفرّغ لدراسة الأحداث التاريخيّة التي كانت تجري في عصره، والتي دونّها لنا في ما بعد، وهو يشير إلى هذه الحادثة وكيف أفاد منها في متابعة عمله التاريخي وكتابة تاريخه المشهور (تاريخ الحروب البلوبونيزيّة) إذ قال: «وفي فترة النفي هذه.. تمكّنت من أن أطلع على مُجريات الأمور بين الجانبين الأثيني والإسبرطي، وأن أتفرّغ لدراسة الحرب»<sup>[١]</sup>.

استغل توكوديدس وضعه كواحد من المنفيين السياسيين ليدرس هذه الحرب، ويقوم بتحليل آثارها وأسبابها، وراح يتنقّل بين مسارح المعارك المختلفة، فزار إسبرطة ومدن البلوبونيز، كما زار جزيرة صقلية، وجمع مادّة علميّة غزيرة، ساعده على تفهّمها ثقافته العسكريّة، ودوره الذي لعبه في هذه الحرب. ولم يعد إلى أثينا إلاّ بعد سقوطها، وإعلان العفو العام عن جميع المنفيين السياسيين عام ٤٠٣ ق.م. وظلّ يعيش في أثينا حتى لقي حتفه على يد قاتل عام ٣٦٩ ق.م. ويقول بلوتارخوس إنّ توكوديدس اغتيل في داره، في موطنه (تراقية)، لكنه دُفن في أثينا تحت القبة التي كانت تضم رفات أسرة كيميون<sup>[٢]</sup>.

أمّا من حيث منهجه في كتابة تاريخه المشهور، فهو يؤكّد لنا في أكثر من مناسبة، أنه قرّر أن يتصدّى لكتابة تاريخ الحرب بين أثينا وحلفائها في جانب، وهي تمثّل الجانب الأرستقراطيّ، وإسبرطة وحلفائها وهي تمثّل الجانب الأرستقراطيّ العسكريّ في جانب آخر، بمجرد نشوبها، ملتزماً بتسجيل أحداثها أولاً بأولّ حسب وقوعها صيفاً وشتاءً (١/١، ٢٦/٥).

#### • مؤلّفات توكوديدس:

إنّ شهرة توكوديدس مبنية على كتابه التاريخيّ المشهور (تاريخ الحروب البلوبونيزيّة بين أثينة وإسبرطة ٤٣١-٤٠٤ ق.م).

ويقسّم تاريخ توكوديدس إلى ثمانية كتب يبحث كلّ منها في مرحلة من مراحل الحرب البلوبونيزية التي هي موضوع الكتاب. ويتّجه الرأي إلى أن تقسيم الكتاب إلى ثمانية أجزاء أو كتب قد جرى في القرن الثالث ق.م في الإسكندريّة من قبل بعض الذين وقع في يدهم

[١]- توكوديدس، ٢٦/٥.

[٢]- إبراهيم نصحي، توكوديدس، منشورات الجامعة الليبية، كليّة الآداب، بيروت ١٩٧٠، ص ١٦٢.

المخطوط الأصلي، واضطُرُّوا تسهيلاً لاستعماله إلى تقسيمه إلى كتب أو أجزاء حسب الموضوعات. وأخيراً ظهرت الطبعة العربيّة لهذا المؤلّف عام ٢٠٠٣م، بإشراف من قبل المجمع الثقافيّ في أبو ظبي.

• الفرق بين هيرودوت وتوكوديدس:

باعتبار أنّ الفروق بين هيرودوت وتوكوديدس من حيث المنهجية التاريخيّة كثيرة ومتنوّعة، رأينا أنّه من الأفضل -تسهيلاً لفهم القارئ- أن ندونها على الشكل التالي:

١- هيرودوت كتب عن تاريخ مناطق متعدّدة مثل بلاد الإغريق ومصر وفارس وبلدان أخرى، وكلّ ما استطاع أن يعرف أو يسمع عنه شيئاً، في حين ركّز توكوديدس كتابته على موضوع واحد، فلذلك كانت كتابته محيطيّة بكلّ تفاصيل الموضوع.

٢- هيرودوت لم يكن مُعاصراً لما كتب عنه، فكتب عن أحداث سبقت عصره وزمانه، وأمّا توكوديدس فكان معاصراً معاصرة كاملة لما كان يكتب عنه، بل إنّهُ اشترك في بعض مراحل الحرب اشتراكاً مباشراً.

٣- هيرودوت أسلوبه المنهجيّ غير متماسك، أمّا توكوديدس فأسلوبه المنهجيّ في بعض الأحيان معقّد وغامض يجمع فيه بين الإيجاز والدقّة.

٤- هيرودوت يضحّي بالأفكار في سبيل اللّغة لأجل جاذبيّة القارئ وجزالة الأسلوب، وأمّا توكوديدس فكان يضحّي باللّغة في سبيل الأفكار، لأنّه لا يبغي من كتابته تسليّة القارئ، بل مدّ المؤرخين بالمعلومات.

٥- هيرودوت ينتقل من مكان إلى مكان، ومن عصر إلى عصر، في حين كان توكوديدس يضغظ قصّته في إطار جامد من الفصول والسنين.

٦- هيرودوت يكتب عن الأشخاص أكثر ممّا يكتب عن الأحداث، لأنّه كان يُحسّ أنّ الشخصيات هي التي تؤثر في الأحداث، وأمّا توكوديدس فكان يكتب لتدوين الأحداث أكثر ممّا يكتب لذكر الأشخاص، ويبحث في علل الحوادث وتطوّراتها ونتائجها.

٧- هيرودوت تملأ كتابته روح المرح والفكاهة، أما توكوديدس فكان صارماً في كتابته وتنقصه روح المرح والفكاهة.

٨- هيرودوت كان يتحدث عن النظم السياسية للبلدان التي زارها، وعن نظم دويلات المدن الإغريقية، وأما توكوديدس فلم يتحدث بشيء عن دساتير المدن، أو نظم المجتمعات.

٩- هيرودوت يتحدث كثيراً عن النساء والآلهة، وأما توكوديدس فيتجنب الحديث عن ذكر النساء والآلهة، ويأبى أن يكون لهنّ موضع في كتابه.

١٠- هيرودوت تتضمن كتابته كثيراً من القصص الخرافية والأساطير والمعجزات، في حين تخلو منها كتابات توكوديدس.

١١- هيرودوت طريقتة في كتابة التاريخ تعتمد على الروايات الشفهية، وما شاهده وما لم يشاهده، ويكتب من دون التحقق من الإثبات، فكانت تنقصه دقة الملاحظة، أما توكوديدس فطريقتة في كتابة التاريخ فيها احترام للحقائق، ودقة في الملاحظة، ونزاهة في الحكم، وجزالة في اللفظ، وسحر في الأسلوب، وعقل قوي سديد عميق.

١٢- هيرودوت ينقص كتابته تحليل الحوادث والمواقف والشخصيات، وأما توكوديدس فامتاز بأنه حلل الحوادث والمواقف والشخصيات تحليلاً اجتماعياً ونفسياً عميقاً، وكان بذلك أول مؤرخ يتبع المنهج العلمي في كتابة التاريخ<sup>[١]</sup>.

### ت. كسنوفون (XENOPHON ٤٣٠-٣٥٤ ق.م)

#### • حياته ومنهجيته في كتابة التاريخ:

ولد كسنوفون مع بداية الحرب البلوبونيزية نحو عام ٤٣٠ ق.م، ونشأ في أسرة محافظة على جانب من الثراء، ونجده قد تأثر بهذه النشأة وانحاز إلى حزب الأقلية (OLIGARCHY)، ولكن الأمر الذي أساء إلى كتابته التاريخية هو انحيازه وحماسته الكاملة لإسبرطة من غير تردد أو اعتدال، وقد نفي من أثينا لميوله الإسبرطية أو لصداقته لسقراط، فعاش معظم حياته في إسبرطة، ثم أصبح صديقاً شخصياً لملكها (أجيسيلوس) الذي منحه قطعة أرض في

[١]- المرجع السابق، ص ١٠٣.

البلوبونيز بالقرب من أولمبيا. وقد التحق بالجيش الإسبرطي عام ٣٩٦ ق.م، واشترك معه في معركة (كورونيا) بإقليم بويوتية حين انتصر الإسبرطيون انتصاراً غالي الثمن على طيبة وحلفائها عام ٣٩٤ ق.م، ولما عادت أثينا إلى محالفة إسبرطة صدر قرار بالعفو عنه عام ٣٦٩ ق.م، فأعاد أسرته إلى أثينا وكان يتردد عليها من وقت إلى آخر، وتوفي في كورنثة.

لم يكن كسنوفون على مستوى توكوديدس في المنهج التاريخي، إذ انخفض مستوى الكتابة لديه حتى وصلت إلى حدّ السطحية والسرد البسيط الذي لم تراخ فيه الدقة أو عمق التحليل والتعليل للمواقف السياسيّة، بعيداً عن محاولة فهم تفاعل النفس البشريّة وانفعالها مع الأحداث التاريخيّة. ورغم أنّه صاحب سقراط فترة وتلمذ على يديه، فقد كان تأثير الفكر الفلسفيّ عليه محدوداً، ولا يكاد ينعكس في كتاباته إلّا في ملاحظات أخلاقيّة أشبه بتعاليم النّصح والإرشاد. وقد تولّى تكملة (تاريخ توكوديدس) من حيث انتهى في عام ٤١١ ق.م، ولكن شتّان ما بين السالف واللاحق. فمع كونه معاصراً للأحداث التي تعرّض لها، فإنّ كتابته، فضلاً كونها سرداً سطحياً، ليست أهلاً للثقة، وخاصة في ما يتعلّق بإسبرطة<sup>[١]</sup>.

صحيح أنّ كتابات كسنوفون كانت متعدّدة الموضوعات، ولكنه كان أقل في تدقيقه وتحقيقه من توكوديدس علماً أنّه اشترك مثله في بعض الأحداث التي كتب عنها اشتراكاً مباشراً.

#### • مؤلّفات كسنوفون:

أهم مؤلّفاته هي:

١- التاريخ الهيليني (HELLENICA): الذي يبدأ من حيث توقف توكوديدس في عام ٤١١ ق.م، وينتهي عند عام ٣٦٢ ق.م وهو تاريخ معركة (مانتينيا) في سهل أركادية حيث انتصر إلامينونداس زعيم طيبة وقائدها الكبير على إسبرطة انتصاراً غير حاسم ولقي مصرعه، ويكشف الكتاب عن تحيّزه الكامل لإسبرطة ضد طيبة.

٢- حملة قورش (ANABASIS): ويعني الانسحاب، وهو أمتع كتبه، وفيه وصف للحملة التي شارك فيها مع الأمير الفارسي (قورش) عام ٣٩٦ ق.م في صراعه على العرش

[١]- عاصم أحمد حسين، ص ٣٤.

ضد أخيه الأكبر. وبعدما قُتل الأمير فشلت الحملة التي كانت مكوّنة من نحو عشرة آلاف من الجنود المرتزقة من الإغريق، الذين اضطُروا إلى الانسحاب أو الفرار من وجه الجيش الفارسي، وسلكوا في سبيل عودتهم طُرُقاً صحراويةً وجبليةً وعرةً حتى وصلوا إلى سواحل البحر الأسود ومنها إلى أوطانهم. وقد كان لكسنوفون في رحلة العودة هذه دوراً قياديّاً حتى بلغ بهم برّ الأمان. والكتاب برُمته أشبه بكتب الرحلات والمغامرات، وليس من كتب التاريخ، ولكنه يتّصف بالحيوية والطرافة، ممتع للقراءة، ولا يخلو من فائدة.

٣- تربية قورش (CYROPAEDIA): وهو كتاب عن سيرة (قورش الأكبر) (٥٥٩-٥٢٩ ق.م)، مؤسس الإمبراطورية الفارسية، الذي اتّخذ الكاتب مثلاً أعلى للحاكم.

٤- نظام الإسبرطين (POLITEIA LAKEDAIMONIAN): وهو بحث في دستور الإسبرطين، وفيه يتحدّث عن النظام السياسيّ لإسبرطة، والتنظيم الاجتماعيّ والتربويّ لتنشئة المواطنين الذين وجد فيهم مثلاً للمواطنين الصالحين أيام كانوا لا يزالون متمسكين بتعاليم نظامهم الذي وضعه المشرّع (ليكورجوس).

٥- مذكرات عن سقراط (MEMORABILIA): وهو دفاع عن سقراط ضدّ السفستائيين، من أربعة أجزاء، كتبه ليدافع عن سقراط في ما اتُّهم به من إلحاد وإفساد لأفكار الشبيبة.. وللمؤرّخ كتاب آخر في الموضوع نفسه بعنوان (الدفاع) يشرح فيه لماذا لم يدافع سقراط عن نفسه أثناء محاكمته دفاعاً أفضل.

٦- الاقتصاد المنزلي (OECONOMICUS): ومعناه الحرفيُّ إدارة المنزل والأرض أو المزرعة، وعلى هذا الأساس أطلق عليه بعض المؤرّخين تسمية (التدبير المنزلي). وهو كتيّب رائع وجذاب، وفيه يعرض كسنوفون آراءه ونصائحه في تدبير شؤون المنزل على هيئة حوار بين سقراط وإيسخوماخوس أحد كبار الملاك الزراعيين. ويتبيّن من هذا الحوار استعراض عامٍّ لآرائه على لسان إيسخوماخوس حول واجبات الزوجة في مساعدة زوجها في أعمال المنزل والحقل، وإنجاب الذرية، وتدريب الأرقاء والحفاظ على صحتهم وسلامتهم، وواجباتها تجاه أولادها، وتطبيب خاطر زوجها. ويقارن إيسخوماخوس الزوجة بملكة النحل، إذ عليها مراعاة التدبير الإداريِّ والماليِّ في المنزل من دون إسراف بحيث لا



تستهلك في شهر ما ينبغي استهلاكه في عام، ومراعاة حسن التنسيق والنظام وسلامة الذوق في ترتيب أدوات المنزل، ووضع كل شيء في المكان المخصص له. ولا ريب في أن حُسن النظام، وسلامة الذوق عند الزوجة المثالية شيء ممتاز جداً في حد ذاته، وهذا ما يُعجب كسنوفون بقوله على لسان إيسخوماخوس «جميل أن ترى الأحذية مرتبة في صف حسب أنواعها، وجميل أن ترى الثياب والأغطية مقسمة حسب منافعها، وجميل أيضاً أن ترى أواني الطبخ مرتبة بذوق وتنسيق، أجل إن الأشياء جميعها بلا استثناء يزداد جمالها إذا نُسقت وصُفَّت بانتظام. فهذه الأواني كلها تبدو حينئذ كأنها مجموعة متناسقة يكمل بعضها بعضاً، ومركزها المتكوّن منها جميعاً يخلق فيها جمالاً ورتابة»<sup>[١]</sup>.

ويتصل بهذا البحث كتاب آخر يتضمّن مقترحات لتنمية موارد أثينا المالية بعنوان المداخيل (PERIPRON).

٧- حديث مائدة الشراب (SYMPOSIUM): وهو بمنزلة ندوة تَخِيلِيَّة يعقدها بعض الضيوف حول مائدة الشراب في منزل كاللياس.

٨- بحث في الفروسيّة (PERI HIPPIKES): وهو أقدم بحث كامل عن هذا الموضوع.. وبحث آخر بعنوان (HIPPIACHIEUS) عن واجبات ضابط الفرسان مشفوعاً بمقترحات لتحسين سلاحهم. وللمؤرّخ أيضاً بحث في الصيد بعنوان (CYNEGETICUS)، ولا سيّما صيد الأرانب البريّة، ومن الغريب أن يقحم فيه هجوماً عنيفاً على السفسطائيين الذين لا يفيدون أحداً من الناس<sup>[٢]</sup>.

### ث. بوليبيوس (POLYBIUS ٢٠٠-١١٨ ق.م)

#### • حياته ومنهجيّته في كتابة التاريخ:

يُعتبر بوليبيوس من مؤرّخي القرن الثاني ق.م، وُلد ونشأ في أسرة نبيلة في مدينة ميجالوبوليس (MEGALOPOLIS) الإغريقيّة في البلوبونيز، وهو إغريقيّ عاصر بلوغ روما أوج قوّتها بعد انتصارها على (قرطاجة). وكان والده ليكورتاس من الزعماء السياسيين

[١]- كسنوفون، الاقتصاد ١٩/٨.

[٢]- خليل سارة، ص ١٠٨، عاصم أحمد حسين ٣٤.

ذوي المكانة. وهكذا وجد الطريق أمامه ممهّداً، فنال أعلى ثقافة ممكنة في وقته، وأحسن إعداده ليشقّ طريقه إلى الزعامة السياسيّة والقيادة العسكريّة في تحالف ضمّ مجموعة من المدن الإغريقيّة في البلوبونيز عُرف بالحلف الآخي (نسبة إلى إقليم آخيا (ACHAEA المتحالف مع مقدونية). وحين اصطدمت روما بدولة مقدونية بعد موقعة بيدنا (PYDNA) عام ١٦٨ ق.م فرضت على مدن الحلف الآخيّ عقوبات عدّة منها تقديم ألف من شباب الأسر النبيلة ليكونوا رهائن في روما ضماناً لاستمرار ولائهم، فذهب بوليبيوس إلى روما بين هؤلاء الرهائن. ولكن من حسن حظّه أنّه ألحق بأسرة سكيبيوس الشهيرة في تاريخ روما (وسكيبيوس هذا أحد قادة الجمهوريّة في روما) الذين عرفوا قدره، وقرّروا أن يستفيدوا من مهاراته الفكرية والعقلية، وذلك بتشجيعه على كتابة تاريخ شامل لدولة روما.

هكذا قدّر لبوليبيوس أن يخلّد نفسه باعتباره مؤرّخ دولة روما، ويبدو أنه كان مهياً لهذه المهمة، فثقافته الشخصية في الفلسفة المشائيّة (الأرسطيّة) والروائيّة، وتجربته السياسيّة في بلاد الإغريق، ثم إقامته الممتدّة بعد ذلك في روما في كنف أسرة (سكيبيوس)، ورحلاته في أرجاء الإمبراطوريّة الرومانيّة، كلّ ذلك أتاح له فرصة الاطّلاع على الوثائق الرسميّة في مكاتب أسرة سكيبيوس ومنها النصّ الحقيقيّ للمعاهدات بين روما وقرطاجة، وكذلك الاطّلاع على مكتبة مجلس الشيوخ الرومانيّ المعروف باسم (السيناتوس)، إذ كانت مكتبته تضمّ أغنى أرشيف للوثائق الرسميّة في العالم في ذلك الوقت. وفضلاً عن رحلاته السابقة في وطنه إلى أرجاء المدن الإغريقيّة، ذهب إلى مصر زمن الأسرة البطلميّة (١٨١-١٨٠ ق.م)، وبعدما استقر في روما، سافر كثيراً إلى أرجاء إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وسواحل الأطلسي البرتغاليّة والأفريقيّة وشمال أفريقيا ثم مصر وآسيا الصغرى وسوريا. ونحن لا نعرف مؤرّخاً آخر في التاريخ القديم هيّئت له كلّ هذه الأسباب كما هيّئت لبوليبيوس، لذلك لم يكن غريباً أنّه استطاع أن يهب نفسه كليّة لهذه المهمة، وانتهى إلى وضع كتاب (التاريخ العالمي) الذي يتكوّن من أربعين جزءاً، يتناول فيه تاريخ روما وحوض البحر المتوسطّ خلال مدّة ٢٢٠-١٤٥ ق.م، وصلتنا منها الكتب الخمسة الأولى كاملة، وفصول مطوّلة من سائر الكتب من مؤرّخين لاحقين اقتطفها ليفيوس، وديودوروس، وأيانوس، وبلوتارخوس.

### • مؤلفات بوليبيوس:

أهم مؤلفات بوليبيوس -كما ذكرنا- هو (التاريخ العالمي) خلال مدّة ٢٢٠-١٤٥ ق.م.. ويبدأ هذا الكتاب بنظرة عاجلة على الحرب البونيّة الأولى، ويتبع ذلك بوصف الأوضاع في كلّ من روما وقرطاجة وشرق البحر المتوسط ما بين ٢٢٠-٢١٦ ق.م ثمّ يسرد الأحداث في مختلف مسارحها، فيتناول الحرب البونيّة الثانية، فالحرب السوريّة، فالحرب المقدونيّة الثالثة، ثمّ نجاح روما في إتمام فتح إسبانيا وقهر قرطاجة وبسط السيطرة الرومانيّة على بلاد الإغريق، من دون أن يفوته في خلال ذلك تحليل الدستور الرومانيّ، والإعراب عن إعجابه بما فيه من توازن بين مؤسّساته الدستوريّة كان كفل لروما الاستقرار وبناء قوتها. ويبدو أن بوليبيوس كان يهدف إلى إقناع الإغريق بأنّ سيطرة روما عليهم كانت أمراً لا مفرّ منه، لأنّه كان النتيجة المنطقيّة القدريّة لقوّة روما، واضطراب أحوال الإغريق<sup>[١]</sup>.

وقد رأينا أن نكتفي بهذا القدر من الحديث بالتفصيل عن مناهج وأفكار أربعة فقط من المؤرّخين الإغريق، في ما بين القرنين الخامس والثاني ق.م. والسبب في ذلك أنّ هؤلاء، وخصوصاً: هيرودوت، وتوكوديدس، وبوليبيوس، يمثلون ذروة ما بلغه (علم التاريخ) في العصور القديمة كلّها. ولا تقتصر أهمّيّتهم مثل غيرهم على كونهم مصدراً مهماً وأساسياً لمعلوماتنا التاريخيّة عن الفترات والعصور التي أرخوا لها، ولكن لأن كتاباتهم أكثر من غيرهم ما زالت تمثّل قيمة باقية في مفهوم علم التاريخ، ومتمعة فعليّة للمؤرخ والقارئ الحديث معاً.

### ٢. الخطباء

هناك مصدرٌ أدبيٌّ آخر بدأ يتوافر لدينا عن التاريخ الإغريقيّ منذ أواخر القرن الخامس ق.م، وهو خطب الخطباء الإغريق، وهم كثر، كانوا يتحدثون فيها أمام المجالس الشعبيّة وأمام الهيئات السياسيّة والقضائيّة وغيرها في القضايا السياسيّة والاجتماعيّة والقوميّة التي كانت في المجتمع الإغريقيّ آنذاك. ومنها نعرف الشيء الكثير عن العلاقات بين أفراد المجتمع وطبقاته، وعن المسائل التي كان يدور حولها الخلاف والجدال بين

[١]- المرجع نفسه، ص ٣٧، ثمّ عاصم أحمد حسين، ص ٣٦-٣٧.

هؤلاء الأفراد وهذه الطبقات، وعن انعكاس ذلك كله على ذاك المجتمع.  
أبرز وأهم هؤلاء الخطباء اثنان، هما حسب الترتيب الزمني:

#### – إيسوقراط (ISOCRATES ٤٣٦-٣٣٨ ق.م)

الذي افتتح في عام ٣٩١ ق.م، أعظم مدارس البلاغة نجاحاً في أثينا، لأنه كان يقصد من الفصاحة التهذيب الفكري والأخلاقي، وكان هدفه من خلال ذلك هو فن الخطابة، لأنَّ الجدل هو الذي كان وقتئذٍ يحكم الدولة الأثينية.

ومن أبرز خطب إيسوقراط خطبته الأولى المعروفة باسم الجمعية العامة (البانيجركس) (PANEGRICUS)<sup>[١]</sup>. التي كان يدعو من خلالها الإغريق إلى نبذ التفرقة والانقسام، وإلى الاندماج في دولة واحدة. وكانت أكثر هذه الخطب يوجَّهها إلى صديقه فيليب الثاني ملك مقدونية يدعوه فيها إلى استخدام كلِّ سلطانه لأجل وحدة بلاد الإغريق، والثأر من الفرس البرابرة<sup>[٢]</sup>، وتحرير المدن الأيونية في آسيا الصغرى من الحكم الفارسي، والسيطرة عليهم بحقِّ سموِّ الحضارة الإغريقية على ما عداها. وظلَّ يلقي الخطاب تلو الآخر حتى وفاته عام ٣٣٨ ق.م بعدما بلغ ثمانية وتسعين عاماً.

- ديموسثينيس (DEMOSTHENES ٣٨٤-٣٢٢ ق.م) الذي يُعدُّ أحد أكبر خطباء الإغريق ومن أشدهم بلاغة، عمل في مجال السياسة، وكان على العكس من سلفه إيسوقراط مناهضاً لمقدونية إذ كتب خلال (٣٥١-٣٤٠ ق.م) مجموعة خطب أشار فيها إلى الخطر الذي يمثله المقدونيون على الديمقراطية في بلاد الإغريق، بعد تسلُّم فيليب الحكم فيها وعمله على تقوية مملكته. وهو كرَّس منذ ذلك الوقت كتاباته في هذا المجال، وخلف لنا منها عدداً باسم (الفلسينيات)، وتوقَّف عن ذلك أثناء فترة الهدنة بعد

[١]- سمَّيت كذلك لأنها كانت موجَّهة إلى (البانيجركس) أو الجمعية العامة في الدورة الأولمبية المائة.

[٢]- لفظة (برابرة أو أعاجم) لم تكن تتضمن بالضرورة معنى الاحتقار، فكثير من الإغريق كانوا معجبين بقوانين الفرس، وبحكمة المصريين، والإغريق لم ينسوا الدِّين الماديَّ والفكريَّ والفنيَّ الذي كان عليهم لشعوب الشرق. ومع ذلك كانوا يعتبرون هذه الشعوب (برابرة) أي أجانب، ليس لمجرد أنها لم تتكلَّم الإغريقية، بل لأن ذلك حقيقة تدلُّ على اختلاف أبعد من ذلك، تدلُّ على أنَّهم لم يكونوا يفكِّرون كالإغريق، أي أنَّ كلَّ موقفهم تجاه الحياة كان يبدو مختلفاً، والإغريقيُّ مهما كان إعجابه أو حسده للبربريِّ كبيراً بسبب أو بآخر، لم يكن يملك إلا أن يدرك هذا الاختلاف.

وحول ذلك، أنظر: كيتو، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسرى، مراجعة محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٢، ص ٢.

موقعة (خايرونية) في عام ٣٣٨ ق.م، التي سيطر فيها فيليب على كل بلاد الإغريق<sup>[١]</sup>.

وكان ديموسيثينيس من حيث المنهج الخطابي أقدر على الكتابة منه على الكلام، لأنه كان ضعيف الجسم، وفي بعض الأحيان كان يُعدُّ دفاعاً لكلا الطرفين المتنازعين. وأصبح بعد جهود مضنية دامت سنين عدّة، يعرف دقائق هذا الفنّ، ويقنع المستمعين بخطبهن حتى بات أغنى المحامين في أثينا لأنه كان يتقاضى أجوراً عالية من الأفراد نظير تقديم بعض القوانين للجمعية والدفاع عنها.

على أننا في اعتمادنا على هذه الخطب السياسيّة وغيرها، ونحن في صدد التأريخ للمجتمع الإغريقيّ، يجب أن نكون حذرين كلّ الحذر، فالخطيب السياسيّ لا يتحرّى الدقّة الكاملة في ما يقول دائماً، لأنه غالباً ما يكون مدافعاً عن قضية أو مهاجماً لقضية مضادة. ومن هنا يبحث عن كلّ ما يدعم قضيّته، ولا يذكر الجوانب السيّئة والقاتمة المحيطة بها، في حين نجده يذكر كلّ التفاصيل التي تسيء إلى قضية خصمه وتضعف موقفه، ونحن نحسن صنعا إذا أقبلنا على قراءة هذه الخطب، وفي ذهننا أننا نرى فيها جانباً واحداً من الحقيقة، أو على الأقل نوعاً من المبالغة التي قد تتخذ شكل التهويل أو شكل التهوين في عرض الحقائق<sup>[٢]</sup>. دون أن نتجاهل احتمال أن يكون الخطيب ينطلق في دفاعه أو خصومته من مصالح شخصية يسعى لتحقيقها عبر التقرب من هذا الحاكم أو ذاك.

### ٣. الفلاسفة

تُعتبر الفلسفة السياسيّة الإغريقيّة مصدراً أصيلاً لدراسة نظام الحكم لدى الإغريق، وهي على قدر عظيم من الأهميّة في التراث الفكريّ الذي خلفوه. ومن المعلوم أن هذه الفلسفة وُلدت في أوائل القرن السادس ق.م في أيونية بآسيا الصغرى على يد (تاليس)، وكانت للفلسفة وقتئذٍ صلة بالعلم.

يبدو أن الفلسفة السياسيّة الإغريقيّة بدأت بأفلاطون الذي تناولها بصورة مباشرة في (الجمهورية) التي كتبها في صدر شبابه، في محاوره (القوانين) التي كتبها في شيخوخته، ثم

[١]- خليل سارة، ص ١٢١.

[٢]- لطفي عبد الوهاب يحيى، ص ٦٣.

محاورة (السياسي) التي ترجع إلى فترة ما بين الجمهوريّة والقوانين، وفي هذه المحاولات الثلاث يبرز نظام (دولة المدينة الحرّة).

أما أرسطو (ARISTOTEL ٣٨٤-٣٢٢ ق.م)، وهو صاحب المصنّفات المتعدّدة في شتّى فروع المعرفة، فإنّ فكره السياسيّ يتجلّى في كتابه (السياسة)، والذي يشتمل على ثمانين مقالات تبحث في مختلف النظم السياسيّة الإغريقيّة. وكذلك درس النّظم الدستوريّة لعدد من المدن تريد على المثّة والخمسين، لكن لسوء الحظّ ضاعت كلّ بحوثه عن الدساتير الإغريقيّة، ولم يصلنا منها إلّا بحث واحد هو (نظام الأثينيين) الذي عُثِر عليه في بردية مطوّلة في مصر عام ١٨٩٠م، ولعلّ هذا البحث هو أهمّ بحوثه عن هذه الدساتير. وتُعرف مدرسة أرسطو الفلسفيّة باسم (مدرسة المشائين). وفي عام ٣٠٠ ق.م تقريباً أنشأ (زينون) المدرسة الفلسفيّة التي عُرفت باسم (مدرسة الرواقيين)<sup>[١]</sup>.

#### ٤. الأدب الإغريقيّ

إذا كان المؤرّخون والخطباء يُعدّون من المصادر الكتابيّة المباشرة، فإنّ الأدب الإغريقيّ يُعدّ من المصادر الأدبيّة الكتابيّة غير المباشرة. وهذا النوع من المصادر يضمّ كلّ إنتاج الأدباء من أغان ومسرحيّات وأشعار، وبكلّ ما تتضمّن هذه من أفكار وحقائق وخيالات وأوهام وخرافات وأساطير، وبما تصوّره من مشاعر وعواطف وانفعالات وأحاسيس، وبما يُظهر فيها من لوحات حيّة للقوّة والبطولة والتضحية والنبيل والسيطرة والعنف والخنوع والجبن والنذالة، ومن صور السعادة والبؤس والأمل والرجاء. كلّ ذلك يمثّل جوانب أساسيّة صادقة التصوير والتعبير في حياة المجتمع الإغريقيّ.

ويأتي في مقدّمة الأدب الإغريقيّ الأدب الملحميّ أو ما يسمّى (بالشعر الحماسيّ)، والملحمة رواية أسطوريّة أو شبه أسطوريّة مكتوبة بالشعر. وأولى وأهمّ الملاحم الإغريقيّة

[١]- المدرسة المشائيّة Peripateic school هي مدرسة فلسفيّة في اليونان القديمة، أسّسها أرسطو، وحمل لواءها عدد من الفلاسفة تلاميذه وأنصاره وشرّاحه. والمشائيّة كلمة أصلها يوناني مشتقة من الفعل Peripatos وتعني يطوف. وذلك إشارة إلى المشي الظليل أو الرواق الذي كان أرسطو يلقي محاضراته فيه، أو إلى طريقته في التدريس وهو يطوف بالرواق في مدرسة اللوقيين Lycum التي أسّسها في أثينا عام ٣٣٤ ق.م، واستمرّ وجودها نحو ألف عام حتى ٥٢٩م حين أمر الإمبراطور جستنيان بإغلاقها وحظر تدريس الفلسفة. وحول خطباء الإغريق، أنظر: لطفي عبد الوهاب يحيى، ص ٦٣.

ملحمتا (الإلياذة والأوديسة) المنسوبتان إلى شاعر اعتقد الإغريق أن اسمه (هوميروس)، وثاني هذه الآداب (الشعر التعليمي)، وعلى رأسه شاعر إغريقي اسمه (هسيودوس) كتب ملحمتين في هذا الشعر الأولى: (الأعمال والأيام)، والثانية (أنساب الآلهة). ولأهمية هذه الملاحم في دراسة المجتمع الإغريقي، ستعرض لكل ملحمة بإيجاز، وسنقتصر على ما يفيد المؤرخ منها لدراسة جميع الجوانب المتعلقة بهذا المجتمع.

### أ. الشعر الحماسي (EPICAL POETRY)

يُعتبر هوميروس (HOMEROS) من أبرز رموز هذا الشعر، وكُتب لاسمه الخلود ونال شهرة عالميّة، وهناك شكوك وآراء كثيرة حول ولادته والعصر الذي عاش فيه، ويحيط باسمه ونسبه كثير من الغموض. وبكل الأحوال -حسب آراء أغلبية المؤرخين- يُعتقد أنه عاش في القرن التاسع أو الثامن ق.م.

وتنسب إلى هوميروس: ملحمتا (الإلياذة والأوديسة)، وتدور أولاهما (الإلياذة) حول مهاجمة القوات الإغريقيّة المحاربة لمنطقة طروادة (على الساحل الشمالي الغربيّ لآسيا الصغرى)، وتدور الثانية (الأوديسة) حول المغامرات والأهوال التي واجهها أحد أبطال الإغريق في هذه الحرب، هو الملك أوديسيوس (ODYSSEUS) في طريق عودته من طروادة، بعدما أسقطها وأحرقها، إلى مقرّ ملكه إثاكة (ITHAKA) على الساحل الغربيّ لبلاد.

ولكن، وسط كلّ الغموض الذي يحيط بناظم هاتين الملحمتين وبالعصر الذي عاش فيه، نجد أنفسنا أمام حقيقة ثابتة، وهي: أن تغني الإغريق بهذا الشعر وتخليدهم إيّاه، إنّما يدلّ على أن هذا الشعر كان شعبيّاً ومحبوباً، بل لقد بلغ من حبهم له أن مجّدوا هوميروس، رغم كلّ الغموض الذي أحاط بشخصيته، وتوارثوا هذا التمجيد جيلاً بعد جيل، كما يظهر ذلك من مظاهر عديدة، من بينها ادّعاء عدد كبير من المدن الإغريقيّة سواء تلك التي في بلاد الإغريق الأصليّة، أم التي أنشأوها في مهاجرهم على شواطئ البحر المتوسط، نسبة هوميروس إليها، حتى عدّت هذه الأشعار (كالكتاب المقدّس) على حدّ قول كثير من المؤرخين، لأنّها شكّلت الرابطة القوميّة الثقافيّة التي تجمع بين الإغريق، أينما كانوا وأينما

حلّوا، وتوحّد كلمتهم وصفوفهم، ودليلنا على ذلك أنّ أشعار هاتين الملحمتين كانت تشكّل الدروس الأولى التي يجب أن يتعلّمها ويتدرّب عليها النشء، وقد كان هذا الأمر سارياً في كلّ العصور التي نعرف من خلالها شيئاً عن المجتمع الإغريقي<sup>[1]</sup>.

وعليّنا هنا أن نتساءل عن مدى الصدق الذي وُصفت به أشعار هوميروس في ما إذا كانت تمثّل حقائق تاريخيّة يُعتمد عليها في التأريخ للمجتمع الإغريقيّ، فمن خلال الملحمتين نرى أنّ الشاعر يغرق في الخيال لدرجة لا يمكن أن تتلاءم مع الحقائق المعقولة. فلذلك، من الواضح أنّ صفة «الصدق» لا يمكن في هذا الوضع أن نعني بها صدق الحوادث التي أوردّها، وإنّما ينطبق الصدق الذي نعنيه على الاتجاه السائد من دون التفاصيل الفرديّة التي تخصّ مناسبات بعينها، أو وقائع محدّدة أو أفراداً بالذات. ولعلّنا نزيد فكرتنا وضوحاً إذا اقترحنا في ما يخصّ هذه النقطة أن نقسّم ما ذكره هوميروس إلى أقسام أربعة نستطيع على هديها أن نؤرّخ للمجتمع الإغريقيّ. وبإمكاننا أن نستفيد من هذه الأشعار لدراسة جميع الجوانب المتعلقة بهذا المجتمع، كوصف القيم الوطنيّة التي يتّصف بها من خلال ما كان يتحدث به هوميروس عن البطولة، والقوّة، والتضحية، وعن الخنوع والذلّ والجبن. ووصف الحياة اليوميّة للإغريق سواء أكان ذلك في البيت، أم في المرحى، أم في السوق، أم في ميدان القتال، ووصف الحياة الاجتماعيّة للإغريق ونظرتهم إلى القيم مثل مركز المرأة في المجتمع، ونظرتهم إلى الدين والآلهة، وموقفهم من القانون وما كان يسودهم من تنظيم سياسيّ واقتصاديّ، ومن تعايش طبقيّ واجتماعيّ، ووصف القيم المثاليّة، وما يتعلّق بأمالهم وأمانهم وبأفكارهم عن المجتمع المثاليّ الذي يتمنّونه<sup>[2]</sup>.

### ب. الشعر التعليميّ (DIDACTICAL POETRY)

يرمي هذا الفن إلى تعليم الناس الشؤون الدينيّة والدينيّة، وإلى تزويدهم بمختلف الحقائق المتعلّقة بالفرد والمجتمع والطبيعة وما وراءها. فهو يعرّض للأخلاق والعقائد والعبادات والتاريخ والعلوم والصناعات، ويعالج هذه البحوث لتعزيز ما ينبغي أن يعرفه الناس بصدها. ومن هنا يظهر الفرق بين الشعر الحماسيّ والشعر التعليميّ.

[1] - Finley: the Word of Odysseus (polican ed) pp 5 – 24.

[2] - عاصم أحمد حسين، ص ٦٧.



- فالأول بلاغة أكثر منه شيء آخر.

- والثاني حقائق وتاريخ أكثر منه شيء آخر.

مجمل القول أن الشعر التعليمي يرمي إلى التعليم، أكثر مما يرمي إلى بلاغة القول وسحر البيان. وهو يعرض لثلاث مسائل أساسية هي:

- مسائل الأخلاق.

- مسائل الفنون الزراعية والصناعية.

- مسائل التاريخ السماوي والأرضي.

وكان من أبرز شعراء الشعر التعليمي هسيودوس (HESIODOS)، وله قصائد عدة في أهمها قصيدتان أولاهما (الأعمال والأيام ERGA KAI HEMERA)، وهي تمثل القسمين الأولين من هذا الفن (مسائل الأخلاق، ومسائل الفنون)، وثانيتهما (أنساب الآلهة THEOGONIA) التي تمثل القسم الثالث (مسائل التاريخ السماوي والأرضي)<sup>[١]</sup>.

وكما اختلف مؤرخو الأدب في عصر هوميروس، اختلفوا في عصر هسيودوس، ولكن أقرب الآراء إلى المعقول يشير إلى أن هسيودوس عاش بعد عصر هوميروس بقرن أو بأقل، أي خلال النصف الأول من القرن الثامن ق.م.

«إن العدالة العذراء، هي ابنة زيوس (كبير الآلهة) الذي تمجده وتحترمه الآلهة جميعاً، وإن زيوس لن يشن الحرب القاسية على من يسير في طريق العدالة، ولكن من يمارسون التجبر لن يفلتوا من عقابه... إن هؤلاء سيصيبهم الجوع والوباء، ويهلك رجالهم، وتُعقم نساؤهم، وتقلص أعداد بيوتهم، وسيحطم الآلهة زيوس جيشهم الكبير، وجدران مدينتهم، وسفنهم في البحر»<sup>[٢]</sup>.

أما قصيدة (أنساب الآلهة) التي تمثل القسم الثالث الأخير من الشعر التعليمي، فهي محاولة هدف منها إلى ترتيب الآلهة الأقدمين في سلسلة مترابطة منسجمة. وتناول هذه

[١]- علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت، ص ٨٦ - ٨٧.

[٢]- الأعمال والأيام، ٢٣٨ - ٢٤٧.

المنظومة الآلهة فتوضح لنا تاريخهم، وتبين نشأتهم، وأنسابهم، وأصولهم، وشعبهم، وتترجم لكلّ منهم، فتفصل وظائفه وأعماله، وتاريخ حياته، فهي من أقدم المصادر عن العقائد الدينيّة وتطوّرها عند الإغريق<sup>[١]</sup>.

### ت. المسرح التراجيديّ (TRAGEDIA)

تُعَدُّ المسرحيّة التراجيديّة في الواقع البداية الحقيقيّة للفنّ المسرحيّ الإغريقيّ، لأنّها كانت تحقق الشفافيّة عند الأفراد، وهو ما عُرف عند أرسطو بعملية التطهير (CHATHARIS)، لأنها تطهّر نفسيّة البشر من كلّ الانفعالات المكبوتة<sup>[٢]</sup>. وكانت في بداياتها الأولى بسيطة وملتزمة بأن يكون موضوعها ذا صلة بالآله ديونيسوس فحسب، والحوار لا يتعدّى ممثلاً واحداً يتقمّص كلّ الشخصيات التي يردّ ذكرها في المسرحيّة. والجوقة هي العنصر الرئيسيّ في المسرحيّة، وكان أفرادها جميعاً يلبسون جلد الماعز أثناء العرض. والجائزة التي تفوز بها أحسن مجموعات الإنشاد أو أحسن الممثلين، كانت عنزاً. من هنا، أصبح اسم المسرحيّة التي من هذا النوع (تراجيديّة) (TRAGEDIA)، (وهي كلمة إغريقيّة مركّبة من كلمتين (TRAGOS) بمعنى العنز، و(OIDIA) بمعنى أغنية، أو الأغنية العنزيّة).

ولكن، منذ أوائل القرن الخامس ق.م، شهدت المسرحيّة التراجيديّة تطوّراً في المضمون والشكل والأداء، فمن حيث المضمون لم يعد موضوعها يدور حول ما يتّصل بالآله ديونيسوس، وإنما أصبح يدور عموماً حول الصراع بين الآلهة والإنسان، أو بين القدر والإنسان، أو بين الخير والشرّ، أو حول موضوعات أخرى من هذا القبيل. ومن حيث الشكل تطوّر عدد الممثلين من ممثّل واحد وربما أربعة، وظهرت تحسينات أخرى تتّصل بالإخراج ومستلزمات المسرح عموماً<sup>[٣]</sup>.

وقد كان ذلك على يد عدد من الشعراء التراجيديين، وهم على التوالي حسب أقدميّتهم الزمنيّة ثلاثة:

[١]- علي عبد الواحد وافي، ص ٩٧.

[٢]- عاصم أحمد حسين، ص ٤٣.

[٣]- للمزيد من التفاصيل حول المسرح الإغريقيّ، أنظر: لطفي عبد الوهاب يحيى، ص ١٨٩ - ٢٢٤.

- إيسخيلوس AESCHYLUS 525-456 ق.م):
- سوفوكليس (SOPHOKLES 496-406 ق.م):
- يوروبيدس (EURIPIDES 485-406 ق.م):

ثالث الشعراء هو يوروبيدس الذي كان أبرز ما أسهم به في تطوّر المسرح التراجيديّ يتعلّق أساساً بمضمون المسرحيّات الذي اعتنى به عناية خاصة، وعالج، على عكس سلفيه إيسخيلوس وسوفوكليس، موضوعات جديدة في المجتمع الإغريقيّ تتّصف بالابتكار والتجدّد لا تزال تشغلنا حتى الآن مثل: إحساسه بمشكلات الجنس البشريّ، ونقصيّ القوانين الأخلاقيّة والبواعث التي تحدّد سلوك بني الإنسان، والدعوة إلى الإصلاح السياسيّ، والدعوة إلى السّلم ونبد الحروب، والدعوة إلى الإنصاف في الحقّ بين الأقوياء والضعفاء، والدعوة إلى محاربة الرقّ والرجعيّة الفكرية، وإلى نبذ الماضي والتعصّب الأعمى للقديم، وإلى نبذ العوائق التي تقف في وجه تحرير المرأة، ونبد الخرافة والتعصّب أو التزمّت في الدين، فكان ثائراً ومجدّداً وواقعياً. وبلغ حبّه للواقعيّة أن أظهر على المسرح نماذج من الحياة اليوميّة، كالشحاّذين، والسوقة، والبروليتاريا الأثينيّة<sup>[١]</sup>. لهذا السبب، كان يوروبيدس محلّ نقد وتقرّيع كتّاب الكوميديا لآرائه التقدميّة، لا سيّما زعيم المسرح الكوميديّ أرسطوفانيس. ويبدو أنّ الأثينيين لم يتقبّلوا آراءه الجديدة بصدر رحب، رغم أنّهم وضعوه في منزلة رفيعة بعد موته، ويقال إنّ ترك العاصمة عام ٤٠٨ ق.م بتأثير الهجوم الشديد عليه، وانتهى به المقام ببلاط ملك مقدونية، وأغلب الظنّ أنّه مات هناك.

ويذكر مؤرّخو العصور القديمة أنّ يوروبيدس قد كتب اثنتين وتسعين مسرحيّة، ولكن لم يبقَ منها إلّا تسع عشرة، والمعروف منها يقيناً في العصر الحاضر ثمان، وهي: (ألكستس، ميديّة، هيبوليت متوجّاً، الطرواديات، هيلانه، أورست، إيفجينيا في أوليس، الباخوسيات).

ومن أحبّ رواياته إلى قلوب متذوّقي الأدب الإغريقيّ رواية (إيفجينيا في أوليس) (IPHIGENEIA AULIS). وتروي كيف قدّم آجامنون الملك الإغريقيّ ابنته قرباناً للربة (أرتميس)، بعدما أرسل إليها، ليأتي بها، خادعاً إيها، بأنّها سوف ترفّ إلى أخيلّوس أحد أبطال الإغريق في حرب طروادة، ولكنه بدلاً من الذهاب بها إلى مكان الحفل، اقتيدت إلى

[١]- جلبرت موري، يوروبيدس وعصره، ترجمة عبد المعطي شعراوي، القاهرة ١٩٥٦، ص ٥٦.

مذبح المعبد، عندئذ أعلن الشاعر استنكاره على لسان الجوقة، التي ترتفع عقيرتها بالغناء الحزين، على قدر العذراء التي تذبج، لكي تدخل الرضا والسرور إلى قلب ربّه، وتقول لها الجوقة: إنّ دماءك سوف تخلّدك كقاهرة لطروادة.

وفي الختام، يمكن أن نقول: إنّ يورويديس في حربه الشعواء على الرجعية الفكرية، والتعصّب الأعمى للقديم، راح يبشّر بولادة عصر جديد.. وليس من العسير علينا أن نتصوّر في حياته رجلاً يكرهه الناس لأرائه السابقة للزمن، ولم ينل وهو حيّ سوى أربع جوائز أوليّة، ثم يصبح بعد موته أشهر روائي أثينيّ.

لقد كان يورويديس مفكراً عميقاً، مشككاً واقعياً، يميل إلى مواساة الذليل ونصرة المظلوم، واستطاع سبر أغوار الطبيعة الإنسانية. وهذا ما دعا كبار المفكرين الحديثين إلى التساؤل: (هل أنجبت أمم الأرض بعد يورويديس كاتباً مسرحياً مثله)، والجواب عن هذا السؤال هو أنّها لم تنجب أكثر من كاتب واحد والمقصود بذلك (شكسبير)<sup>[١]</sup>.

### ث. المسرح الكوميدي (COMEDY)

نشأ لفظ كوميديا (COMEDIE) من كلمتين يونانيتين هما (كوموس-أودي) (COMES\_ ODE) أي الأغنية الريفية، بما فيها من ضحك وصخب، ثم تطوّرت حتى أصبحت فناً رفيعاً يعرف كيف ينتزع الضحكات من الجمهور بعد تفهّم نفسيّته ومزاجه، وكانت الكوميديا سيدة هذا النوع من الأدب بلا منازع. وهي تتميز عن التراجيديا في أنها لم تتخذ موضوعاتها من الأساطير، أو قصص الأبطال، أو الصراع بين الآلهة والإنسان، أو بين القدر والإنسان، أو بين الخير والشرّ، أو حول موضوعات أخرى من هذا القبيل، بل تستمدّها من المفارقات التي كانت تنطوي عليها حياة المجتمع نفسه في جوانبه المختلفة، كنقد كلّ ما هو حديث من النظم والتقاليد والأوضاع واستهجانها وعرضه في صور هزليّة مضحكة، ومحاربة النظريات الفلسفية الحديثة التي أخذ السفسطائيون في ذلك العهد ينشرونها بين الناس، بل محاربة الدراسات الفلسفية جميعاً لاختلافها مع المناهج القديمة للتفكير الإغريقيّ، ومحاربة ما استُحدث من وسائل الترف والرفاهية عند ذوي اليسار من الناس، وجميع ما استُحدث من

[١]- المرجع السابق، ص ٥٧.

وسائل الإصلاح والتهديب والرقى في النواحي المادية من حياة الأفراد والجماعات، كانت تصوّر نماذج من الناس، وتظهر التناقض بين سلوكهم، مثل السيّد الحرّ الغبيّ، وعبد الذكيّ الخبيث، وتبيّن انحطاط الأخلاق العامّة<sup>[١]</sup>.

وأتجهت الكوميديا الإغريقيّة، ولا سيّما في المراحل التي نعمت فيها بحريّة واسعة، إلى نقد رجال الحكم والسخرية منهم، وتضمينها زلاتهم وأخطاءهم، واستهجان ما يسرون عليه من مناهج في إدارة شؤون البلاد. وبذلك كانت تتجاوب مع الروح السائدة في ذلك العهد عند جمهور الشعب في شؤون السياسة. ولما كان نظام الحكم حينئذٍ هو النظام الديمقراطيّ، كان نقد الكوميديا للمسؤولين عن تنفيذه ومبالغتها في استهجان ما يسرون عليه من مناهج، يجعلها تبدو بمظهر المستهجن للنظام الديمقراطيّ نفسه، والحقيقة أنّها ما كانت تهدف إلى مثل هذه الأغراض العميقة، وأنّ جلّ همّها كان يتّجه إلى السخرية والتسلية والإضحاك، وأنّ نقدها كان ينصبّ على أفراد الحكام لا على أصول الحكم ونظم السياسة. وقد كانت اللّغة السائدة في حوار ممثلي الكوميديا وغناء جوقتها اللّغة السهلة المتداولة، التي لا تعنى بالبلاغة والزخرف والعبارات الطنّانة، ولكنها تختير الجمل المؤثّرة وعبارات النقد اللاذع، وأشدّ الألفاظ إثارة للضحك والتسلية.

وما ساعد على وصول المسرح الكوميديّ إلى قمّته في هذه الفترة، أنّ أثينا كانت قد وصلت إلى ذروة تطوّرها الديمقراطيّ الذي أتاح الفرصة الكاملة للمواطن الأثينيّ لعرض مشكلاته بهدف إلقاء الضوء عليها بالصورة التي تروقه.

وبلغ المسرح الكوميديّ هذه القمّة على يد أريستوفانيس (ARISTOPHANES) (450 - 385 ق.م) الذي لمع اسمه شاعراً مسرحياً كوميدياً في هذه الفترة. وهو يُعتبر عملاق ذلك الفنّ، إذ تخصّص في التشهير والسخرية من السياسيين، وصقور الحرب، والمثقفين من ذوي اتّجاهات الفكر الحديث، من الفلاسفة أو الشعراء. ولقد وصفه أحد المؤرّخين الألمان بأنّه كان أوليجاركيّاً متطرّفاً قصير النظر، لأنّه كان مثل غيره من الديمقراطيين المحافظين غير توّاق لأيّ تجديد أو تحديث<sup>[2]</sup>.

[١]- علي عبد الواحد وافي، ص ٢٤٦.

[٢]- المرجع السابق، ص ٢٤٦.

وقد كتب أريستوفانيس ما يربو على أربعين مسرحية، وصلت إلينا منها إحدى عشر مسرحية في صورتها الكاملة وهي: (الأكارنانيين، الفرسان، الزناير، السلم، السحب، الطيور، ليسيستراتا، أعياد ديميتير، الضفادع، جمعية النساء، بلوتوس).

## ٥. علم الأساطير (MYTHOLOGY)

لا شك في أنَّ الأسطورة هي عمل إبداعيٍّ إنسانيٍّ محض، ولكن هذا الإبداع قد تمَّ بطريقة لا شعورية، أي لم يكن العقل الذي أبدع الأسطورة واعياً بالخيال الذي تخلقه. فلذلك يجب التعامل معها على أساس أنها مادة إنسانية لا تخضع لمناهج التقنين والتجريب كالقوانين العلمية، لأنها لا تقبل التصنيف أو التعميم أو التبسيط، ولا تبحث عن خصائص الأشياء التي تحاول وصف ظاهرة طبيعية. من هنا، يختلف الفكر العلمي عن الفكر الأسطوري، فالأول يقوم بوصف ظواهر الطبيعة والمسببات التي تكمن وراءها وصفاً موضوعياً بحثاً، يمكن إخضاعه لمناهج التقنين والتجريب، أما الثاني فيصف الطبيعة بأحاسيس الإنسان وتخيلاته وتصوراتهِ<sup>[١]</sup>.

فالأسطورة علم مبكر، ورغم ذلك، نالت قدراً كبيراً من اهتمام الباحثين والعلماء وأهمهم جميعاً (توماس بلفنش ١٧٩٦-١٨٦٧م) في كتابه (عصر الأساطير)، وفيه يعيد أصل الأسطورة إلى أربع نظريات أساسية:

١- نظرية الكتب المقدسة: تذهب إلى أنَّ جميع القصص الأسطورية مقتبسة من روايات الكتب المقدسة، وعرفتُها الشعوب على فترات طويلة.

٢- النظرية التاريخية: تذهب إلى أنَّ جميع الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الأساطير كانوا يوماً ما كائنات بشرية حقيقية، ملوكاً أو زعماء أو قادة عاشوا على الأرض، وقاموا بأعمال عظيمة، فنسج الخيال الشعبي قصصاً تمجدهم ورفعهم إلى مصاف الآلهة أو أنصاف الآلهة اعترافاً بفضلهم.

٣- النظرية المجازية: وتفترض أنَّ كلَّ أساطير الأقدمين مجازية ورمزية وُجدت لتعلم الناس بعض الحقائق الحياتية والأخلاقية، واحتوت على بعض الحقائق الأدبية أو الدينية أو

[١]- سعد عبد العزيز، الأسطورة والدراما، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٢، ص ٧-١١.

الفلسفة، أو على الواقع التاريخي بشكل مجازي، ولكن بمرور الزمن استوعبها الناس على أساس ظاهرها الحرفي.

٤- النظرية الطبيعية: وبمقتضاها كانت عناصر الطبيعة مثل الهواء والنار والماء محطَّ العبادة الرئيسة، وكانت الآلهة مشخَّصات من قوى الطبيعة. ويعتقد العلماء الطبيعيون بسهولة التحوُّل من فكرة تشخيص العناصر إلى فكرة تسليط الكائنات الخارقة على مختلف قوى الطبيعة وحكمها، ولعلَّ الإغريق من بين جميع أمم الأرض ذات التراث الأسطوريَّ بحكم خصب خيالهم، جعلوا الطبيعة بأكملها مأهولة بكائنات لا مرئية، وجعلوا لكلِّ عنصر من عناصر الطبيعة إلهاً معيَّناً، ومن هنا كان (زيوس) إلهاً للصواعق، (بوسيدون) إلهاً للبحر، (هيفايستوس) إلهاً للبراكين<sup>[١]</sup>.

وباختصار شديد، هذه هي أهمُّ النظريَّات المتعلقة بالأساطير القديمة، ولكن ما من شكٍّ في أنَّ جميع هذه النظريَّات تحتوي على نصيب من الحقيقة، ولكن ليس فيها ما يمثل الحقيقة برمتها. ولذلك، من الأصحَّ القول أنَّ أساطير أمَّة ما قد انبثقت من جميع هذه المصادر مجتمعة لا من مصدر واحد معيَّن، ولنا أن نضيف أيضاً أنَّ ثمة أساطير كثيرة برزت من رغبة الإنسان في تفسير بعض مظاهر الطبيعة التي لم يدرك كُنْهها، كما أنَّ عدداً غير قليل من الأساطير قد ظهر من رغبة مماثلة في تحليل أسماء بعض الأشخاص والأماكن<sup>[٢]</sup>.

وللأسطورة أهمية خاصَّة في دراسة أيِّ مجتمع، إذ إنَّها تفسِّر الكثير عن حقائق هذا المجتمع بكلِّ جوانبه الماديَّة والمعنويَّة والروحيَّة. فالأساطير الإغريقيَّة على سبيل المثال، تفسِّر لنا الكثير في هذا المجال في ما يخصُّ المجتمع. فلذلك نرى معظم الكتاب والمؤرِّخين والفنانين حديثاً وقديماً تأثَّروا بها. ولا نجد عملاً أدبيّاً أو فنياً يخلو من تأثيرها، وملحمتا هوميروس في (الإلياذة والأوديسة) أكبر دليل على ذلك، لما احتوتاه من صور عديدة وحقائق موضوعيَّة تخصُّ المجتمع الإغريقي<sup>[٣]</sup>.

[١]- حسين الشيخ، اليونان، القاهرة ١٩٩٧، ص ١٠١ - ١٢٤.

[٢]- صموئيل نوح كريم، أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة ١٩٧٤، ص ٧ وما بعدها.

[٣]- عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقيَّة، القاهرة ١٩٨٢، ص ١١ وما بعدها.

وباختصار، يمكن القول: إنَّ الأساطير الإغريقيَّة تلقي أضواء لافتة على ما كان عليه الإغريق، وتُعرفنا على الاتِّجاهات العامَّة الذي كان يعيشها هذا المجتمع في مختلف جوانبه. لذا، من أجل فهم التراث الإغريقيِّ أو دراسته أو تذوقه يجب الإلمام بالأساطير، وليس أدلَّ على أهمَّيتها في نظر القدماء من استعانة كثير من مؤرِّخي التاريخ الإغريقيِّ القديم أمثال (هيرودوت) وشعراء المسرح التراجيديين (أيسخيلوس) و(سوفوكليس) و(يوريبيدس) والكوميديين مثل (أريستوفانس) بكثير منها في كتاباتهم، بل البحث في مضمون أحداثها ودلالاتها.

وأخيراً، رغم أنَّ الأسطورة، في حدِّ ذاتها، صورة خياليَّة لكاتبها، إلَّا أنَّها تعكس كثيراً من صور الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة. وكانت تمثِّل جزءاً من التراث الشعبيِّ، لذا، من الممكن عدُّها مصدراً يُستعان به، إذا كان مطابقاً لأيِّ مصدر وثائقيٍّ أو أدبيٍّ.

### خاتمة

رغم استعراضنا لأفضل مصادر التاريخ الإغريقيِّ وأكثرها أهميَّة، وتشكُّل قيمة عالية من حيث غنى المعلومات الأثريَّة والأدبيَّة الواردة فيها، والتي تفسح لنا مجالاً واسعاً لدراسة كلِّ مكونات المجتمع الإغريقيِّ في جوانبه كافَّة، إلَّا أنَّ استعراضنا (غرض من غرض) كون هذه المصادر واسعة المساحة جداً من حيث مكوناتها العدديَّة والعلميَّة تملأ رفوف مكتبات كبيرة ومؤلَّفات كثيرة ولها جزئيَّاتها الدقيقة المختلفة في فنون المعرفة العلميَّة كافَّة، لا تسمح لنا صفحات هذا البحث المصغَّر باستعراض كامل لمصادر التاريخ الإغريقيِّ، وإنما اكتفينا بالجزء الهامِّ منها والتي تكوِّن القاعدة الرئيسيَّة لبناء أُسس راسخة لدراسة هذا المجتمع أي (زبدة هذه المصادر) كونها لها جزئيَّاتها وتممَّاتها العلميَّة في كلِّ فنون المعرفة. فالمجتمع الإغريقيُّ تكثر فيه الأخبار والوثائق والآثار المتعلِّقة به والتي تُعرفنا على أحوال هذا المجتمع في كلِّ عصوره التاريخيَّة، وما تعرَّض له خلال هذه العصور من انقلابات سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة، وتطوُّرات هائلة من أنظمة الحكم التي مرَّ بها والتي تُعتبر الأولى من نوعها في التاريخ. فلذلك اهتمَّ العلماء بدراسة هذا المجتمع، وتوسَّعوا فيها، وتوصَّلوا إلى توضيحه أكثر من أيِّ موضوع آخر، ووجدوا أنفسهم تجاه حضارة كبيرة، فاطَّلَعوا على مبادئ نشأتها،



وتتبعوا مراحل تطورها وازدهارها السريع، ثم تكشفت لهم عيوبها ونقاط الضعف فيها، ومظاهرها تفسخها وانهارها، ولهذا السبب تُعتبر دراسة تاريخ الإغريق من أكثر الموضوعات فائدة لفهم تطوّر الحياة البشريّة عامّة، وإدراك عوامل تقدّمها وتأخّرها.

فلذلك، على المؤرّخ أن يتّصف بصفات تؤهّله لهذه المهمّة الصعبة. وقد يبدو من العسير توافر هذه الميزات الشخصية كلّها في إنسان واحد. ومع ذلك، فلا بدّ من وجودها، أو السعي الدائم لإيجادها: فبالإضافة إلى الثقافة المتنوّعة، والشاملة، والعميقة، وبالإضافة إلى المعارف التقنيّة الضروريّة لبحث هذا القطاع أو ذاك من الماضي، بل وقبل اكتسابه لها، هناك الذكاء، والفطنة، ونفاذ البصيرة، والحسّ المرهف، والقدرة على التخيّل المبدع، وسلامة المحاكمة، وقوّة الذاكرة. وقد يكون من أولى فضائل المؤرّخ الفكريّة، تمتّعه بفكر نقديّ سليم. (فالتاريخ العلميّ) و(التاريخ النقديّ) مترادفان من أساسيّات عملهما أن يعرفا كيف يكشفان الخطأ، والكذب، والزيف من كلّ نوع، وكيف يملآن الثغرات ملءاً محكماً. وهذا الفكر النقديّ، لا يوجّه إلى المصادر والوقائع فحسب، وإنما إلى الذات أيضاً، أي عليه أن يعرف بموضوعيّة بحثه، ومن دون تحيزٍ أنانيّ، ما هي قدراته، وحدود ثقافته، وأن يتساءل باستمرار، هل طرح المشكلة الحقيقيّة؟ هل حصل على أفضل الوثائق؟ هل فهم ما فيها تماماً؟ هل كان منصفاً، وعادلاً، وصادقاً في نقدها؟.

## المصادر والمراجع

- ١- ابراهيم نصحي، توكوديدس، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، بيروت ١٩٧٠.
- ٢- جلبرت موري، يورويديس وعصره، ترجمة عبد المعطي شعراوي، القاهرة ١٩٥٦.
- ٣- حسين الشيخ، اليونان، القاهرة ١٩٩٧.
- ٤- خليل سارة، تاريخ الإغريق، منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٦.
- ٥- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق (تاريخهم وحضارتهم)، دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٨١.
- ٦- سعد عبد العزيز، الأسطورة والدراما، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٢.
- ٧- صموئيل نوح كريم، أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مراجعة ٨٨ - عبد المنعم أبو بكر، القاهرة ١٩٧٤.
- ٨- عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٩١.
- ٩- بيلوغرافية نقوش المصادر الوثائقية في: عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق،
- ١٠- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، بيروت ١٩٧٦، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٩١.
- ١١- عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، القاهرة ١٩٨٢،
- ١٢- علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت.

١٣- كيتو، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسرى، مراجعة محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٢.

١٤- ليلي الصباغ، في منهجية البحث التاريخي، الطبعة الحادية عشرة، جامعة دمشق ٢٠٠٤-٢٠.

١٥- مصطفى العبادي، نشأة الفكر التاريخي وتطوره عند اليونان، مجلة عالم الفكر، مجلة علمية محكمة دورية، العدد ١، المجلد ٣١، يوليو-سبتمبر ٢٠٠٢، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠٢.

١٦- م هواتينج فرانك، المدخل إلى الفنون المسرحية، ترجمة مجموعة من الدارسين، القاهرة ١٩٧٠.

١٧- هيرودوت، التاريخ، ترجمة عبد الإله الملاح، إصدار دار الثقافة، أبو ظبي ٢٠٠١.

١٨- توكوديدس، تاريخ الحرب البلوبونيزية، ترجمة دينا الملاح-عمرو الملاح، أبو ظبي، المجمع الثقافي ٢٠٠٢.

١٩- كسنوفون، الاقتصاد، الترجمة الروسية، سوبولوفسكي س. ي في كتاب: كسنوفون الأثيني، مذكرات سقراطية، موسكو وليننغراد ١٩٣٥.

٢٠- أريستوفانس، كوميديات في مجلدين اثنين، الترجمة الروسية، بتروفسكي ف. آ، وبارخوف ن، موسكو ١٩٥٤.

17- Arvanitopolos A. s: Epigraphy, Athenae- vol 1 1973, vol 2 1939.

18- Aly Zaki, Egypt, S Contribution. Towards the promotion of papyrological Studies. pros. Ix Intern. Conger. Pap, (oslo 1958).

19- G. S, kiri, J. E: raven the presocratic philosophers. Cambridge, 1966 (oslo 1958).

## الحياة الاقتصادية والنقدية عند الإغريق

(الزراعة والملكية، الصناعة، التجارة والتبادلات التجارية، المقاييس والأوزان)

خالد نواف كيوان<sup>[١]</sup>

### مقدمة

يدرس هذا البحث الحياة الاقتصادية عند الإغريق ومستعمراتهم من القرن الثامن حتى الخامس ق.م، باحثاً في كلٍّ أوجه النشاطات الزراعية وملكية الأراضي، والصناعية والحرف والمهن، والتجارة الداخلية والخارجية، والمكايل والأوزان والمقاييس. كما يحدّد تطوّرهم الحضاريّ من خلال مقدرتهم على التعايش مع بيئتهم، وتأمين كلّ مستلزمات المواطنين. فصعوبة موقعهم الجغرافيّ لم تحل بينهم وبين مقدرتهم التنظيميّة التي جعلت حضارتهم أكثر الحضارات ضبطاً وانفتاحاً على العالم عبر البحر الأبيض المتوسط. ولم تحطّ من قدرهم المآخذ المسجّلة عليهم بأنهم نهلوا من جميع الحضارات المجاورة لهم، وتعلّموها سريعاً، وعدّلوا عليها، ثمّ أصبحوا أسياداً لها من خلال مؤلّفيهم وكتّابهم الذين نسبوا إليهم هذه المظاهر الحضاريّة عبر أساطيرهم وقصصهم.

ومن جهة أخرى، يرى كُثْرٌ من باحثي علم الاقتصاد أنّ النقد وتركيب معدنه وتطوّره التاريخيّ، هو شاهدٌ على التطوّر الاقتصاديّ نفسه، فإذا كان النقد المستخدم من الذهب أو الفضة مثلاً، فهذا دليل على توافر هذين المعدنين لدى الدولة صاحبة النقد، ومن ثم هو شاهدٌ على ثرائها. أمّا إذا كانت النقود من معدن البرونز، أو من معادن أخرى أقل جودة وثنناً مثل الحديد، فذلك يدلُّ على ضعفها الاقتصاديّ والسياسيّ، أو يشير إلى رغبة الإمبراطور في تنمية منطقة ما وتنشيط الحركة الاقتصادية والتجاريّة فيها، وعلى سبيل المثال، قيام الملك السلوقيّ أنطيوخوس الرابع أبيفانوس (المتجلّي) (١٧٥-١٦٤ ق.م)، والملك السلوقيّ ألكسندر زابينا في منتصف القرن

[١]- مدير جامعة دمشق، فرع السويداء، سوريا.

الثاني ق.م، بمنح امتياز إصدار مسكوكات من البرونز لمنطقة «السيروستيكا» التي تقع شمال وشمال شرق مدينة حلب، وتضم: (منبج/ هيرابوليس، حلب/ بيرويا، سيرهوس/ النبي هوري). كما أن استخدام نقد دولة ما في أنحاء متفرقة من العالم لهو دليل على مدى انتشار نفوذها الاقتصادي والسياسي، وعلى سبيل المثال، نقود مدينة أثينا الفضية التي عُثر على كنوز منها تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد في (تل دينيت) الذي يقع في ريف محافظة إدلب شمال سورية، وبعضها يؤرخ للقرن الثاني ق.م، كما عُثر على مثل لها على الحدود السورية - الأردنية. وهنا نلاحظ تمتع الاقتصاد الأثيني بالقوة في حركتي الاستيراد والتصدير البحري، ومرد ذلك إلى ما امتلكته أثينا من أسطول تجاري ضخم، ومن موانئ وقوة سياسية وعسكرية ساهمت في نشر ثقافتها وحضارتها، بالإضافة إلى انتشار حركة التداول النقدي الخاصة بها. ومثال آخر يدل على انتشار النقد وقوته الاقتصادية، تلك النقود المضروبة في مدينة أنطاكية المؤرخة من الفترتين الهلنستية والرومانية التي انتشرت بكثرة في كل أنحاء سورية، وتجاوزتها إلى المناطق المجاورة في الفترة الرومانية.

إذاً، يقدم لنا النقد معلومات مهمة عن المبادلات الاقتصادية في كل المراحل التاريخية، وذلك عبر وزن المعادن، بالإضافة إلى نسبة المعادن الثمينة الداخلة في تركيب النقد، والقوة السياسية والاقتصادية للدولة.

## المبحث الأول: الحياة الاقتصادية

### مصادر البحث

عُدَّت الإلياذة لمؤلفها الشاعر هوميروس من القرن التاسع ق.م، من أهم المصادر الأدبية الإغريقية، حيث تصوّر الأشعار الهوميرية مجتمع الإغريق بصورة أرستقراطية إقطاعية، وكذلك تصوّر الحالة السيئة التي عانتها بلاد اليونان من جرّاء المشاكل الاقتصادية بسبب ازدياد عدد السكان بشكل لا يتماشى مع موارد البلاد والأرض الزراعية التي لم تعد تكفي الأعداد الغفيرة من الناس، عدا عن أنهم كانوا يتبعون نظاماً فريداً في التوريث، وهو توريث الولد الأكبر وترك الأبناء الآخرين بلا ميراث، وذلك حفاظاً على مساحة الأرض المملوكة، مما ازداد عدد الذين لا يملكون الأرض، إلى جانب عجز الأرض عن إنتاج الغذاء الكافي،

وهذه كانت من الانتقادات السلبية المسجلة في تاريخ الإغريق بما يخص حقوق الملكية<sup>[١]</sup>. واستمر ذلك فترة طويلة إلى أن جاء صولون وأقر قانونه الجديد في التوريث.

وقد ترك لنا المؤرخ (توكيديدس) في أولى صفحات كتابه (تاريخ الحرب)، صورة عن الحياة الاقتصادية لليونانيين القدماء عندما كانوا في قراهم المتناثرة عقب الفوضى التي أحدثتها الهجرات الكبرى، فيقول: (من الواضح أنه لم يكن للدولة ما يسمى الآن «هلاس»، أي سكان مستقرين في العصور القديمة، بل بالعكس، كانت الهجرة كثيرة الحدوث، إذ إن القبائل المتعددة كانت تتخلى عن موطنها تحت ضغط تفوق المهاجرين في العدد. ولما كانوا بلا تجارة أو مواصلات مأمونة، سواء في البحر أم في البر، ولا يزرعون من أرضهم أكثر مما يمسك رمقهم، لأنه يعوزهم رأس المال، لم يزرعوا أراضيهم فاكهة قط لأنهم لا يدرون متى يهاجمهم غاز، فيستولي عليها كلها، وإن هو جاء فليس عندهم أسوار تصد هجومهم، فلم يفكروا في تغيير مساكنهم إلا قليلاً، وعلى ذلك لم يبنوا مدناً كبيرة، ولم يبلغوا أي نوع آخر من العظمة)<sup>[٢]</sup>. نستنتج من ذلك أن الإغريق لم يكونوا منظمين في مدن محمية ومسورة، لها نظامها ودستورها، بل كانوا عبارة عن عشائر وقبائل متنقلة ترعى الماعز والغنم، وتقتات على الصيد.

أما الزراعة فإن أهم مصدر عنها كتاب جيوبونيكا (Geoponica)، وهو في عشرين جزءاً، صنف في عام (٨٠٠) ق.م، وشاركت في تأليفه مجموعة مؤلفين يونانيين عاشوا في عصور مختلفة، ويتناول أبواب الحياة الزراعية المختلفة. وفي ما يخص الملكية وانتقال الأراضي وتوزيعها تعتبر أهم المصادر تشريعات المشرع (صولون) من مطلع القرن السادس ق.م وهو حاكم أثينا وإقليمها أتيكا. ولا ننسى عظماء الفلاسفة الإغريق الذين حثوا على الزراعة أمثال: (توكيديدس)، و(أفلاطون)، و(أرسطو)، وهنا يظهر الفكر الفلسفي والأخلاقي ودوره في المجتمع، وحثه على تنظيم العمل والأمن الغذائي.

### أولاً: المؤثرات الحضارية

تغنى الإغريق في أناشيدهم وأشعارهم بمهارة المصريين والفينيقيين فعزوا إلى (ككربس) المصري تعليمهم زراعة الكروم والحنطة والزيتون، واستخراج الزيت، وأسس قلعة أثينا

[١]- أحمد علي الناصري، ١٩٧٦: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ط٢، القاهرة، ص/ ٦٢

[٢]- ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: الحياة العامة اليونانية، ترجمة عبد المحسن خشاب وآخرين، ط٢، سلسلة ميراث للترجمة، ص/ ٢٧١.

وما حولها<sup>[١]</sup>. لكن من الملاحظ أنَّ إعجاب الإغريق بالفينيقيين كان يختلط بالحقْد أحياناً، وبالتنافس والصراع والحرب أحياناً أخرى، لكنهم أفادوا منهم إفادات عظيمة أبرزها أنَّهم أخذوا عنهم الأبجدية، ونسبوا إليهم أيضاً اختراع الصباغ الأرجواني، واكتشاف الزجاج، ونظرية الذرة، وتأسيس المدن والمعابد الضخمة، ولكن ذلك غير صحيح فالمصادر الأثرية والتنقيبات تثبت عدم صحة ذلك، وكلُّ الدلائل تشير إلى أنَّ الإغريق استعاروا كلَّ هذه المظاهر الحضارية، وعندما تعلَّموها وأتقنوها نسبوها إليهم. من هنا نلاحظ أنَّ الإغريق لم يكونوا سوى آخذين إيجابيين للحضارات من خلال قول المؤرِّخ الروماني (بلينيوس) صاحب كتاب (التاريخ الطبيعي) المتوفى في سنة (٧٩م): (نزل بعض التجار ذات مرة إلى الشاطئ ليعُدُّوا طعاماً لهم، فلمَّا لم يجدوا أحجاراً ليهيئوا موقداً استخدموا بعض الكتل من كربونات الصوديوم التي كانت معهم، فلمَّا اختلطت برمال الشاطئ بتأثير الحرارة الشديدة الناجمة عن النار، تحوَّلت إلى مادة رائعة، وعندما بردت تشكَّلت الزجاج)<sup>[٢]</sup>.

كما ذكر (استرابون) أنَّ الساحل الشهير الذي يحتوي على رمال صالحة تماماً للزجاج هو ساحل المنطقة الممتدة ما بين عكا وصور، هذا عدا عن استقرار الإغريق في مصر عندما لجأ عدد كبير منهم إلى مصبِّ نهر النيل الغربيِّ عند كانوب (أبو قير) في مصر في حوالي العام (٧٢٥ ق.م، وهم من تجار ميلتوس)، ودفعهم ذلك إلى الهجرة من موطنهم الأصليِّ ضعف الموارد الغذائية وانعدام الأمن، وهذا يؤكِّد ما ذهب إليه الشاعر الإغريقيُّ (هوميروس) في الإلياذة، وما ذكره (توكديدس) عنهم بأنَّهم كانوا رعاة في القرن الثامن ق.م، كما أنَّ اختيارهم للاستقرار في هذه المنطقة بمصر كان أولاً بدافع التخلص من حركة النشاط الاقتصاديِّ الفينيقيِّ، وثانياً لسهولة وصولهم إلى بحر إيجه ثم بلاد الإغريق. كما نلاحظ ازدياد أهمية هذه المنطقة في مصر نتيجة ازدياد عدد الإغريق المهاجرين إليها لا سيَّما تجار ميلتوس) الذين تمكَّنوا من تأسيس مدينة (نوكراتيس)، والتي عُرفت باسم (قلعة أهل ميلتوس)، وكان ذلك في العام (٦٥٠ ق.م)<sup>[٣]</sup>.

[١]- محمد فهمي، ١٩٩٩: دراسات في تاريخ اليونان، طبعة جديدة، مطبعة الغد، مصر، ص/ ١٥.

[٢]- حصّة الهدال، المؤثرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية، مجلة دراسات، مجلد ٤٣، ملحق ٣، ٢٠١٦.

[٣]- أبو بكر، فادية محمد، ١٩٩٨: دراسات في العصر الهلنستي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص/ ٧-٨.

من خلال ما سبق، نلاحظ فضل الشرق على الغرب وما قدّمه له من منجزات حضارية عمل الآخرون على تطويرها ونسبها إليهم.

### ثانياً: الزراعة وملكية الأراضي

ذكر كلٌّ من أفلاطون وأرسطو في القوانين والسياسة أهمّ أسُس المستعمرة النموذجية وهي: مقادير وافرة من الماء، أرض صالحة لزراعة القمح والزيتون والعنب وأخشاب السفن، وميناء صالح، ومكان للمدينة لا يقرب البحر كثيراً، ووطنيون مستأنسون يسهل انقيادهم، ويرغبون رغبة صادقة في زراعة الأراضي. ويؤخذ على الإغريق في بداياتهم أنّهم لم يعرفوا الدورة الزراعية لذا فإنّ نصف أراضي القمح كانت جدباء. ويتّضح من خلال كتابات الكتّاب الإغريق أنّهم جميعهم حثوا المواطن على الزراعة، حيث يمدح (زينوفون) حياة الفلاح ويقول عنه: (ما من عمل غيره يملأ مخازن الأسرة)، ويقول أفلاطون: (إنّ الزراعة فنٌّ طبيعيٌّ أكثر من فنّ السياسة ذاته لأنّها تتعاون مع الطبيعة).

كانت الأراضي في المدن اليونانية في أيدي ملاّكين صغار يفلحونها بأيديهم، على العكس من اليد العاملة في (إسبرطة) و(تساليا) القائمة على الرقّ والعبيد، فالأغلبية من تلك البلاد، مثل أثينا منذ عهد صولون، زرعت أراضيها بيد مالكيها الأحرار، فكانوا يعملون بالأرض مع ذويهم، ويقسّمون أملاكهم عند موتهم بين أبنائهم. ويبدو أنّ الفلاح في إقليم أتيكا على الأقل كان يستمتع بحقوقه السياسية ذلك أنّ المواطنين وحدهم من يحقّ لهم أن يمتلكوا الأرض، ثم انتهى هذا ليحلّ نظام الملكية الفردية. غير أنّ صولون قام بتقسيم تركة الأراضي على الأولاد أنصبةً متساوية<sup>(١)</sup>.

### ١. المحاصيل الزراعية

أهم الأنشطة الاقتصادية التي سادت بلاد الإغريق الزراعة والرعي، حيث شكّلت كروم العنب وبساتين الزيتون والحبوب أهمّ الحاصلات الزراعية، وبما أنّ الأرض الصالحة للزراعة لم تكن تزيد عن خمس مساحة البلاد، فقد ظهرت أنشطة اقتصادية

[١]- محمد فهمي، ١٩٩٩: دراسات في تاريخ اليونان، طبعة جديدة، مطبعة الغد، مصر، ص/ ٤٨.



أخرى أهمها قطع الأشجار والمتاجرة بأخشابها، وصيد الحيوانات والأسماك<sup>[١]</sup>.

### أ- القمح

إنَّ عدم كفاية الأرض الأثينية لإنتاج القمح دفعت صولون في القرن السادس ق.م، إلى منعه وتحريم تصدير الحبوب بأنواعها، وقصره على الزيوت والخزف. كما يصف (هيرودوت) العلاقات بين أثينا وإمارات جنوب روسيا لحصول أثينا على القمح، وهذه العلاقات قوبلت بزيارة بريكلس. كما كانت تحصل على القمح من مصر. ويصف (توكيديدس) طريقة وصول القمح إلى ميناء بيريه، وكيف يخزَّن ثلثاه في أهراء ثم يوزَّع في السوق، وثلثه الثالث كان التجَّار أحراراً في تصديره<sup>[٢]</sup>. هذا، وقد قضت الضرورة بأنَّ تؤمِّن كلُّ مدينة بنفسها مؤنَّها من الحبوب، وبازدياد عدد السكان في القرن الخامس ق.م ازداد محصول القمح، وأشارت التقديرات إلى أنَّ ثلث القمح المستهلك في أثينا في عصر بريكلس هو من إنتاج إقليم أتيكا نفسه.

### ب - الزيتون

اهتم اليونانيون بزراعة شجرة الزيتون المقدَّسة التي قدَّمتها الربَّة أثينا هديَّة لأهلها، وقد استخدموا الزيتون وزيته في الطعام، كما استخدموه بديلاً عن الصابون، وأيضاً كوقود للإنارة، ولما كانت الشجرة تستغرق ما يقرب عشرين عاماً حتى تُؤتي ثمارها، لذلك كان تدمير مزرعة زيتون يُعدُّ خسارة فادحة، وهو ما حدث لأثينا أثناء الحروب البيلوبونيسية<sup>[٣]</sup>.

### ج - النبيذ

النبيذ، بعد القمح والزيتون، له دور هامُّ في حياة اليونانيين من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتجارية، فهم كانوا يستخرجونه من العنب، ويشربونه دائماً مخلوطاً بالماء.

### د - التين:

هي الشجرة التي حُرِّم تصديرها أو تصدير ثمارها لأنَّ ثمرها أهم مصادر القوَّة والنشاط لأهل أثينا.

[١]- الشاروني، صبحي، ١٩٩٦: فنون الحضارات الكبرى، ج٢، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ص/ ١١.

[٢]- ألفرد زيمون، ٢٠٠٩: الحياة العامَّة اليونانية، ترجمة عبد المحسن خشاب وآخرين، ص/ ٤٣٥.

[٣]- الشيخ، حسن، (ب. ت): دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، الإسكندرية، مصر، ص/ ١١.

## ٢- ملكية الأراضي

يتمثل النظام الملكيُّ بشخص الملك، فهو صاحب جميع السلطات التنفيذية والقضائية والدينية والعسكرية، وكانت السلطة التشريعية مقسمة بينه وبين القبائل والعشائر، ويبدو أنه كان رمزاً لفترة معينة من التاريخ الاقتصادي لبلاد اليونان، فطبيعة تكوينها الجغرافي، من جبال وسهول وسواحل، جعلت قبائل الجبال في حاجة مستمرة لمحاصيل قبائل السهول، بينما قبائل السواحل مثلت المنفذ الوحيد لهم إلى البحر. وهكذا وجدت الحاجة المتبادلة بين سكان اليونان لتحقيق الهدف الاقتصادي. وقد استمر دور الملك طوال الفترة التي احتاجته فيها بلاد الإغريق، حتى أصبح الجو مهياً لحكم جديد هو النظام الأرستقراطي.

في هذا السياق، عُثر على نصٍّ مصدره تراقيا التابعة لأثينا، يروي لنا تقسيم ملكية الأرض: (ينتخب عشرة من مقسّمي الأرض واحداً لكل قبيلة، وهؤلاء يقومون بتوزيع الأرض)، وهناك نصٌّ من جزيرة (كوزولا في دلماخيا) يفصل الأمر تفصيلاً، فيقول: (يُعطى لكل فرد ممّن سكنوا الأرض أولاً وحصّنوا المدينة، قطعة أرض لبناء منزل داخل الدائرة المحصّنة مع جزء من الأرض تتبع المنزل، أمّا في الأرض خارج المدينة، فيجب أن يكون لكل رجل ثلاثة أرباع الفدان كنصيب أول له، فضلاً عن نصيبه من الأرض التي ما زالت تحت التقسيم)<sup>(١)</sup>.

وفي ما يخصّ الحقوق المدنية للمواطنين في الامتلاك، فكان يحقّ للإغريقيّ امتلاك الأراضي وبيعها، والتقاضي أمام المحاكم، وامتلاك قطعة من الأرض يتصرّف بها بحرية من دون قيد أو شرط. وقد تطوّر نظام الملكية منذ زمن الآخائيين إلى القرن الرابع ق.م فكانت الأرض مشاعاً للقبيلة جميعها يشرف على إدارتها والتصرّف بها زعيم القبيلة تصرّفاً مطلقاً باستثناء بيعها أو نقل ملكيتها إلى قبيلة أخرى، ثم وزعت الأراضي على أفراد القبيلة، وبدأت عملية الملكية الفردية بالظهور، وأدّى هذا بالتالي إلى تفكك الملكيات الكبيرة إلى ملكيات صغيرة بعامل الوراثة، وكان من حقّ ربّ كل أسرة مسجّلة كمواطنة في أيّ مدينة يونانية، امتلاك الأرض التي تقيم عليها<sup>(٢)</sup>. وقد أصدر (صولون) قانوناً يقضي بتحريم استعباد الأشخاص الذين يعجزون دفع ديونهم، كما أصدر قانوناً يقضي بتوسيع التوريث للأراضي

[١]- ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: الحياة العامة اليونانية، ص/ ٣٠٢.

[٢]- عكاشة، علي، والناطور شحادة، ١٩٩٠: اليونان والرومان، دار الأمل، مصر، ص/ ١٠٦.

ليصل إلى الأولاد غير الشرعيين، وبذلك ضمن توزيع الأراضي الزراعية على أكبر عدد ممكن من المواطنين، وتطور الزراعة بذلك تطوراً كبيراً.

### ٣- استئجار الأراضي

لم يكن استئجار الأراضي معروفاً عند الإغريق، وهي من المآخذ السلبية ضدهم، حيث لم يتم العثور على نصوص دقيقة تخص ذلك سوى عدد قليل من العقود بين الأفراد. ولو افترضنا أن اليوناني كان مستأجراً للأرض فلن يكون مستأجراً إلا لهيئة عامة، فهو إما يزرع للدولة، أو لإله، أو لبعض الجماعات والاتحادات. ومن الشواهد على ذلك عقد يتضمن بنود استئجار قطعة أرض للرعي من ممتلكات مدينة (بواثيا) في جزيرة (خيوس)، جاء فيه:

١- على المستأجر أن يدفع في العاشر من شهر «باخيون» (٣٠) دراخما، وإذا لم يدفع عليه أن يترك الأرض.

٢- على المستأجر أن يحضر النقود إلى بواثيا.

٣- على المستأجر أن يسلم المنزل مسقوفاً وفي حالة جيدة.

٤- على المستأجر ألا يقطع الأشجار.

### ٤- الرعي والصيد

رغم أن أرسطو يعدّ الزراعة على النحو المتبع في اليونان الحياة الطبيعية لكل البشر، غير أنه يصف الرعاة بقوله: (إنّ الرعاة يخبثون رزقهم من الحيوانات الأليفة من دون تعب، وبما أنه كان على قطعانهم التجوّل من مكان إلى آخر بحثاً عن المرعى، فقد كانوا مضطرين إلى تتبّعها وكأنهم يوالون مزرعة متقلّة). مع الإشارة هنا إلى أن الرعاة اليونانيين كانوا من العبيد ومن المواطنين<sup>[١]</sup>.

هذا، وقد مارس بعض شعوب الإغريق الصيد فرادى أو جماعات، وكانت طرائدهم المفضّلة الخزائير البرية والغنم والماعز الجبلي، كما اعتمدوا على السلب والنهب وسرقة محاصيل جيرانهم. وساد ذلك قبل ظهور القوانين والتشريعات حيث كان أغلب الشعب

[١]- ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: الحياة العامة اليونانية، ص/ ٢٧٦.

اليوناني مسلّحاً، وسلاحه مصدر فزع دائم للمدينة غير المحصّنة، كما كان هناك لصوص يأتون المدن من جهة البحر<sup>[١]</sup>.

### ثالثاً: الصناعة

ورد لدى صولون (٥٩٢ ق.م) ذكر لصنّاع المعادن والنسّاجين والشعراء والمنجّمين والأطباء، وهناك أيضاً ممّن لم يرد ذكرهم مثل: صانعو الفخّار، والأواني الملوّنة، وقاطعو الحجر، وصائغو المجوهرات، والأعمال المعدنية الأخرى.

ومن الأمور السلبية في القرنين الثامن والسابع ق.م أنّه لم يكن لدى الصنّاع الإغريق نقابات واضحة، بل استطاعوا أن يشعروا بأنّهم زملاء، وبما أنّهم زملاء يستطيعون التعاون على الإبقاء على الحياة المستقرّة، فكلّ فنّ أو مهنة اتّحادها، وهو ليس اتّحاد موظفين بل رجال فهموا بعضهم البعض، وجمعهم المجهود اليومي<sup>[٢]</sup>.

لقد اشتهر الأثينيون بأعمال البناء وقطع الحجر والأخشاب، وتوكّد ذلك رسالة من (أرجوس) (لأثينا) يطلب إرسال عمّال الخشب والحجر. وفي وثيقة أخرى، حدّد الأجر اليومي للمهندس والعامل في هذا المجال، فيذكر (فرانكوت) في الجزء الثاني من كتابه: (إنّ الأجر العادي لجميع طبقات العمّال في الأرخبيلوم من المهندس إلى العامل اليومي، ومن الحرّ إلى العبد، هو دراخما واحدة في اليوم)<sup>[٣]</sup>.

كما يتحدّث بلوتارخوس عن العمل في مباني الأكروبوليس فيقول: (تمّ اختيار عدد من الصنّاع المطلوب اختصاصهم والموادّ المختلفة مثل الحجر والنّحاس والعاج والذهب والأبنوس وخشب السّرو، ثمّ النجّارين والبنّائين والنحّاسين والنقّاشين والخرّاطين وغيرهم، ثمّ ينتقل إلى عمّال النقل، فيقول: إنّ نقلها بحراً استدعى تجّاراً وبحّارة وربّابة، أمّا برّاً فقد تطلّب نقلها صانعي العجلات، وسائقي عربات الثيران والخيول، وصانعي الحبال والجلود، وعمّال الطّرق، وسبّاكي الحديد). هذا عدا عن أجور نقل الحجارة من مقلع (إيلويسيس)،

[١]- المصدر نفسه، ص / ٢٨٢.

[٢]- ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: الحياة العامة اليونانية، ص / ٤٨٦.

[٣]- المصدر نفسه، ص / ٣٢٢.

ومدى تكلفتها من النقل على عربات تجرُّها الثيران، والتكلفة هي (٤) دراخمت ونصف أوبول يومياً، ويستغرق نقلها ٣ أيام)، كما ورد في وثيقة من القرن الرابع ق.م.

### ١. الحِرَف والمِهَن الإغريقيَّة

عمل الإغريق بِمِهَن وحِرَف عديدة، فبرعوا بها، وأنتجوا منها الكثير في ورش ومصانع، وكان أهمُّها صناعة الفخَّار الملونَّ والمجوهرات والتماثيل والأشغال المعدنية، وصناعة السفن والمنسوجات... إلخ.

#### أ - المجوهرات

تُعَدُّ المجوهرات الإغريقيَّة جزءاً من أعمال النَّحت مثلها مثل الأحجار الكريمة المنحوتة والعملات، حيث يتَّضح حبُّ الإغريق للزخارف. وقد كانت موادُّها الذهب القابل للسحب والطَّرق، ومصادره من ضفاف الأنهار في آسيا الصغرى وروسيا وتراقيا. واستعمل الإغريق لصنعها بمهارة طرقاً عديدة منها التصوير والصبُّ والطَّرق والقطع والتحبيب والتخريم والتجديل والترصيع والتزيين بطريقة النَّقش، وقد تعلَّموها كالعادة من المصريين ومن بلاد الرافدين ولم تكن وليدةً منه.

وكان الإلكتروليم خليط الذهب والفضَّة هو المعدن السائد والشائع في صناعة المجوهرات والعملة، كذلك كان البرونز والرصاص والحديد تدخل في صناعة الخواتم والأساور، إضافةً إلى ذلك، عُثِر في المقابر على مجوهرات من الزجاج والطين (تيراكوتا).

في القرن السابع ق.م ازدهرت صناعة المجوهرات في اليونان والجزر؛ حيث عُثِر في رودوس وأماكن أخرى على لوحات مزخرفة بالذهب والفضَّة، وكانت الأشكال المصنَّعة ألواحاً ذهبيَّة ووروداً مثل ورود (ميلتوس). وهناك الأقراط الهلاليَّة والقلادات التي تنتهي بما يشبه القفل والحلق والأزهار، كما هناك مجوهرات رائعة الصياغة من القرن السادس ق.م. وعُثِر على أوان من الفخَّار فيها عقود وأساور وأقراط ذات شكل لولبي، وتيجان ذهبيَّة، وأساور ثقيلة ذهبيَّة تنتهي برؤوس حيوانات، فضلاً عن دبابيس شعر وجدت في كنز نفيس اكتشف في «دلفي»، أمَّا الأكاليل والتيجان التي كانت تقدم كهدايا فقد وُجدت في المقابر والمعابد، كما استُعملت في المواكب. وهناك عقود تتكوَّن من شريط مضفَّر بدقَّة أو من

وصلات على شكل رقم (٨)، أو خرز في نهايته مشابك مزخرفة، وغالباً ما زُيّنت العقود بقلائد على هيئة رؤوس أو رسومات أخرى<sup>[١]</sup>.

#### ب - الأحجار الكريمة

تعلّم الإغريقون فنّ النقش على الأحجار الكريمة من الشرق ومن الحضارات القديمة كالحضارة الموكينية والمينوية، وهي تعكس الروعة والدقّة في التصوير حيث استخدموها بشكل أساسي كشواهد تعريف وأختام لعبت دوراً هاماً في العالم القديم، واستُعملت من قبل الطبقات العليا للتعريف بممتلكاتهم، وتشابهت مواضعها مع تلك التي نُقشت على عملاتهم. وهناك رواية توضح إعجاب (هيرودوت) بحجر كريم متقن الصُّنع، فيخبرنا: (أنّ أمازيس ملك مصر نصح الطاغية بوليكراتيس في عام (٥٢٢ ق.م) بأنّ يتخلّى عن أثمن ممتلكاته كي يوقف حسد الآلهة لحظة السَّعد، فكانت النتيجة أنّ اختار من بين كنوزه العديدة ختمه المغطّى بالذهب والمصنوع من حجر الزمرد الذي صنعه له ثيودوروس ابن تيليكلّيس من ساموس وبعدما رمى الخاتم في البحر عاد إلى بيته حزيناً على خسارته)<sup>[٢]</sup>.

تذكر النصوص غالباً عن قوائم خزائن المعابد من القرنين الخامس والرابع ق.م، في (البارثينون) و(الهيكاتوبيدون)، أنّ الأحجار الكريمة كانت تقدّمات من الأشخاص المتعبّدين، وقد نقش عليها الإغريق التكبير بواسطة تركيز الأشعة أو بواسطة كُرّات من الزجاج أو الكريستال، بحسب بلينيوس الكبير المتوفى سنة (٧٩ م).

إنّ حرفة النقش على الأحجار الكريمة الإغريقية تعود إلى نهاية القرن الثامن والقرن السابع ق.م، ويلاحظ في هذه الفترة التأثير الشرقي الفينيقي لا سيّما على الأحجار التي عثر عليها في مقابر القرطاجيين في جزيرة سردينيا، وتؤرّخ ما بين القرنين (٦-٤ ق.م). ولعلّ أكثرها شيوعاً في الصياغة والنقش هي أحجار الكوارتز الملونة والزجاج والعقيق الأبيض وحجر الشب، وهناك أحجار من القرنين الخامس والرابع ق.م عرفت باسم الأحجار الإغريقية الفارسيّة، ويُحتمل أنّها من صنع فنانين إغريق لحساب زبائن من الفرس حيث تصوّر نبلاء الفرس أثناء الصيد، أو يصارعون الإغريق، وكانت بشكلها الرئيسيّ مستطيلة الشكل ومسطّحة.

[١]- جزيلاً ريختر، ١٩٧٤: جذور الفن الإغريقي، مطبعة فايدون، ص/ ٣٤٣.

[٢]- المصدر نفسه، ص/ ٣١٥.

### ج - الأعمال الزخرفية المعدنية

استعمل المعدن في الأزمنة القديمة لأغراض عدّة، وكانت الأدوات المنتجة من المعادن تُزخرف بأشكال محفورة من مثلثات ونقوش. أمّا الإغريق فاستخدموا في أعمالهم الزخرفية البرونز والفضة والذهب، وقد ذكر (بلينيوس) أسماء صائغين مشهورين من القرن الخامس ق.م، ويقال: إنّ النحاتين (فيدياس) و(بوليكليتوس) كانا بارعين في هذا الفن، كما كان (مينتور) صائغ فضة مشهوراً. ويرد باستمرار ذكر الأدوات الفضية والبرونزية لدى جرد المعابد الإغريقية. ومن الأعمال الزخرفية المعدنية الملابس الحريرية التي تتألف من الخوذ والدروع العلوية والملابس والدروع السفلية، وأجزاء من عدّة الحرب للخيول أو الإنسان، وقواعد حمل ثلاثية الأرجل، وأدوات منزلية، مثل: المزهريات والمرايا، وأدوات المطبخ، وصناديق، وأثاث، كما استخدم التطعيم بالمواد الثمينة كالأحجار الملوّنة، والزجاج، والعاج، وأفضل أمثلة على ذلك ما عُثِر عليه في مغارة (آيديه Idean) في كريت من دروع تعود إلى القرن السابع ق.م.

### د - صناعة التماثيل

أكّدت المصادر الأدبية التي تناولت موضوع الفن الإغريقيّ على الأعمال المشهورة التي برع فيها النحاتون ومن هؤلاء بلينيوس القديم (٢٣ - ٧٩م) الذي تضمّن كتابه (التاريخ الطبيعي) وصفاً لنحاتين الإغريق وملوّني الفخار. وقد تعدّدت مواضيع النحت الإغريقيّ بين دينية مكرّسة لتماثيل الآلهة، وأخرى تصوّر أبطالهم، ومنها مواضيع من الحياة اليومية كالمسابقات، وقاتل المحاربين، وسيدات بصحبة أطفالهنّ، ومواضيع جنائزية مثل شواهد القبور. وكانت مادّة النحت الحجر والبرونز، ويتمّ استخدام موادّ أخرى ثمينة مثل الزجاج الملوّن والعاج والمعادن والأحجار الكريمة لتطعيم الأعين أو تنزيلها. كما كان البرونز مادّة مفضّلة في صنع التماثيل التي كانت مصقّحة، وهذا يعني أنّها مصنوعة من صفائح برونزية مطروقة تثبت فوق قالب من الخشب. أمّا طريقة الصبّ فجاءت بعدها. كما عُثِر على أعداد كبيرة من التماثيل والألواح المصنوعة من الطين المشويّ في قبرص وإريتريا وصقلية. وقد ظهر التأثير الشرقيّ في أعمال النحت الإغريقية المبكرة مثل التأثير المصري والرافديّ

المتجلى في وقفات التماثيل وتماثيل الكوروس (الشاب الرياضي)<sup>[١]</sup>.

## هـ- صناعة الفخار

عرف الإغريق صناعة الفخار منذ العصر الحجري، وكانت الأواني الفخارية تصنع يدوياً حتى العام (١٨٠٠ ق.م)، بينما عرفوا من المينويين والموكينييين الفخار المصنوع بالدولاب، وفي القرنين العاشر والتاسع ق.م تطورت الرسومات لتصور النبات والحيوان لا سيما الحيوانات البحرية، ثم اتجهت نحو الرسوم الهندسية من دوائر ومربعات وخطوط متعرجة والصليب المعقوف. وفي القرنين التاسع والثامن ق.م تطور الطراز الهندسي، وامتاز بوفرة الزخارف وإدخال رسم الأشكال الحيوانية والإنسانية، واستعمل فيها اللون البني فوق الطين الفاتح، كما استخدم اللون الداكن لتغطية المساحات غير المزخرفة<sup>[٢]</sup>.

اختلفت أشكال الأواني تبعاً لاختلاف المناطق التي اكتشفت فيها مثل: (أتیکا وكورنثة وأرجوس وكريت وقبرص وساموس ورودوس... إلخ)، وكانت الأشكال الرئيسية هي الكراتير لخلط النبيذ بالماء، والأمفورة لتخزين الزيوت والنبيذ والهيدريا والأباريق والفناجين. وفي أواخر القرن الثامن ق.م (٧٢٠ ق.م)، تطورت صناعة الفخار لتعمم عالم البحر الأبيض المتوسط حيث تأسست المستعمرات في الشرق والغرب وتحسنت الاتصالات الداخلية، وأقيمت العلاقات مع الحضارات المجاورة في الشرق الأدنى القديم، وظهر ذلك واضحاً في التأثير برسوم زهرة اللوتس وسعف النخيل والحيوانات الشرقية المخيفة مثل السفينكس والنمور والأسود.

شكلت أثينا وكورنثة أهم مراكز صناعة الأواني الفخارية وإنتاجها بين العامين (٧٢٠ - ٦٥٠ ق.م)، وكانت رسومها في هذه الفترة هندسية، ومن أشكالها الأمفورات التي يبلغ ارتفاعها ما يزيد عن متر، وهناك أمفورات مزينة بأشكال حيوانات كالغزلان والخيول التي ترعى، ورسم على سطح الإناء البطل هراقل والقنطور. وقد وصلت صناعة الفخار الكورنثي إلى الشرق في القرن السابع وأوائل القرن السادس وأصبحت من المراكز الرئيسية للتجارة الفينيقيين.

[١]- جزيل ريختر، ١٩٧٤: جذور الفن الإغريقي، مطبعة فايدون، ص / ٧٥.

[٢]- جزيل ريختر، ١٩٧٤: جذور الفن الإغريقي، مطبعة فايدون، ص / ٣٨٧.



وفي القرنين السابع وأوائل السادس اكتشفت أيضاً أوان في مواقع عديدة من ساموس وروودوس وكريت وخيوس وباروس وميلوس... إلخ، ويُعتبر الفخار الرودسي أحسن الأنواع المعروفة في شرق اليونان والجزر، وكانت المواضيع المرسومة عليه مأخوذة من الطبيعة، ومن أشهر تلك الأواني المعروفة بالبلاستيك والمصنوعة على شكل رؤوس محاربين يعتمرون خوذة، وسيّدات، وحيوانات متوحّشة، وهي من رسوم شرق اليونان.

وظهرت على الأواني الفخاريّة في أثينا رسوم ثنائيّة اللون بين منتصف القرن السادس ق.م والعام (٣٠٠ ق.م)، وانتشرت في إقليم أتيكا لتمتدّ إلى الشرق والغرب، وهو طراز من الفخار الأسود والأحمر يحتوي على نسب عالية من الحديد، وعند الحرق يصبح لونه أحمر ورديّاً. وهناك الفخار الأسود بالكامل والفخار الذي يغطّى بطبقة بيضاء كأرضيّة للزخرفة السوداء. وكانت المواضيع في هذه الفترة متعدّدة ومستمدّة من أساطير الإغريق وقصص أبطالهم، ومن مشاهد الحياة اليومية. وقد غزت هذه الأنواع من الأواني أسواق العالم بكامله نظراً لدقّة المواضيع المصوّرة عليها وأشكالها.

## ٢. المنسوجات

تعلّم اليونانيون من الفينيقيين استعمال الأواني المصنوعة من ذهب وفضّة، واستعمال الأنسجة والعطور، حيث يذكر هوميروس في الإلياذة: (كانت الثياب الفاخرة المصنوعة بإتقان من عمل النساء الصيدونيّات، تلك الثياب التي أحضرها إليهم البطل ألكسندروس من صيدون)<sup>(١)</sup>.

كانت صناعة النسيج عند الإغريق منزليّة وتقتصر على النسوة اللواتي يصلحن ثياب الأسرة، ومنهن من يدرن عجلة الغزل، ويعملن على الأنوال والتطريز. أما المنسوجات الخاصّة فكانت تُشتري من المصانع أو تُستورد من خارج البلاد، كالأقمشة من مصر، والأصواف المصبوغة من كورنثة وسراقطة، والجلود من قرطاج، حيث كانت تتمّ دباغتها في مدايح كبيرة يمتلكها شخص يُدعى (كليون) وهو منافس بركليس. وتمكّن الإغريق في جزيرة خيوس من غزل خيط الحرير في أواخر القرن الرابع ق.م من خلال حلّ شرانق دودة

[١]- الطائي، ابتهاج، ٢٠١٤: تاريخ الإغريق منذ بزوغه وحتى عصر الإسكندر المقدوني، دار الفكر، عمان، ص/ ٢٤-٢٧

القرز. وتم الكشف عن وكالات فينيقية للأقمشة المصبوغة بالأرجوان في العالم اليوناني، وذكر (هوميرس) في الإلياذة أن أندروماخوس زوجة أوديسيوس كانت تنسج على النول داخل قصرها العالي معطفاً أرجواني اللون، وتثر عليه رسوماً مختلفة<sup>[١]</sup>.

### ٣. مناجم الفضة

أدرك الأثينيون أهمية مناجم الفضة والرصاص الواقعة في أقصى شبه جزيرتهم، وقد شكّل مصدراً مهماً من مصادر ثروتهم. ونتيجة صعوبة استخراجها، وتوفيراً لليد العاملة، اعتمدوا على العبيد، وقد أشار إلى ذلك (استرابون) واصفاً بعض المناجم إلى جوار (سينوب) بقوله: (كان يدير العمل في هذه المناجم المحرومون المحكوم عليهم). كما يخبرنا (هيرودوت) بما يخصّ العبيد في القرن السادس ق.م: (فقد سمعنا كثيراً الطلب الكبير على عبيد المناجم، وأما عن الأسعار فقد كانت الفدية العادية للعبد ٢٠٠ دراخما)<sup>[٢]</sup>. كما يمكن شراء عبيد المناجم بمبلغ (١٥٨) دراخما لكلّ عبد.

وقد اكتشف الأثينيون في عام (٤٨٣ ق.م) منجماً جديداً للمعدن الخام في (مارونيا)، فاندفع الناس ممن كانوا يملكون مالاّ وعبيداً صالحين للعمل نحو المناجم، وحصلوا على تصريح من الدولة نظير أجر يدفعونه. وقد ساهمت هذه المعادن من الفضة والرصاص في جمع النقود وبالتالي استغلالها في تطوير الأسطول البحري الأثيني حتى بلغ مائتي مركب، وهو الأسطول الذي أنقذ أثينا في معركة سالاميس البحرية. وبعد الحرب، قُدرت أعداد العبيد الذين عملوا في المناجم ما بين (١٠٠٠٠ - ٢٠٠٠٠) عبد في إقليم أتيكا. ويُقسم عمل المناجم عادةً إلى قسمين: الأول تحت الأرض، حيث يقوم العبد بحفر آبار وسرايب لاستخراج المعدن الخام، والثاني فوق الأرض ومهمته حمل ونقل المعدن الخام لسحقه وطحنه. والعمل تحت الأرض كان موكولاً إلى العبيد الذين أصبحوا في ما بعد أحراراً لما جمعوه من ثروة<sup>[٣]</sup>. ويقدر عددهم في أتيكا من الذين عملوا بالمناجم وغيرها، في عام (٤٣١ ق.م)، (٩٠٠٠) عبد، مقسمين على الشكل التالي:

[١]- حصّة الهدال، المؤثرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية، مجلة دراسات، مجلد ٤٣، ملحق ٣، ٢٠١٦.

[٢]- ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: الحياة العامة اليونانية، ص/ ٤٨٦.

[٣]- ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: الحياة العامة اليونانية، ترجمة عبد المحسن خشاب وآخرين، ص/ ٤٨٧.

عبيد المناجم (٢٠٠٠٠) - عبيد آخرون (٧٠٠٠٠)، وهم مقسّمون إلى: شبان (٣٥٠٠٠)، شبابات (٢٥٠٠٠)، أطفال (١٠٠٠٠).

#### ٤. بناء السفن

تعلّم اليونانيون من الفينيقيين صناعة السفن الفخمة، وقد ذكر (ديودوروس) أنّ أهل مدينة صور كانوا بحّارة مهرة بنوا آلات الحرب، ولكي يصدّوا قذائف المنجنيق ابتكروا المروحة ذات الأذرع العديدة والحركة الدائريّة لتبطل مفعول القذائف والسهام. وقد اكتسب الإغريق من الفينيقيين هذه الفنون سواء في صناعة السفن أم في الآلات الحربية<sup>[١]</sup>. من هنا، فقد برعوا في صناعة السفن الشراعية ذات المجاذيف فهيمت على البحر المتوسط، كما سيطر الأثينيون على غيرهم من الإغريق، ففي حين كانت معظم الدول آنذاك تعتمد على سلاح الفرسان أو المشاة من العبيد في قوّتها العسكرية، كانت أثينا تحشد آلاف المواطنين من الطبقات الأدنى للتجديف في الأسطول. ولقد تحمّل (تيميستوكليس) العقل الموجّه لهذه السياسة البحريّة، انتقادات شنتها عليه منافسوه المحافظون الذين قالوا: (إنّه قد سلب الأثينيين دروعهم وحرابهم وخطّ من قدرهم إلى وسادة المجذاف).

إنّ الإشارة إلى المجاذيف واضحة تماماً، إذ كانت كلّ سفينة أثينيّة حربيّة ذات الصفوف الثلاثة من المجاذيف تتطلب سبعين مجذافاً لتحركها، وقد اكتُشف نقشٌ حجريٌّ في أكروبوليس يبيّن سفينة شراعية إغريقيّة ثلاثيّة الصفوف تعود إلى القرن الخامس ق.م، واستخدم فيها الجذّافون الحركة الانزلاقيّة بمساعدة الوسادة<sup>[٢]</sup>.

وتوافرت في أثينا الموادّ اللازمة لبناء السفن، وأهمّها خشب شجر الصنوبر الطويل من تراقيا ومقدونيا، والكتّان والقنب للأشرعة، والحبال للسفن، والحديد والبرونز وشمع العسل والزفت، وهذه من الموادّ المستوردة. وكان تصدير الخشب منها ممنوعاً لذلك كان من الصعوبات التي واجهت أعداءها أثناء الحرب هي الحصول على الخشب لبناء السفن<sup>[٣]</sup>.

[١]- حصة الهدال، المؤثّرات الحضاريّة الفينيقيّة في الحضارة اليونانيّة، مجلّة دراسات، مجلّد ٤٣، ملحق ٣، ٢٠١٦.

[٢]- الثقافة المفقودة للتجديف الإغريقي القديم، مجلّة العلوم، مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي، عدد آيار، ١٩٩٨.

[٣]- ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: مصدر سابق، ص/ ٤٣٥.

وقد وُصفت السفينة الإغريقية في ملحمة الإلياذة بأنَّ عدد أفرادها بين (٢٠ - ٥٠) جذافاً، وهي عبارة عن مركب مجوَّف لا سطح لها، عنبرها مكشوف، وليس لها ما يشبه مؤخِّرة السفينة المعهود، ولا تحتوي على أيِّ غرفة، فهي رغم طولها قارب ليس إلّا، وعند طرفيها مصطبتان مرفوعتان لهما حازان، وفي المقدِّمة يقف المراقب، وفي المؤخِّرة الرِّبَّان أو القائد، وليس فيها كذلك ما يقي الرياح والمطر، لكن ارتفاعها النسبيّ يقي من الأمواج الهائجة. ويشغل هيكل السفينة المجذِّفون الذين يجلسون على مقاعد صغيرة عرضيّة، وعلى طول المركب شبه ممرٍّ أو قنطرة لتيسير حركة التنقُّل عندما تكون فارغة من البضائع التي توضع عادةً تحت مقاعد المجذِّفين في جوف المركب، أو في المقدِّمة أو المؤخِّرة، وفي الوسط ثقب للسارية، فإذا كانت الرياح مواتية ثُبَّت السارية في الثقب، ورُبِّطت الحبال في المقدِّمة والمؤخِّرة، فالملاح في البحار كانت ناشئة ولم تستخدم الرياح إلّا إذا كانت خلفيّة. هذا، وتُعَدُّ كورنثة أول من أنزلت السفينة ذات الصفوف الثلاثة من المجاذيف، ويعمل فيها (٢٠٠) رجل.

#### رابعاً: المكايل والمقاييس

تعلَّم اليونانيون من الفينيقيين نظام المقاييس والمكايل، كما أخذوا من البابليين الأوزان والمكايل ووحدات العملة المتداولة لديهم من الأوبول والمينا والتالانت (وهي الوزن البابليّة). وقد نظَّم صولون المكايل والأوزان في سنة (٥٧٢ ق.م)، حيث استخدم الإغريق المدمن لكيل السوائل، حسبما هو مبين في قانونه. وكان المدمن في زمن فيدون يساوي (٤٨) لتراً وعدِّله صولون ليصبح (٥٨) لتراً<sup>[١]</sup>. هذا وقد امتاز الإغريق بضبط المكايل والأوزان فلم يعد هناك مجال للغش والتلاعب بها إذ أوجدوا أجزاءً للكيل تماماً مثلما قسّموا العملة وجعلوا لها أجزاءً ليضبطوا عمليّات البيع والشراء.

#### أ- الوزنات

أسفرت التنقيبات الأثرية في الأجورة على أكروبوليس مدينة أثينا، عن كشف مجموعة من الأوزان والمقاييس صنّعت من البرونز والرصاص، ومن بينها وزنات من الحجر، وأخرى كانت مخصّصة لكيل السوائل والموادّ الصلبة<sup>[٢]</sup>.

[١]- العابد، مفيد رائف، ١٩٧٨: دراسات في تاريخ الإغريق، منشورات جامعة دمشق.

[٢]- Mabel lang, ١٩٦٤: The Athenian A ١٨٣, ٥gora, Weights, Measures, and Tokens. Volume X. new

## ١. الوزنات البرونزية والرصاصية

تعددت واختلفت هذه الوزنات، وحملت علامات ورموزاً وإشارات تخص النظام الوزني الأثيني. ويُنسب لصولون في مطلع القرن السادس ق.م أنه صنع وزنة التالانت الثقيلة الوزن والتي تساوي (٣) مينا، ثم الديدراخما والدراخما والستاتير. وكان كل (٣٠) ستاتير يعادل تالانت، لذلك لا يمكن أن تكون هذه الستاتيرات تيترا دراخما من الفضة، بينما كان ستاتير ميلتوس مكوناً من الصمغ والحديد. وبناءً عليه كانت وحدة الوزن الستاتير ثم المينا من البرونز والفضة في عهد صولون لذلك كان الستاتير البرونزي يمثل كتلة يمكن أن تُباع أو تُشتري مقابل ستاتير فضي. وقد عمل صولون على إصلاح جميع أجزاء التالانت فزاد وزنه بمقدار (٥٪)، وقدره كوحدة دفع نقدية (٦٠٠) دراخما ما يعادل (٦٠ مينا)، بينما يزن (٣٠,٨٦ كغ) وكان من الفضة، ثم زاده ليصل إلى (٦٣٠٠) دراخما. وبالمقابل، فإن كل (١٠٠) وزنة من الدراخما تقابل وزن مينا (١٠٥) دراخما، و(١٠٠) وزنة ديدراخما تزن ستاتير (١٠٥ ديدراخما أو ستاتير). وفي ما يلي النظام الوزني الأثيني:

| للوحدة           | ١٠٥     | ١٣٨        | ١٥٠     |
|------------------|---------|------------|---------|
| ستاتير           | ٦,٩١٥ غ | ٣٦,١٢٠,٣ غ | ١٣٠,٨ غ |
| مينا/ نصف ستاتير | ٦٠١,٦٨  | ٤٥٧,٨      | ٦٥٤     |
| ثلث ستاتير       | ٣٠٥,٢   | ٤٠١,١٢     | ٤٣٦     |
| ربع ستاتير       | ٢٢٨,٩   | ٣٠٠,٨٤     | ٣٢٧     |
| سدس ستاتير       | ١٥٢,٦   | ٢٠٠,٥٦     | ٢١٨     |
| ثمان ستاتير      | ١١٤,٤   | ١٥٠,٤٢     | ١٦٣,٥   |
| ١٢ ستاتير        | ٧٦,٣    | ١٠٠,٢٨     | ١٠٩     |
| ١٦ ستاتير        | ٥٧,٢    | ٧٥,٢١      | ٨١,٨    |

هناك وزنات أخذت أشكال الأواني والحيوانات والرموز الفلكية مثل النجوم، وهي مصنفة حسب الجدول التالي:

| شكل الوزنة  | نقش الوزنة | الوزن بالغرام | الوزن بالغرام<br>مقابل المينا | الوزن بالغرام<br>مقابل الستاتير |
|-------------|------------|---------------|-------------------------------|---------------------------------|
| نصف أمقورة  | ربع مينا   | ١٩٦           | ٧٨٤                           | ١٥٦٨                            |
| أمقورة      | نصف مينا   | ٣٧٥           | ٧٥٠                           | ١٥٠٠                            |
| نصف أمقورة  | ربع مينا   | ١٨٣.٥         | ٧٣٤                           | ١٤٦٨                            |
| دولفين      | مينا       | ٧٠٨           |                               | ١٤١٦                            |
| قرن الوفر   | ثمان مينا  | ٨٨            | ٧٠٤                           | ١٤٠٨                            |
| علامة فلكية | ستاتير     | ١٣٧٨          |                               | ١٣٧٨                            |
| دولفين      | مينا       | ٦٨٢.٥         |                               | ١٣٦٥                            |
| قرن الوفر   | ثمان مينا  | ٨١            | ٦٤٨                           | ١٢٩٦                            |
| دولفين      | مينا       | ٦٢٤           |                               | ١٢٤٨                            |
| سلحفاة      | ربع مينا   | ٣٠٢           |                               | ١٢٠٨                            |
| قرن الوفر   | ثمان مينا  | ٧٥            | ٦٠٠                           | ١٢٠٠                            |
| نصف هلال    |            | ٧٤            | ٥٩٢                           | ١١٨٤                            |
| علامة فلكية | ستاتير     | ١١٠٢          |                               | ١١٠٢                            |
| أمقورة      | ستاتير     | ٣٢٥           |                               | ٩٧٥                             |
| أمقورة      | ثلث ستاتير | ٣٢٢           |                               | ٩٦٦                             |
| أمقورة      | ثلث ستاتير | ٣٢٠           |                               | ٩٦٠                             |



أمقورة إغريقية من القرن  
الخامس ق.م لكيل السوائل

كما عثر في الأجورة بأثينا على وزنات من الحجر الرخامي.

## ٢. مكايل الأوزان الصلبة

النموذج العام لكيل المواد الصلبة بالنسبة إلى أثينا عثر عليه إلى الشمال من منحدر الأكروبوليس، ويعود إلى القرن الخامس ق.م، وهي أربعة مقاييس مكتملة، ومنها مقياس أسطوانتي الشكل مزجج أسود اللون، وله أخدود وحيد. كما عثر على مقياس أسطوانتي

المكاييل المصنّفة وفق الجدول التالي:

دراخما 60  
وزن  
الدراخما  
٤.٥٥ غ

### ٣. المقاييس

ومقياس القدم ويساوي (٢٦ سم).



## خامساً: التجارة

قامت التجارة الإغريقية على ثلاثة مقومات رئيسية، هي:

- ١- فائض في الإنتاج يُتاجر به.
  - ٢- طرق برية وبحرية يُنقل عن طريقها هذا الفائض.
  - ٣- وسيلة للتعامل في هذا الفائض سواء كانت نقوداً أم مقايضة.
- كانت أهم المشاكل التي واجهت تجارة الإغريق هي المواصلات، حيث كانت الطرق البرية وعرة وضيقة وبطيئة، لذلك أصبح النقل البحري أقل تكلفة من النقل البري رغم صغر حجم السفن وبطئها وتعرضها لخطر القراصنة. أما المشكلة الثانية فكانت في إيجاد نظام للتعامل يثق به كل الأطراف لأن كل مدينة كانت تتميز بنظامها النقدي الخاص ونظام مكاييل وأوزان خاصة بها أيضاً، إلا أن الأثينيين استطاعوا على مر الأيام أن يكسبوا الثقة من نقودهم في كل دويلات المدن الإغريقية حتى أصبحت النقود الإغريقية ذات البومة العملة المميّزة والسائدة في هذه البقعة من العالم.

### ١- تجارة التجزئة

يتبين من خلال الوثائق والنصوص الأثرية والأدبية وجود أسواق لتجارة التجزئة في بلاد الإغريق، كسوق المواشي والسمك والأغذية والأحذية في أثينا. فقد كان بعض المنتجين يبيعون بضائعهم مباشرةً للمستهلك إلا أن الكثير منهم كانوا في حاجة إلى وساطة السوق التي تشتري وتخزن حتى تجد المشتري المناسب، وهكذا نشأت طائفة من تجار التجزئة الداخليين يبيعون بضائعهم في السوق المخصصة لهم، أو في الاحتفالات العامة أو الدينية أو في مؤخره الجيش. وقد تنوعت هذه التجارة الداخلية ما بين الأغذية من قمح وخبز وجبن وعسل وفواكه وثوم ونبيد ولحم وأسماك، إلى الرقيق والأعمال المعدنية والجلدية والكتب<sup>(١)</sup>.

### ٢- تجارة العبيد

كانت مصادر الحصول على العبيد عند الإغريق أربعة هي:

[١]- الشيخ، حسن، (ب. ت): دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، الإسكندرية، مصر، ص/ ١٣-١٤.



أسرى الحرب، المغتصبون، المحكوم عليهم بفقدان حريتهم نتيجة الديون، أبناء العبيد الذين وُلدوا وآبأؤهم في العبودية.

### ٣- التجارة الخارجية

ازدهرت التجارة الخارجية وتقدّمت سريعاً لا سيّما في عهد (بريكلس) الذي قال يوماً: (إنَّ كلَّ منتجات العالم تجد طريقاً إلى أثينا التي كانت تصدر ما تنتجه حقولها ومصانعها من صخور وزيت وفضة ورخام وخزف وتحف فنيّة، وتستورد الحبوب والسمك والجلد من منطقة البحر الأسود، والصوف والكتان والبردي من مصر، والحديد والنحاس من أوروبا). وأيضاً كانت تستورد الصوف والكتان والأصباغ من فينيقية، والأقمشة المطرزة من بلاد الشرق الأدنى، والأحذية والبرونز من أتروريا، والعطور من بلاد العرب<sup>[١]</sup>.

### ٤- التجارة البحرية وصناعة السفن

يخبرنا (توكيديس)، بإشارة مقتضبة ترجع إلى نهاية القرن الثامن وأوائل القرن السابع ق.م، ويؤرّخ تسلسلها إلى القرن الخامس ق.م، خصوصاً ما يتعلّق بتحسين طرق المواصلات في البحر، فيقول: (إنَّ الأساطيل اليونانية لم تمنع ضائقة قيمتها من أن تكون عنصراً بالغ الأهمية وكبير القوة للذين أنشأوها، سواء من جهة زيادة الدخل أم تملك الأراضي. فقد كانت هي الوسيلة التي تذهب بهم إلى الجزر وتخضعها لهم). وهنا كان المقصود الحرب اليونانية القديمة التي كان هدفها الوصول إلى الأراضي الزراعية والاستيلاء عليها، أمّا برّاً فكان من المستحيل الاستيلاء على أراضٍ عبر الجبال<sup>[٢]</sup>. لقد كانت المدينة في القرنين السابع والسادس ق.م لا تزال متمسكة بتقاليدها القديمة في الاكتفاء الذاتي، حيث كانت تأكل من حقول قمحها، وتلبس من أصوافها، ولكنها أرسلت مستعمرين إلى مناطق بعيدة بحراً.

### ٥- ضريبة النقل البحري

كانت تُفرض ضريبة على النقل البحري بالسفن، وعلى سبيل المثال، سيطرت كورنثة على الخليج بينما سيطرت مستعمراتها على البحر من الشمال الغربي حتى مصبّ خليج

[١]- المصدر نفسه، ص/ ١٤

[٢]- ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: الحياة العامة اليونانية، ترجمة عبد المحسن خشاب وآخرين، ص/ ٢٩٥.

(أمبراكيا)، وهنا يدخل التاجر في مياه (كورسيرا) الإقليمية تلك التي تعيش على ضرائب مرور تأخذها من السفن التي ترسو بها عند مرورها<sup>[١]</sup>.

## ٦- التبادلات التجارية

زوّد التجّار الفينيقيون العالم اليونانيّ بالسلع وما تحمله بين ثناياها من ثقافات وفنون وصناعات لا تُعدّ ولا تُحصى، فقد نقلوا إليه الصناعات السوريّة والرافديّة والمصريّة، عدا عن سلع الشرق الأقصى، ومنها، على سبيل المثال، القمح والبردي والعطور من مصر، وكان القمح من أهم واردات أثينا، أمّا أهم صادراتها فكان زيت الزيتون والأواني الفخاريّة المزيّنة بالرسوم والأسلحة وبعض المصنوعات المعدنيّة<sup>[٢]</sup>، والمجوهرات والمصنوعات النسيجيّة والمعدنيّة والزجاجيّة والعاجيّة والصبّاغ الأرجوانيّ من سورية وبلاد الرافدين، والحرير والتوابل والأحجار الكريمة من الصين والهند. ولم يكتف الإغريق بشراء هذه الصناعات والموادّ من الفينيقين بل أخذوا يقلّدونها ويتعلّمون على أيدي صنّاعها حتّى شاع بينهم فنّ الزّخرفة والتزييق الشرقيّ، كما علّم بحّارة صيدا وصور الإغريق صناعة السّفن وأساليب طرقّ المعادن والنسيج والصبّاغ<sup>[٣]</sup>. ويمكن تقدير حجم هذه التّجارة من الصادرات والواردات من الأمبراطوريّة الأثينيّة في عام واحد، وليكن عام (٤١٣ ق.م) - الذي فرضت فيه أثينا ضريبة الخمسة على صادرات وواردات مدنها، بما يتراوح ما بين (٣٠ و ٣٢ ألف تالانت)، إذ إنّ حصيلة هذه الضريبة بلغت في ذلك العام ما بين (١٥٠٠ و ١٦٠٠ تالانت) دخلت خزينة الدولة.

## سادساً: النتائج

مما تقدّم، نلاحظ أنّ الإغريق هم من الشعوب الأكثر تنظيمًا في حياتهم الاقتصاديّة لا سيّما في القرنين السادس والخامس ق.م، ويأتي على رأس هذا التنظيم مدينة أثينا التي استطاعت تنظيم قوانينها وتحرير سكّانها من سيطرة الطبقات الملكيّة والإقطاعيّة والأرستقراطيّة التي استغلّت المواطن في القرنين الثامن والسابع ق.م، وحرمته من حقوقه

[١]- ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: الحياة العامّة اليونانيّة، ترجمة عبد المحسن خشاب وآخرين، ص/ ٤٥٤.

[٢]- أحمد علي الناصري، ١٩٧٦: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ط٢، القاهرة، ص/ ٢٧٢.

[٣]- الطائي، ابتهاج، ٢٠١٤: تاريخ الإغريق منذ بزوغه وحتى عصر الإسكندر المقدوني، دار الفكر، عمان، ص/ ٢٧-٢٤.

في التملُّك، وأكل ما ينتجه ذراعه من زراعة، كما تم ضبط وسائل الغشّ والجشع التي كانت سائدة أيضاً قبل عهد صولون الذي عمل لدى تسلُّمه السلطة على ضبط الأوزان والمكاييل والمقاييس التي هي في الأصل موروثه من الحضارتين البابليّة والمصريّة، وإيجاد أجزاء لها من خلال إصلاحه النقديّ والوزنيّ، كما أصلح قوانين التوريث حيث أصبح كلُّ أفراد العائلة مالكي أراضٍ، وقبل ذلك لم يكن يرث الأب سوى الأخ الأكبر.

إلى ذلك، حرَّر صولون العبد فأصبح مالكاً بعدما كان مملوكاً، ونهض أيضاً بالصناعة وفنونها المميزة بزخرفتها وتقنيات تصنيعها وألوانها لتتمكّن هذه المنتجات من منافسة البضائع الأخرى من فارسيّة وشرقيّة ومصريّة بعدما اكتشف مناجم الفضة للأعمال المعدنيّة والتربة الغضاريّة لصناعة الأواني الفخاريّة، والأحجار الكريمة، واختراع العدسة المكبّرة للنقش عليها... إلخ، كما شجّع التجارة الداخليّة بين مدن أتيكا ومع الأقاليم المجاورة. وليعيش مواطنه بكرامة واكتفاء منع تصدير القمح والتين، وحثَّ على زراعتهما، واستغلَّ العنب بأن استخرج النبيذ وخزّنه في أمفورات (جرار)، وصدّرها إلى كلِّ أسواق العالم، وشجّع على بناء أسطول أثينا من أخشابه، ونهض بالتجارة البحريّة بالسفن بعدما تعلّم الإغريقي بناءها من الفينيقيين، فنشطت حركة البيع، وطمرت المنتجات الإغريقية كامل بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، ودخلت بلاده في منافسة تجاريّة قويّة بحثاً عن مستعمرات تجاريّة مع القرطاجيين والفينيقيين، وساعد ذلك على تنشيط حركة الاستيراد وبالتالي التأثير المتبادل في العلاقات التجارية.

هكذا نهل الإغريق دروسهم الأولى في عالم الاقتصاد من كلِّ الحضارات التي احتكوا بها، واستعاروا ما وصلت يديهم إليه من اختراعات، فعملوا على تعلّمها وتطويرها ونسبتها إليهم، وبذلك يكون الفكر الإغريقي الخصب من العوامل المساعدة والناشطة في تطور هذه الحضارة التي ورثها الرومان ولم يغيروا فيها إلّا القليل من المظاهر، كما أنّ هذا الفكر نقل الإنسان من حياة العبوديّة والفقر والطمع والجشع إلى حياة الرفاهية، وإن لم تختف هذه المظاهر بشكل كليّ.

## المبحث الثاني: النقود: ظهورها وانتشارها وآثارها

### أولاً: الدراسات الأثرية

انطلقت الدراسات الأثرية في مجال علم المسكوكات القديمة، لا سيّما الإغريقية، في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وظهر باحثون حقّقوا نتائج مهمّة في تحديد تاريخ اختراع النقد وتطوّره، والتحوّل من الاقتصاد العينيّ إلى الاقتصاد النقديّ. وقد عمل الإغريق ومن ورثهم من السلوقيين ومن بعدهم الرومان، على تنشيط هذا التحوّل، ولعبت مدن اليونان وغرب سورية وولاية بابل دوراً كبيراً في تطويره.

كان من بين علماء النميات الأوائل أرنست بابلون (E. Babelon) الذي ترك لنا مؤلّفات عدّة أهمّها المسكوكات الإغريقية التي ناقش فيها بداية ظهورها وتطوّرها بشكل موضوعيّ وتحليل تاريخيّ، بالاعتماد على الكتابات القديمة، والتّحف الأثرية، وعلم النقوش اليونانية التي استفاد منها في قراءة الكتابة على النقود. وهناك كتالوج دافيد سير (D. Sear) الذي زوّدنا بمعلومات عن تاريخ النقد وتطوّره إضافةً إلى ملحق الصور. كما ظهرت منشورات بيركي جاردنر (P. Gardner)، وريتشارد سيفورد (R. Seaford) التي تناولت النقود الإغريقية ومراحل تطوّرها وانتشارها، فضلاً عن منشورات المكتبة الوطنية في باريس/ قسم الميداليّات والنقود، ومنشورات المتحف البريطاني، ومنشورات مجلة المسكوكات الأميركية في نيويورك (ANS).

هذا، وقد ظهر العديد من المنشورات المتعلقة بعلم المسكوكات الإغريقية القديمة اعتمدت بشكل رئيس على باحثي النميات السابق ذكرهم، ما يؤكّد أنّ هؤلاء هم من أسّسوا علم المسكوكات القديمة، وأرسوا مبادئه، ففضلهم نقراً نحن اليوم هذه النقود ونحلّلها. وقد اتفقت كتابات هؤلاء جميعها على مبادئ أساسية حول ظهور النقود الأولى وتطوّرها، ويمكن تحديدها بما يلي:

١- أوّل من سلّك النقود هم سكان آسيا الصغرى في شطرها الغربيّ والمعروفة بـ ليديا وعاصمتها سارديس التي شكّلت أول دار ضرب للعملة.

٢- ضربت أولى النقود من معدن الإليكتروم (ثنائي التركيب: فضة وذهب) في منتصف

القرن السابع ق.م، وكانت مختومة وتحمل نقشاً تصويرياً على وجه واحد فقط (Uniform).

٣- لم يعرف الإغريق سك النقود قبل القرن السابع ق.م، وأوّل من ضربها في بلاد البيلوبونيز هم سكان مدينة أرجوس في إقليم إيجينيا، زمن الملك فيدون، بعد سنوات قليلة من اختراع النقد في ليديا منتصف القرن السابع ق.م.

٤- أوّل من فصل المعدن الثنائيّ التركيب (الإلكتروم) وضرب منه نقوداً ذهبيةً وأخرى فضيةً، هو كروسوس ابن ملك ليديا (أليات)، منتصف القرن السادس ق.م.

٥- انتقال المسكوكات من ليديا إلى أثينا وكونثة ومنها إلى ميجارة، وقد تباينت الأوزان والعيارات النقدية بين منطقة وأخرى، وكان ذلك تقريباً، نهاية القرن السادس ق.م.

٦- انتشرت النقود لتشمل كامل بلاد البيلوبونيز في اليونان الأوروبية مع القرن الخامس ق.م، وجزء من المستعمرات الإغريقية في إيطاليا فعرفت ببلاد الإغريق الكبرى، وانطلق التمثيل الفني على هذه المسكوكات لتشمل مواضيع متعدّدة مستمّدة صورها من الأساطير والآلهة والأبطال والحياة اليومية، ومشاهد واجهات أبنية دينية مثل المعابد وصور حيوانية ونباتية... إلخ.

### ثانياً: نشأة النقود المعدنية الأولى

ضمن الدراسة والبحث في هذا العنوان الفرعيّ المهمّ والمثير للجدل، والذي أصبح القاعدة الأساس في انطلاق أيّ دراسة متعلّقة بعلم المسكوكات، لا بدّ لنا في البداية من تبيان أنّه لا يوجد أيّ تشكيك من قبل الغرب بأنّ آسيا الصغرى هي الموطن الأصليّ لاختراع النقود، وقد سبقت اليونان الأوروبية بالدخول في استخدام النقود في القرن السابع ق.م، كما أنّ هناك مجموعة من الأمور التي أصبحت من الحقائق والمسلمات حول التاريخ الذي اخترع فيه النقد، ومعدنه الأوّل، والمكان والزمان الذي ظهر فيه، وانتشاره ودلائله.

أخذ النقد حيناً من الدراسات لدى باحثي التاريخ والنميات منذ نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، معتمدين في بحثهم على تنوّع المصادر مثل: مدوّنات المؤرّخين القدماء، والمكتشفات الأثرية التي عزّزت ودعمت ما ذهب إليه المصادر الكتابية القديمة وعلى رأسها كتابات المؤرّخ الإغريقيّ هيرودوت (أبو التاريخ) من القرن الخامس ق.م، حيث أكّد: (أنّ الليديين هم أوّل الذين سكّوا المسكوكات)، كما زوّدنا بمعلومات تتعلّق

بتاريخ المكتشفات في مدينة إفسوس في آسية الصغرى، ولا سيّما في معبد الأرتيمسيوم. لقد صبَّ الغرب جهده على تأكيد ما رواه هيرودوت، فنشطت الأبحاث في علم النميات في كل مكان في الغرب لا سيّما في اليونان وآسيا الصغرى، إلى أن توافقت وتطابقت هذه الدراسات والأبحاث الأثرية مع ما رواه هيرودوت، وبالأستناد إلى ما توصّل إليه علماء التاريخ والآثار من خلال تنقيباتهم وحفرياتهم في آسيا الصغرى، فقد أجمعوا بغالبيتهم العظمى على أن أول دار لسك النقود وجدت في ليديا الواقعة في آسيا الصغرى وعاصمتها سارديس، وذلك منتصف القرن السابع ق.م.

إلا أن ذلك البحث لم يتوقف عند هذا الحدّ، فسلّسلة الدراسات والاكتشافات استمرّت، حتى تمكّن الباحثون من تأكيد مكان آخر لسك النقود يقع في (إيجينيا) بالقرب من شبه جزيرة البيلوبونيز (بلاد اليونان وجزرها)<sup>[١]</sup> في الطرف الآخر المقابل لليديا، وقد عُرف ملكها باسم (فيدون)، أو ملك مدينة (أرجوس)، الذي ضرب القطع النقدية الأولى في هذه المنطقة التي شكّلت جزءاً من بلاد اليونان وجزرها، رغم التأكيد على أن فيدون حكم في القرن الثامن قبل الميلاد، لكن ليس هو من اخترع النقد بل نظم الوزن والقياس والقياس في بلاد البيلوبونيز بعد أخذه عن آسيا الصغرى<sup>[٢]</sup>.

إذاً، من حيث المصدر الكتابي، إنَّ أول من سكَّ النقود هم الليديون، ومن حيث الأثر المادي بالاعتماد إلى ما توصّل إليه الآثاريون، فإنَّ أول وأقدم مكان لسكَّ النقود قد توزّع في منطقتين متجاورتين في الغرب هما: (ليديا وإيجينيا/ سارديس وأرجوس)، وإنَّ الاتفاق الأهم والمشارك في ما بينهم هو أن كلتا المنطقتين ضربتا نقودهما من معدن الإليكتروم<sup>[٣]</sup>.

السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا هو، ما طبيعة المكان الذي وجدت فيه هذه الكنوز؟

[١]- سُمّيت بلاد البيلوبونيز نسبةً إلى بيلوبس البطل الرياضي الذي تحدّى الملك أونيمائوس بحسب الأسطورة الإغريقية، وتغلّب عليه في سباق للعرابات. كما ينسب إليه ابتكار الألعاب الرياضية الأولمبية في بلاد الإغريق سنة ٦٧٦ ق.م. أنظر (Coins and Numismatics, 1996. Hellenic Ministry of culture, Numismatic Museum, Athens 21, p78.).

[2]- Percy Gardner, 1970. The earliest coins of Greece. Vol. V. British Academy. Oxford.

[٣]- الإليكتروم: هو معدن مركّب من الذهب والفضة (ثنائي التركيب)، وهو أول ما استخدم في ضرب المسكوكات من قبل الليديين حيث يمكن العثور عليه بشكل طبيعي على ضفاف نهر بوكتولو (Poctolo) في سارديس (Sardis) عاصمة ليديا. أنظر: Ernest, Babelon. 1921, Les monnaies Grecques. Paris. P. 25.

تحققت هذه الاكتشافات من قبل البعثة الإنكليزية وتنقياتها في معبد الأرتيمسيوم<sup>[١]</sup> في إفسوس<sup>[٢]</sup> (Ephèse) بآسيا الصغرى، وقد أسفرت عن كشف كنزين اثنين، ولدى فحص المعدن الخاص بهما تبين أنه معدن الإليكتروم (ذو التركيب الثنائي من فضة وذهب)<sup>[٣]</sup>، وكانت ضمن الكنزين قطع نقدية صغيرة، وقد تأكد ذلك من خلال وجود اسم الكاهن الأكبر لمعبد الأرتيمسيوم في إفسوس واسمه (فانوس)<sup>[٤]</sup>.

وقد وُجدت الإثباتات التاريخية لما قدّمته معاول الآثاريين بالعثور على الكنز الأول عند أساسات المعبد، والكنز الثاني بالقرب منه، وكانت المفارقة الحتمية هي الاختلاف التاريخي في ما بينهما.

ولدى التحليل والدراسة تبين أن الكنز الأول كان مدفوناً في النصف الثاني من القرن السابع ق.م أي بعد العام (٦٥٠ ق.م)، حيث حملت إحدى القطع النقدية منه رمز الملك أليات (Alyate)، وتم التعرف عليه بأنه والد الملك كروسوس (المعروف باسم قارون الليدي)، وهذا يتوافق مع ما ذكره هيرودوت، بينما أثبتت الدراسة أن تاريخ الكنز الثاني يعود إلى العام (٥٨٠ ق.م) وهو من الإليكتروم أيضاً<sup>[٥]</sup>.

هذا، وقد توافرت للباحثين أدلة ومعلومات كتابية أخرى تعود إلى القرن السادس ق.م، تؤكد ما سبق ذكره، كما تتفق ونتائج أبحاثهم، وكانت هذه المرة من قبل الفيلسوف (جينوفانيس - Jenophanes) ويُعد ما كتبه الدليل الأول حول معرفة الإغريق للنقد وطريقة ضربه، فتضمنت كتاباته ذكراً لألفي قطعة نقدية ذهبية من وحدة الستاتيرات (Stater) تسلمها الشاعر السياسي أليزاس (Elceas) من الليديين لدفع مصاريف الحملات العسكرية التي أُعدت في السنوات الأولى من القرن السادس ق.م<sup>[٦]</sup>. وهذا يتوافق مع ما ذكره المؤرخ الروماني

[١]- أرتيميس، بحسب الأسطورة، هي ابنة زيوس وأخت الإله أبولو، وهي ربّة الصيد، تتمثل ممسكة بقوسها وجعبة نشابها، كما تُعدّ معينة النساء عند الوضع. عُرفت باسم ديانا أيضاً، ومن رموزها الغزال، وقصة أكتيون الذي حوّلته إلى وعل، للمزيد أنظر: (Ernest. Babelon: Les Monnaies Grecques. Paris. 1921. P2492-).

[٢]- تدعى إيفس باسم (إفسوس)، وتقع بالقرب من مصبّ نهر كايستر، كما كانت واحدة من أعظم المدن الأيونية وأهم موانئها. أنظر: (مكاوي، فوزي: تاريخ العالم الإغريقي وحضاراته من أقدم العصور حتى العام ٣٣٢ ق.م. الدار البيضاء. ١٩٨٠م).

[3]- Christopher, Howgego. 1995. Ancient History of Coins. London. P. 2.

[4]- Ernest, Babelon. 1921, Les monnaies Grecques. Paris. P. 25.

[5]- Bioul. B, 1999, Bruno Bioul, la numismatique, une science à découvrir. Numismatique. Pp. 14- 16.

[٦]- كيوان، خالد: المسكوكات القديمة، ط٢، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٥، ص ٢٨.

جوليوس بولوكس (Iulius Pollcus) في القرن الثاني ق.م حول أن مصدر المسكوكات الإغريقية الأولى هو جزيرة إيجينا التي ارتبطت بالملك فيدون "ملك أرجوس" في القرن السابع ق.م، وإن هذه النقود ليست قبل العام (٥٥٠-٥٣٠ ق.م)<sup>[١]</sup>. وقد ساهمت أعمال التنقيب وجمع العملات القديمة في التعرف على هذه النقود من فئة الستاتيرات الذهبية المعروضة حالياً في المتحف البريطاني وجاءت مصنفة ومرتبّة بحسب دار السك، وحملت اسم (جينوفانيس-Jenophanes) و(أليات Alyate) وفق المثال التالي:

- ستاتير من إيفس، حمل صورة إيل، ونقشاً كتابياً يونانياً يذكر اسم الكاهن الأكبر لمعبد الأرتيميسيوم في إيفس، والمدعو (فانيس ΦΑΕΝΟΣ ΕΜΙ ΣΗΜΑ).

- ستاتير ميلتوس (Miltus-Milet) نُقش فيه اسم الملك أليات.

بداية سكّ المسكوكات، إصدار ليديا في زمن الملك أليات ٦٢٠-٦١٠/٥٥٤-٥٥٣ ق.م بعد هذا العرض لتاريخ اختراع النقد، وما لحق به من إثباتات وأدلة ومناقشة لمكان وزمان ومعدن ظهور النقد الأول، يمكننا طرح السؤال التالي:

هل بقي معدن الإليكتروم قيد التداول النقدي؟ ومن قام باستبداله؟

من المفيد القول أن الكنز الثاني الذي عثر عليه في معبد إفسوس المكرس للربة أرتيميس، والمؤرخ في العام (٥٨٠ ق.م)، وينسب إلى الملك كروسوس، قد احتوى على نقود أحادية المعدن من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة، مثل: الستاتيرات الذهبية أو الستاتيرات الفضية، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن استخدام معدن الإليكتروم في عملية الإصدار النقدي استمر حتى عهد الملك كروسوس كما هو مؤكد من قبل علماء النُميات الذين أكدوا إصداره نقوداً من الفضة الصافية ومن الذهب الصافي نظراً لتوفر هذين المعدنين في مناجم آسيا الصغرى على ضفاف نهر بوكتولو (Poctolo) في سارديس (Sardis)، وبذلك يُعدّ كروسوس أول من فصل بين المعدنين وأصدر نقوداً أحادية المعدن، لكن رغم ذلك الإجراء استمر إصدار نقود من الإليكتروم على نطاق ضيق حتى القرن الرابع ق.م ليتوقف استخدامه نهائياً في هذا القرن مع مطلع العصر الهلنستي. ويمكننا القول أيضاً: أن أول دار للإنتاج

[1]- Philip, Grierson. 1975. Numismatics. Oxford, London. P. 10- 12.



النقدي وجدت في مدينة سارديس في ليديا من القرن السابع قبل الميلاد، وقد جاءت بعدها بزمان قصير مدينة أرجوس في إيجينا بعهد الملك فيدون.

### ثالثاً: العيار النقدي

استناداً إلى الدراسات الأثرية وما تمّ العثور عليه من الكنوز التي خضعت للتحليل المخبري والفحص، تبين وجود عيارين للنقود في منطقتين مختلفتين: العيار الأوّل في منطقة ليديا في آسيا الصغرى وعُرف عيارها بـ الأوبوي (نسبة إلى جزيرة أوبوي)، أو الأتيكي (نسبة إلى إقليم أتيكا الذي تقع فيه أثينا)، حيث اعتمدته أثينا، وعملت به وعمّمته، والعيار الثاني هو الإيجيني (نسبة إلى إيجينا) أو البيلوبونيزي.

### رابعاً: ختم النقود الأولى

هل كان الختم في بداية إصدار المسكوكات شعاراً أم منظراً فنياً وجمالياً؟

إنّ ختم أو وشم أيّ قطعة نقدية بعلامة محدّدة هدفه الإشارة إلى نقاوة المعدن ووزنه



وقيّمته، ومن نتائج هذا الختم إكساب الثقة بالنقد وسرعة تداوله وانتشاره وتثبيت السلطة، وكانت بداية ظهوره في المدن التجارية الأيونية (آسيا الصغرى) منذ منتصف القرن السابع ق.م، وبحسب الاكتشافات الأثرية والمصادر التاريخية، يرجّح أنّه تمّ بعد العام (٦٥٠ ق.م). وكان الختم الأوّل على المسكوكات عبارة عن علامة بسيطة مثل المربع الغائر، وعلى الوجه الآخر رأس حيوان، ولكن سرعان ما تحوّلت هذه العلامات إلى شعارات فنية في بلاد اليونان لدى انتقال النقود إلى مدنها، فاخترت كل مدينة نقشاً فنياً مناسباً لها، واختصر في البداية على شكل حيوان أو نبات، أو رمز لأحد

آلهتها، ليتحوّل هذا الرمز في منتصف القرن السادس ومطلع القرن الخامس ق.م، إلى شعار يمثّل رأس إله، أو بطل إغريقي، أو أسطورة من أساطير اليونان الخالدة. ومع القرن الخامس



ق.م، وهو عصر ازدهار الفن بكل أنواعه، أصبح النقد يحمل مشاهد متنوعة تمس الحياة اليومية للناس، كمنظر الأيروتیکا (المشاهد الجنسية)، أو مشاهد الصيد أو الفرسان والأبطال<sup>[١]</sup>، حيث يعدُّ رأس الإله (هرقل)، المتضمن معنى التمثيل البشري، أقدم التمثيلات الإنسانية المنقوشة على نقود الإليكتروم، ويظهر على هذا النموذج التأثير الشرقي الذي

استمدَّ صورته من الإله (ملقارت) الفينيقي، وذلك من خلال تمثيل الأنف والشعر والجبهة والأذن والعين الدائرية. كما يظهر التأثير الشرقي في نقش صور الشيران المجنحة على النقود الأيونية الأولى، مستوحيةً مضمونها من الشيران الآشورية المجنحة التي ظهرت مرافقةً للبطل الرافدي (جلجامش)<sup>[٢]</sup>.

### خامساً: انتشار النقود وآثارها

حقَّق علم الآثار في الغرب قفزة نوعية عبر حصر تاريخ النقد وتطوُّره وانتشاره، حيث ساهمت التجارة في تحديد العلاقات المتبادلة في عمليَّات البيع والشراء، وبقدر ما وصلت إليه التجارة من أقاليم فقد حقَّق النقد قفزته في حركة التداول، فنجد انتقال طريقة ضرب النقود من ليديا وأرجوس إلى المدن الإغريقية، وعلى رأسها مدينة أثينا التي عرفت النقد سريعاً بحكم موقعها ومقربتها من ليديا ومن أرجوس، ما سمح لها بحركة التطوير النقدي

[١]- رختر، جزيلا: جذور الفن الإغريقي، ط٧، مطبعة فايدون، ١٩٧٤، ص ٣٣١.

[٢]- كيوان، خالد: المسكوكات القديمة، ط٢، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٥، ص ٣٠.

من حيث العيار وضبط الوزن، وتحديد النقوش الكتابية والتصويرية عليها. فقد استخدمت في أول عهدها العيار الإيجيني، ثم انتقلت في عهد الملك صولون بين عامي (٥٤٥-٥٤٠ ق.م) إلى العيار الأوبوي - الأتيكي الذي اعتمد على الدراخما الفضية كقياس لباقي الوحدات والفئات النقدية، وذلك في القرنين السادس والخامس ق.م.

إذاً، بدراسة حركة التطور النقدي وانتشاره، نجد أن أثينا هي النقطة الثالثة في سلسلة اختراع النقود وتطورها، وقد قسم علماء النقود عملاتها إلى مرحلتين أساسيتين هما: نقود ما قبل عهد ملكها والمصلح النقدي والمشرع (صولون)، والنقود المضروبة في عهده عام (٥٩٢ ق.م)، وتميزت بحملها شعارات اعتبرت من أهم الرموز الدينية لمدينة أثينا كصورة رأس الربّة أثينا تعلوه الخوذة في مركز الوجه، وطائر البوم رمز الحكمة ضمن مربع في مركز الظهر، يرافقه غصن زيتون يرتبط ببناء معبد البارثينون، أو طائر البوم يقف فوق أمفورة، وجميعها من رموز الربّة أثينا<sup>[١]</sup>.

من الناحية الفنية لدراسة تطور نقش صورة رأس الربّة (أثينا) المتوجّ بالخوذة، وطائر البوم، نجد أنه قد مرّ بمراحل عدّة، حيث يرى بعض علماء النميات أن ظهور هذا النموذج قد أهمل عن نقشه ضمن المربع في عهد الطاغية والمشرع القانوني الكبير (بيزيستراتوس)، كما تمت ملاحظة تطور نقش هذا النوع من النقود الأثينية بين العامين (٥١١-٤٩٠ ق.م)، لا سيّما بعد النصر الكبير الذي حققه الأثينيون على الفرس في معركة سهل ماراثون، فأصدروا بهذه المناسبة ديكادراخما فضية بوزن (٤٣غ)، حملت في مركز الظهر نقش طائر البوم بوضعية أمامية<sup>[٢]</sup>.

ديكادراخما (١٠ دراخمات) تذكارية أثينية فضية ذات الوزن (٤٣غ)

### سادساً: معدن نقود أثينا

من المعروف أن أيّ دولة أو مدينة أرادت إصدار النقود لا بدّ لها من توفير المعدن الضروريّ واللازم لعملية الإصدار النقديّ، فكيف استطاعت أثينا توفير ذلك المعدن الذي ساهم في تطوير عملية الإنتاج النقديّ لديها حتى وصل انتشاره إلى أماكن بعيدة في الجهة

[1]- Percy. Gardner, 1970. The earliest coins of Greece. Vol. V. British Academy. Oxford. p. 29.

[٢]- كيوان، خالد: المسكوكات القديمة، ط٢، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٥، ص ٣٥.

المقابلة من حوض البحر الأبيض المتوسط، وساهم في اتساع رقعة تداوله نقاوته وجودته وقوة التجارة البحرية الأثينية، إضافةً إلى قوتها السياسية والعسكرية، وبالطبع هذا ما بحث عنه العلماء حين اتَّفَقُوا على أنَّ مدينة أثينا تُعدُّ من أشهر دور الضرب الإغريقية عموماً. فقد أصدرت عملات معدنية فضيَّة متعدِّدة الفئات ساهم في إنتاجها اكتشاف مناجم الفضة في جبال لوريوم (Lorium) التي تبعد (٣٨) كم تقريباً جنوب أثينا<sup>[١]</sup>، حيث أصدر الأثينيُّون من الفضة المكتشفة كمِّيَّات كبيرة من النقود دعمت الأسطول الأثيني الذي ساهم في معركة سالامين (Salamine) عام (٤٨٠) ق.م، وميسالين (Misaline) عام (٤٧٩) ق.م، ومكنتهم من الانتصار على الفرس في المعارك البحرية، ما جعل من أثينا قائداً لحلف ديلوس (Délös) -وهي عبارة عن جزيرة صغيرة جنوب شرق أثينا، ولد فيها (أرتيمس وأبولو)- وتشكِّل هذا الحلف عام (٤٧٨) حتى (٤٧٦) ق.م.

### سابعاً: فئات النقود الأثينية ومعدنها

أسفرت دراسة المكتشفات الأثرية من النقود والكنوز في أثينا وفي المناطق التي انتشرت فيها المسكوكات الأثينية، فضلاً عن المصادر الكتابية، إلى معرفة وحداتها وفئاتها ومعدنها. جاء في شروط حلف ديلوس الذي ترأَّسته أثينا في مواجهة الفرس، أن تتعهد كلُّ مدينة بصيانة الأسطول البحري، وتدفع رواتب البحَّارة المقدَّرة بـ (٢ أوبول) في اليوم، وتحديد موازنة سنوية قدرها (٤٦٠) ألف تالانت.. إلخ. كما عُثِر على كنز من النقود الذهبية والفضية مؤلَّفة من (تيترادراخما وتريبول) في أكروبوليس أثينا عام (١٨٨٦ م)، إلى الجنوب الغربي من معبد الآرخثيوم، ويعتبره علماء المسكوكات الكنز الأثيني الأقدم حيث يورَّخ في العام (٤٧٩/٤٨٠ ق.م)، وهو يرقى تاريخياً إلى معركة سالاميس البحرية التي التقى فيها أسطول التحالف الأثيني مع القوة الفارسية، وما يميِّز هذه المسكوكات حملها في مركز الوجه رأس الرِّبة أثينا وفي مركز الظهر طائر البوم، ولدى دراسة هذا الكنز تبين أنَّه ليس من إصدار أثينا وحدها بل ضرب في مناطق أيضاً خاضعة لسيطرتها، كميجارة التي تقع وسط شبه الجزيرة اليونانية، على مقربة من خليج كورنثة، واحتلَّها الأثينيون سنة (٦٣٢ ق.م)، وإيريتريا الواقعة في شبه جزيرة أيوبيا جنوب شرق خالكيس، حيث أسست فيها أثينا مستوطنة سنة (٤٤٥ ق.م).

[1]- R. Seaford 2004. Money and the Early Greek Mind Cambridge University Press.



سُكَّت النُقود الإغريقيَّة القديمة من الذهب، والفضَّة، والنُّحاس، والبرونز، والحديد، وبشكل نادر من المعدن المركَّب (الإليكتروم). فقد كان (كروسوس) ملك ليديا، أوَّل من اتَّخذ نظام المعدنين (الذهب والفضَّة) في الربع الأخير من القرن السادس ق.م في سكِّ نقوده. كما استخدم ملوك الفرس، وفيليب الثاني والد الإسكندر المقدونيَّ هذين المعدنين، بينما استخدمت بعض مدن آسيا الصغرى معدن الإليكتروم في سكِّ عملاتهم، مثل: (كيزيك Cyzikus)، و(لامبساك Lampsacus). علاوةً على ذلك، كان توجُّه سكِّ العملة في المدن الإغريقيَّة متأثراً بمعدن الفضَّة. غير أنَّ استخدام البرونز بدأ ينتشر بكثرة في المستعمرات الإغريقيَّة منذ منتصف القرن الرابع ق.م، وكان الهدف الرئيسيُّ للتداولات

التجاريَّة المحليَّة الصغيرة، والتعامل بالقيم النَّقدية الصغيرة وتنشيط التجارة، وقد تمكَّن علماء النُميَّات من تحديد فئات النُقود الإغريقيَّة الأثينيَّة وقيمتها الصرفيَّة التي نوضحها في الجدول التالي<sup>[١]</sup>:

| نقود أثينا | نوع العملة  | العيار  | الوزن  | القيمة     |
|------------|-------------|---------|--------|------------|
| أثينا      | تالانت      | الأثيني | ٣٧,٣٢٠ | ٦٠ مينا    |
| أثينا      | مينا        | الأثيني | ٦٢٢    | ١٠٠ دراخما |
| أثينا      | ديكادراخما  | الأثيني | 43,25  | ١٠ دراخما  |
| أثينا      | أوكتودراخما | الأثيني | ٥,٤٣   | ٨ دراخما   |
| أثينا      | تيترادراخما | الأثيني | 17,20  | ٤ دراخما   |

[1] - Percy Gardner, 1970. The earliest coins of Greece. Vol V. British Academy. Oxford. P. 9.

| نقود أثينا | نوع العملة | العيار  | الوزن   | القيمة                  |
|------------|------------|---------|---------|-------------------------|
| أثينا      | ديدراخما   | الأثيني | ٦ - ٧ غ | ٢ دراخما                |
| أثينا      | دراخما     | الأثيني | ٤ غ     | —                       |
| أثينا      | أوبول      | الأثيني | 0,72    | ٦ - ٧ أوبول =<br>دراخما |
| المعدن     | فضة        |         |         |                         |

من حيث المناقشة للجدول السابق، فقد عمل هيد (Head) على ترتيب مجموعة من أوزان النقود التي وجدت في نوكراتيس (Naucratis)، وصنّفها بشكل متسلسل، وتبين أنها ضربت وفق العيار الإيجيني، وأشار في دراسته إلى أن هذا العيار يجب أن يكون قادمًا من مصر، لكن يمكن نقد ذلك بسهولة حيث أن نوكراتيس لم تكن قد تأسست بعد، ولا توجد أسباب للاعتقاد أو التشكيك بأن الأوزان هي أسبق من عهد فيدون أو من الضرب الأول للنقود في إيجينيا<sup>[١]</sup>. وأضاف (هيد) بما يخص التالانت والمينا، أنهما كانا من الذهب والفضة والإليكتروم إلى جانب الستاتير المضروب من معدن الإليكتروم الذي كان موجوداً إلى جانب جزء من المينا، وأنه كان معروفاً لوقت طويل في آسيا، واستخدم في أيونية وعلى شواطئ آسيا الصغرى، لكن نسبياً، لم يكن الناس معتادين عليه ولم يكن تداوله مستحسنًا في بلاد البيلوبونيز لأنه احتوى على أجزاء من البرونز، ولأن شكله مستدير أحياناً، وغالبيته كشريط طولاني، كما أن (٦) حفنات أو قبضات يد تساوي من هذا الشكل المستدير دراخما واحدة، وكل (١٢) حفنة تساوي ديدراخما واحدة<sup>[٢]</sup>.

### ثامناً: طريقة سك النقود

تتم عملية سك النقود على مراحل متتالية، تبدأ باستخراج المعدن الخام من باطن الأرض، ثم تنظيفه وتنقيته من الشوائب، ثم صهره وسكبه في قوالب صغيرة محضرة سلفاً، وقبل أن تبرد هذه القطع تُسكب في قوالب تأخذ شكلاً دائرياً، وهي ذات عيار ووزن ثابت

[1]- Barclay. Head, 1911. Historia Numorum, 2nd edition. Oxford. XLIV.

[2]- Percy Gardner, 1970. The earliest coins of Greece. Vol V. p.11.

تقريباً. ثم تأتي مرحلة وضع النقوش والمشاهد على القطعة المعدنية باستخدام قوالب معدنية علوية (Obverse) وسفلية (Reverse) تحتوي على نقوش ومشاهد، ويتم الطرق فوقها بواسطة مطرقة، حتى تصبح في ما بعد نقداً قابلاً للتداول بين الناس، ذا شرعية وقيمة من خلال المجلس القضائي المؤلف عادةً من ثلاثة أشخاص يشرفون على عملية إصدار النقود. وتُعرف هذه العملية لدى علماء النميات والباحثين في هذا المجال بعملية: (الإنتاج النقدي "monnayage" "La production monétaire" Coinage)<sup>[١]</sup>.

### تاسعاً: انتشار النقود الإغريقية

انتقلت عملية سك النقود من أثينا إلى باقي المدن الإغريقية، فكان رابع مركز لضرب العملة في مدينة كورنثة (Corantha) حيث سكّتها من الذهب والفضة، فأصدرت وحدة الستاتير الذهبية التي تزن حوالي (٨,٢٠ غ). وبدورها قامت كورنثة بنقل ونشر عيارها النقدي والوزني إلى المستعمرات الإغريقية في البحر الأيوني، وجنوب إيطاليا وصقلية. بينما زاد عدد دور الضرب المنتجة للمسكوكات في بلاد الإغريق عن (١٥٠٠) مدينة، و(٥٠٠) سلالة حاکمة وملك<sup>[٢]</sup>، ومنذ منتصف القرن السادس وعلى امتداد القرن الخامس ق.م انتشرت النقود في أنحاء العالم الإغريقي كافة، حيث كانت كل (٦٠) مينا تساوي تالانت واحد، ويزن التالانت (٢٦,١٩٦ كغ)، كما أنه يساوي (٦٠٠٠) دراخما. بينما يساوي كل (١) مينا (١٠٠) دراخما، ويحتوي على ما قيمته (٣٦٠٠٠) أوبول. ومن جهة أخرى، وبالنسبة إلى العيار الوزني الإيجيني في البيلوبونيز (بلاد اليونان Peloponnes)، كان كل (١) مينا يزن (٦٢٨ غ). وقد اتبع هذا النظام كل من جزيرة خيوس (Chios)، وجزيرة رودوس (Rhodos)، وبهذا، اختلف العيار الوزني للنقود الإغريقية من منطقة إلى أخرى<sup>[٣]</sup>.

حملت مسكوكات كورنثة الفضية من فئة التيترادراخما في مركز الوجه رأس الربة أثينا معتمرةً خوذتها، بينما حمل مركز الظهر نقش الحصان المجنح بيغاسوس الذي ساعد البطل (بيليفوريون) على قتل وحش الخميرا الخرافي (التنين). أمّا بالنسبة إلى الستاتيرات الفضية،

[١]- كيوان، خالد: المسكوكات القديمة، ط٢، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٥، ص ١٧.

[2]- Coins and Numismatics, 1996. Hellenic Ministry of culture, Numismatic Museum.

[٣]- كيوان، خالد: المسكوكات القديمة، ط٢، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٥، ص ١٧.



ووفق التسلسل الزمني الموضوع لها، فتعدُّ ستاتيرات كورنثة التي حملت صورة الحصان المجنَّح بيغاسوس المثال الأقدم والأفضل لسلسلتها النقدية<sup>[١]</sup>.

اختلف باحثو النميات في تأريخ نقود أثينا وكورنثة، ومن كانت السبَّاقة في ذلك، فمنهم من أكَّد أنَّ أثينا أصدرت النقود في منتصف القرن السادس ق.م، في حين أصدرتها كورنثة في القرن السابع ق.م في عهد الملك سيسيلوس (Cypsilus). ومن بين العلماء أيَّدوا ذلك هيد (Head) الذ أَرخها بين العامين (٦٥٧-٦٢٥ ق.م)<sup>[٢]</sup>.

هذا وقد عكست المسكوكات كامل أوجه الفنِّ في القرن الخامس ق.م، فتعدَّدت أنواع المشاهد عليها. وشغلت المشاهد الجنسيَّة جزءاً منها، وترافق ذلك مع انطلاق فنِّ النحت والتوجُّه نحو العُري واتخاذ مذهب اللذة للفيلسوف أبيقور الذي عبَّرت عنه تماثيل الفتيات العاريات والشبَّان العُراة، ومن أهمَّ المسكوكات التي جسَّدت ذلك واحدة أصدرتها مدينة تاسوس (Tasus) تلك الجزيرة الصغيرة الواقعة شمال غرب بحر إيجه مقابل مقدونيا، حيث نقشت على ستاتيراتها وضعيَّات للمشاهد الجنسيَّة المعروفة باسم (إيروتيكا Erotica). كما احتلت المشاهد الدينيَّة حيزاً كبيراً على المسكوكات مستمِدةً روحيتها من الآلهة والأساطير، مثل مسكوكات كريت (Creat) المتميِّزة بحملها الثور (المونيتور)<sup>[٣]</sup>، وسيريناك (Cyrénaique) المتميِّزة بحملها صورة الإله (زيوس آمون)، وكيتين (Cytène) التي حملت نقودها صورة الرِّبة (نيمفي)، وتيساليا التي تُعتبر أكبر أقاليم بلاد الإغريق، فحملت مسكوكاتها نقش بطل طروادة (تيساليني الأصل).

لم تخلُ المسكوكات الإغريقيَّة من مشاهد الطرافة والفكاهة حين حملت صورة سيلينوس معلم الإله ديونيسيسوس<sup>[٤]</sup> راكباً على ظهر حمار، يبدو ثملاً، ممسِكاً بكأس الخمر التي ترافقه

[1] - John, Kroll and Nancy Waggoner. 2015. Dating earliest coins of Athena, Corantha and Aegina. American Journal of Archaeology. Vol88. No 3. pp.325 – 340.

[2] - Percy Gardner, 1970. The earliest coins of Greece. Vol V. p.23.

[٣] - تقول الأسطورة إنَّ الأثينيين التزموا بدفع الجزية السنويَّة لوحش المونيتور المخيف (ثور)، الذي كان يعيش في قصر التيه (قصر الملك مينوس في كنوسوس في جزيرة كريت)، وهي عبارة عن تقديم تضحية من سبعة شبَّان وسبع فتيات عذارى، إلى أن أطلق سراحهم ابن الملك المدعو ثيسوس (Theseus) بعدما قتل الوحش بمعونة أريادنه وكرة الخيط التي أعطته إياها لترشده إلى طريق الخروج من قصر التيه. ويبدو اسم المونيتور مؤلفاً من قسمين: الأول (مينوس)، والثاني (تورو) التي تعني باليونانيَّة الثور. أنظر: كيتو. هـ. د: الإغريق. ت عبد الرزاق يسرى. دمشق. ١٩٦٢. ص ١٥.

[٤] - ديونيسيسوس: هو نفسه باخوس، إله الخمر والسكر والعريضة، من رموزه ورقة الكرمة وثمارها تلتفُّ حول رأسه. ربَّته نيزا ربَّة



دائماً، وتحت الحمار توجد محارة. وقد صدرت هذه القطعة النقدية من فئة التيترادراخما الفضية عن دار ضرب مدينة ميند (Ménde).

ومن المسكوكات الأخرى التي حملت مشاهد تتصل بالطرافة والفكاهة تيترادراخما صادرة عن ناكسوس (Naxos) <sup>(١)</sup> بين العامين (٤٦١-٤٣٠ ق.م)، حملت رأس الإله ديونيسوس معصوباً بإكليل من ورق العنب، بينما حمل الوجه الآخر سيلينوس معلم الإله ديونيسوس، عارياً جالساً بوضعية القرفصاء، وبعضه الذكري البارز، يحمل بيده اليمنى كأس الخمر، وإلى جانبه دالية عنب، وظهر نقش كتابي يوناني يذكر اسم ناكسوس (Naxos). وفي عام (١٩٢٦ م) عُثر في ناكسوس على (٧٢) قطعة نقدية فضية و(٢) من البرونز، كانت مخبأة في إناء فخاري، وتؤرخ إلى العام (١٥٠) ق.م.

إنَّ تعدُّد الصور على المسكوكات الإغريقية وكثافتها ومعالجتها مواضيع متنوعة دفع علماء المسكوكات تسميتها: الأيقونة النقدية (Icon-Monnaies)، التي تعني الصورة المنقوشة على النقود<sup>(٢)</sup>.

#### عاشراً: انتشار المسكوكات في جنوب إيطاليا وصقلية (مagna Graeca)

تشير الدراسات المتعلقة بعلم المسكوكات إلى أنَّ انتقال ضرب المسكوكات إلى المستعمرات الإغريقية وجنوب إيطاليا وصقلية وخالكيدون في مكدونيا في منتصف القرن السادس ق.م حاملة تأثيرات من كورنثة ساعد على نشرها القوة التجارية لها، وذلك في مستعمرات الأخائيين والسيباريين، حيث أقام الإغريق مستوطنات عدَّة على السواحل الغربية والشرقية من إيطاليا، وسواحل صقلية الشرقية والجنوبية الشرقية، حيث عُرفت المنطقة آنذاك باسم بلاد الإغريق الكبرى (Magna Graeca). وقد شملت هذه المنطقة العديد من دور الضرب التي حملت رموز عقائدها المحلية على نقودها، وجاءت مشبعة بالمشاهد الميثولوجية، ومواضيع الصور التي تضمَّنت مسحة فنية وجمالية، مجسدة الآلهة

الغابات، حتى كبر، وعُرف باسم ديو (إله)، و(نيزا) نسبةً لرَبَّة الغابات.

[١] - ناكسوس (Naxos): هي إحدى جزر بحر إيجه شرق شبه الجزيرة اليونانية، وقد كانت مركزاً لعبادة الإله ديونيسوس، احتلها الفرس سنة (٤٩٠ ق.م)، كما أصبحت عضواً في حلف ديلوس، حاولت الإنسحاب، فعاقبتها أثينا سنة (٤٧٠ ق.م).

[2] - COINS and Numismatics, 1996, Hellenic Ministry of Culture – Numismatic Museum, Athena p78.

الإغريقية، كتمثيلهم البطل الأسطوري (هرقل)<sup>[١]</sup>، وقد أمسك بجلد أسد، وواجهات الأبنية المقدسة<sup>[٢]</sup>. وفي العام (٥١٠ ق.م) وصل النقد إلى بلاد الإغريق الكبرى، فقامت مدينة سيراكيوز<sup>[٣]</sup> بإصدار المسكوكات ومنها مسكوكة تذكارية من فئة الديكادراخما تخلد مناسبة صدّهم للغزو القرطاجي عام (٤٨٠ ق.م)، وهذه المسكوكة تزن حوالي (٤٠ غ) وتساوي ما قيمته الصرفيّة عشرة دراخمت، والأهم فيها أنّها حملت رأس الربّة الحامية للمدينة (أريتوزا) محاطة بثلاثة دلافين، وفي أسفل المسكوكة صورة للأسد الإفريقيّ القرطاجيّ الهارب الذي يشير إلى هزيمة القرطاجيين، مع نقش كتابيّ يونانيّ يذكر سيراكيوز (ΣΥΡΑΚΟΙΩΝ).

لم تخلّد مسكوكات سيراكيوز الأحداث العسكريّة والانتصارات الحربيّة فحسب، بل سكّت أيضاً مسكوكات جاءت بشكل ميداليّات تذكاريّة بوزن عشرة دراخمت ووزعت على الفائزين بالألعاب الرياضيّة الإسيناريّة التي بدأ الاحتفال بها سنة (٤١٢ ق.م) تخليداً للانتصارات الحربيّة. وهنا توجب ذكر صقلية مرتبطة مع سيراكيوز حيث أنتجت الأولى سلسلة خياليّة من النقود في القرن الخامس ق.م جاءت مشابهة ومقلّدة للنقود الإغريقيّة ونقود آسيا الصغرى، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى تعرّض صقلية للهجوم القرطاجيّ بين العامين (٤١٠-٤٠٠ ق.م) أوقف ضربها للنقود مقابل استمراريّة سيراكيوز بعملية الإصدار النقدي من الذهب والفضّة وبقيت حتى العام (٣٧٥ ق.م).

ومن مدن إيطاليا مدينة كروتون (Croton) وميتابنتوم اللتان بدأتا سكّ النقود حوالي العام (٥١٠ ق.م)، وكان مشهدهما المفضّل الثور السيارى. حيث تعدّدت صور الآلهة على مسكوكات كروتون مثل أبولو وزيوس وهيرا وهرقل.

أمّا هرقل الذي كان يبحث عن قطيع جيرون (Geron) في إسبانيا هو خلفيّة للأساطير

[١]- هرقل: هو ابن الإله زيوس، من فينوس ألكيمينا. جاءت لزيوس نبوءة بأن زوجته (ميتيس) ستنجب له ابناً يقتله، لمّا سمع بذلك، ابتلع زيوس زوجته، فخرجت أثينا (منيرفا عند الرومان) من رأسه إثر ضربة من هيفاسيستوس (فولكانوس) إله الحدادة والنار، وهي ترمجر وتصرخ صرخات الحرب، فعرفت بأنّها ربّة الحرب والسلام. بينما اشتهر هرقل بمغامراته الأثنتي عشرة، وأشهرها قتله وهو صغير للثعبانين، وصراعه مع الأسد (نميا) وقتله طفلاً له، فأصبح جلد الأسد من رموزه. وتشبّه بهرقل ملوك كثر كالإسكندر الكبير، وكومودوس.

[٢]- كالتنود التي حملت مشهد الربّة أثينا تركل مارسياش بقدمها، وهو يهيمُ بالنقاط المزمار - ومارسياش هو من الساتيرات (آلهة الشياطين والخصب) أتباع الإله ديونيسوس.

[٣]- سيراكيوز: تقع على جزيرة صغيرة في أورتيغا، ويربطها جسر بجنوب شرق صقلية، أقامها الكورنثيون كمستوطنة إغريقيّة عام (٧٣٤ ق.م).

القديمة ما جعله يزور كل مدن الغرب تقريباً، فقد اشتهر في كروتون وكأنه المؤسس الأسطوري للمدينة التي بدأت بضرب المسكوكات في الربع الأخير من القرن السادس ق.م، وطيلة القرن الخامس، وشاطر مدينة كروتون في عملية ضرب النقود مدن أخرى منها ميتابنتوم (Mitapentum) التي تقع في الشمال الغربي من شبه الجزيرة الإيطالية، وهي تابعة لإقليم كالابريا على خليج تارنتوم. بدأت بإصدار العملة بين عامي (٥٥٠-٤٨٠ ق.م)، حيث حملت الأحرف الأولى من اسمها (MET)، وسنبلة قمح على كلا الوجهين بشكل نافر وغائر. أما الإصدار الأقدم فيها فقد حمل صورة إله النهر آخيلوس (Acheloos) بهيئة وحش بحري ذي رأس بشري أو ثور ذي رأس إنسان.

إن نموذج آخيلوس هو الأكثر اكتمالاً بسبب حمله اسم المدينة على الوجه الأول للمسكوكة، وعلى الوجه الآخر اسم الإله واسم الجائزة (Athlon)، كما أنه اكتسب أهمية كونه إله مدينة ميتابنتوم الذي يحيط به نهر برادانوس وكازويتوس (Bradanus and Casuentus) اللذان يصبان أثناء الفيضان في مجمع أمطار أبينين (Apennine). يعرف آخيلوس - إله نهر اليونان الألبانية - بعواطفه نحو عروس هرقل (ديانيرا Deianeira) ومعركته مع البطل. كما حملت مسكوكات أخرى رأس الربّة (نيمفي) ربّة الخصب والماء والينابيع وأم الإله (بان) ربّ القطعان والماشية.

كما كانت مدينة سيباريس (Sybaris) من المدن السبّاقة بإصدار المسكوكات المؤرّخة بين العامين (٥٦٠-٤٤٥ ق.م) وتميّزت بحملها الثور (السيباري) ورأس الربّة (أثينا)، وهي شريكة مدينة ثوريوم (Thurium) التي تقع في سهول جبال سيباريس، وقد تأسست سنة (٤٤٦ ق.م) لتكون بمثابة ميناء دخول للنفوذ الأثينيّ الغنيّ في جنوب إيطاليا.

يُعتبر الثور السيباري المنقوش على رأس أثينا تمثال النصر الأولمبيّ، إذ تُعدُّ أثينا رمز الآلهة السيباريّة العظيمة، ونلاحظ في بداية سكّ العملة الذهبية أنّ خوزة أثينا لم تكن مزخرفة باستثناء نقش إكليل من اللبلاب أو تاج من ورق الغار، من ثمّ بدت مرصّعة بشكل حيوان خرافيّ نصفه نسر ونصفه الآخر أسد، أو بشكل (سيلا)، وهو عبارة عن وحش مفترس جزء منه امرأة والثاني كلب والثالث أفعى.

بدأت عمليّة إنتاج العملة في ثوريوم بين عامي (٤٤٠-٤٢٠ ق.م) متميّزة بحملها رأس

الرَبَّة (أثينا) في مركز وجه النقد، بينما حمل الوجه الآخر الثور (السيباري) الشهير، وكلمة ثوريوم (ΘΟΥΡΙΟΝ)<sup>[١]</sup>. في حين أصدرت تارنت (Tarente) مسكوكات بين العامين (٥١٠-٥٠٠ ق.م) حملت صورة البطل الأسطوري (Taras) عارياً ممتطياً الدلفين<sup>[٢]</sup>، ونقش كلمة تاراس (TAPAZ)، وفي الأسفل نقش لشيء يشبه مشط البحر. إضافةً إلى ذلك، تبرز مشاهد أخرى ترافق البطل تاراس، نُقِشت على ظهر العملة، تتضمن فرس الماء المجنَّح وحده، أو منقوشاً على خوذة الرَبَّة (أثينا)، وكذلك نقش فارس على صهوة جواد، وقد استمرت المشاهد السابقة حتى بين العامين (٢٣٥-٢٢٨ ق.م).

وفي الوقت الذي أصدرت فيه تارنت مسكوكاتها بدأت جارتها بوسيدونيا (Posidonia) بإصدار عملتها في نهاية القرن السادس ق.م، وقد تميَّزت مسكوكاتها بحملها صورة أهم رمز ديني لديها يتجسّد بالإله بوسيدون واقفاً مع شوكتة الثلاثية الشعاب، أمّا ظهر المسكوكة فنلاحظ صورة الثور وهو يتهيأ للهجوم، وفي الأعلى كتابة يونانية تشير إلى اسم بوسيدونيا (ΠΟΣΙΔΩΝΙΑ)<sup>[٣]</sup>.

ووفقاً لدراسة التطوُّر الكرونولوجي لتسلسل سكّ النقود في بلاد الإغريق ومستعمراتهم في إيطاليا وصقلية نلاحظ بعض دور الضرب قد بدأت بإنتاجها النقدي في القرن الخامس ومطلع القرن الرابع ق.م ومنها مدينة هراقلية (Héraclée) التي تقع إلى الجنوب من مدينة ميتابنتوم على خليج تارنتوم، حيث أصدرت نقوداً بين عامي (٣٨٠-٣٣٠ ق.م) حملت رأس الرَبَّة (أثينا) تعلوه خوذة مزدانة بحيوان الغريفون الخرافي، بينما حمل مركز الظهر البطل (هرقل) يصرع الأسد (نمياً)، وخلفه سنبل قمح. ومن الأهمية الإشارة هنا إلى أنَّ التُّقود المضروبة من معدن الإليكتروم قد توقَّفت إنتاجها في القرن الرابع ق.م وبدأ ظهور النقود البرونزية.

أمّا بالنسبة إلى صفات وتاريخ السكّ النقدي لمدينة تيرينا (Terina) الواقعة إلى الجنوب

[١]- كيوان، خالد: المسكوكات القديمة، ط٢، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٥، ص ١٧.

[٢]- الدلفين: هو أحد أصدقاء نبتون (بوسيدون)، الذي أرشده إلى مخبأ زوجته في البحر. ومن يومها أصبح مثال الصداقة والمودة بينهما، يرافقه في البحار، كما أصبح صديقاً للأبطال منهم ربّة أريتوزا في سيراكيوز، والبطل بيليفوريون قاتل وحش الخمير.

[٣]- تقول الأسطورة اليونانية: «إنَّ الإله بوسيدون هو شقيق زيوس، حيث ينتصب قصره في لجة البحر». ويُعتبر بوسيدون إله الرعد، ومثير الزلازل والبراكين على الأرض، وحاكم البحار، تخضع أمواجها لأدنى حركة من يديه المسلَّحة بالحربة ذات الشعب الثلاث.

الغربي من شبه الجزيرة الإيطالية، فقد تميّزت عملاتها بانسجام موضوعي وتنوع فنيّ منذ النصف الثاني من القرن الخامس ق.م، وتفسّر هذه الإصدارات النزعات الفنيّة التي كانت تهدف إلى تنوع النقش من خلال قوالب السكّ التي تمّ تتبّع دراستها، وتصنيفها إلى ثلاث مراحل بدءاً من الربع الأخير من القرن الخامس. وهناك مدينة غولونيا/ كولونيا (Gaulonia) التي تميّزت مسكوكاتها بحمل صورة الإله أبولو واقفاً ممسكاً غصناً من أوراق الغار، فيما حمل مركز الظهر صورة إيل واقفاً.

## الخاتمة

تمكّن الإغريق، رغم البيئة القاسية والصعبة التي عاشوا فيها، أن يجدوا طريقه للمنافسة في عالم حوض البحر الأبيض المتوسط، بفضل قدرتهم على الاستفادة من خبرات الشعوب الأخرى والتي لعب فيها الفلاسفة والمؤرّخون دوراً مهماً حين حثوا على تنظيم المدن وتحسينها، وعلى التخلص من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار والزراعة، وإلى الصناعة لاستغلال مواردهم الذاتية وتصديرها وتبادلها ببضائع لا ينتجونها، أو ليس لديهم اكتفاء ذاتي منها، كالقمح.

في الحقيقة، يمكن القول إنّ الإغريق نقلوا أو استعاروا اختراعات الشعوب المجاورة، وعملوا على تطويرها، ثم غزوا بها العالم فوجدوا لهم مرتبة ومكانة بين القوى الكبرى التي كانت تسيطر على تجارة حوض البحر الأبيض المتوسط كالفينيقيين والقرطاجيين.

أما فيما يتعلّق بالنقود فإننا نلاحظ مما تقدّم مايلى:

- ١ - بداية الإصدار النقديّ في العالم انطلق من ليديا في آسيا الصغرى، وتحديدًا من مدينة سارديس، منتصف القرن السابع ق.م، وتمّ تأكيد ذلك من خلال كتب المؤرّخين القدماء والتنقيبات الأثرية في معبد أرتميس في إفسوس، وكانت النقود من معدن الإليكتروم ثنائي التركيب من الفضّة والذهب إلى أن حكم كروسوس هذه المنطقة وفصل المعدنين، وأصدر نقوداً أحادية المعدن من الذهب الخالص أو الفضّة الخالصة في منتصف القرن السادس ق.م.
- ٢ - بداية ظهور النقود في بلاد الإغريق في القرن السابع ق.م في إيجينا، وتحديدًا من مدينة أرجوس في عهد ملكها فيدون، وكانت أيضاً من الإليكتروم.

- ٣ - بدأ انتشار العملة في بلاد البيلوبونيز الإغريقية منذ منتصف القرن السادس ق.م وكان السبق من بين المدن كورنثة وأثينا، ومع نهاية القرن السادس ق.م انتشرت النقود في دويلات المدن الإغريقية ومستعمراتها في إيطاليا وصقلية وغيرها، ولعب النقد الفضّي دوراً هاماً في التداولات التجارية.

- ٤ - لم يعرف الإغريق البنوك والمصارف لادّخار نقودهم وحفظها فعملوا على دفنها، كما اتّخذوا من المعابد مصانع لسكّ النقود كمعبد الرّبة نيميسيس / مونيتا.

٥- استطاع الباحثون وعلماء المسكوكات، وبفعل كثرة الاكتشافات، تصنيف النقود بحسب مواضيعها لتخرج دراسة المسكوكات من إطارها التاريخي إلى المضمون الفني (الايكونوغرافي) نحو ما يلي:

أ- مواضيع ميثولوجيّة/ أسطوريّة.

ب- مواضيع تصوّر الآلهة.

ج- مواضيع تصوّر أبطال الإغريق.

د- مواضيع تصوّر الحيوانات البحريّة والبريّة والحيوانات الأسطوريّة مثل سفينكس.

## المصادر والمراجع العربية والأجنبية

١. أبو بكر، فادية محمد، ١٩٩٨: دراسات في العصر الهلنستي، دار المعرفة الجامعية، مصر.
٢. أحمد علي الناصري، ١٩٧٦: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ط ٢، القاهرة.
٣. الثقافة المفقودة للتجذيف الإغريقي القديم، مجلة العلوم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، عدد آيار، ١٩٩٨.
٤. الشاروني، صبحي، ١٩٩٦: فنون الحضارات الكبرى، ج ٢، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية.
٥. الشيخ، حسن، (ب. ت): دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، الإسكندرية، مصر.
٦. الطائي، ابتهاج، ٢٠١٤: تاريخ الإغريق منذ بزوغه وحتى عصر الإسكندر المقدوني، دار الفكر، عمان.
٧. العابد، مفيد رائف، ١٩٧٨: دراسات في تاريخ الإغريق، منشورات جامعة دمشق.
٨. ألفرد زيمرن، ٢٠٠٩: الحياة العامة اليونانية، ترجمة عبد المحسن خشاب وآخرين، ط ٢، سلسلة ميراث للترجمة.
٩. جزيلا ريختر، ١٩٧٤: جذور الفن الإغريقي، مطبعة فايدون.
١٠. حصّة الهدال، المؤثرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية، مجلة دراسات، مجلد ٤٣، ملحق ٣، ٢٠١٦.
١١. عكاشة، علي، والناطور شحادة، ١٩٩٠: اليونان والرومان، دار الأمل، مصر.
١٢. محمد فهمي، ١٩٩٩: دراسات في تاريخ اليونان، طبعة جديدة، مطبعة الغد، مصر.
١٣. مكّاوي، فوزي، ١٩٨٠: تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، الدار البيضاء، ط ١.
- ١- رختر، جزيلا: جذور الفن الإغريقي، ط ٧، مطبعة فايدون، ١٩٧٤.
- ٢- كيتو. هـ. د: الإغريق. ت عبد الرزاق يسرى. دمشق. ١٩٦٢.
- ٣- كيوان، خالد: المسكوكات القديمة، ط ٢، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٥.



٤- مكاوي، فوزي: تاريخ العالم الإغريقي وحضاراته من أقدم العصور حتى العام ٣٣٢ ق.م. الدار البيضاء. ١٩٨٠م.

5- **Barclay. Head, 1911.** Historia Numorum, 2<sup>nd</sup> edition. Oxford. XLIV.

6- **Bioul. B, 1999,** Bruno Bioul, la numismatique, une science à découvrir. Numismatique.

7- **Christopher, Howgego. 1995.** Ancient History of Coins. London.

8- **Coins and Numismatics, 1996.** Hellenic Ministry of culture, Numismatic Museum, Athens 21.

9- **Ernest. Babelon:** Les Monnaies Grecques. Paris. 1921.

10- **John, Kroll and Nancy Waggoner. 2015.** Dating earliest coins of Athena, Corantha and Aegina. American Journal of Archaeology. Vol88. No 3.

11- **Percy Gardner, 1970.** The earliest coins of Greece. Vol. V. British Academy. Oxford.

14. Mabel lang, 1964: The Athen734ian A183.5gora, Weights, Measures, and Tokens. Volume X. new jersey. Princeton.708

12- **Philip, Grierson. 1975.** Numismatics. Oxford, London. P. 1012-.

13- **R. Seaford 2004.** Money and the Early Greek Mind Cambridge University Press.

## هذا الكتاب

يهدف هذا المشروع إلى إعادة قراءة التاريخ الحضاري للغرب برؤية موضوعية تعتمد على التحليل والنقد، وذلك من خلال الغوص في أعماق هذه الحضارة والبحث عن أصولها وجذورها الأولى وامتدادها وتجلياتها عبر القرون والعصور المختلفة وتسجيل مآلها وما عليها؛ للاستفادة من الإيجابيات والابتعاد عن الهفوات والسلبيات سيما ونحن نعيش على أبواب تغييرات حضارية عالمية تغير خارطة الثقافة. إننا لا نهدف من خلال هذا المشروع إلى إعادة كتابة تاريخ الغرب من جديد، إذ هذا أمر تكفله الغرب بجدارة، بل إن هدفنا هو إعادة قراءة هذا التاريخ لإعادة رسم حاضرنا بالاعتماد على ثقافتنا وهويتنا الإسلامية .  
نتمنى لكم رحلة معرفية ممتعة...



المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

<http://www.iicss.iq>

[islamic.css@gmail.com](mailto:islamic.css@gmail.com)